

قصة العرب

تأليف

محمد أحمد جاد المولى محمد أبو الفضل إبراهيم على محمد البجاوي

الجزء الثاني

الطبعة الرابعة

[فيها زيادة ضبط وشرح وتحقيق]

١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م

دار الحَيَاءِ الكُتُبِ العَرَبِيَّةِ
عيسى البابي الجليلي وشركاه

البَابُ الْأَوَّلُ

في القصص التي تشرح ما أُثِرَ عنهم من عادات وشمائل
في الأسباب الدائرة بينهم، وتبين ما انتهجوه في مواسمهم
وأعيادهم وأفراحهم وأعراسهم، بما يمثل حياتهم الاجتماعية
أصدق تمثيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الطبعة الأولى

تعدُّ القصة أقدر الآثار الأدبية على تمثيل الأخلاق ، وتصوير العادات ، ورسم خَلجات النفوس ؛ كما أنها - إذا شرف غرضها ، ونُبِل مقصدُها ، وكرمت غايتها - تُهذِّب الطباع ، وتُرْتَقِّق القلوب ، وتدفع الناس إلى المثل العليا : من الإيمان بالواجب والحق والتضحية والكرم والشرف والإيثار .

وقد كانت القصة - ولا تزال - ذات الشأن الأسمى في آداب الأمم قديمها وحديثها ، فقد وردت في التوراة ، وجاءت في الإنجيل ، وزخرت بها آيُّ الذكر الحكيم . ثم هي في شعر الإغريق ومخلفات الرومان وآثار المصريين القدماء .

والعرب من الأمم التي أخذت بنصيب من هذا الفن الجميل ، وأثرَ عنها فيضٌ من ذلك الأدب الرفيع ؛ بيد أن بعضاً من الباحثين المحدثين قد جحدوا نصيبهم من هذا الفن ، وهضموم حَقِّهم في ذلك الباب ، ووصَّموهم بالخيال العقيم ، وعابوا عليهم الفكر القريب ؛ ولكن النصفين منهم قد هالهم هذا الجحود ، ولم يرقهم ذلك النكران ، فاعترفوا للعرب بالقصص التي ترجوها عن الفرس والهنود ، وتزيدوا عليها في القاهرة وبغداد ، وتحدثوا للناس عن قصص عنقرة وذات الهمة ، وجلَّوا عليهم ألف ليلة وليلة وأخبار ابن ذي يزن .

وهذه القصص - وإن كانت قد نجحت نجاحاً تاماً في تصوير المصور التي وُضِعَتْ فيها، ورَسِمَتْ لنا البيئة التي نبتت منها - كثير منها تافه الغرض مُبْهِمُ القصد، رديّ اللغة والأسلوب . وفي قصر قصص العرب عليها جَحْدٌ للآداب العربية فضلها ، وإنكار عليها مفاخرها . . . وإلا فإن هناك قصصاً زخرت بها مجالس الخلفاء ، وسواهم الأمراء ، وملأت الكتب التي انحدرت إلينا عن المؤلفين القدماء : وما مَنَعَ الناس أن يَبرِدُوا شريعتها ، أو يَجْنُوا أطايبها ، إلا ما مُنيت به هذه الكتب من اضطراب الترتيب ، وردى الطبع ، وتحريف الناسخين .

وكتابتنا هذا جمعنا فيه هذه القصص : ما انتبذ منها وما شرّد ، وألقنا ما تنافر وافترق ، وجعلناه أقساماً ، وقسمناه أبواباً ؛ جمعنا كل قصة إلى مثلها ، وضممنا كل طُرْفَة إلى شبيها ؛ ليجتمع إلى غرض القصة - من تهذيب الطباع وترقيق النفوس - عَرَضٌ شامل لحياة العرب : مدينتهم وحضارتهم ، وعلومهم ومعارفهم ، وأديانهم وعقائدهم ، وذكر ألعواندهم وشمائلهم ، وما طُبِعوا عليه من كريم الفرائض ، ووحدة الذكاء ؛ ثم ما كان للمرأة عندهم من سامي المسكنة وعظيم المنزلة ، وما أثرَ عنهم من أخبارٍ صوروا بها جَبَمُ العفيف ، وغزلم الرقيق ، وعشقهم الشريف ؛ ولم يخلُ كتابنا مما كان لهم من محاورات ومساجلات ، ومطايبات ومناقلات ، وما نقله الرواة من أحوال العامة والملوك ، وطُرُفِ القضاة والولاة ، وأخبار الأيام والحروب ، وغير هذا مما سيرض مفضلاً في أبواب الكتاب .

ولم تقف في اختيار القصة على تعريف خاص ، أو حدٍ مرسوم ؛ ففياً اخترناه ما ذكره من طريف الأخبار وشائق الأحداث ، وما وضعوه مصورين به المجالس والأشخاص ، وما صنعوه على ألسنة الطير والحيوان ، وما تخيلوه من أخبار الشياطين والجنان ؛ إذ كان الغرض تنقيف الأذهان بذكر الطرائف ؛ وانشراح الصدور بمرض اللطائف ،

مع كشف نواحي التاريخ ، وإظهار مفاخر العرب .
ولعل القارىء يروقه ماتدسسى فيها من شريف الخصال فيحتذئها ، أو تعجبه
كرأىم العادات فيطبع نفسه عليها ، إلى ما في هذا من بعث فصيح الألفاظ ، وإحياء
رائع الأساليب . ولعله يكون فيها مبادئ صالحة وأسس قويمة إن يريد أن ينشئ
قصصاً طويلة على أساس ، أو يقيم روايات على بناء .

وكان من همتنا أن نحرص على اختيار القصص كما وضعوها ؛ إلا ما كان من
زيادة اقتضاها اختلاف الروايات ، أو تفسير لكلمات لا تألفها الآداب ، أو حذف
عبارات لاغناء فيها .

ولقد بذلنا من الجهد في ضبط الألفاظ ، وكشف النقاب عن المعانى ، وتراجم
الأشخاص ، وذكر المراجع ما نرجو أن يكون به جنى الكتاب قريباً ، ومنهله
عذباً ، وورده سائغاً ، وطريقه سهلاً معبداً .

ونسأل الله أن ينفع به ؛ على ما صدقنا في النية ورجونا من الخير ما

المؤلفون

{ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨
(يولية سنة ١٩٣٩)

مقدمة الطبعة الرابعة

هذا كتابنا « قصص العرب » تقدمه إلى أدباء العربية في طبعته الرابعة ، بعد أن نفذت طبعته الثالثة ، وازداد الأدباء إقبالا على اقتنائه وتقديره له . وكنا قد تلقينا رسائل من بعض أفاضل الأدباء يرغبون إلينا فيها أن نذل الطريق إلى قراءة الكتاب؛ فنكثر من ضبط الكلمات ، ونزيد من شرح المفردات، فعملنا على تحقيق رغبتهم ، وبذلنا غاية الجهد في تحريره وتحقيقه . وزدنا في شرح كلماته وضبط أعلامه .

ونرجون أن يكون ذلك كفاء لما تلقينا من رسائل الأدباء ، ولما تفضلت به صحف الشرق العربي من إشادة .

ونسأل الله أن يزيد به النفع بقدر ما بذلنا من جهد ، ورجونا من خير .

المؤلفون

المحرم سنة ١٣٨٢
يونيه سنة ١٩٦٢

القاهرة
(جميع الحقوق محفوظة)

١ - شبَّ عمرو عن الطَّوقِ*

كان جَذِيمة^(١) الأبرش ملكُ الحيرة قد جمع غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه ؛ منهم عدى بن نصر بن ربيعة اللَّخميّ ، وكان له حظٌّ من الجمال ؛ فقالت له رَقَاشُ أخت جَذِيمة : إذا سَقَيْتَ الملكَ فيسُكِرُ فاخطُبني إليه ؛ فسقى عدى جَذِيمةَ ليلةً ، وألطفَ له في الخدمة ، ولما أسرعَ الخمرُ فيه ، قال له : سَلِّني ما أَحَبَّبتَ ، فقال : أسألكُ أن تزوجني رَقَاشَ أَخْتِكَ . قال : ما بها عنك رغبةٌ ، قد فعلتُ !

فدخل بها ، وأصبح في ثياب جُدُدٍ وطيب . فلما رآه جَذِيمةُ قال : يا عدى ؛ ما هذا الذي أرى ؟ قال : زَوَّجْتَنِي أَخْتِكَ رَقَاشَ البِيارحةَ ، قال : ما فعلتُ ! ثم وضع يده في التراب ، وجعل يضرب بها وجهه ورأسه ، وأقبل على رَقَاش فقال :

حدثيني وأنت غيرُ كذوبٍ أبحرِي زَنَيْتِ أم بهجيجِ
أم بعبدٍ وأنت أهلٌ لعبدٍ أم بدُونِ وأنت أهلٌ لدونِ
فأجابته رَقَاش :

أنت زَوَّجْتَنِي وما كنتُ أدري وأتاني النساءُ للترزينِ
ذاك من شُرْبِكَ المدامةُ^(٢) صِرْفًا وتماديكِ في الصِّبَا والمجونِ^(٣)

فأطرق جَذِيمة ، فلما رآه عدى قد فعل ذلك خافه على نفسه فهرب منه ، ولحقَ بقومه وبلاده ، فمات هناك .

* الأمثال : ٢ - ٧٥ ، القاموس المحيط - مادة طوق ، بلوغ الأرب : ٢ - ١٧٧ ،

المسعودي : ١ - ٧٥ .

(١) جَذِيمة الأبرش ثالث ملوك الدولة التنوخية في العراق ، عاش في الجاهلية عمراً طويلاً ، وكان يقال له الوضاح والأبرش لبرس فيه ، وهو الذي جاء إلى الزباه فقتلته بتأرأبها (٢) المدامه : الخمر . وصرف : غير ممزوج (٣) المجون : الهزل .

ثم ولدت رقاش غلاما ، فسماه جَذِيمةَ عمراً وتبناه ، وأحبه حباً شديداً - وكان جَذِيمة لا يولد له .

فلما بلغ الغلامُ ثمانى سنين كان يخرج في عِدْوٍ من خدم الملك يجتنون له الكُمَّةَ ، فكانوا إذا وجدوا كُمَّةَ خياراً أكلوها وراحوا بالباقي إلى الملك . وكان عمرو لا يأكلُ مما يجئُ ، ويأتى به جَذِيمة فيضعه بين يديه ، ويقول :

هذا جنائى وخياره فيه إذ كلُّ جانٍ يدهُ إلى فيه

ثم إنه خرج يوماً وعليه ثيابٌ وحلٌّ ، فاشتطير وفقد زماناً ، وضربَ في الآفاق فلم يوجد ، وأتى على ذلك ما شاء الله .

ثم وجده مالكٌ وعقيلٌ ابنا فارحٍ ، وهما رجلان كانا متوجهين إلى الملك بهدايا وتحف ، فبينما هما بوادٍ في السَّماوة اتهمى إليهما عمرو بنُ عدى ، وقد عَفَت^(١) أظفارهُ وشعره ، فقالا له : من أنت ؟ قال : ابنُ التَّنُوخِيَّةِ ؛ فلهيأ عنه ، وقالا لجارية معهما : أطعمينا فأطعمتهما ؛ فأشار عمرو إلى الجارية أن أطعمني فأطعمته ، ثم سقتهما ، فقال عمرو : اسقيني . فقالت الجارية : لا تُطعم^(٢) العبيدَ الكِرَاعَ فيطمع في الذراع^(٣) .

ثم إنهما حملاه إلى جَذِيمة فعرفه ، ونظر إلى فتى ما شاء من فتى ! فضمه وقبله وقال لهما : حَكَمْتُكما . فسألاه منادته ، فلم يزالا نَدِيمِيه حتى فرَّق الموت بينهما ؛ وبعث عمراً إلى أمه ، فأدخلته الحمام ، وألبسته ثياباً ، وطوّفته طوّفاً كان له من ذهب ، فلما رآه جَذِيمة قال : كبرَ عمرو عن الطوق^(٤) !

(١) عفا الشعر وغيره : كثر (٢) ذهبت مثلاً (٣) الكراع في البقر والغنم كالوظيف في الفرس والبعير وهو مستدفق الساق . والذراع أفضل من الكراع لأنه في اليد ، والكراع في الرجل . (٤) ذهبت مثلاً ، يضرب للابس ما هو دونه .

٢ — الحديث ذو شُجُون*

كان لَضِبَّةَ بنِ أَدْرِ ابنان ؛ يقال لأحدهما سعدٌ وللآخر سُمَيْدٌ ؛ فنفرت إبل لَضِبَّةَ تحت الليل ؛ فوجه ابنيه في طلبها ؛ ففترقا . فوجدها سعد ، فردها . ومضى سُمَيْدٌ في طلبها ؛ فلقى الحارث بن كعب — وكان على الغلام بُرْدان — فسأله إياها ، فأبى عليه ، فقتله ، وأخذ بُرْدِيَهُ .

فكان ضِبَّةٌ إذا أمسى فرأى تحت الليل سواداً قال : أسعد أم سعيد^(١) ؟ فكش ضِبَّةٌ كذلك ماشاء الله أن يمكث . ثم إنه حجَّ ؛ فوافى عُكَاظَ ، فلقى بها الحارث بن كعب ؛ ورأى عليه بُرْدِي ابنه سُمَيْدٌ ، فعرفها ، فقال : هل أنت مُخْبِرِي : ما هذان البردان اللذان عليك ! قال : لقيت غلاماً ومهما عليه ؛ فسألته إياها فأبى على فقتلته ؛ وأخذتُ بُرْدِيَهُ هذين .

فقال ضِبَّةٌ : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ! فقال : فأعطنيهِ أنظر إليه فأبى أنظره صارماً ، فأعطاه الحارثُ سيفه ، فلما أخذه من يده هزّه ، وقال : الحديث^(٢) ذو شُجُون ، ثم ضربه به حتى قتله ؛ فقيل له : يا ضِبَّةُ ؛ أفي الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العَدْلُ !

* اللسان — مادة شجن ، أمثال الميداني : ١ — ١٨٠ .
(١) ذمبت مثلاً ، ويضرب في النجاح والنجية (٢) ذمبت مثلاً .

٣ - جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ*

كان أحدُ ملوكِ خَيْرِ عَنيفًا على أهلِ مملكته ، يَفْصِيهِمْ أَمْوَالَهُمْ ، وَيَسْلُبُهُمْ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وكانت الكهنة تخبره أنهم سيقتلونه ، فلا يحفل بذلك .

وسمعت امرأته أصوات السَّوَالِ ؛ فقالت : إني لأرحمُ هؤلاء ؛ لما يلقون من الجهدِ ، ونحن في العيش الرغد ، وإني لأخاف عليك أن يصيروا سبعا ، وقد كانوا لنا أتباعًا ؛ فرد عليها وقال : جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ^(١) !

فلبت بذلك زمانًا ، ثم أغزاهم ، ففمنوا ، ولم يقسم فيهم شيئًا ، فلما خرجوا من عنده قالوا لأخيه - وهو أميرهم - قد ترى مانحنُ فيه من الجهدِ ، ونحنُ نكره خروجَ الملكِ منكم - أهلَ البيت - إلى غيركم ؛ فساعدنا على قتل أخيك ، واجلسْ مكانه .

وكان قد عرف بغيه واعتدائه عليهم ؛ فأجابهم إلى ذلك ؛ فوثبوا عليه فقتلوه ! فمرَّ به عامر بن جَدِيْمَةَ - وهو مقتول - وقد سمع بقوله : جَوَّعَ كَلْبِكَ يَتَّبِعُكَ - فقال : ربما أكل الكلبُ مؤدِّبه إذا لم ينل شبعه !

* الأمثال : ١ - ١٥٠

(١) مثل يضرب في معاشرَة اللئام ، وما ينبغي أن يعاملوا به .

٤ — عند جُهَيْنَةَ الخَبْرُ اليَقِينُ *

أحدث الأخنسُ بن كعب في قومه حَدَثًا ، فخرج هاربا ، فلقيه الحصين بنُ عمرو الكلابي ، فقال له : من أنت ؟ تكلمت أمك ! فقال له الأخنس : بل من أنت تكلمت أمك ! فردد هذا القول حتى قال الأخنس : أنا الأخنس بنُ كعب ، فأخبرني مَنْ أنت ، وإلا أنفذت قلبك بهذا السنان . فقال له الحصين : أنا الحصين ابن عمرو الكلابي .

فقال له الأخنس : فما الذي تريد ؟ قال : خرجتُ لِمَا يخرج له الفتيان . قال الأخنس : وأنا خرجتُ لمثل ذلك . فقال له الحصين : هل لك أن تتماقد ألا نلتقي أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه ؟ قال : نعم ؛ فتماقدا على ذلك ؛ وكلاهما فاتك يحدّرُ صاحبه !

فلقيا رجلاً فسلباه ، فقال لهما : هل لكما أن تردّا على بعض ما أخذتما مني وأدلكما على مغنم ؟ قالوا : نعم . فقال : هذا رجل من نلم ، قد قدم من عند بعض الملوك بمغنم كثير ، وهو خلقي في موضع كذا وكذا . فردّا عليه بعض ماله ، وطلبا اللّخمى ، فوجداه نازلاً في ظل شجرة وقدّامه طعام وشراب ، فغيباه وحيأهما ، وعرض عليهما الطعام ، فكره كلُّ واحدٍ أن ينزل قبل صاحبه فيفتك به ، فزلا جميعاً ، وأكلا وشربا مع اللّخمى .

ثم إنَّ الأخنس ذهب لبعض شأنه ، فرجع واللخمى يتشحط في دمه^(١) . فقال
الجهنى - وهو الأخنس - وسل سيفه لأن سيف صاحبه كان مسلولاً : ويحك !
فَسَكَتَ برجلٍ قد تَحَرَمْنَا بطعامه وشرا به ، فقال : اقم يا أَخَا جُهَيْنَةَ ؛ فلهذا وشبهه
خرجنا . فشرِّ باساعةً وتحدثنا .

ثم إنَّ الحصين قال : يا أَخَا جُهَيْنَةَ ؟ أتدرى ماصفلةٌ وما صَعَلُ^(٢) ؟ قال الجهنى :
هذا يوم شرب وأكل ؛ فسكت الحصين حتى إذا ظنَّ أنَّ الجهنى قد نسى ما يُراد به
قال : يا أَخَا جُهَيْنَةَ ؛ هل أنت للطير زاجر ؟ قال : ماذا ؟ قال : ماتقول هذه العُقَابُ
الكاسر ؟ قال الجهنى : وأين تراها ؟ قال : هى ذه ، وتناول ورفع رأسه إلى السماء ،
فوضع الجهنى بِإِدْرَةَ السيف في نحره ، فقال : أنا الزاجر والناجر ! واحتوى على
متاعه ومتاع اللخمى ، وانصرف راجعاً إلى قومه .

فر بيطنين من قيس يقال لهما : مراح وأنمار ، فإذا هو بامرأة تنشدُ الحصين ،
فقال لها : مَنْ أَنْتِ ؟ قالت : أنا صَخْرَةَ أخت الحصين ، قال : أنا قتلته . قالت :
كذبت ! ما مثلك يقتلُ مثله ، أما والله لولم يكن الحىُّ خِلاً ما تكلمت بهذا . فانصرف
إلى قومه فأصلح أمرهم ، ثم جاءهم ، فوقف حيث يسمعون وقال :

وكم من ضَيْفَمٍ وَرْدٍ^(٣) هُمُوسٍ^(٤) أبى شِيلين مسكنهُ العرين
علوت يياض مَفْرِقَه^(٥) بَعْضِيبِ فأضحى في الفلاة له سكونُ
وأضحت عِرْسُهُ ولها عليه - بُعَيْدُ هُدوءٍ ليلتها - رَنِينُ
وكم من فارس لا تزدرية إذا شخصتْ لموقمه العيون

(١) يتشحط في دمه : يتخبط فيه ويضطرب ويتمرغ (٢) الصفلة : النعامة ، والصلل : الظلم -

(٣) الورد : الأسد ، ولونه بين الكميت والأشقر (٤) الهموس : السيار بالليل (٥) الفرق :

وسط الرأس .

كصخرة إذ تُسألُ في مراح وأثمار وعلهُما ظنونُ
تسائل عن حصين كلِّ ركبٍ وعند جهينة الخبِرُ اليقين
فمن يكُ سائلاً عنه فمندی لصاحبه البيان المستين
جهينةُ ممشرى وهو ملوك إذا طلبو المعالي لم يهونوا

٥ — يَحْمَى الصَّحَابُ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً*

تزوج أبو كبير^(١) ألهذلي أم تابط شراً^(٢) - وكان غلاماً صغيراً - فتنكر له ،
وعرف ذلك أبو كبير في وجهه ، إلى أن ترعرع الغلام ، فقال أبو كبير لزوجته :
وَيْحَكَ ، قد والله رابني أمرُ هذا الغلام ، ولا آمنه . قالت : فاحتل دلياً
حتى تقتله .

فقال له ذات يوم : هل لك أن تزو؟ فقال : ذلك من أمري . قال : فأمض
بنا ، فخرجنا غازيين ولا زادَ معها ، فسارا ليلتهما ويومهما من الغد ، حتى ظنَّ
أبو كبير أن الغلام قد جاع . فلما أمسى قصدَ به أبو كبير قوماً كانوا له أعداء ، فلما
رأيا نارهم من بُعد قال له أبو كبير : ويحك ، قد جُعنا ! فلو ذهبنا إلى تلك النار
فالتمسنا لنا منها شيئاً !

* خزانة الأدب ٣ - ٤٦٧ (طبعة بولاق) ، الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٦٥٢ ، شرح

ديوان الحماسة : ١ - ١٩

(١) أبو كبير الهذلي : اسمه عامر بن الحليس . (٢) هو ثابت بن جابر ، كان أسمع العرب
وأبصرهم وأكيدهم ، وكان أعدى رجل ؛ ينظر إلى الظباء فينتقى على نظره أسنمها ، ثم يمدو خلفه
خلا يفوته . وأخباره في هذا الباب كثيرة . توفي نحو سنة ٨٠ ق . هـ

ففضى تَأْبَطَ شراً ، فوجد على النار رجلين من أَلَصَّ مَنْ يَكُونُ مِنَ الْعَرَبِ
- وإنما أُرْسِلَهُ إِلَيْهِمَا أَبُو كَبِيرٍ لِيَقْتُلَهُمَا - فلما رَأَى أَنَّهُ قَدْ غَشِيَ نَارَهَا وَثَبَّ عَلَيْهِ ، فَرَمَى
أَحَدَهُمَا وَكَرَّ عَلَى الْآخَرِ فَرَمَاهُ ، فَقَتَلَهُمَا ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى نَارِهَا فَأَخَذَ الْخَبْزَ مِنْهَا ، فَجَاءَ
بِهِ إِلَى أَبِي كَبِيرٍ ، فَقَالَ لَهُ : كُلْ ، لَا أَشْبَعُ اللَّهُ بَطْنَكَ ! وَلَمْ يَأْكُلْ هُوَ ، فَقَالَ :
وَيَحْكُ ! أَخْبَرَنِي عَنْ قِصَّتِكَ ، فَأَخْبِرْهُ ، فَازْدَادَ خَوْفًا مِنْهُ .

ثم مضى في ليلتهما فأصابا إبلاً ، وكان يقول له أبو كبير ثلاث ليالٍ : اختر
أى نصف الليل شئت تحرس فيه وأنا ، وتنام النصف الآخر ، فقال : ذلك إليك ،
اختر أيهما شئت ، فكان أبو كبير ينام إلى نصف الليل ويحرسه تأبط شراً ،
فإذا نام تأبط شراً نام أبو كبير أيضاً لا يحرس شيئاً حتى استوفى الثلاث .

فلما كان في الليلة الرابعة ظن أن النعاس قد غلب على الغلام ، فنام أول الليل
إلى نصفه ، وحرسه تأبط شراً ، فلما نام الغلام قال أبو كبير : الآن يستنقل نوماً
وتمكنني فيه الفرصة ؛ فلما ظن أنه استنقل أخذ حصبة صغيرة ؛ فحذف^(١) بها ؛
فقام كقيامه الأول ، فقال : ما هذا الذي أسمع ؟ قال : والله ما أدرى لعل بعض
الإبل تتحرك ؛ فقام وطاف فلم ير شيئاً ، فعاد فنام ، فأخذ حصاة أصغر من تلك ،
فرمى بها فوثب ، فطاف ورجع إليه ، فقال : يا هذا ؛ إني قد أنكرت أمرك :
والله لئن عدت أسمع شيئاً من هذا لأقتلنك ! قال أبو كبير : فبت والله أحرسه خوفاً
أن يتحرك شيء من الإبل فيقتلني !

فلما رجعا إلى حبيهما قال أبو كبير :

ولقد سررتُ على الظلام بمغشم
جلدٍ من الفتيان غير مثقل^(٢)

(١) حذف بها : رمى (٢) المغشم : الذي لا يثنيه شيء . والجلد : القوي . وغير مثقل : أى
حسن القبول محبب إلى القلوب .

يَمْنُ حَمْلُنَ بِهِ وَهُنَّ عَوَاقِدُ حُبِكَ النَّطَاقِ فَسَبَّ غَيْرُ مَهَيْلٍ (١)
 حَمَلَتْ بِهِ فِي لَيْلَةٍ مَزْمُودَةً (٢) كَرِهًا وَعَقْدَ نِطَاقِهَا لَمْ يُحْمَلِ
 فَآتَتْ بِهِ حَوْشَ الْفَوَادِ مُبَطَّنًا سَهْدًا إِذَا مَا نَامَ لَيْلُ الْهُوجِلِ (٣)
 وَإِذَا نَبَذَتْ لَهُ الْحِصَاةَ رَأَيْتَهُ يَنْزُو لَوْقَمَتِهَا طَمُورَ الْأَخْيَلِ (٤)
 وَإِذَا يَهْبُثُ مِنَ النَّسَامِ رَأَيْتَهُ كَرْتُوبَ كَعْبِ السَّاقِ لَيْسَ بِزُمْلٍ (٥)
 مَا إِنْ يَمَسُّ الْأَرْضَ إِلَّا مَنَكِبٌ مِنْهُ وَحَرَفُ السَّاقِ طَى الْحَمَلِ (٦)
 وَإِذَا رَمَيْتَ بِهِ الْفَجَاجَ رَأَيْتَهُ يَهْوِي مَخَارِمَهَا هَوَى الْأَجْدَلِ (٧)
 وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى أُسْرَةٍ وَجْهَهُ بَرَقَتْ كَبْرَقِ الْعَارِضِ التَّهْلِيلِ (٨)
 يَحْمِي الصَّحَابَ إِذَا تَكُونُ كَرِيهَةً وَإِذَا هُمْ نَزَلُوا فَمَاوَى الْعَيْلِ (٩)

(١) الضمير للنساء ، وإن لم يجر لمن ذكر ، وضمن حملن معنى علقن فتعدى بالباء ، وعواقد جمع عاقدة ، والحبك جمع حباك : وهو ما يشد به النطاق ، والنطاق شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها ثم ترسل الأعلى على الأسفل إلى الركبة ، والأسفل ينجر على الأرض . والمهيل الذى يدعى عليه بقولهم : هبلته أمه ، أى شكلته ، أو الكثير اللحم . والمعنى أن هذا الغلام حملت به أمه وهى متعبة من الخدمة فنشأ محموداً مرضياً ، لم يدع عليه بالشكل والمهل ، وهذا فزعم العرب (٢) مزهودة : مروعة ، والعرب تزعم أن المرأة تنجب إذا حملت مفضبة (٣) حوش الفؤاد : ذكى كيس ، والمبطن : الخيمى البطن . والسهد : قليل النوم ، والهوجل : الثقيل الكسلان ، والأهوج . (٤) ينزو : يقفز ، والطمور : الوثب ، والأخيل : الشاهين ، وهو من الطيور الجارحة (٥) رأيت : أى رأيت رنوبه ، ورتوب الكعب اتصابه ، والزمل : الضعيف ، والمعنى : أنه إذا استيقظ من منامه اتصب اتصاب الساق (٦) يقول : إنه مدمج الخلق إذا اضطجع لا ينسبط على الأرض ولا يتسكن منها بأعضائه كلها وإنما يمس الأرض بمنكبه ، فهز في ذلك مثل حراة السيف حين تطوى (٧) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع فى الجبل أو غيره . الهوى : القصد لى أسفل ، والمخارم جمع مخرم وهو منقطع أمت الجبل . والأجدل : الصقر . وهذا الكلام كناية عن كونه صاحب همه إذا نطت به الصعاب ذلها (٨) الأسارة : الخطوط التى فى الجبهة ، يقول : إذا نظرت فى وجهه رأيت أسارير وجهه تشرق إشراق السحاب المثشق بالبرق . يصفه بحسن البشر وطلاقة الوجه (٩) العيل : جمع عائل وهو الفقير ، يصفه بأنه شجاع كريم .

٦ - تَأْبَطُ شَرًّا وَابْنُ بَرَّاقِ*

أغار تأبَطُ شَرًّا ومعه ابنُ (١) بَرَّاقِ على بَجِيلَةَ ، فأطردا لهما نَمَمًا ، ونذِرتَ (٢) بهما بَجِيلَةَ فخرجتُ في آثارهما ، ومضيا هارين في جبال السَّرَاةِ ، وركبًا الحَزْنَ ، وعارضتهما بَجِيلَةُ في السهل ، فسبقوهما إلى الوَهْطِ (٣) ، فدخلوا لهما في قصبَةِ العين ، وجاءا - وقد بلغ العَطَشُ منهما - إلى العين .

فلما وقعا عليها ، قال تأبَطُ شرالابن براق : أقلّ من الشرب فإنها ليلة طرُد ، قال : وما يدريك ؟ قال : والذي أَعْدُو بطيرِهِ (٤) ، إني لأسمع وجيبَ (٥) قلوب الرجال تحت قدمي - وكان من أسمع العرب وأكيدهم - فقال له ابن براق : ذاك وجيبُ قلبك . فقال له تأبَطُ شرا : والله ما وجبَ قط ولا كان وجابًا ، وضرب بيده عليه ، وأصاخ نحو الأرض يستمع ، فقال : والذي أَعْدُو بطيره ؛ إني لأسمع وجيب قلوب الرجال . فقال له ابن براق : فإني أنزل قلبك .

فنزل فبرك وشرب ، وكان أكل القوم عند بَجِيلَةَ شوكةً ، فتركوه وهم في الظلمة . ونزل ثابت (٦) ، فلما توسط الماء وثبوا عليه ، فأخذوه وأخرجوه من العين مكتوفًا ، وابن براق قريبٌ منهم لا يطمعون فيه لما يعلمون من عدّوه . فقال لهم ثابت : إنه من أصلف الناس وأشدّهم حُبًّا بعدّوه ، وسأقولُ له استأسر (٧) معي ،

* الأغانى : ١٨ - ٢١١ (طبعة الساسى) ، بلوغ الأرب : : ٢ - ١٤٣

(١) اسمه عمرو بن براق (٢) نذرت به : علم (٣) الوهط : ماء بالطائف (٤) يقال : طير الله لا طيرك . أى فعله وحكمه (٥) وجب القلب : اضطرب (٦) ثابت : اسم تأبَطُ شرا (٧) استأسر : كُن أسيراً .

فسيدغوه عَجَبه بعدوه إلى أن يعدو بين أيديكم ، وله ثلاثة أطلاق (١) ؛ أولها كالريح الهابئة ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث يكبو فيه ويمثر . فإذا رأيتم منه ذلك فخذوه ؛ فإنني أحبُّ أن يصير في أيديكم كما صرتُ إذ خالفتي ، قالوا : فافعل .

فصاح به تأبط شراً : أنت أخي في الشدة والرخاء ، وقد وعدني القوم أن يمتوا عليك وعلى ، فاستأسرتُ ووأسنتُ بنفسك في الشدة كما كنت أخي في الرخاء ؛ فضحك ابنُ براقٍ ، وعلم أنه قد كادهم ، وقال : مهلاً يا ثابت ، أيستأسرُ من عنده هذا المدو ؟ ثم عدا ، فعدا أول طلق مثلَ الريح كما وصف لهم ، والثاني كالقرس الجواد ، والثالث جعل يكبو ويمثر ويقعُ على وجهه ؛ فقال ثابت : خذوه ؛ فعدوا بأجمعهم ، فلما أن أن نفسوا عنه شيئاً عدا تأبط شراً في كتافه ، وعارضه ابنُ براقٍ فقطع كتافه وأفلتاً جميعاً ، فقال تأبط شراً قصيدته القافية في ذلك :

ياعيد^(٢) مالك من شوقٍ وإيراقٍ ومرطيفٍ على الأهوال طَراَقِ
يسرى على الأئين^(٣) والحيات محتفياً نفسى فداؤك من سارى على ساقِ

(١) الطلق : الشوط (٢) العيد : ما اعتاده الإنسان من هم أو شوق أو مرض ، ومالك من شوق : يعنى ما أعظمك ، والإيراق مصدر آرقه ، وطراق : أى يأتى ويطلق في الليل .
(٣) الأئين : الذكرك من الحيات ، ومحتف : حاف غير متمل .

٧ - أتنك بمحائين رجلاه*

كان المنذر بن ماء السماء ^(١) يناديه رجلا من العرب : خالد بن المضلل ،
وعمر بن مسعود الأسديان ، فشرب ليلةً معهما ، فراجاه الكلام ، فأغضباه ،
فأمر بهما فقتلا وجعلا في تابوتين ، ودُفنا بظاهر الكوفة .

فلما أصبح وصحاً سأل عنهما فأخبر بذلك ، فندم وركب حتى
وقف عليهما ؛ فأمر بينياف الفرّيين ^(٢) ، وجعل لنفسه في كل سنة يومين : يوم
بؤس ، ويوم نعيم .

فكان يضع سريره بينهما ؛ فإذا كان يوم نعيمه فأول من يطلع عليه - وهو
على سريره - يعطيه مائة من إبل الملوك ، وأول من يطلع عليه في يوم بؤسه يعطيه
رأس ظربان ^(٣) ويأمر به فيذبح ، ويُغرمى بدمه الغريبان .
فلم يزل كذلك ماشاء الله .

فبينما هو ذات يوم من أيام بؤسه ، إذ طلع عليه عبيد بن الأبرص ^(٤) ، فقال
له الملك : ألا كان الذَّبْحُ ^(٥) غيرك يا عبيد ! فقال : أتنك بمحائين رجلاه .
فقال له الملك : أو أجل قد بلغ إناه ! ثم قال يا عبيد : أنشدني فقد كان يعجبني

* مهذب الأغاني : ٢ - ٢٠٧ ، بلوغ الأرب : ١ - ١٢٨ ، ذيل الأمل ١٩٩ (الطبعة الأميرية)
الشعر والشعراء : ١٤٤ (طبعة أوربا) .

(١) في كتاب المعارف أن الذي قتل عبيداً هو النعمان بن المنذر ، وهو صاحب الفرين (راجع
صفحة ٢٨٣ ، وانظر القصة رقم ٦٥ من الجزء الأول من هذا الكتاب) (٢) الغريان : سميا
بذلك لأنه كان يفرهما بدم من يقتله يوم بؤسه (٣) دوية شبه الكلب أصم الأذنين طويل
الخرطوم متنن الياحمة (٤) عبيد بن الأبرص : شاعر جاهلي قديم من العمرين : كان شاعر بني
أسد غير مدافع (٥) الذبح : ما يذبح .

شِعْرُكَ ، فقال : حال الجريضُ دون القريض^(١) ، وبلغ الحزامُ الطَّبِيَّينَ^(٢) ،
فقال : أنشدني :

أفقر من أهله مَلْحُوبٌ^(٣) فالتطبيَّاتُ^(٤) فالذَّنُوبُ^(٥)
فقال :

أفقر من أهله عبيدُ فاليومَ لا يُبْدى ولا يُعِيدُ
عَنَّتْ له مِعْنَةٌ^(٦) نَكُودٌ وحانَ له منها وُرُودُ
فقال : أنشدني هيلتك أمك ! فقال : المنأيا على الحوايا^(٧) . فقال
بعضُ القوم : أنشد الملك ؛ هيلتك أمك ! فقال : لا يرْحَلُ رَحْلَكَ مَنْ
ليس معك .

فقال له آخر : ما أشدَّ جزعك من الموت ! فقال :

لا غرَوَ من عيشة نافده وهل غيرُ ما مَيِّتَةٌ واحدُه
فأبلغَ بنىَ وأعمامهم بأنَّ المنأيا هي الراصدَه
لها مدَّةٌ فنفوسُ العباد إليها ، وإن كرهتْ ، قاصده
فلا تجزعوا لحمامِ دنا فَلَلموتِ ماتلُدُ الوالده
فقال له المنذر : لا بدَّ من الموت ! ولو عرض لي أبي في هذا اليوم لم أجد بُدًّا
من ذنبه . فأما إذ كنتَ لها وكانت لك ، فاخترْ خصلةً من ثلاث خصال : إن
شئتَ من الأكل^(٨) ، وإن شئتَ من الأجل^(٩) ، وإن شئتَ من الوريد^(١٠) .

(١) مثل يضرب لأمر يعوق دونه عائق . والجريض : الغصص . والقريض : الشعر (٢) مثل
يضرب إذا اشتد الأمر وتفاقم . والطبي : حملات الضرع (٣) ملحوب : موضع
(٤) التطبيات : جمع قطبية ، وهي ماء (٥) الذنوب : موضع . (٦) أصل المنة : المرأة تعترض في
كل شيء (٧) الحوية : كساء يحوى حول سنام البعير ثم يركب ، ومعناه : قد تأتي المنية الشجاع
وهو على سرجه . (٨) الأكل : عرق في اليد (٩) الأجل : عرق غليظ في الرجل أو في
اليدين يزاء الأكل (١٠) الوريد : عرق في العنق .

فقال : ثلاث خصال ؛ مَقَادُهَا شَرُّ مَقَاد ، وحاديها شَرُّ حَاد ، ولا خَيْرَ فِيهَا
لِمُرْتَاد ؛ فَإِنْ كُنْتَ لَا بَدَّ قَاتِلِي فَاسْقِنِي الْحَمْرَ حَتَّى إِذَا ذَهَبَتْ لَهَا ذَوَاهِلِي ، وماتت
لها مفاصلي ؛ فشأنك وما تريد !

فأمر المنذر له بحاجته من الحمر ، فلما أخذت منه وقرب ليذبح قال :
وخيرني ذو البؤس في يوم بُؤسه خِلَالاً أَرَى فِي كُلِّهَا الْمَوْتَ قَدْ بَرَّقَ
كَمَا خُسِرَتْ عَادٌ مِنَ الدَّهْرِ مَرَّةً سَحَابٌ مَا فِيهَا لَدِي خَيْرَةٌ أَنْقُ (١)
سَحَابٌ رِيحٌ لَمْ تَوَكَّلْ بِسِلْدَةٍ فَتَنَزَّكَهَا إِلَّا كَمَا لَيْلَةُ الطَّلَقِ (٢)
وأسر به ففصد ، فلما مات طلى بدمه الغريان .

(١) الأنق : الإعجاب بالشيء . (٢) الطلق : سير الليل لو رد الغب ، وهو أن يكون بين الإبل
وبين الماء ليلتان ؛ فالليلة الأولى يحلّي الراعي لإبله إلى الماء وينكحها مع ذلك ترعى وهي تسير ليلتئذ ،
فهي ليلة الطلق ، والليلة الثانية ليلة الترب ، وهو السوق الشديد .

٨ - السليك بن السلكة ورفيقاه*

كان السليك^(١) من أشدّ رجال العرب وأنكرهم^(٢) وأشعرهم ، وكان أدلّ الناس بالأرض ، وأعلمهم بمسالكها ، وأشدّهم عدواً على رجله لا تعلق به الخيل ، وكان يقول : اللهم إنك تهبي ما شئت لما شئت إذا شئت ، اللهم إني لو كنت ضعيفاً كنت عبداً ، ولو كنت امرأة كنت أمة ، اللهم إني أعوذ بك من الخيبة ، أما الهيبة فلا هيبة^(٣) .

ذكروا أنه أملق^(٤) مرّة حتى لم يبق له شيء فخرج على رجله رجاء أن يصيب غرّة من بعض من يمرّ به ، فيذهب يابله ، حتى أمسى في ليلة من ليالي الشتاء باردة مقمرة ، فاشتمل الصماء^(٥) ، ثم نام .

فبينما هو نائم إذ جثم عليه رجل فقمعد على جنبه ، وقال : استأثر^(٦) ! فرفع السليك إليه رأسه ، وقال : الليل طويل وأنت مقمر^(٧) ؛ فجعل الرجل يلهزه^(٨) ويقول : يا خبيث ، استأثر ، فلما آذاه بذلك أخرج السليك يده ، وضم الرجل إليه ضمة صرخ منها ، وهو فوقه ، ثم قال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل افتقرت ،

* الأغاني : ١٨ - ١٣٤ (طبعة الساسي) ، الأمثال : ١ - ٤١٨

(١) كان السليك من تميم ، وأمه أمة سوداء اسمها السلكة ، وهو من أشدّ رجال العرب وأنكرهم ، وأكثرهم علماً بالأرض وأعلمهم بمسالكها ، وله في ذلك أخبار كثيرة . قتله أسد بن مدرّك سنة ١٧ ق ه تقريباً (٢) النكارة : الدهاء . (٣) أي لأهاب أحداً (٤) أملق : افتقر (٥) اشتمل الصماء : اشتمل الصماء أن يرد فضلة ثوبه على عضده اليمنى ثم ينام عليها (٦) استأثر : كن لي أسيراً (٧) ذهب مثلاً ، وأقر الرجل : ارتقب طلوع القمر (٨) يلهزه : يلكمه .

قلت : لأخرجنّ فلا أرجعُ إلى أهلي حتى أستغني فأتيتهم وأنا غنيّ . قال الرجل : انطلقْ معي .

فانطلق فوجد ارجلاً قصّته مثل قصتهما ، فاصطحبوا جميعاً حتى أتوا الجوفَ^(١) ؛ جوفٌ مراد ، فلما أشرفوا عليه إذا فيه نعمٌ^(٢) قد ملأ كلّ شيء من كثرتِه ، فهابوا أن يغيروا فيطردوا^(٣) بعضها ، فيلحقهم الطلب ، فقال لها سليلك : كونا قريباً مني حتى آتي الرّعاء^(٤) ، فأعلم لكما علم الحىّ : أقرب أم بعيد ، فإن كانوا قريباً رجعتُ إليكما ، وإن كانوا بعيداً قلت لكما قولاً أوحى إليكما به فأغيرا .

فانطلق حتى أتى الرّعاء فلم يزل ينسقطهم^(٥) حتى أخبروه بمكان الحى ، فإذا هم بعيد ، إن طلبوا لم يذكروا ؛ فقال السليلك للرّعاء : ألا أغنيكم ؟ فقالوا : بلى ! غننا ، فرفع صوته وغنى :

يا صاحبيّ ألا لا حىّ بالوادي سوى عبيدٍ وآمٍ بين أذوادٍ^(٦)
 أنتظرانٍ قريباً ريثَ غفّلتهم أم تفدون فإن الرّيحَ للغادي
 فلما سمعا ذلك أتيا السليلك ، فأطردوا الإبل ، فذهبوا بها ، ولم يبلغ الصّريح^(٧)
 الحى ؛ فياتومم بالإبل .

(١) موضع بأرض مراد (٢) النعم : واحد الأنعام ، وهى الإبل والشاة .

(٣) قال فى اللسان : طردت الإبل : أى ضممتها من نواحيها (٤) الرعاء : الرعاة (٥) تسقطه : عالجه ليروح بما عنده (٦) أذواد : جم ذود ، ثلاثة أبعرة إلى عشرة (٧) الصريح . المستقيث كالصارخ .

٩ - السُّلَيْكُ يَقْتُلُ وَيَنْهَبُ*

زعموا أن السُّلَيْكُ بنَ السُّلَيْكَةِ خرج يريد أن يغير في ناسٍ من أصحابه ؛ فرآه على بنى شيبان ، في ربيع ، والناس مخصبون في عَشِيَةِ فيها ضباب ومطر ؛ فإذا هو ببیت قد انفرد عن البيوت عظيم ، وقد أمسى .

فقال لأصحابه : كونوا بمكان كذا وكذا حتى آتى هذا البيت ، فلم ي أصيبُ خيراً ، أو آتىكم بطعام . فقالوا له : افعل .

فانطلق إليه وجنَّ عليه الليل فإذا البيت بيت يزيدَ الشيباني ، وإذا الشيخ وامرأته بقاء البيت ؛ فاحتال السليك حتى دخل البيت من مؤخره ؛ فلم يلبث أن أراح^(١) ابنُ الشيخ يبيله في الليل ، فلما رآه الشيخ غضب ، وقال : هلا كنت عشيها ساعةً من الليل ! فقال ابنه : إنها أبتِ العشاء ! فقال يزيد : إن العاشية تهيجُ الآية^(٢) !

ثم نفى الشيخ ثوبه في وجهها ، فرجعت إلى مراتعها ، وتبعها الشيخ حتى مالت لأذني روضة ؛ فرتمت فيها ، وقعد الشيخ عذدها يتعشى ، وقد خَسَّ^(٣) وجهه في ثوبه من البرد .

* الأمثال : ١ - ٤١٧

(١) الإراحة : رد الإبل والغنم من العشى إلى مراعيها ، حيث تأوى إليه ليلاً ، وقد أراحها راعيها

(٢) أى إذا رأته التي تأبى الرعى التي تتعشى حاجتها للرعى ، فرجت معها .

(٣) خَسَّ . قبض .

وتبعه السليك حين رآه انطلق ؛ فلما رآه مُعْتَرِزاً^(١) ضرب به من ورائه بالسيف ،
فأطار رأسه ، وأطرّد إبّله .

وبقى أصحاب السليك - وقد ساء ظنّهم ، وخافوا عليه ، فإذا به يُطْرِد
الإبل ، فأطردوها معه !

١٠ - السخّيّ العَدَاءُ *

قال رجلٌ من بني تميم :

كنتُ عند المهاجر بن عبد الله والي اليمامة ؛ فأْتَيْتُ بأعرابي قد كان معروفاً
بالسَّرَقِ^(٢) ؛ فقال له : أخبرني عن بعضِ عجائبك . قال : إنها لكثيرةٌ ، ومن
أعجيبها :

أنه كان لي بئير لا يُسْبِقُ ؛ وكانت لي خيلاً لا تُلْحَقُ ، فكنتُ لا أخرج
فأرجع خائباً ، فخرجتُ يوماً ، فاحترشتُ^(٣) ضَبّاً ، فملقته على قَتَبِي^(٤) ، ثم
مررتُ ببخباءِ سَرِيٍّ^(٥) ليس فيه إلا عجوز ، قلتُ : أخلق بهذا الخباء أن يكون له
رائحةٌ من غنمِ وإبِلٍ ، فلما أَسَيْتُ إذ يبإبلِ مائة ، فيها شيخ عظيم البطن ،
مُتَدَنٌ^(٦) اللحم ، ومعه عبد أسود ووَغْدٌ^(٧) .

(١) اعتز : تنحى .

* عيون الأخبار : ١ - ١٨٧

(٢) السرق : السرقة (٣) احترش الضب : اصطاده (٤) القتب : الإكاف الصغير على قدر
سنام البئير (٥) السري : من له مروءة في شرف (٦) شذن اللحم : كثيره (٧) الوغد : الذي
الذي يخدم ببطنه .

فلما رآني رحب بي ، ثم قام إلى ناقة فاحتلبها ، وناولني العلبية فشربت ما يشرب الرجل ، فتناول الباقي ، ففرض به جبهته ، ثم احتلب نسع أينق ، فشرب اللبن ، ثم نحر حوارة^(١) فطبخه ، ثم ألقى عظامه بيضا ، وحشا كومة من بطحاء^(٢) وتوسدها ، وغط غطيطة البكر .

قلت : هذا والله الغنيمة ! ثم قت إلى فحل إبله فخطمته^(٣) ، ثم قرنته إلى بعيري ، وصيحتُ به ، فاتبعني الفحل ، واتبعته الإبل ، فسارت خلفي كأنها جبل مدود ، فضيت أبادر ندية بيني وبينها مسيرة ليلة للمسرع ، فلم أزل أضرب بعيري بيدي مررة ، وأقرعه برجلي أخرى ، حتى طلع الفجر .

فأبصرت الثنية ، فإذا عليها سواد ، فلما دنوت إذا أنا بالشيخ قاعداً وقوسه في حجره ، فقال : أضيفنا ؟ قلت : نعم ! قال : أتسخو نفسك عن هذه الإبل ؟ قلت : لا .

فأخرج سهماً كأن نصله لسان كلب ، ثم قال : أبصر بين أذني الضب ، ثم رماه فصدع عظمه عن دماغه ، وقال : ما تقول ؟ قلت : أنا على رأي الأول ! قال : انظر هذا السهم الثاني في فقرة ظهره الوسطى ! ثم رمى به ؛ فكأثما قدره بيده ، ثم وضعه بإصبعه ، ثم قال : أرايت ؟ قلت : إني أحب أن أستثبت . قال : انظر هذا السهم الثالث في عكوة^(٤) ذنبه ، والرابع والله في بطنك . ثم رماه فلم يخطئ العكوة ، قلت : أنزل أمنا ؟ قال : نعم . فزلت ؛ فدفعت إليه خطام فحلّه ، وقلت : هذه إيلك لم يذهب منها وبرة - وأنا أنتظر متى

(١) الحوار : ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه (٢) البطحاء : مسيل واسع فيه دقاق الحصى

(٣) خطمه : وضع فيه الخطام : وهو ما وضع في أفق البعير ليقاد به .

(٤) العكوة : أصل الذنب .

يرمى بسهمٍ ينتظمُ قلبى . فلما تنحيت قال لى : أقبِل ، فأقبلتُ والله خوقاً من شره ،
لا طمعاً فى خيرِه .

فقال : أى هذا ؛ ما أحسبك جَشِمْتَ اللَّيْلَةَ ما جَشِمْتَ إلا من حاجة . قلت :
أجل ! قال : فاقْرُنْ من هذه الإبل بعيرين وامضِ لِطَيْبِكَ ، قلت : أما والله حتى
أخبرك عن نفسك قبلاً !

ثم قلت : والله ما رأيت أعرابياً قط أشدَّ ضِرْساً ، ولا أعدى رجلاً ، ولا أزمى
يداً ، ولا أكرم عفواً ، ولا أسخى نفساً منك !

١١ — زَيْدُ الْخَيْلِ (١) *

أخبر شيخ من بنى نَبْهَانَ قال :

أصابت بنى شَيْبَانَ سَنَةً ذَهَبَتِ بِالْأَمْوَالِ ؛ فخرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِعِيَالِهِ حَتَّى
أُزْلِمَ الْحَيْرَةَ ، فَقَالَ لَهُمْ : كُونُوا قَرِيبًا مِنَ الْمَلِكِ يُصَنِّبْكُمْ خَيْرَهُ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكُمْ ،
وَأَلَى الْآلِيَةِ (٢) ؛ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَكْسِبَهُمْ خَيْرًا أَوْ يَمُوتَ .

فَنَزُوْدٌ زَادَ ثُمَّ مَشَى يَوْمًا إِلَى اللَّيْلِ ، فَإِذَا هُوَ بِمُهْرٍ مَقْتَدٍ ، حَوْلَ خِيَاءٍ ، فَقَالَ :
هَذَا أَوَّلُ الْغَنِيْمَةِ ، وَذَهَبٌ يَحْتَلُّهُ وَيَرْكَبُهُ ، فَنَوْدَى : خَلِّ عَنْهُ وَاعْنَمِ نَفْسَكَ . فَتَرَكَهُ .

وَمَضَى سَبْعَةَ أَيَّامٍ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَطْنٍ (٣) إِبِلٌ مَعَ تَطْفِيلٍ (٤) الشَّمْسِ ، فَإِذَا
خِيَاءٌ عَظِيمٌ وَقُبَّةٌ مِنْ أَدَمَ ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا الْخِيَاءِ بُدٌّ مِنْ أَهْلِ ، وَمَا هَذِهِ الْقُبَّةُ
بُدٌّ مِنْ رَبِّ ، وَمَا هَذَا الْعَطْنُ بُدٌّ مِنْ إِبِلٍ . فَنَظَرَ فِي الْخِيَاءِ فَإِذَا شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ
اخْتَلَفَتْ تَرْقُوتَاهُ كَأَنَّهُ نَسَرَ .

قال : جَلَسْتُ خَلْفَهُ . فَلَمَّا وَجِبَتِ (٥) الشَّمْسُ إِذَا فَارِسٌ قَدْ أَقْبَلَ لَمْ أَرَ فَارِسًا
قَطَّ أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَجْسَمَ . ، وَمَعَهُ أَسْوَدَانِ يَمْشِيَانِ جَنْبَيْهِ ، وَإِذَا مَائَةٌ مِنَ الْإِبِلِ مَعَ

* الْأَغَانِي : ١٦ - ٤٧ (طَبْعَةُ السَّاسِيِّ) .

(١) هُوَ زَيْدُ بْنُ مَهْلَبٍ ، كَانَ فَارِسًا مَفْوَارًا مَظْفَرًا شَجَاعًا بَمِيدَ الصَّيْتِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ شَاعِرًا
مَحْسَنًا خَطِيْبًا لَسْنَا ، كَرَمًا ، وَأَدْرَكَ الْإِسْلَامَ ، وَوَفَدَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةَ تَسْعٍ ، وَسَرَّ بِهِ
وَقَرَّظَهُ وَسَمَّاهُ : زَيْدَ الْخَيْرِ . وَسَمِيَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِزَيْدِ الْحَيْلِ لِكَثْرَةِ خَيْلِهِ . تُوُفِيَ سَنَةَ ٩ هـ (٢) آلَى
آلِيَةٍ : حَلَفَ يَمِينًا (٣) الْعَطْنُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ (٤) تَطْفِيلُ الشَّمْسِ : مِيلُهَا لِلْفُرُوبِ (٥) وَجِبَتْ
الشَّمْسُ : مَالَتْ لِلْفُرُوبِ .

فَحَلَبَهَا ، فَبَرَكَ الْفَحْلُ ، وَبَرَكَتْ حَوْلَهُ ، وَنَزَلَ الْفَارِسُ ؛ فَقَالَ لِأَحَدِ عِبْدَيْهِ : احْلُبْ
الْفُلَانَةَ ^(١) ، ثُمَّ اسْقِ الشَّيْخَ ، فَحَلَبَ فِي عُسٍّ حَتَّى مَلَأَهُ وَوَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ،
وَتَنَحَّى ، فَكْرَعَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ نَزَعَ ^(٢) ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ فَشَرِبَتْهُ ، فَرَجَعَ
إِلَيْهِ الْعَبْدُ فَقَالَ : يَا مَوْلَايَ ؛ قَدْ آتَى عَلَى آخِرِهِ . فَفَرَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ : احْلُبْ الْفُلَانَةَ ،
فَحَلَبَهَا ، ثُمَّ وَضَعَ الْعُسَّ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْخِ ، فَكْرَعَ مِنْهُ وَاحِدَةً ، ثُمَّ نَزَعَ ، فَثَرَّتْ إِلَيْهِ
فَشَرِبَتْ نِصْفَهُ ، وَكَرِهَتْ أَنْ آتَى عَلَى آخِرِهِ فَأَتَتْهُمْ ، فَجَاءَ الْعَبْدُ فَأَخَذَهُ ، وَقَالَ لِمَوْلَاهُ :
قَدْ شَرِبَ ، فَقَالَ : دَعَّهُ .

ثُمَّ أَمَرَ بِشَاةٍ فَذَبَحَتْ ، وَشَوَى لِلشَّيْخِ مِنْهَا : ثُمَّ أَكَلَ هُوَ وَعِبْدَاهُ . فَأَمَهَلَتْ
حَتَّى إِذَا نَامُوا وَسَمِعَتْ الْغَطِيطَ ^(٣) ثَرَّتُ إِلَى الْفَحْلِ ، فَحَلَّتْ عِقَالَهُ وَرَكِبَتْهُ ، فَأَنْدَفَعَ بِي
وَتَبِعْتَهُ الْإِبِلُ . فَشِيتُ لِيَلْتَنِي حَتَّى الصَّبَاحِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَظَرْتُ فَلَمْ أَرِ أَحَدًا ، فَسَلَلْتُهَا سَلًّا عَنيفًا ، حَتَّى تَعَالَى النَّهَارُ ، ثُمَّ
التَفْتُ التَّفَاتَةَ ، فَإِذَا أَنَا بِشَيْءٍ كَأَنَّهُ طَائِرٌ ، فَمَا زَالَ يَدْنُو حَتَّى تَبَيَّنْتُهُ ، فَإِذَا هُوَ فَارِسٌ
عَلَى فَرَسٍ ، وَإِذَا هُوَ صَاحِبِي بِالْأَمْسِ ، فَعَقَلْتُ الْفَحْلَ ، وَتَثَلْتُ كِنْفَانِي ، وَوَقَفْتُ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ الْإِبِلِ ، فَقَالَ : احْلُلْ عِقَالَ الْفَحْلِ . فَقُلْتُ : كَلَّا وَاللَّهِ ، لَقَدْ خَلَّفْتُ نُسَيَّاتٍ
بِالْحَيْرَةِ ، وَآلَيْتُ أَلِيَّةً لَا أَرْجِعُ حَتَّى أَفِيدَهُنَّ خَيْرًا أَوْ أَمُوتُ ، قَالَ : فَإِنَّكَ لَمَيِّتٌ ؛
حَلَّ عِقَالَهُ لَا أُمَّ لَكَ ! فَقُلْتُ : مَا هُوَ إِلَّا مَا قُلْتُ لَكَ . فَقَالَ : إِنَّكَ لَمُرُورٌ ، أَنْصَبْ لِي
خِطَامَهُ ، وَاجْعَلْ فِيهِ خَمْسَ عَجَبَرٍ ^(٤) ؛ فَفَعَلْتُ ، فَقَالَ : أَيْنَ تَرِيدُ أَنْ أَضَعَ سَهْمِي ؟
قُلْتُ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ . فَكَأَنَّمَا وَضَعَهُ بِيَدِهِ .

(١) الْفُلَانَةُ : كُنْيَاةٌ عَنِ الْإِنْسَانِ (٢) نَزَعَ : انْتَهَى (٣) غَطِيطُ النَّائِمِ : نَجْوَاهُ .
(٤) الْمَجْرَةُ : الْعُقْدَةُ .

ثم أقبل يرمى حتى أصاب الخمس بخمسة أسهم ، فرددت نَبلي^(١) ، وحططت قوسي ، ووقفتُ مستسلما ؛ فدنا مني وأخذ السيف والقوس ثم قال . ارتدِف^(٢) خلفي ، وعرف أني الرجل الذي شربتُ اللبنَ عنده ؛ فقال : كيف ظنك بي ؟ قلت : أحسن ظن . قال : وكيف ؟ قلت : لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بي . فقال : أترانا كنا نهيحك وقد بتّ تنادم مهلهلا^(٣) ! قلت : أزيد الخليل أنت ؟ قال : نعم ، أنا زيد الخليل ، فقلت : كُنْ خيرَ آخذ . فقال : ليس عليك بأس . ومضى إلى موضعه الذي كان فيه . ثم قال : أما لو كانت هذه الإبل لي لَسَلَّمْتُها إليك ، ولكنها لبنت مهلهل ، فأقم على فإني على غارة .

فأقتُ أياما ، ثم أغار على بني نَمير فأصاب مائة بعير ، فقال : هذه أحبُّ إليك أم تلك ؟ قلت : هذه . قال : دونكها ، وبعث معي خفراء من ماء إلى ماء حتى وردوا بي الحيرة ، فلقيني نَبِيظِي فقال : يا أعرابي ، أيسرُّك أن لك يابلك بُسْتَانَا من هذه البساتين ؟ قلت : وكيف ذلك ؟ قال : هذا قُرْبُ نبيٍّ يخرج ، فيملك هذه الأرض ، ويحول بين أربابها وبينها ، حتى إن أحدم ليقطع البستان من هذه البساتين بثمرن بعير .

قال : فاحتملتُ بأهلي حتى اتهميتُ إلى موضع ، فبينما نحن على ماء لنا ، جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسَلَمْنَا ، وما مضت أيامٌ حتى اشتريتُ بثمرن بعير من إبلي بستانا بالحيرة .

(١) النبل : السهام العربية ، ولا واحد لها (٢) المرتدِف : الراكب خلف الراكب (٣) مهلهل : أبو زيد الخليل .

١٢ — وَأَذِ الْبَنَاتِ *

روت الرواة أن صَعَصَعَةَ بن ناجية لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم قال : يا رسول الله ؛ إني كنت أعمل عملاً في الجاهلية ، أفينفعني ذلك اليوم ؟ قال : ما عملك ؟ قال : أضللت^(١) ناقتين عُشْرَ أَوْيْنِ^(٢) فركبتُ جملاً ، ومضيت في بُعَاثِهِمَا ، فرفع لي بيتٌ حريد^(٣) ، فقصدته ؛ فإذا شيخٌ جالسٌ بفناء الدار ، فسألته عن الناقتين ، فقال : مانارُهما^(٤) ؟ قلت : مَيْسَمٌ بنى دارم ، فقال : ها عندي ، وقد أحيا الله بهما قومًا من أهلك من مُضَرٍ ؛ فجلستُ معه لتُخْرِجَا إليّ ، فإذا عجوز قد خرجت من كِسر البيت ، فقال لها : وضعتُ ؟ فإن كان سَقَبًا^(٥) شاركنَا في أموالنا ، وإن كانت حائلاً^(٦) وأذناها . فقالت العجوز : وضعتُ أُنثى ، فقلت : أتبيئُها ؟ قال : وهل تبيع العربُ أولادها ؟ قلت : إنما اشتري منك حياتها ، ولا اشتري رقبها . قال : فيكم ؟ قلت : احتسبكم . قال : بالناقتين والجل . قلت : ذلك لك ، على أن يبلغني الجلُ وإيَّاهَا . ففعل .

فَأَمِنْتُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَقَدْ صَارَتْ لِي سُنَّةٌ فِي الْعَرَبِ ، عَلَى أَنْ أُشْتَرَى كُلُّ مَوْوُودَةٍ بِنَاقَتَيْنِ عُشْرَ أَوْيْنِ وَجَمَلٍ ، فَعِنْدِي إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ ثَمَانُونَ وَمِائَتَا مَوْوُودَةٍ ، قَدْ أَتَقَدَّتْهَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا يَنْفَعُكَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّكَ لَمْ تَبْتَغِ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، وَإِنْ تَعْمَلُ فِي إِسْلَامِكَ عَمَلًا صَالِحًا تُثَبِّعْ عَلَيْهِ .

* السَّكَّالُ لِلْمَبْرَدِ : ٦ - ٢٨٩ ، أَمْثَالُ الْمِيدَانِيِّ : ١ - ٣٨٩

(١) أضللت : صادقتهما ضاللتين (٢) عشراوين : العشراء : الناقة التي قد أتى عليها منذ حملت عشرة أشهر (٣) بيت حريد : متنع عن الناس (٤) مانارهما : ما وسهما (٥) السقب : الذكر من ولد الناقة ساعة يولد (٦) الحائل : الأنتى من أولاد الإبل ساعة توضع .

١٣ - أعجب السرقات *

قال أبو الهيثم :

اجتمع مالكُ بنُ (^١) الرِّيبِ وأبو حَرْدَبَةَ وشِظَاظُ يوماً ، فقالوا : نَمَلُوا نتحدث بأعجب ما عملناه في سرقتنا ، فقال أبو حَرْدَبَةَ :

أعجبُ ما صنعتُ وأعجب ما سرقتُ أني صحبتُ رفقَةً ، فيها رجلٌ على رَحْلِ فأعجبني ، فقلت لصاحبي : والله لأسرقنَّ رَحْلَهُ ، ثم لا رضيتُ أو آخذ عليه جِمالَةً (^٢) .

فرمقته حتى رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فأخذتُ بِحِطَامٍ (^٣) جملة فقدمته ، وعدلت به عن الطريق ، حتى إذا صيرته في مكان لا يفاث فيه إن استغاث أنختُ البعير وصرعته ، فأوثقتُ يديه ورجليه وقدتُ الجمل ففقيته ، ثم رجعتُ إلى الرُّفقة ، وقد فقدوا صاحبهم فهم يسترجمون (^٤) ، فقلت : مالكم ؟ فقالوا : صاحبنا لنا فقدناه ؛ فقلت : أنا أعلمُ الناسُ بأثره ؛ فجعلوا لي جِمالَةً ، فخرجتُ بهم أتبع الأثر حتى وقفوا

* الأغانى : ١٩٠ - ١٦٣ (طبعة الساسى)

(١) هو مالك بن الرب كان من أجل العرب وأبينهم ، ومرو به سميد بن عثمان بن عفان - لما ولوا معاوية خراسان ، ومالك في قعر من أصحابه - فقال له : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يلينى عنك من العداة وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير ؛ العجز عن مكافأة الإخوان ، قال : فإني أنا أغنيك واستصحبك أتكف عما تفعل ؟ قال : نعم أ كف كأحسن ما كف أحد . فاستصحبه وأجرى عليه خمسمائة دينار ، وكان معه حتى قتل بخراسان ، ثم مكث مالك بخراسان حتى مات هناك (٢) الجعالة : ما يفرض على الممل (٣) الحطام : الزمام (٤) استرجع عند المصيبة : قال : إنا لله وإنا إليه راجعون .

عليه فقالوا : مالك ؟ قال : لا أدري ، نَمَسْتُ ، فانتبهتُ لخمسين فارساً قد أخذوني ؛
فقاتلتهم فغلبوني !

قال أبو حَرَدَبَةَ : جعلتُ أضحك من كذبه ، وأعطوني جِمالتي ، وذهبوا
بصاحبهم .

وأعجب ما سرقت : أنه مرَّ بي رجلٌ معه ناقةٌ وجملٌ وهو على الناقة ، فقلت :
لأخذنهما جميعاً ، فجعلتُ أعارضه وقد رأيتُه قد خَفَقَ برأسه ، فدُرْتُ فأخذتُ الجمل
فخلتُه وسقته ، ففنيته في القصيم^(١) ، ثم انتبه فالتفتَ فلم يرَ جملَه ، فنزل وعقل راحلته ،
ومضى في طلب الجمل ، ودُرْتُ ؛ فخلتُ عقال ناقةه ، وسُقته !

فقالوا لأبي حردبة : ويحك ! فحُتِّمَ تكون هكذا ؟ قال : اسكتوا فكأنكم بي
قد تَبْتُ ، واشتريتُ فرساً وخرجتُ ، فبينما أنا واقفٌ إذ جاءني سهمٌ كأنه قطعة
رِشاء^(٢) فوقع في نحري فنتُ شهيداً .

قال الراوى : فكان كذلك ؛ تاب وقدم البصرة ، فاشترى فرساً ، وغزا الرومَ
فأصابه سهمٌ في نحره ؛ فاستشهد !

ثم قالوا لِشِظَاظَ : أخبرنا أنت بأعجب ما أخذت في لصوصيتك ورأيت فيها ؟
فقال : نعم ، كان فلان (رجلٌ من أهل البصرة) له بنتٌ عم ذاتُ مالٍ كثير ، وهو
وليُّها ، وكانت له نِسوةٌ ، فأبت أن تزوجه ، فحلف ألا يزوجه من أحدٍ ضِراً رأ لها ،
وكان يخطبها رجلٌ غنى من أهل البصرة ، فأبى أن يزوجهَا منه ، ثم إن وليَّ الأمر
حجَّ ، حتى إذا كان بالدوِّ^(٣) مات فدفن برايةٍ وشيد على قبره ، فتزوجت الرجل
الذى كان يخطبها .

(١) القصيم : الموضع الذى كانوا يسرقون فيه (٢) الرشاء : رسن الدلو (٣) الدو : مكان على
مرحلة من البصرة .

قال شظاظ : وخرجت رققةً من البصرة معهم بُرٌّ ومَتَاعٌ ، فنبصرتهم ومامهم
واتبعهم حتى نزلوا ، فلما ناموا بيئتهم^(١) وأخذتُ من متاعهم . ثم إن القوم أخذوني
وضربوني ضرباً شديداً وجرّديني ، وذلك في ليلة قرّة^(٢) ، وسلبوني كل قليل
وكثير ؛ فتركوني عُرياناً وتماوتُ لهم ، وارتمل القوم ، فقلت : كيف أصنع ؟ ثم
ذكرت قَبْرَ الرجل ، فأثبته فزعت لوحاً ثم احتضرتُ فيه سَرَباً^(٣) ؛ فدخلت فيه ؛
ثم سَدَدْتُ على باللوح ، وقلت : لعلى الآن أدفأ فأتبعمهم .

ومر الرجلُ الذي تزوج بالمرأة في الرُققة . فر بالقبر الذي أنا فيه فوقف عليه
وقال لرفيقه : والله لأنزلنَّ إلى قبر فلان ، حتى أنظر هل يحمي الآن فلانة !

قال شظاظ : فعرفتُ صوته فقلعت اللوح ، ثم خرجتُ عليه بالسيف من
القبر ، وقلتُ : بلى ورب الكعبة لأحيينها ، فوقع والله منسياً عليه لا يتحرك
ولا يقبل ، فجلستُ على راحلته ، وعليها كل أداة وثياب وقد كان معه ، ثم
وجهتها قصد مطلع الشمس هارباً من الناس فنجوتُ بها ؛ فكنتُ بعد ذلك أسمعه
يحدث الناس بالبصرة ويحلفُ لهم أن الميتَ الذي كان منعه من تزويج المرأة خرج
عليه من قبره ، والناسُ يعجبون منه ؛ فعاقلهم يكذّبه ، والأحقق منهم يصدقه ،
وأنا أعرف القصةَ فأضحك منهم كالمتعجب !

قالوا : فردنا . قال : فأنا أزيدكم أعجب من هذا وأحقق من هذا : إني لأمشي
في الطريق أبتغي شيئاً أسرفه فلا والله ما وجدتُ شيئاً ، وإذا أنا بشجرة ينام
من تحتها الركبان في مكان ليس فيه ظلٌّ غيرها ، وإذا أنا برجلٍ يسير على حمار له ،

(١) بيت فلان بنى فلان : إذا أتاكم ليلا ، فكبسهم وهم غارون (٢) ليلة قرّة : باردة .
(٣) السرب . بيت في الأرض .

فقلت له : أسمع ! قال : نعم . قلت : إن المقيلاً الذي تريد أن تقيله يُخسَفُ
بالدواب فيه ، فاحذره . فلم يلتفت إلى قولي ، ورمقته حتى إذا نام أقبلتُ على حماره
فاستقته ، حتى إذا برزتُ به قطعت طرف ذنبه وأذنيه ، وأخذت الحمار فخبأته
وأبصرته حين استيقظ من نومه ، فقام يطلب الحمار ويَقْو أثره ؛ فبينما هو كذلك
إذ نظر إلى طرف ذنبه وأذنيه ، . فقال : لعمري لقد حُدِّرتُ لو نفعني الحذر ، واستمر
هارباً خوف أن يخسَف به . فأخذت جميع ما بقي من رحله فحملته على الحمار !

١٤ - أعرابي في عُرس *

قال الفضل بن العباس الهاشمي :

كان ناهض بن ثومة الكلابي يقد على جدِّي قُمِّم ، فيمدحه ويصله جدي
وغيره ، وكان بدويًّا جافياً كأنه من الوحش ؛ إلا أنه طيب الحديث .
حدثه يوماً : أنهم اتجمعوا ناحية الشام فقصد صديقاً له من ولد خالد بن يزيد
ابن معاوية ؛ كان ينزل حلب وكان برًّا به .

قال : فررت بقرية يقال لها قرية بكر بن عاصم الهلالي ، فرأيت دوراً مُتباينة
وخصاصاً^(١) قد ضُمَّ بعضها إلى بعض ، وإذا بها ناسٌ كثيرون مقبلون ومدبرون ،
عليهم ثياب تحكي ألوان الزهر ، فقلت في نفسي : هذا أحدُ العيدين : الأضحى
أو الفطر ، ثم تاب إلى ما عَزَبَ عن عقلي فقلت : خرجت من أهل في بادية البصرة
في صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما هذا الذي أرى !

وبينا أنا واقف متمجب أتاني رجل ، فأخذ يدي فأدخلني داراً قوراء^(٢) ،
وأدخلني منها بيتاً قد نُجِدَّت فيه فرش ومهدت ، وعليها شاب ينال فرعُ شعره
منكبيه ، والناس حوله سباطان^(٣) ، فقلت في نفسي : هذا الأمير الذي حُكِيَ لنا
جلوسه ، وجلسُ الناس بين يديه . فقلت - وأنا مائل بين يديه : السلام عليك
أيها الأمير ورحمة الله وبركاته . فجذبَ رجلٌ يدي وقال : اجلس ، فإن هذا ليس

* الأغاني : ١٢ - ٣٣ ر

(١) الخصاص : جم خص ، وهو بيت من القصب (٢) دار قوراء : واسعة .

(٣) السباط : الصف .

بأمير. قات : فَمَنْ هو ؟ قال : عَرُوسٌ ^(١) . فقلت : وائسكل أمّاه الرُّبَّ عروس
رأيتَه بالبادية أهون على أهله من هَنَّة ^(٢) !

فلم أنسب ^(٣) أن دخل رجالٌ يحملون آفات ^(٤) مُدَوَّرَات ، أما ماخفَ منها
فِيحَمَل حَمَلًا ، وأما ما كَبَر وتَقَل فَيُدْحَرَج ، فوَضِع ذلك أماننا ، وتَحَلَّق القوم عليه
حَلَقًا ، ثم أتينا بخرقٍ بيضٍ فَأَلْقَيْتُ بين أيدينا ، فظننتها نيابًا ، وهمت أن أسأل
القوم منها خِرْقًا أَرُقُّعُ بِهَا قَيْصِي ، وذلك أني رأيت نَسَجًا متلاحمًا ، لا يبين له
سَدَى ولا لِحْمَةً ^(٥) ؛ فلما بسطه القوم بين أيديهم إذا هو يغمزقُ سُرْبَعًا ، وإذا هو
فيا زعموا صِنْفٌ من الخبز لا أعرفه .

ثم أتينا بطعام كثير بين حُلُوٍ وحامض ، وبارد ، فأكثرتُ منه ،
وأنا لا أعلم ما في عَقْبِهِ من التَّخَمِ والبَشَمِ ، ثم أتينا بشرابٍ أحمر في شَن ^(٦) ، فقلت :
لا حاجة لي فيه فإنني أخاف أن يقتلني ، وكان إلى جنبي رجل ناصح - أحسن الله
جزاءه ، فإنه كان ينصح لي من بين أهل المجلس - فقال : يا أعرابي ؛ إنك قد
أكثرت من الطعام ، وإن شربت الماءَ هَمًا ^(٧) بطنك ، فلما ذكرت البطن
تذكرت شيئًا أوصاني به أبي ، والأشياخُ من أهلي ؛ إذ قالوا : لا تزل حيا مادام
بطنك شديدًا ، فإذا اختلف فأوص . فشربت من ذلك الشراب لأتداوى به ،
وجعلت أكثر منه فلا أملَ شر به ، فتداخنتي من ذلك صَلَفٌ لا أعرفه من
نفسى ، وبكاء لا أعرف سببه ، ولا عهد لي بمثله ، واقترار على أمر أظن معه أئى

(١) العروس : الرجل والمرأة ماداما في أعراسهما ، وهم عرس ، وهم عرائس . (٢) الهنة :
كناية عن خسيس الشيء (٣) لم أنسب : لم أليث ، قال في اللسان : وحقيقته لم يتعلق بشئ غيره ،
ولا اشتغل بسواه (٤) آفات : جمع غير قياسي لإناء (٥) السدى من خيوط الثوب : مامد منها
طولا ، والحمّة : مامد منها عرضاً (٦) الشن : القرية الملقى الصغيرة (٧) هَمًا : سال .

لو أردتُ نيلَ السقف لبلغتُهُ ، ولو شأوتُ الأسد لقتلته ؛ وجعلتُ ألفتُ إلى الرجل الناصح ، فتحدثني نفسى بهم أسنانه ، وهشم أنفه ، وأهم أحياناً أن أشتمه .

فبينما نحن كذلك إذ هجم علينا شياطينُ أربعة : أحدهم قد علق في عنقه جمبةً فارسية ، مفتحة الطرفين ، دقيقة الوسط ، قد شُبكت بخيوط ، وألبست قطعةً قرّو ، كأنهم يخافون عليها القرّ . ثم بدر الثاني ، فاستخرج من كفه هنةً سوداء فوضعها في فيه ، وأخرج صوتاً لم أسمع - وبيت الله - أعجب منه ، فاستم بها أسرم ، ثم حرك أصابعه فيها فأخرج منها أصواتاً ليس كما بدأ ، ولكنه أتى منها - لما حرك أصابعه - بصوت عجيب ، متلائم متشاكل بعضه لبعض ، كأنه - علم الله - ينطق به . ثم بدا ثالث له وجهٌ كز^(١) مقيت عليه قيص وسخ ومعه مرآتان ، فجعل يصفقُ بهما بيديه إحداهما على الأخرى ، فخالط بصوته ما يفعله الرجلان . ثم بدا رابع عليه قيص ، وسراويل قصيرة ، وخفان أجذمان ، لا ساق لواحد منهما ، فجعل يقفز كأنه يثب على ظهور العقارب ، ثم تلبط^(٢) على الأرض ، فقلت : معتوه ورب الكعبة ! ثم ما برح مكانه حتى كان أغبط القوم عندي ، ورأيت القوم يحذفونه^(٣) بالدرهم حذفاً منكراً ؛ ثم أرسل النساء إلينا : أن أمتعنونا من لهُوكم هذا ؛ فبعثوا بهم ، وجعلنا نسمع أصواتهم من بعد .

وكان معنا في البيت شاب لا آبه له ، فعملتُ الأصواتُ بالثناء عليه والدعاء له ، فخرج وجاء بحشبة عيناها في صدرها ، فيها خيوط أربعة ، فاستخرج من خلالها عوداً ، فوضعه خلف أذنه ، ثم عرك آذانها ، وحركها بحشبة في يده ، فنطقت ورب

(٢) تلبط : اضطلع وتمرغ

(١) وجه كز : قيص
(٣) يحذفونه : يرمونه .

الكعبة ا وإذا هي أحسنُ قَيْنَةٍ^(١) رأيتها قَطًّا فأطربني حتى استخفني من مجلسي،
فوثبت وجلست بين يديه ، وقلت : بأبي أنت وأمي ا ماهذه الدابة ؟ فلست أعرفها
للأعراب ، وما أراها خلقت إلا قريباً ا فقال : هذا البربط^(٢) . فقلت : بأبي أنت
وأمي ا فما هذا الخيط الأسفل ؟ قال : الزير^(٣) . قلت : فالذي يليه ؟ قال : المثني^(٤) .
قلت : فالثالث ؟ قال : المثلث^(٥) . قلت : فالأعلى ؟ قال : اليم^(٦) . فقلت : آمنت
بالله أولاً ، وبك ثانياً ، وبالبربط ثالثاً ، وباليم رابعاً .

قال الفضل : فضحك أبي والله حتى سقط ؛ وجعل ناهض يعجب من ضحكك ا
ثم كان بعد ذلك يستعيد هذا الحديث ؛ ويطرف به إخوانه فيضحكون منه .

(١) القينة : الأمة المنفية (٢) البربط : العود معرب (بربط) - بكسر الراء - وهو آلة من العازف
(٣) الزير : من أوتار العود (٤) المثني : الذي يلي الزير (٥) المثلث : الذي يلي المثني
(٦) اليم : الذي يلي المثلث ، وهو أغلظ الأوتار .

١٥ - أطيب الطعام *

صنع عبدُ الملك^(١) بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب^(٢)، ودعا إليه الناسَ فأكلوا . فقال بعضهم : ما أطيبَ هذا الطعام ! ما نرى أن أحداً رأى أكثر منه ولا أكل أطيبَ منه . فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيبُ فقد والله أكلتُ أطيبَ منه . فطفقوا يضحكون من قوله .

فأشار إليه عبد الملك فأذني منه ؛ فقال : ما أنت بمُحِقِّي فيما تقول إلا أن تُخبرني بما يبينُ به صدقك . فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ بينا أنا بهجر^(٣) في برث^(٤) أحر في أقصى حَجْر^(٥) إذ تُوِّفِي أبي ، وترك كلاً^(٦) وعيالا ، وكان له نخلة ، فكانت فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأن تمرها أخفافُ الرباع^(٧) ، لم يُرَ تمر قطُّ أغلظ ولا أصلبُ ولا أصغرُ نوى ولا أحلى حلاوةً منه .

وكانت تطرُقها أتان وحشية قد ألفتها تاوى الليل تحتها ، فكانت تُتَبَّتُ رجليها في أصلها ، وترفعُ يديها ، وتعطو^(٨) فيها فلا تتركُ فيها إلا النبيذ^(٩) والمتفرق ؛ فأعظمني ذلك ووقع مني كلَّ موقع .

فانطلقتُ بقويسى وأسهمي ، وأنا أظنُّ أني أرجع من ساعتى ؛ فكنتُ يوماً

* الأغانى : ٨ - ٤٠ (طبعة دار الكتب)

(١) من أعظم الخلفاء ، نشأ في المدينة ، واستعمله معاوية عليها ، وانتقلت إليه الخلافة سنة ٥٦٥ هـ ، وتوفي سنة ٨٦ هـ .
(٢) أطاب الشيء : طيبه (٣) هجر : مدينة بالبحرين مشهورة بالتمر
(٤) البرث : الأرض اللينة السهلة (٥) في أقصى حجر : أي في أبعد ناحية (٦) الكل : العيال والتقل (٧) الرباع : جمع ربيع وهو الفصيل ينتج في الربيع (٨) تعطو : تتناول (٩) النبيذ : اللبؤذ .

وليلة لا أراها، حتى إذا كان السحر أقبلت، فتهيأت لها فرشتها فأصبتها،
وأجهزت عليها، ثم عمدت إلى سرتها فاقنتدذتها، ثم عمدت إلى حطب جزل
جمعه إلى رصف^(١)، وعمدت إلى زندي فقدحت، وأضمرت النار في ذلك
الحطب، وألقيت سرتها فيه، وأدركني نوم الشباب فلم يوقظني إلا حر الشمس
في ظهري، فانطلقت إليها فكشفتها وألقيت ما عليها من قذى وسواد ورماد، ثم
قبت منها مثل الملاءة البيضاء، فألقيت عليها من رطب تلك النخلة المجرعة^(٢)
والمصفاة، فسمعت لها أطيظاً^(٣) كتداعي عاصر وغطفان، ثم أقبلت أتناول
الشحمة واللحمة فأضما بين الثرين وأهوى بها إلى فمي، فما أحلف إنى ما أكلت
طعاماً مثله قط !

فقال له عبد الملك : لقد أكلت طعاماً طيباً فمن أنت ؟ قال : أنا رجل
جانبتني عنقنة^(٤) تميم وأسد، وكشكشة^(٥) ربيعة، وحوشى^(٦) أهل اليمن- وإن
كنت منهم . فقال : من أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عذرة . قال : أولئك
فصحاه الناس ؛ فهل لك علم بالشعر ؟ قال : سننى عما بدالك يا أمير المؤمنين . قال :
أى بيت قالته العرب أمدح ؟ قال : قول جرير :

أستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح^(٧)

وكان جرير في القوم ؛ فرفع رأسه وتناول لها . ثم قال : فأى بيت قالته العرب

أفخر ؟ قال : قول جرير :

(١) الرصف : الحجازة المحماة بالشمس أو النار (٢) جزع البسر : إذا بلغ الإرتاب بعضه .
ونصف البسر : إذا بلغ الإرتاب نصفه (٣) الأطيظ : الصوت (٤) الصنعة : إبدال العين من المهمزة
(٥) الكشكشة : [جعل الشين مكان الكاف (٦) الحوشى : الغامض (٧) راح : جمع
راحة ، وهى الكف .

إذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضاباً
فتحرك لها جرير. ثم قال له : فأى بيت أهبى ؟ قال : قول جرير :
ففض الطرف إنك من نضير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً
فاستشرف لها جرير. ثم قال : فأى بيت أغزل ؟ قال : قول جرير :
إن العيون التي في طرفها مرض قتلتنا ثم لم يُحيين قتلاًنا
فاهتز جرير وطرب . ثم قال له : فأى بيت قالته العرب أحسن تشبيهاً ! قال :
قول جرير :

سرى نحوهم ليل كان نجومه قناديل فيهن الذبال^(١) المقتل
فقال جرير : جائزتي للعدري يا أمير المؤمنين . فقال له عبد الملك : له مثلها من
بيت المال ، ولك جائزتك يا جرير لا تفتقص منها شيئاً . وكانت جائزة جرير أربعة
آلاف درهم وتوابها من الجملان والكسوة . فخرج العدري وفي يده اليمنى ثمانية
آلاف درهم ، وفي اليد اليسرى رزمة ثياب !

(١) الذبالة : الغنيلة التي توضع في القنديل ، يوضع فيه الزيت ليستضاء به .

١٦ — جَحْدَر *

كان جَحْدَر بن ربيعة من لصوص العرب وشياطينهم ، يُفسر على أحيائهم
فِينَهَبُهَا ، وربما فتك بمن تعرض له ؛ واشتدَّ شرُّه في أيام الوليد بن عبد الملك ،
حتى أباد خلقاً كثيراً .

فبلغ أمره الحجاج^(١) ؛ فكتب إلى عامله باليمامة ، يؤنبه لعجزه عن الضرب
على يدي ذلك الفاتك ، وأمره أن يُوقِعَ به ، أو يحمله إليه أسيراً .
فأوطأ^(٢) العامل جماعة من فتية بني حنظلة ، وجعل لهم الجمائل^(٣) العظيمة
إن هم أتوه به مغلولاً^(٤) أو مقتولاً !

فأرسلوا إليه يقولون : إنهم يريدون الانقطاع إليه ، والخضوع لأمره ؛ فأخلد
جَحْدَر إلى قولهم ، وأدخلهم في صُحبته . فأخذوا ينهبون تحت لوائه ، إلى أن صادفوا
منه غيرة^(٥) ، فشدُّوا وئاقه ، وقدموا به إلى العامل الذي وجههم به إلى الحجاج .
فلما مثلوا بين يديه قال الحجاج : أنت جَحْدَر ؟ قال : نعم ، فقال : وما جرأك
على ما بلغني عنك ؟ قال : جور الزمان ، وجراءة الجنان ! قال : وما بلغ من أمرك ؟
قال : لو ابتلاني الأمير ، وجعلني مع الفرسان لرأى منى ما يعجبه .

فقال : يا جحدر ؛ إني قاذفٌ بك إلى حفيرة بها سبعٌ شرس ، فإن قتلتك

* المستطرف : ١ - ٢٢٤ ، المحاسن والساوى* : ٧٧ (طبع ليزج) .

(١) نشأ بالطائف ، وولى العراق والشرق ، وهلك بواسطة سنة ٩٥ هـ (٢) أوطأ جماعة : انفق معهم (٣) الجمالة ما جعل للانسان من شئ على فعل (٤) النل : طوق من الحديد يجعل في الضيق (٥) الغرة : الغفلة .

كفاناً مثوتك ، وإن قتلتَه عفونا عنك لشجاعتك ! فقال : أصلح الله الأمير !
لقد قرُبَ الفرج !

فأمر الحجاج بحبسه ، وكتب إلى العامل أن يرتاد ^(١) له سُبُعاً عَتِيّاً ^(٢) ، ويحمله
إليه . فارتاد له أسداً خبيثاً ، كرهه المنظر ، قد أفنى جميع ما باليامة من حيوان ،
ووضعه في قفص من حديد ، وأنفذه إلى الحجاج .

فأمر أن يُلقَى في الحفيرة ، ولا يُطعم شيئاً ثلاثة أيام ، حتى إذا ما اشتد به
الجوع ، أخرج إليه جحدر ، وما أعطى إلا سيفاً ، والحجاجُ مشرف على الحفيرة ؛
والناسُ حوله ينظرون إلى الأسد ما هو صانع بفريسته !

فلما رُفِعَ ^(٣) له نهض وزار زبيراً رجّ الجبال ، وراع الحاضرين ، فأنشد جحدر :

ليثٌ وليثٌ في مجالِ ضنكِ كلاهما ذو قوّةٍ وسفكِ
وصولةٍ وبطشةٍ وقتكِ إن يكشفِ الله قناعَ الشكِّ
فأنتَ لي في قبضتي ومِلْكِي

ثم أدلّى به ، فوقع عليه وقوع الصاعقة ، فصرخ الأسدُ عند رؤيته صرخة
عظيمة ، فأجابه هو بأعظم منها ، وضر به بسيفه ضربة فلقت هامته ؛ فكبر الناس ،
وأعجب به الحجاج ، وقال . لله دَرَكٌ ^(٤) ! ما أُنجدك ^(٥) !

ثم خيره بين أن يُقيم عنده مكرماً ، أو يلحقَ ببلاده على ألا يؤذى أحداً ،
ولا يحدث حدثاً ؛ فاختارَ جحدر الإقامة معه ، وأحسن أدبه ، حتى حظى عنده وجعله
من سُمّاره وخواصه ؛ وبعد ذلك بزمن غير طويل ولآه اليمامة ، ومكث فيها مدة ،
قام فيها بأعباء الولاية خيراً قيام .

(١) يرتاد : يطلب (٢) العتي : ما جاوز الحد ، ويقصد : الشديد الهائل (٣) رفع : ظهر من بعيد

(٤) الدر : العمل من خير أو شر ؛ والله درك أي لله عمك ؛ يقال لمن يمدح ويتعجب من عمله .

(٥) ما أنجدك : ما أشجعتك فيما يهجز عنه غيرك .

١٧ - صديقا ابن سريج على قبره *

حدث إسحاق بن يعقوب عن أبيه قال :

إِنَّا لِبَيْنَاءِ دَارِ عَمْرٍو بْنِ عُمَانَ بِالْأَبْطَحِ فِي صُبْحِ خَامِسَةِ مِنَ الثَّمَانِ ^(١) ، فَمَا إِنِ
دَرَيْتُ إِلَّا بِرَجْلِ عَلِي رَاحِلَةٍ ، عَلَى رَاحِلٍ جَمِيلٍ وَأَدَاةٍ حَسَنَةٍ ، مَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ
عَلَى رَاحِلَةٍ قَدْ جَنَّبَ ^(٢) إِلَيْهَا فَرَسًا وَبَغْلًا ، فَوَقَفَا عَلَيَّ وَسَأَلَانِي ، فَانْتَسَبْتُ لَهُمَا
عُمَانِيَا ، فَنَزَلَا وَقَالَا : رَجُلَانِ مِنْ أَهْلِكَ أَقْدَمْتُنَا حَاجَةً نَحْبُ أَنْ تَقْضِيَهَا قَبْلَ أَنْ
نُشَدَّه ^(٣) بِأَمْرِ الْحَجِّ ؛ فَقُلْتُ : مَا حَاجَتُكُمَا ؟ قَالَا : نُرِيدُ إِنْسَانًا يَقِفُنَا عَلَى قَبْرِ
عُبَيْدِ بْنِ سُرَيْجٍ !

قال : فنهضت معهما حتى بنفتُ بهما محلة بني قارة من خُزاعة بمكة ،
وهم موالى عبِيد بن سريج ^(٤) ، ثم التمسْتُ لهما إنسانا يصحبُهُما حتى يَقِفَهُمَا عَلَى
قبره بدسْم ^(٥) ، فوجدتُ ابنَ أَبِي دُبَايَ كُلِّ فَأَنْهَضْتُهُ مَعَهُمَا . ثم أخبرني بعدُ :
أنه لما أوقفَهُمَا عَلَى قبره نزلَ أحدهُما فحسِرَ عمامته عن وجهه ، فإذا هو عبد الله
ابنُ سعيد بن عبد الملك بن مروان ، فمقرَ ناقته ، واندفعَ يندبُهُ بصوتٍ شجويٍّ
كليلٍ حَسَنٍ :

وقفنا على قبرٍ بدسْمٍ فهاجنا وذكّرنا بالعيش إذ هو مُضْحَبٌ ^(٦)

* الأغانى : ١ - ٣٢٠ (طبعة دار الكتب)

- (١) أى من أيام الحج (٢) جنب فرساً : أى فاده لى جنبه (٣) نشده : نشغل
(٤) كان عبِيد بن سريج مغنياً من أهل مكة ، كان يفتي مرتجلاً ويوقع يقضيب ، ويضرب بالعود ؛
غنى في خلافة عثمان بن عفان ، وتوفى في خلافة هشام بن عبد الملك ، مات نحو سنة ٩٨ هـ (٥) دسم :
موضع قرب مكة (٦) المصحب : الدليل المتفاد بعد صعوبة .

فجالت بأرجاء الجفون سَواْفِحُ من الدَّامِعِ تَسْتَنَلِي الذِي يَتَمَقَّبُ
 إذا أَبْطَأَتْ عن ساحة الخلدِّ ساقها دمٌ بعد دمعِ إثره يُتَصَبَّبُ
 فإن تُسْعِدَا نُنْدُبَ عُبَيْدًا بِمَوْلَةٍ^(١) وَقَلَّ لَهُ مِنَّا الْبُكَاءُ وَالتَّحَوُّبُ^(٢)
 ثم نزل صاحبه فمقر ناقته . وقال له القُرَشِيُّ : خُذْ في صوت أبي يحيى ؛
 فاندفع يُفْتِي :

أُسْعِدَانِي بِمِوَةِ أُسْرَابِ^(٣) من دُمُوعِ كَثِيرَةٍ التَّسْكَابِ
 إنَّ أَهْلَ الحِصَابِ^(٤) قد تَرَكُونِي مَوْلَهَا مَوْلَعًا بِأَهْلِ الحِصَابِ
 أَهْلَ بَيْتِ تَتَايَوا^(٥) لِلنَّيَايَا ما على الموتِ بَعْدَهُمْ من عِتَابِ
 فارقوني وقد علمتُ يَقِينًا ما لمن ذاقَ مِيتَةً من إِيَابِ
 كمِ بذاكِ الحِجُونِ^(٦) من حَيِّ صَدَقِ من كهولِ أَعْفَةِ وشبابِ
 سَكَنُوا الجَزَعَ جَزَعَ بَيْتِ أَبِي مو سى إلى النخلِ من صُغِيِّ السَّبَابِ^(٧)
 قَلِي الوَيْلُ بِمَدْمِ وَعَلَيْهِمْ صِرْتُ فَرْدًا وَمَلْنِي أَحْصَابِي

قال ابنُ أبي دُبَايَ كل : فوالله ما تَمَّ صاحبه منها ثلاثًا حتى غَشِيَ على صاحبه ،
 وأقبل يصلحُ السرج على بغلته وهو غير مُعَرَّجٍ عليه . فسألته من هو ؟ فقال :
 رجلٌ من جُدَّام . قلتُ : بمن تُعرَفُ . قال : بعبدالله بن المنذِّسِر . قال : ولم يزل
 القرشيُّ على حاله ساعة ، ثم أفاق .

ثم جمل الجذامى يَنْصَحُ الماء على وجهه ، ويقول كالمعائب له : أنت أبدأ

(١) أعول : ارتفع بكأؤه ، والاسم المولدة (٢) التعوب : التوجع (٣) أسراب : جم سرب
 وهو الماء السائل (٤) الحصاب : موضع الجمار (٥) التتابع : الوقوع في التمرن غير فكر ولا روية
 (٦) الحجون : جبل بأعلى مكة عند مدافن أهلها (٧) صفى السباب : موضع بمكة ، والراد بأبي
 موسى أبو موسى الأشعري .

مَصْبُوبٌ^(١) على نفسك، وَمَنْ كَلَّفَكَ مَا تَرَى ! ثم قرب إليه الفرس ؛ فلما علاه
استخرج الجذامى من خُرْجٍ على بَمَلٍ قَدْحًا وإِدَاوَةَ ماء ، فجعل فى القدح ترابًا
من تراب قبر ابن سريج وصبَّ عليه ماء من الإِدَاوَةَ . ثم قال : هاك فاشرب هذه
السَّلْوَةَ^(٢) ، فشرب . ثم فعل هو مثل ذلك وركب البغل وأزْدَفَنِي .

فخرجا والله ما يعرفان . بذكر شيء مما كانا فيه ، ولا أرى فى وجوههما شيئًا
مما كنتُ أرى قبل ذلك .

فلما اشتمل علينا أَبْطَحَ مَسَكَةَ قالا : انزل يا خزاعى ! فنزلت وَأَوْمَأَ الفتى
إلى الجذامى بكلامٍ ، فمدَّ يده إلىَّ وفيها شيء فأخذته فإذا هو عشرون
دينارًا ، ومضيا .

فانصرفت إلى قبره ببعيرين فاحتملتُ عليهما أداة الراحلتين اللتين عقراهما
فبعتهما بثلاثين دينارًا !

(١) مصبوب على نفسك ؛ أى عنوث على اتباعها تستغويك فتسلس لها القيادة (٢) السلوة : أن
يؤخذ من تراب قبر ميت فيذر على الماء ويسقاه العاشق ليلسو .

١٨ — قوة وبطش*

كان هلال^(١) فارساً شجاعاً شديد البأس والبطش ، أكثر الناس أكلاً ، وأعظمهم في حرب غناء . وكان يرِدُ مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ، ثم يرجع إليها ولا يتزود طعاماً ولا شراباً حتى يرجع يوم وريدها ، لا يدوق فيما بين ذلك طعاماً ولا شراباً ، وكان عادى الخلق^(٢) ، لا توصفُ صِفَتَهُ .

وكان يوماً في إبل له ، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس ، مُتَّحِدِمِ المهاجرة^(٣) ، وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كسائه ، ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس ؛ فبينما هو كذلك إذ مرَّ به رجلان : أحدهما من بني نَهْشَل ، والآخر من بني قُفَيْمٍ ، كانا أشدَّ تَمِيمِيَّيْنِ في ذلك الزمان بطشاً ، وقد أقبلتا من البحرين ، ومعهما^(٤) أنواط من تمر هَجْرٍ^(٥) ، وكان هلالٌ بناحية الصعاب^(٦) .

فلما انتهيا إلى الإبل — ولا يعرفان هلالاً بوجهه ، ولا يعرفان أن الإبل له — نادياً : ياراعى ، أعندك شرابٌ نسقيناه؟ وما يظنانه عبداً — فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه : عليكما بالناقة التي صفتها كذا في موضع كذا ، فأنيخاها : فإن عليها وطيبين^(٧) من لبن ، فاشريا منهما ما بدا لكما . فقال له أحدهما : وَيَحْكُ ! انهض .

* الأغاني : ٣ - ٥٣ (طعة دار الكتب)

(١) هلال بن الأسعر : شاررا شهرا في العصر الأموي ، وكان فارساً شجاعاً ، مات نحو سنة ١٣٠ هـ .
(٢) عادى الخلق : ملاخ صخر الجسم ، نسبة إلى عاد (٣) المهاجرة : نصف النهار (٤) أنواط : جمع نوط ، والنوط : احلة لصفيرة فيها التمر ونحوه (٥) هجر : قاعدة البحرين ، مشهورة بالتمر ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر (٦) الصعاب : جبل بين اليمامة والبحرين (٧) الوطب : سقاء اللبن خاصة .

يا غلام فاتِ بذلك اللبن ! فقال لها : إن تكُ لكما حاجة فستأتيانها ، فتخدران^(١)
الوطبين فتشربان .

فقال أحدهما : إنك لعلّيط الكلام ، قم فاستقننا ثم دنا من هلال وهو على
تلك الحال ، فقال لها - حيث قال له أحدهما : إنك لعلّيط الكلام - أراكما والله
ستلقيان هواناً وصغاراً ؛ وسمياً ذلك منه ؛ فدنا أحدهما فأهوى له ضرباً بالسوط على
عجزه وهو مضطجع ، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه ، ورماه تحت فخذه ، ثم
ضغفه ضغطة ، فنادى صاحبه : ويحك ! أغثنى قد قتلتني ! فدنا صاحبه منه ، فتناوله
هلال أيضاً فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى . ثم أخذ برقابهما فجعل يصك
برؤوسهما بعضاً ببعض ؛ لا يستطيعان أن يمتنما منه .

فقال أحدهما : كُنْ هلالاً ولا نبالي ما صنعت ! فقال لها : أنا والله هلال ،
ولا والله لا تفلتان مني حتى تُعطيانى عهداً وميثاقاً لا تخيسان به^(٢) ؛ لتأتين المربد^(٣) ،
إذا قدمت البصرة ، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني ومنكما .
فماهداه وأعطياه نوطاً من التمر الذي معها ، وقدمها البصرة ، فأتيا المربد ،
فناديا بما كان منه ومنهما .

(١) حذر الشيء : أنزله من علو . (٢) لا تخيسان به : لا تفدران به ولا تنكثان .
(٣) المربد : موضع بالبصرة ؛ كان سوقاً للابل ، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس ، وبه كانت
مفاخرات الشعراء ومجالس الخطباء .

١٩ — لا تمرضوا لهذا الشيطان *

حدّث خالد عن كَنيف بن عبد الله المازنيّ قال : كنتُ يوماً مع هلال ،
ونحن نبيّ إبلا لنا . فدَفَعْنَا إلى قومٍ من بكر بن وائل ، وقد لَفِينَا^(١) وعَطِشْنَا ،
وإذا نحن بفتيةٍ شبابٍ عند رَكِيَّةٍ^(٢) لهم ، وقد وَرَدَتْ إبلهم ، فلما رأوا هلالاً
استهولوا خَلْفَهُ وقامتة .

فقام رجلان منهم إليه ، فقال له أحدهما : يا عبد الله ، هل في الصِّراع ؟
فقال له هلال : أنا إلى غير ذلك أحوج . قال : وما هو ؟ قال : إلى لبن وماء ؛ فإنني
لنَبِّ ظَمآن ، قال : ما أنت بذائق من ذلك شيئاً حتى نعطينا عهداً ؛ لتُجِيبَنَا إلى
الصراع إذا أَرَحْتَ^(٣) ورويت .

فقال لها هلال : إنني لكم ضيف ، والضيف لا يُصارع ربّ منزله ، وأنتم
مكتفون من ذلك بما أقولُ لكم : اعمدوا إلى أشدِّ غل في إبلكم وأهْيَبِهِ صولة ،
وإلى أشدِّ رجلٍ منكم ذِراعاً ؛ فإن لم أقبض على هامّة البعير وعلَى يد صاحبكم
فلا يمتنعُ الرجلُ ولا البعيرُ حتى أُدْخِلَ يد الرجل في فم البعير ، فإن لم أفل ذلك
فقد صرعتوني ، وإن فعلته علمت أن صراع أحدكم يُيسرُ من ذلك .

فمجبوا من مَقالته تلك ، وأومئوا إلى فحلِّ في إبلهم هائج صائل قَطِمٍ^(٤) ، فأتاه

* الأغاني : ٥٥-٣ (طبعة دار الكتب)

(١) لب : تمب وأصابه الإعياء (٢) الركية : البئر (٣) أراح الرجل : رجعت إليه
نفسه بعد الإعياء (٤) القطم : الهائج الذي صعب ركوبه .

هلال ومعه نفرٌ من أولئك القوم وشيخٌ لهم ، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره ، فضغطها ضغطةً جرّجر- (١) الفحلُ منها واستخذي (٢) ورغاً . وقال : لِيُطِئَنِي مِنْ أَحْبَبْتُمْ يَدَهُ أَوْ لِحْمًا فِي فَمِ هَذَا الْفَحْلِ .

فقال الشيخ : يا قوم ، تنكبّوا هذا الشيطان ، فوالله ما سمعتُ الفلان (٣) - يعني هذا الفحل - جرّجرَ منذ بَزَل- (٤) قبل اليوم ، فلا تعرضوا لهذا الشيطان . وجعلوا يَتَّبِعُونَهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَى خَطْوِهِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ حَتَّى جَاوَزَهُمْ .

(١) جرّجر : ردد صوته في حنجرتة . (٢) استخذي . خضع . (٣) الفلان والفلانة : كناية عن غير الآدميين ، تقول : ركبت الفلان وركبت الفلانة ، أما فلان وفلانة فهما كناية عن أسماء الآدميين .
(٤) بزل البعير فهو بازل ، أي : دخل في سنته التاسعة .

٢٠ — هلال يصارع عبداً جباراً*

حَدَّثَ مَنْ سَمِعَ هَلالًا يَقُولُ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، وَعَلَيْهَا رَجُلٌ مِنْ آلِ مَرْوَانَ ،
فَلَمْ أَزَلْ أَضَعُ عَنْ إِبِلِي ، وَعَلَيْهَا أَحْمَالٌ لِلتَّجَارِ ، حَتَّى أَخَذَ بِيَدِي ، وَقِيلَ لِي : أَجِيبِ الْأَمِيرَ .
قُلْتُ لَهُمْ : وَيَلِكُمْ ! إِبِلِي وَأَحْمَالِي ! قَقِيلٌ : لَا بَأْسَ عَلَى إِبِلِكَ وَأَحْمَالِكَ .
فَانْطَلِقَ بِي حَتَّى أُدْخِلْتُ عَلَى الْأَمِيرِ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : جُعِلْتُ
فِدَاكَ ! إِبِلِي وَأَمَانَتِي ، فَقَالَ : نَحْنُ ضَامِنُونَ لِإِبِلِكَ وَأَمَانَتِكَ حَتَّى تُوَدِّيَهَا إِلَيْكَ ؛
فَقُلْتُ عِنْدَ ذَلِكَ : فَمَا حَاجَةُ الْأَمِيرِ إِلَيَّ ؟ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! فَقَالَ لِي - وَإِلَى جَنْبِهِ
رَجُلٌ أَصْفَرٌ ، مَارَأَيْتَ رَجُلًا قَطُّ أَشَدَّ خَلْقًا مِنْهُ ، وَلَا أَغْلَظَ عُنُقًا ، مَا أَدْرَى أَطْوَلُهُ
أَكْثَرُ أَمْ عَرَضُهُ - : إِنَّ هَذَا الْعَبْدَ الَّذِي تَرَى ، مَاتَرَكَ بِالْمَدِينَةِ عَرِييًّا يُصَارِعُ إِلَّا
صَرَعهُ ، وَيَلْغِي عَنْكَ قُوَّةً فَأَرَدْتُ أَنْ يُجْرِيَ اللَّهُ صَرَعهُ^(١) هَذَا الْعَبْدَ عَلَى يَدِكَ ؛ فَتُدْرِكُ
مَاعِنْدَهُ مِنْ أوتارِ الْعَرَبِ .

فَقُلْتُ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ الْأَمِيرِ ، إِنْ لَغِبَ نَصِبٌ جَائِعٌ ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرَ
أَنْ يَدْعَنِي ، حَتَّى أَضَعُ عَنْ إِبِلِي ، وَأُوْدِي أَمَانَتِي ، وَأُرْمِجَ يَوْمِي هَذَا وَأَجِيئَهُ غَدًا - فليُفْعَلْ .
فَقَالَ لِأَعْوَانِهِ : انْطَلِقُوا مَعَهُ فَأَعِينُوهُ عَلَى الْوَضْعِ عَنْ إِبِلِهِ وَأَدَاءِ أَمَانَتِهِ ، ثُمَّ
انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْمَطْبِخِ فَاشْبِعُوهُ . ففَعَلُوا جَمِيعَ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ . فَظَلَّتْ بَقِيَّةُ يَوْمِي ذَلِكَ ،
وَبَتُّ لَيْلَتِي تِلْكَ بِأَحْسَنِ حَالٍ شَبَبًا وَرَاحَةً وَصَلَاحَ أَمْرٍ ؛ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ

* الْأَغَانِي : ٣-٥٦ (طَبْعَةُ دَارِ الْكُتُبِ) .

(١) صَرَعهُ ، أَيْ قَتَلَهُ .

غدوت عليه وعلى جُبَّة لي صوف وَبَتٌ^(١) ، وليس على إزارٌ ، إلا أنى قد
شدتُ بهامتي وسطى . فسلمتُ عليه فردَّ على السلام . وقال للأصفر : قم إليه ،
فقد أرى الله أتك بما يُخزرك . فقال العبد : اتنز يا عرابي ، فأخذتُ بتي فأنزرتُ
به على جُبَّتِي ؛ فقال : هيهات ! هذا لا يثبت ، إذا قبضتُ عليه جاء في يدي؛ فقلت :
والله مالي من إزار .

فدعا الأميرَ بمنحفةٍ ما رأيتُ قبلها ، ولا عَلاً جلدِي مثلها ، فشددتُ بها
على حَقْوِي^(٢) وخلصتُ الجُبَّة .

وجعل العبدُ يدور حولي ويريد ختلي وأنا منه وجيل ، ولا أدري كيف
أصنع به ! ثم دنا مني دَنَوَةً ، فنقدَ^(٣) جَبْهتي بظفره نَقْدَةً ظننتُ أنه قد شجني
وأوجعني . ففاظنني ذلك ، فجعلتُ أنظر في خَلْقِهِ ؛ بيم أقبضُ منه . فما وجدتُ في
خَلْقِهِ شيئاً أصغر من رأسِهِ ، فوضعتُ إبهامي في صُدْغِيهِ وأصابعي الأخرى في أصل
أذنيه . ثم غمزته غمزته صاح منها : قتلتنى ! قتلتنى ! فقال الأمير : اغمس رأس
العبد في التراب . فقلت له : ذلك على .

فغمستُ والله رأسه في التراب ، ووقع شبيهاً بالمشي عليه . فضحك الأمير
حتى استلقى ، وأمر لي بجائزة وصلة وكسوة ، وانصرفت .

(١) البت : كساء غليظ مهلول مربع أخضر (٢) الحقو: الحصر (٣) قد الشيء: قره ياصبه .

٢١ - حديث عن الغريين *

قال المهدي ذات ليلة - وكان أميراً على الرمي من قبل أبيه المنصور: يا شرقى^(١)،
أريح قلبي بشيء يلهيه ا قال : نعم أصلح الله الأمير :
ذكروا أنه كان في ملوك^(٢) الحيرة ملك له نديمان : قد نزلا من قلبه منزلة
مكيئة ، وكانا لا يفارقانه في لهنوه ومنامه ويقظته ، وكان لا يقطعُ أمراً دونهما ،
ولا يصدرُ إلا عن رأيهما ، فغبر بذلك دهرأ طويلا .
فبينما هو ذات ليلة في شُرْبِه ولهنوه إذ غلب عليه الشراب ؛ فأزال عقله ، فدعا
بسيفه وانتصاه ، وشد عليهما فقتلها ، وغلبته عيناه فنام .
فلما أصبح سأل عنهما فأخبر بما كان منه ؛ فأكبَّ على الأرض ؛ عاضاً لها ؛
تأسفاً عليهما ، وجزعاً لفراقهما ، وامتنع من الطعام والشراب ، ثم حلف لا يشرب
شرباً أبداً يزُجج قلبه ماعاش ! وواراهما وبنى على قبريهما بناءين ، وسماها الغريين^(٣) ،
وسنَّ ألا يمرَّ بهما أحدٌ من الملكِ فمنَّ دونه إلا سجد لها ، وكان إذا سنَّ الملكُ
سنة تواريخها، وأحيوا ذكرها ولم يُميتوها، وجعلوها عليهم حكماً واجباً وفرضاً لازماً،
وأوصى بها الآباء أعقابهم .

فغبر الناس بذلك دهرأ طويلا ، لا يمرُّ أحد من صغير ولا كبير إلا سجد لها ؛

* مروج الذهب : ٢-٢٥٢ ، معجم البلدان : ٦-٢٨٣ .

(١) هو الشرقى بن القاسم : شاعر كلى ، كان وافر الأدب ، طاماً بالنسب ، وكان المنصور قد ضمه
إلى المهدي حين خلفه بالري ، وأمره أن يأخذه بحفظ أيام العرب ، ومكارم الأخلاق ، ودراسة
الأخبار ، وقرائة الأشعار (٢) ذكروا أنه النعمان بن المنذر (٣) الفريان : بناء ان بالكوفة ؛
قيل سميا بذلك لأن النعمان كان يغريهما بدم من يقتله .

فصار ذلك سنة لازمة كالشريعة والفريضة ، وحُكِمَ فيمن أبى أن يسجد لها بالقتل
بعد أن يُحْكَمَ له بمخصلتين يُجاب إليهما كأننا ما كان !

فريوما قصّار^(١) معه كارة^(٢) ثياب ، وفيها مِدْقَتُهُ^(٣) ، فقال الموكلون
بالغريين للقصّار : اسجد ! فأبى أن يفعل . فقالوا له : إنك مقتول إن لم
تفعل ؛ فأبى .

فرفعوه إلى الملك ، وأخبروه بقصته ، فقال : ما منمك أن تسجد ؟ قال :
سجدت ولكن كذبوا على ! قال : الباطل قلت فاحتكم في خصلتين ؛ فأنت
مجاب إليهما ، وإني قاتلك ! قال : لا بدّ من قتلى بقول هؤلاء ؟ قال : لا بد من
ذلك ، قال : فإني أحتكم أن أضرب رقبة الملك بمدقتي هذه ! قال له الملك : يا جاهل ؛
لو حكمت على أن أُجرى على من تُخَلِّف وراءك ما يعينهم كان أصلح لهم !

قال : ما أحكم إلا بضربة لرقبة الملك ! فقال الملك لوزرائه : ماترون فيما حكم
به هذا الجاهل ؟ قالوا : نرى أن هذه سنة ، وأنت أعلم بما في نقض السنن من العار
والنار وعظم الإثم ، وأيضاً إنك متى نقضت سنة نقضت أخرى ، ثم يكون ذلك
لِمن بعدك كما كان لك ، فتبطل السنن !

قال : فارغبوا إلى القصّار أن يحكم بما شاء ويعفيني من هذه ؛ فإني أجيئه
إلى ما شاء ، ولو بلغ حكمه شَطْرَ ملكي ! فرغبوا إليه ، فقال : ما أحكم إلا
بضربة في عنق الملك !

فلما رأى الملك ذلك وما عزم عليه القصّار ، قدم مقعداً عاماً ، وأحضر القصّار ،

(١) قصر الثوب : صورته ودقته ، وسمى القصّار لأنه يدق الثياب بالقصرة وهي قطعة من الخشب

(٢) الكارة : ما يحمل على الظهر من الثياب . (٣) المدق : ما يدق به .

فأبدى مِدْقَتَهُ ، وضرب بها عنق الملك ؛ فأوهنه وخرَّ مغشياً عليه !

فأقام يشكو ما به سنة ، فلما أفاق وتكلم ، وأكل وشرب سألَ عن القصار ، فقيل : إنه محبوس ؛ فأمر بإحضاره فحضر ؛ فقال : لقد بقيت لك خصلة فأحكّم بها ، فإنى قاتلك لا محالة ؛ إقامة للسنة ! قال القصار : فإذا كان لابد من قتلى فإنى أحكم أن أضرب الجانب الآخر من رقبة الملك مرة أخرى !

فلما سمع الملكُ ذلك خرَّ على وجهه من الجزع ، وقال : ذهبت^(١) والله نفسى إذن . ثم للقصار : وبلك دَعُ عنك ما لا ينفعك ، فإنه لم ينفعك منه ما مضى ، واحكم بغيره وأنفذه لك كائنًا ما كان ! قال : ما أرى حتى إلا ضربة أخرى ! فقال الملك لوزرائه : ما ترون ؟ قالوا : هذا حقه ! قال : وبلسكم ! إن ضُرب الجانب الآخر ما شربت الماء البارد أبدا ! ؛ لأنى أعلم ما قد نالنى .

قالوا : فما عندنا حيلة !

فلما رأى ما قد أشرف عليه قال للقصار : أخبرنى . ألم أكن قد سمعتك تقول يوم أتى بك الموكلون بالغريرين : إنك قد سجدت ، وإنهم كذبوا عليك ؟ قال : قد كنتُ قلتُ ذلك فلم أصدق ! قال : فكنت سجدت ؟ قال : نعم ! فوثب من مجلسه ، وقبل رأسه ، وقال : أشهد أنك صادق ، وأهم كذبوا عليك ، وقد وليتك موضعهم ، وجعلت إليك أمرهم .

فضحك المهدي حتى فخص برجليه ، وقال : أحسنت ! ووصله .

(١) ذهبت نفسى ، أى هلكت .

٢٢ — المصا*

قال الشرقى بن القطامى :

خرجتُ من الموصل أريد الرقة^(١)؛ فصحبني فتى من أهل الجزيرة ، وذكر أنه من ولد عمرو بن كلثوم ، ومعه مزود^(٢) وركوة^(٣) وعصا ، ورأيتُه لا يفارقها ؛ مُشاةً كُنَّا أورو كباناً ؛ وهو يقول : إن الله جعل جماع أمر موسى ، وأعاجيبه وبراهينه ومآربه في عصاه ؛ وجعل يكثرُ من هذا وأنا أضحك متهاوناً بما يقول .

فتخلف المكارى^(٤) ؛ فكان حمارُ الفتى إذا وقف أكرهه بالمصا ، ويقف حمارى ، ولا شيء في يدي ؛ فيسبغني إلى المنزل فيستريح ويريح ، ولا أقدر على البراح حتى يوافيني المكارى . فقلت : هذه واحدة !

ثم خرجنا من غدٍ مشاةً ؛ فكان إذا أعيأ توكتاً على المصا ، واعتمد عليها ، ومركباً أنه سهم زالج^(٥) ، حتى انتهينا ، وقد تفسختُ من الكلال ، وإذا فيه فضلٌ كثير ؛ فقلت : وهذه أخرى !

فلما كان في اليوم الثالث هَجَمْنَا على حية منكرة ؛ فسارت إلينا فأسلمته إليها ، وهربتُ منها ، فضربها بالمصا ، فقلت : هذه ثالثة !

* عيون الأخبار : ١-١٣٩

(١) الرقة : بلد على الفرات . (٢) المزود : وعاء الزاد . (٣) الركوة : إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء . (٤) المكارى : المستأجر لسوق الدواب ، وهو اسم فاعل من كارى ، والجمع المكارون . (٥) زالج : مارق .

وخرجنا في اليوم الرابع ، وبنّا قرَمَ^(١) إلى اللحم ، فاعترضتنا أرنب ، فحذفها
بالمصا ، وأدرگنا ذَکَاتَهَا^(٢) فقلت : هذه رابعة !

فأقبلتُ عليه ؛ فقلت : لو أن عندنا ناراً ما أخرتُ أكلها إلى المنزل فأخرج
هوَيْدأ من ميزوْدِهِ ثم حكّه بالمصا ؛ فأورتُ إيزاء المَرْخ والعَفَار^(٣) ، ثم جمع ما قدر
عليه من الفُتَاء^(٤) والحشيش ، وأوقد ناراً ، وألقى الأرنبَ في جوفها ، فأخرجناها ،
وقد لزق بهامن الرماد والتراب ما بفضها إلى ، فعلقها بيده اليسرى ، ثم ضرب جنوبها
بالمصا ضرباً رقيقاً ، حتى انتثر كلُّ شئٍ عليها ، فأكلناها ، وسكن القرم ، وطابت
النفس ؛ فقلت : هذه خامسة !

ثم نزلنا بعض الخانات ، وإذا البيوتات مملوءة روثاً وتراباً ؛ فلم نجد موضعاً
نظلاً فيه فنظر إلى حديدة مطروحة في الدار ، فأخذها ، فجعل المصا نصاباً^(٥) لها ،
ثم قام فجرف ذلك الروث والتراب ، وجرد الأرض ، حتى أظهر بياضها ، وطابت
ريحها ، فقلت : وهذه سادسة !

ثم نزع المصا من الحديدة ، فأوتدها^(٦) في الحائط ، وعلق عليها ثيابه وثيراني ،
فقلت : هذه سابعة !

فلما صرنا إلى مفرق الطريقين وأردتُ مفارقتَه ، قال لي : لو عدلتَ معي
فبتَّ عندى ! فعذلتُ معه ، فأدخلني منزلاً يتصل ببَيْعَةٍ^(٧) ، فإزال يحدثني

(١) القرم : شدة شهوة اللحم (٢) ذكاتها : ذبحها (٣) المرخ : شجر شديد الوري ، ومثله
العفار (٤) الفتاء : البالي من ورق الشجر الخالط زبد السيل (٥) النصاب : ما يمسكها به (كالايد
للأناس) (٦) أوتدها : ثبتها (٧) البيعة : كنيسة النصارى .

وَيُطْرَفَنِي^(١) الليل كله ، فلما كان السحر أخذ العصا بمينها ، وأخذ خشبةً أخرى فقرع بها العصا ، فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله ، وإذا هو أحذقُ الناس به ، فقلت له : ويحك ! أما أنت بمسلم ا قال : بلى . قلت : فلم تضربُ بالناقوس ا قال : لأن أبي نصراني ، شيخ كبير ضعيف وأنا أبزه .

فإذا هو شيطان مارد ، من أطرف الناس ، وأكثرهم أدباً فغفرت له بالذي أحصيتُ من خصال العصا ، فقال : والله لو حدثتك عن مناقب العصا ليلة إلى الصباح ما استنفدتُها .

(١) يطرفني ، أي يمتحن بالطرف والأحاديث .

٢٣ - ضَرَّارُ بْنُ الْقَعْقَاعِ *

زعم الأصمعي^(١) أن حرباً كانت بالبادية، ثم اتصلت بالبصرة، فتفاقم الأمر فيها، ثم مشى بين الناس بالصلح، فاجتمعوا في المسجد الجامع.

قال: فَبِعِثْتُ وَأَنَا غلام إلى ضَرَّارِ بْنِ الْقَعْقَاعِ مِنْ بَنِي دَارِمٍ، فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لِي، فَدَخَلْتُ فَإِذَا بِهِ فِي شِمْلَةٍ^(٢) يَخْلُطُ بَزْرًا لِعَنْزٍ لَهُ حَلُوبٌ بِمُجْتَمَعِ الْقَوْمِ، فَأَمْهَلَ حَتَّى أَكَلْتُ الْعَنْزُ، ثُمَّ غَسَلَ الصَّحْفَةَ^(٣) وَصَاحَ: يَا جَارِيَةُ غَدِينَا؛ فَأَتَتْهُ بَزِيْتُ وَتَمَّرٌ. فَدَعَانِي فَقَدِرْتُهُ^(٤) أَنْ أَكَلَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا قَضَى مِنْ أَكْلِهِ حَاجَةً وَتَبَّ إِلَى طَيْنٍ مُلْتَقَى فِي الدَّارِ، فَفَسَلَ بِهِ يَدَهُ، ثُمَّ صَاحَ: يَا جَارِيَةُ، اسْقِينِي مَاءً، فَأَتَتْهُ بِمَاءٍ فَشَرِبَهُ، وَمَسَحَ قَضَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، مَا هِيَ الْفُرَاتِ بِتَمْرِ الْبَصْرَةِ بَزِيْتُ الشَّامِ. مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَ هَذِهِ النَّعْمِ! ثُمَّ قَالَ: يَا جَارِيَةُ، عَلَى بَرْدَائِي، فَأَتَتْهُ بِرِدَاءٍ عَدَنِيٍّ، فَارْتَدَى بِهِ عَلَى تِلْكَ الشِّمْلَةِ.

قال الأصمعي: فَتَجَافَيْتُ عَنْهُ اسْتِقْبَاحًا لَزِيَّةً.

فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم، فلم تبق حُبُوةٌ إِلَّا حَلَّتْ بِإِعْظَامِهِ ثُمَّ جَلَسَ فَتَحَمَّلَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ^(٥) فِي مَالِهِ، وَانصَرَفَ.

* الكامل للمبرد: ١ - ٨١

(١) هو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، اشتهر بالرواية والتضلع من اللغة. توفي سنة ٢١٦ هـ
(٢) الشملة: كساء يشتمل به (٣) الصحيفة: إناء كالفصعة (٤) قدرته: أي استقدرته
وكرهته. (٥) الأحياء: جمع حي، وهو البطن من بطون العرب.

الباب الثاني

في القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ،
وما تجرى عليه في تربية أطفالها ؛ ومعاشرتها زوجها ،
ومعاورتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى
معه في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع
الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة
في ذلك العهد .

٥٦ - مصرع الزبّاء *

كان يَدِيمَة^(١) قد ملك ماعلى شاطيء الفرات ، وكانت الزبّاء ملكة الجزيرة ، وكان جَدِيمَة قد وَتَرَهَا بِقَتْلِ أَبِيهَا ، فلما استجمع أمرها ، وانتظم شملُ مُلْكِهَا ، أَحَبَّتْ أَنْ تَفْرُوَ جَدِيمَة . ثم رأت أن تَكْتُبَ إِلَيْهِ : أنها لم تَجِدْ مُلْكَ النِّسَاءِ إِلَّا قُبْحًا فِي السَّمَاعِ ، وَضَعْفًا فِي السُّلْطَانِ ، وَأَنَّهَا لَمْ تَجِدْ لِمُلْكِهَا مَوْضِعًا ، وَلَا لِنَفْسِهَا كَفْنًا غَيْرَكَ ؛ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ لِأَجْمَعِ مُلْكِي إِلَى مُلْكِكَ ، وَأَصِلْ بِلَادِي بِلَادِكَ ، وَتَقْلُدْ أَمْرِي مَعَ أَمْرِكَ .

فَلَمَّا آتَى كِتَابُهَا جَدِيمَة ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ رِسَالُهَا اسْتَخَفَّهُ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ ، وَرَغِبَ فِيهَا أَطْمَعْتُهُ فِيهِ ؛ فَجَمَعَ أَهْلَ الْحِجَابِ وَالرَّأْيَ مِنْ ثِقَاتِهِ - وَهُوَ يَوْمُنَا بَبَقَّةَ مِنْ شَاطِئِ الْفِرَاتِ - وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ مَا دَعَتْهُ إِلَيْهِ وَعَرَضَتْ عَلَيْهِ ؛ فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى أَنْ يَسِيرَ إِلَيْهَا فَيَسْتَوْلِيَ عَلَى مُلْكِهَا .

وَكَانَ فِيهِمْ قَصِيرٌ - وَكَانَ أَرِيْبًا حَازِمًا عِنْدَ جَدِيمَة - فَخَالَفَهُمْ فِيمَا أَشَارُوا بِهِ ، وَقَالَ : رَأْيُ قَاتِرٍ ، وَغَدْرٌ حَاضِرٌ^(٢) . ثُمَّ قَالَ لِلْجَدِيمَة : الرَّأْيُ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهَا ، فَإِنْ كَانَتْ صَادِقَةً فِي قَوْلِهَا فَلْتَقْبَلْ إِلَيْكَ ، وَإِلَّا لَمْ تَمُكِّنْهَا مِنْ نَفْسِكَ ، وَلَمْ تَقْعَ فِي حَبَابِهَا ، وَقَدْ وَتَرْتَهَا وَقَتَلْتَ أَبَاهَا ؛ فَلَمْ يُوَافِقْ جَدِيمَة وَقَالَ لَهُ : رَأْيُكَ فِي الْكِنِّ لَا فِي الضَّحِّ^(٣) .

* مجمع الأمثال : ١ - ٢١٣ ، جهرة الأمثال : ٦٢ ،
(١) انظر صفحة ٢ من هذا الجزء (٢) ذهبت مثلاً (٣) الضح : الشمس وضوءها ،
والكن : وفاة كل شيء وسره . ذهبت مثلاً .

ودعا جَذِيمَةَ عمرو بن عدى ابن أخته فاستشاره فشجّعه على المسير ، وقال :
إن قومي مع الزَّباء ولو رأوك صاروا معك ، فأحبَّ جَذِيمَةَ ما قاله ، وعَصَاً قصيراً ،
فقال قصير : لا يُطاعُ لقصيرٍ أمرٌ^(١) .

واستخلف جَذِيمَةَ عمرو بن عدى على مُلكه وسلطانه ، وسار في وُجُوهِ
أصحابه ، فأخذ على شاطئِ الفرات من الجانب الغربي ، فلما نزل دعا قصيراً فقال :
ما الرأي يا قصير ؟ فقال قصير : بَيْتَةٌ خَلَفْتُ الرَّأْيَ^(١) . قال : وما ظنُّك بالزَّباء ؟ قال :
القولُ رِدَافٌ ، والحزْمُ عثرته تُخَافُ^(١) .

واستقبلته رُسُلُ الزَّباء بالهدايا والألطاف ، فقال : يا قصير ؛ كيف ترى ؟ قال :
خَطْبٌ يسير في خطب كبير^(١) . وستتلقاك الجيوش ؛ فإن سارت أمامك فالمرأةُ
صادقة ، وإن أخذتُ جنبتيك ، وأحاطت بك من خلفك فالقوم غادرون بك ، وإذن
فاركب العَصَا^(٢) فإنها لا يسر عباها - وكانت العصا فرساً لجذيمة لا تُجَارَى -
وإني راكبها ومُسايرُك عليها .

فلقيته الخيلُ والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ؛ فركبها قصير ، ونظر
إليه جذيمة على متن العصا مولياً ، فقال : ويل أمه حَزْماً على متن العصا^(١) ! ووجرت
به إلى غروب الشمس ثم نفقت ، وقد قطمت أرضاً بعيدة .

وسار جذيمة وقد أحاطت به الخيلُ حتى دخل على الزَّباء . فلما رآته قالت :
أشوار^(٣) عروس ترى ؟ فقال : أمر غديرٍ أرى ! ثم دعت بالسيف والنَّطع ، وقالت :
إن دماء الملوك شفاء من الكلب ، فأمرت بطست من ذهب قد أعدته له وسقته

(١) ذهب أمثالا (٢) العصا : اسم الفرس (٣) الشوار : الهيئة والزينة .

الخر حتى سكر ، وأخذتُ منه الخمرُ مَأْخَذَهَا ، فأمرتُ بِرَاهِشِيهِ ^(١) فِقْطَعَا ،
وقدّمتُ إليه الطَّسْتُ - وقد قيل لها : إنَّ قَطْرَ من دمه شيء في غير الطَّسْتِ طَلِبَ
بدمه - فلما ضَعَفَتْ يداه سَقَطْنَا فَقَطْرَ من دمه شيء في غير الطَّسْتِ ؛ فقالت : لا تُضَيِّعُوا
دمَ الملك . فقال جذيمة : دَعُوا دَمًا ضَيِّعَهُ أَهْلُهُ ^(٢) . وهَلَكَ جذيمة .

وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم ، حتى قدم على عمرو
ابن عدى - وهو بالحيرة - فقال له قصير : أثار أنت ؟ قال : بل نأثر سائر ^(٣) .

ووافق قصيرُ الناس وقد اختلفوا ، فأصلح بينهم ، ثم قال لعمر بن عدى :
تهيأ واستعدِّ ولا تُطَلِّنَ ^(٤) دمَ خالك . قال : وكيف لى بها وهى أَمْنَعُ من
عُقَابِ الجو ^(٥) !

وكانت الزباء سألت كاهنة لها عن هلاكها ؛ فقالت : أرى هلاكك بسبب
غلام مهين غير أمين ، وهو عمرو بن عدى . ولن تموتى بيده ، ولكن حَتَّفَكَ
بيدك ، ومن قبَله ما يكون من ذلك .

فحدَّرتُ عمراً ، واتَّخَذَتْ لها نَفَقًا من مجلسها الذى كانت تجلسُ فيه إلى حصن
لها فى داخل مدينتها ، وقالت : إن فاجأنى أمرٌ دخلتُ النفقُ إلى حِصْنِي . ودعتُ
رجلاً مصوراً من أجود أهل بلاده تصويراً ، وأحسنهم عملاً ، فجهَّزته وأحسن
إليه ، وقالت : ميرحتى تقدِّم على عمرو بن عدى متنكرأ ، فتخلو بحشمه فتنضم إليهم
وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور ، ثم أثبتت ^(٦) لى عمرو بن عدى معرفة ؛
فصوره جالساً وقائماً وراكباً ومُتَفَضِّلاً ^(٧) ومتسلحاً بهيئته ولبسته ولونه ، فإذا أحسنت
ذلك فأقبل إلى .

(١) الراهشان: عرقان في باطن الذراعين (٢) ذهبت أمثالا (٣) طل دمه: هدر أو ألا يثار به
(٤) أثبتته : عرفه حق المعرفة . (٥) المتفضل : من يلبس ملابس النوم وهى لبسة المتفضل .

فانطلق المصور حتى قدم على عمرو بن عدى ، وصنع الذى أمرته به الزباء ، وبلغ من ذلك ما أوصته به ، ثم رجع إلى الزباء يعلم ما وجهته له من الصورة على ما وصفت وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحذرتة وعلت علمه .

وقال قصير لعمرو بن عدى : اجدع أنقى^(١) ، واضرب ظهري ، ودعنى وإياها . فقال عمرو : ما أنا بفاعل ، وما أنت لذلك مستحقا عندى . فقال قصير : خل عنى إذن وخلاك ذم^(٢) ! فقال له عمرو : فانت أبصر . فجدع أنفه وأثر آثاراً بظهره ؛ فقالت العرب : لأمر ماجدع قصير أنفه^(٣) .

ثم خرج قصير كأنه هارب ، وأظهر أن عمراً فعل ذلك به ، وأنه زعم أنه مكر بحاله جديمة وغرته ؛ فسار حتى قدم على الزباء ، فقيل لها : إن قصيراً بالباب . فأمرت به فأدخل ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ؛ فقالت : ما الذى أرى بك يا قصير ؟ قال : زعم عمرو أنى قد غررت خاله وزينت له المصير إليك وغششته وما لآتئك ؛ ففعل بى ما ترين ؛ فأقبلت إليك . فأكرمته ، وأصابت عنده من الخزم والرأى ما أرادت .

فلما عرف أنها استرسلت إليه ، ووثقت به قال : إن لى بالعراق أموالاً كثيرة وطرائف وثياباً وعطراً ، فأبعثنى إلى العراق ، لأحمل مالى وأحمل إليك من بزها^(٤) وطرائفها وطيبها ، لتصيبى من ذلك أرباحاً عظيمة ، وبعض مالا غنى للملوك عنه . وكان أكثر ما يطرّفها^(٥) من الصرقان^(٥) ، وكان يعجبها ؛ فلم يزل يزين ذلك حتى أذنت له ، ودفعت إليه أموالاً ، وجهزت معه عبيداً .

(١) جدع أنفه : قطعها (٢) ذهب أمثالا (٣) البر : الثياب (٤) يطرّفها : يعطيها .
(٥) الصرقان : تمر رزين صلب .

فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ، وأتى الخيرة متتكرراً ، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره الخبر ، وقال : جهزني بصنوف البرّ والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزباء ؛ فتصيب نارك ، وتقتل عدوك . فأعطاها حاجته .

فرجع بذلك إلى الزباء ؛ فأعجبها ما رأت وسرها ، وازدادت به ثقةً ، وجهزته ثانيةً ؛ فسار حتى قدم على عمرو فجهزه وعاد إليها .

ثم عاد الثالثة وقال لعمرو : اجمع لي ثقات أصحابك ، وهي الغرائر واحمل كل رجلين على بعير في غرارتين ، فإذا دخلوا مدينة الزباء أمتك على باب نفعها ، وخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينة ، فمن قاتلهم قتلوه ؛ وإن أقبلت الزباء تريد التفق جلتها بالسيف .

ف فعل عمرو ذلك ، وحمل الرجال في الغرائر بالسلح ، وسار يكمن النهار ويسرى بالليل ، فلما صار قريباً من مدينتها تقدم قصير فبشرها ؛ وأعلمها بما جاء به من المنافع والطرائف ؛ وقال لها : آخر البرّ على القلوص^(١) . وسألها أن تخرج فتعظّر إلى ما جاء به . وقال لها : جئت بما صاء وصمت^(٢) .

ثم خرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت يا قصير :

ما للجبال مشيهاً وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرّفاناً تارزاً شديداً^(٣)

(١) ذهبت مثلاً ، والبرّ : الثياب ، والقلوص : الأتني الشابة من الإبل . (٢) أراد بما صاء : الشاء والإبل ، وبما صمت : الذهب والفضة ، وهو يريد أنه جاء بكل شيء ، وقد ذهبت مثلاً . (٣) التارز : اليايس .

فقال قصير في نفسه :

* بل الرجالُ قَبِيضًا قَصُودًا *

فدخلت الإبلُ المدينةَ ؛ حتى كان آخرُها بعيراً مرَّ على بوابِ المدينة ، وكانت بيده منخَسَةً ؛ فنخس الغرارة ، فأصابت خاصرة الرجل الذي فيها ، فسمع له صوتاً ، فقال : شرٌّ في الجُوالق (١) !

فلما توسطت الإبلُ المدينةَ أُنيخت ، ودلَّ قصيرُ عمرو على باب النَّفق الذي كانت الزَّباءُ تدخله ، وأرته إياه قبل ذلك ، وخرج الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة ، ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو على باب النَّفق ، وأقبلت الزَّباءُ تريده ، فأبصرت عمرواً فعرفته بالصورة التي صُوِّرت لها ؛ فصتت خاتمها - وكان فيه السم - وقالت : بيدي لا بيد عمرو (١) . وتلقاها عمرو فجللها بالسيف وقتلها ، وأصاب ما أصاب من المدينة وأهلها ؛ وانكفاً راجعاً إلى العراق .

(١) ذمبت مثلاً .

٢٥ — قَبِّحَ اللهُ جَمَالاً لَا نَفْعَ فِيهِ *

كانت عَثمَةُ بنت ابن مطرود أَلْبَجَلِيَّة ذات عقل ورأى مستمَع في قومها ، وكانت لها أخت يقال لها خَوْدٌ ؛ ذات جمال وميَسَم وعقل . ثم إن سبعة إخوة من الأزد خطبوا خَوْدًا إلى أبيها ، فأتوه وعليهم الحُللُ اليمانية ، وتحتهم النَّجَائِبُ الفُرَّةُ ^(١) . فقالوا : نحن بنو مالك بن غُفَيْلَةَ . فقال لهم : انزلوا على الماء، فنزلوا ليلتهم ثم أصبحوا غادين في الحُللِ والهَيْئَةِ ، ومعهم ربيبة ^(٢) لهم كاهنة يقال لها : الشعثاء . فمروا بوسيدها ^(٣) ، يتعترضون لها ، وكلهم وسيمٌ جميل ، وخرج أبوها فجلسوا إليه ، فرحب بهم ، فقالوا : بلغنا أن لك بنتاً ، ونحن كما ترى شباب . وكلنا يمنع الجانب ، ويمنع الراغب . فقال أبوها : كلِّم خياري . فأقيموا حتى نرى رأينا . ثم دخل على ابنته فقال : ما ترين ؟ فقد أتاك هؤلاء القوم . فقالت : زوِّجني على قدرى ، ولا تشطط في مهري ؛ فإن تخطبني أحلامهم فلا تخطبني أجسامهم . لعل أصيب ولداً ، وأكثُر عدداً .

فخرج أبوها ، فقال : أخبروني عن أفضلكم ، قالت ربيبتهم الشعثاء الكاهنة : اسمع أخبرك عنهم : هم إخوة ، وكلهم أسوة . أما الكبير فمالك ، جرى فاتك ، يتعبُ السنايك ^(٤) ، ويستصغر المهالك . وأما الذي يليه فالعَمْرُو ،

* مجمع الأمثال : ١٠ - ٩٠

(١) فره : جمع فاره ، وهو من الدواب الجيد السير النشط الخفيف (٢) الربيبة : الحاضنة

(٣) الوصيد : الفناء (٤) السنايك : أطراف حوافر الحيل .

بحر عَمْر^(١) ، يقصر دونه الفخر ، نَهْد^(٢) صقر . وأما الذى يليه فعلقمة ، صليب^(٣) ،
الْمَجْمَعَة ، مَنِيعُ الْمَشْتَمَةِ ، قليل الجمجمة^(٤) . وأما الذى يليه فعاصم ، سيد ناعم ،
جلد صَارِم ، أبى حازم ، جيشه غانم ، وجارؤه سالم . وأما الذى يليه فنواب ،
مربيع الجواب ، عتيد الصواب ، كريم النصاب^(٥) ؛ كَلَيْثِ القاب . وأما الذى
يليه فمُدْرِك ، بذول لما يملك ، عَزُوب^(٦) عَمَّا يُتْرَك ، يُغْنِي وَيُهْلِك .

وأما الذى يليه فجنبدل ، لِقِرْنِه مُجَدَّل^(٧) ، مُقَلِّ لما يحمل ، يُعْطَى وَيَبْذُل ،
وعن عدوه لا يَنْكُل^(٨) .

فشاورت أختها عثمة فيهم ، فقالت : ترى الفتيان كالتخل ، وما يدريك
ما الدَّخْل^(٩) ، اسمى منى كلمة : إن شرَّ الغريبة يُعْتَلَن ، وخيرها يُدْفَن ، تزوجى
في قومك ، ولا تفرزكِ الأجسام .

فلم تقبل منها ، وبعثت إلى أبيها : زوجنى مُدْرِكًا ، فتمَّ ذلك على مائة ناقةٍ
ورعاتيها . وحملا مُدْرِك ، فلم تلبث عنده إلا قليلا حتى صَبَّحَهُمْ فوارسٌ من بنى مالك
ابن كِنانة ، فاقتلوا ساعة . ثم انكشف عنها زوجها وإخوته وعشيرته . فَسُيِّتَتْ
فيمن سُبِين من النساء !

فيينا هي تسير بَكَتْ ، فقالوا : ما ييكيك ؟ أعلى فراق زوجك ؟ قالت :
قَبَّحَ اللهُ جمالا لانفعَ معه ، إنما أبكى على عِصْيَانِي أختي في قولها : « ترى الفتيان

(١) القمر : [مُعْظَمُ البحر (٢) التهد : الأسد والكريم (٣) الصليب : الشديد .
(٤) قليل الجمجمة : كلامه بين (٥) النصاب : الأصل (٦) عزوب : بيد (٧) جلد : صرعه على
الجدالة (الأرض) (٨) لا ينكل : لا يجين (٩) ذهب مثلا . يضرب لمن يكون منظره
خير من مخبره .

كالنخل ، وما يدريك ما الدخل ! » ، وأخبرتهم كيف خطبوها .
فقال لها رجل منهم - يكنى أبا نُوَاس - شابٌ أسودُ أفوهٌ ^(١) مضطرب
اتَّخَلَقَ - أترضين بي على أن أمتعك من ذناب العرب ؟ فقالت لأصحابه :
أ كذلك هو ؟ قالوا : نعم ، إنه مع ما ترين لَيَمْنَعُ الحَلِيلَةَ ^(٢) ، وتثقيبه
القبيلة .

قالت : هذا أجمل جمال وأكمل كمال ؛ قد رضيتُ به . فزوَّجوها منه .

(١) رجل أفوه : عظيم الفم (٢) الحليّة : الزوجة .

٢٦ — أفضلُ النساءِ وأفضلُ الرجالِ *

خرجت المجفاه بنتُ علقمة السعدية وثلاثُ نسوةٍ من قومها ، وتواعدن روضةً يتحدثن فيها ، فوافين بها ليلاً في قمرٍ زاهر ، وليلة طُلقةٍ ساكنة ، وروضةٍ معشبةٍ خصبة .

فلما جلسن قُلنَ : مارأينا كالليلة ليلةً ، ولا كهذه الروضةِ روضةً أطيّبَ ريحاً ولا أنصَرَ اثمَ أفصَنَ في الحديث ، قُلنَ : أيُّ النساءِ أفضلُ ؟ قالت إحداهن : الخُرودُ ^(١) الودودُ الودود . قالت الأخرى : خيرهن ذاتُ الغناء ، وطيبِ الثناء ، وشدةِ الحياء . قالت الثالثة : خيرهن السموع ^(٢) ، النّفوع ، غير المنوع . قالت الرابعة : خيرهن الجامعةُ لأهلها ، الوداعةُ ، الرافعةُ لا الواضعةُ .

قُلنَ : فأى الرجالِ أفضلُ ؟ قالت إحداهن : إن أبي يُكرّمُ الجار ، ويُعظّمُ النار ، وينحر العِشار ^(٣) بعدَ الحوار ^(٤) ، ويحملُ الأمورَ الكِبار ، ويأنفُ من الصّغار .

فقالت الثانية : إن أبي عظيمُ الخطر ، منيعُ الوزر ^(٥) ، عزيزُ النّفَر ، يُحمّدُ منه الورد ^(٦) والصدّر .

* مجمع الأمثال ٢ : ٧٢

(١) الخرود : الحية الطويلة السكوت (٢) السموع : التي تسمع القول (٣) العشار : جمع عشراء ، وهي الناقة التي مضى لملحها عشرة أشهر (٤) الحوار : ولد الناقة ساعة تضعه ، أو إلى أن يفصل عن أمه (٥) الوزر : اللجأ (٦) الورد : الورد على الماء ، والصدر : العودة من الاستقاء .

قالت الثالثة : إن أبي صدوق اللسان ، حَدِيدُ الْجَنَانِ ^(١) ، كثير الأعدوان ،
يُروى السَّنَانُ عند الطَّعَانِ .

قالت الرابعة : إن أبي كريم النَّزَالِ ، مُنِيف ^(٢) المَقَالِ ؛ كثيرُ النَّوَالِ ، قليلُ
السُّوَالِ ، كريمُ الفَعَالِ .

ثمُ تَنَافَرْنَ ^(٣) إلى كَاهِنَةٍ مَعْرَنٍ فِي الْحَيِّ ، فِقَانِ لَهَا : اسمي ما قلنا ، واحكي
بيننا وَاَعْدِلِي ؛ ثمُ أَعْدُنْ عَلَيْهَا قَوْلَهُنَّ ، فقالت لهن : كلُّ واحدةٍ مِنْكُنِ مَارِدَةٌ ^(٤) ،
بأبيها وَاجِدَةٌ ^(٥) ، على الإحسان جَاهِدَةٌ ، لصواحباتها حاسدةٌ ، ولكن اسمنن قَوْلِي :
خير النساءِ الْمُتَبَقِيَّةُ على بَعْلِهَا ، الصابرةُ عو الضَّرَاءِ مَخَافَةٌ أَنْ تَرْجِعَ إلى أهلِهَا ؛
فهي تُؤَثِّرُ حَظَّ زَوْجِهَا على حَظِّ نَفْسِهَا ، فتلك الكريمة الكاملة . وخير الرجالِ
الجوادُ البَطْلُ ، القليلُ الفِشْلُ ، إذا سألَهُ الرجلُ أُنْفَاهُ قَلِيلَ العِلَلِ ، كثيرُ النَّفْلِ ^(٦) ،
ثم قالت : « كلُّ فَتَاةٍ بِأبيها مُعْجَبَةٌ ^(٧) » .

(١) الجنان : القلب (٢) منيف المقال : مرتفع (٣) تنافرن . ذهبن وتحاكمن (٤) ماردة: عانية
قد بلغت الغاية (٥) وجد به : أحبه (٦) النفل : العطية (٧) ذهبت مثلا .

٧ - نَكْبَةُ جَلِيلَةَ*

كانت جليلَةُ بنتُ مُرَّةَ أختُ جَسَّاسِ زوجِ الكَلِيبِ بنِ ربيعة^(١)؛ فلما قُتِلَ جَسَّاسُ^(٢) كَلِيبًا اجتمع نساء الحى للمأتمِّ ، فقلُنَّ لأختِ كَلِيبِ : رَحَّلِي جَلِيلَةَ عن مَأْتَمِكِ ؛ فإنَّ قِيَامَهَا فِيهِ شِمَاتَةٌ وَعَارٌ عَلَيْنَا عِنْدَ الْعَرَبِ ؛ فقالت لها : يا هذه ؛ ائْخُرْجِي عن مَأْتَمِنَا ، فإني أُخْتُ وَأَبْرَأْنَا وَشَقِيقَةٌ قَاتِلُنَا ؛ فخرجت وهي نَجْرُهُ أَعْطَافَهَا ؛ فلقبها أَبُوهَا مُرَّةٌ ، فقال لها : ماوراءك يا جليلَةُ ؟ قالت : نُكْلُ الْعَدَدِ ، وَحُزْنُ الْأَبْدِ ، وَفَقْدُ حَلِيلٍ ، وَقَتْلُ أَخٍ عن قَلِيلٍ ، وَبَيْنَ ذَيْنِ غَرَسِ الْأَحْقَادِ ، وَتَفْتَتِ الْأَكْبَادِ ؛ فقال لها : أَوْيَكْفُ ذَلِكَ كَرَمُ الصَّفْحِ وَإِغْلَاءُ الدِّيَابِ ؟ فقالت جليلَةُ : أُمْنِيَّةٌ مَخْدُوعٌ وَرَبُّ الْكَعْبَةِ ! أبا لِبْدُنِ^(٣) تَدَّعُ لَكَ تَقَلُّبُ دَمِ رَبِّهَا !

ثم بلغ جليلَةُ أَنَّ أختَ كَلِيبِ قالت حين رحلت : رِحْلَةُ الْمُتَسَدِّى وَفِرَاقِ الشَّامِ ! وَيْلٌ غَدًا لآلِ مُرَّةَ ؛ من الكَرَّةِ بعد الكَرَّةِ ! فقالت : وكيف تَشَمَّتِ الحِرَّةَ مَهْتِكِ سِتْرِهَا ، وَتَرْقُبُ وَتَرِهَا ! أَسْعَدَ اللَّهُ^(٤) جَدَّ أختِي ، أَفلا قالت : نَفْرَةَ الحَيَاةِ ، وَخَوْفَ الاعتداءِ ! ثم أنشأت تقول :

* الأغانى : ٥-٦٣ (طبعة دار الكتب) ، نهاية الأرب : ٥-٢١٤ ، ابن الأثير : ١-٢١٦ مهذب الأغانى : ١-٨٥

(١) كان كليب بن ربيعة سيد ربيعة ، يترلم ويرحلهم ، ولا يصدرون في شيء إلا عن أمره ، ولا يجير أحد من بكر وربيعة إلا بإذنه ، وكان يحمي أمكنة العبيد وحياض الماء . وضرب به المثل فقالوا : أعز من كليب (٢) كان لجساس خالة من بني سعد جاورت بني مرة ، فزلت على جساس ابن أختها ، ومعها ناقة ، فندت الناقة يوما ، فدخلت في إبل كليب ترعى في حماه ، فنظر إليها فأنكرها ورماها بسهم في ضرعها ، فولت حتى بركت بفناء صاحبها ، وضرعها يشخب دماء ، فصاحت : واذا له ! فقتل جساس كليباً لذلك ، وقتل جساس نحو سنة ٨٥ ق . هـ (٣) البدن : جم بدنة تكون من الإبل والبقر . (٤) الجدة هنا : الحظ .

يابنة الأقوم إن شئت فلا
فإذا أنت تبينت الذي
إن تكن أخت امرئ ليمت علي
جلّ عندي فعل جساس فيأ
فعل جساس على وجدى به
تحمل العين قذى العين كما
ياقتيلاً قوض الدهر به
هدم البيت الذي استحدثته
يانسأى دونكن اليوم قد
خصنى قتل كليب بلظى
ليس من يبكى ليومين كمن
يشقى المدرك بالثار ، وفي
ليته كان دمي فاحتلبوا
إننى قاتلة مقتولة

تعجلى باللوم حتى تسأل
يوجب اللوم فلومي واعذلى
شفقٍ منها عليه فأفعل
حسرتى عما انجلمت أو تنجلى !
قاطع ظهري ومُذن أجلى
تحمل الأم أذى ما تفتلي (١)
سقف بيتي جميعاً من عل
وانثنى في هدم بيتي الأول
خصنى الدهر برزء معضل
من ورأى ولظى مستقبلي
إنما يبكى ليوم ينجلي
دركى نأرى شكلك الشكلى (٢)
بدلاً منه دماً من أجلي (٣)
ولعل الله أن يرتاح لى !

(١) نفضلى : تربي (٢) الشكلى : التى لازمها الحزن (٣) الأكلع : عرق فى الذراع يفصد .

٢٨ — كأنما تزوجت بنت قيس بن خالد ! *

كان زُرارة بن عُدُس رجلاً شريفاً ، فنظر ذات يوم إلى ابنه لَقِيْط ، فرأى منه خِيَلًا ونَشَاطًا ، وقد جعل يضربُ غُلْمَانَه — وهو يومئذ شاب — فقال له : لقد أصبحتَ تصنعُ صنيعاً كأنما جئتني بمائةٍ من هِجَانٍ ^(١) ابن اللندر بن ماء السماء ، أو تزوجت بنت قيس بن خالد ! قال لقيط : لله على ألا يمسه رأسى غسل ، ولا آكل لحماً ولا أشرب خمرًا حتى أجسهما جميعاً أو أموت .

فخرج لقيط ومعه ابنُ خال له يقال له القراد بن إهاب ، وكلاهما كان شاعراً شريفاً ، فسارا حتى أتيا بني شَيْبَانَ ، فسَلَمَا على نَادِيهِمْ ، ثم قال لقيط : أفيكم قيس بن خالد ؟ — وكان سيدَ ربيعة يومئذ — قالوا : نعم . قال : فأبيكم هو ؟ قال قيس : أنا قيس ، فما حاجتك ؟ قال : جئتك خاطباً ابنتك — وكانت على قيس يمينٌ ألا يخطبَ إليه أحد ابنته عَلَانِيَةً إلا أصابه بِشْرٌ ، وسمع ^(٢) به — فقال له قيس : ومن أنت ؟ قال : لَقِيْط بن زُرارة بن عُدُس . قال قيس : عجيباً منك ! هَلَا كان هذا بيني وبينك ؟ قال : لِمَ ياعم ؟ فوالله إن فيك لرَغْبَةً ، وما بى من عَيْبٍ ، ولئن ناجيتك لا أخدعك ، ولئن عالنتك لا أفضحك . فأعجب قيساً كلامه وقال : كُفْ ، كريم ، إني قد زوّجتك ومهرتك مائة ناقة ؛ ليس فيها نابٌ ولا كَرُومٌ ^(٣) ، ولا تبيت عندنا عزباً ولا محروماً .

* الأغاني : ٩ - ١٣٠ (طبعة الساسي) ، مجمع الأمثال : ٢ - ١٥٣ ،
(١) لابل هجان : بيض كرام (٢) سمع به : فضحه وشتمه (٣) الناب : الناقة المسنة ،
والكروم . ناقة ذمبت أسنانها هرماً .

ثم أرسل إلى أم الجارية : إني قد زوّجت لقيط بن زُرارة ابنتي فلانة فاضعِها ، واضربى لها ذلك البلق^(١) ؛ فإن لقيط بن زُرارة لا يبيت فينا عزّاباً .

وجلس لقيط يتحدث معهم . فذكروا الغزو ، فقال لقيط : أما الغزو فأزّداها للفتح ، وأهزلها للجبال ، وأما المقام فأسمنها للجبال ، وأحبها للنساء . فأعجب ذلك قيساً ، وأسر لقيطاً فذهب إلى البلق فجلس فيه ، وبعثت إليه أم الجارية بمخمرة وبمخور ، وقالت للجارية : اذهبي إليه فوالله لئن ردّها ما فيه خير ؛ فلما جاءته الجارية بالخمرة بمخر شفره ولحيته . ثم ردّها عليها ، فلما رجعت الجارية إليها خبرتها بما صنع ، فقالت : إنه خلّيق للخير .

فلما أسى لقيط أهديت الجارية إليه ، فازحها بكلام اشمازت منه ، فنام وطرح عليه طرف خميصة^(٢) ، وباتت قريباً منه .

فلما استنقل انسلت فرجعت إلى أمها ، فانتبه لقيط فلم يرّها ، فخرج حتى أتى ابن خاله قرّاداً وهو في أسفل الوادي ، فقال : ارحل بعيرك^(٣) ، وإياك أن يُسمع رُغاؤها .

فتوجّها إلى المنذر بن ماء السماء ، وأصبح قيس ففقد لقيطاً ، فسكت ولم يدر ما الذي ذهب به ، ومضى لقيط حتى أتى المنذر ، فأخبره ما كان من قول أبيه وقوله ، فأعطاه مائة من هجائنه^(٤) ، فبعت بها قرّاداً إلى أبيه زُرارة ، ثم مضى إلى كِسرى فكساه وأعطاه جوهرأ ، ثم عاد إلى قيس بن خالد فجهرز بنته ، ولما أرادت الرحيل قال لها : يا بنية ، كوني لزوّجك أمةً يكن لك عبداً؛ وليكن أكثرُ

(١) البلق : الفسطاط (٢) الخميصة : كساء أسود مربع له علمان (٣) البعير : الجمل البازل أو الجذع ، وقد يكون للأثني ، ورحل البعير : حط عليه الرحل (٤) هجائه ، أى هجانه .

طبيك الماء فإنك إنما يذهب بك إلى الأعداء ، واعلمى أن زوجك فارس مُضر ،
وأنه يوشكُ أن يقتل أو يموت ، فلا تخمشى عليه وجهاً ولا تحلقى شعراً ، قالت
له : أما والله لقد رببتنى صغيرة ، وأقصيتنى كبيرة ، وزودتني عند الفراق
شرّاً زاداً !

وارتحل بها لقيط ، فجعلت لا تمرّ بحىٍّ من أحياء العرب إلا قالت : يا لقيط ،
أهؤلاء قومك ؟ فيقول : لا ، حتى طلعت على محلة بنى عبد الله بن دارم ، فرأت
القيابَ والحليل العراب ؛ فقالت : يا لقيط ، أهؤلاء قومك ؟ قال : نعم . فأقام أياماً
يُطعم وينتحر ، ثم أقامت عنده حتى قُتل يوم جَبَلَة^(١) .

فبعث إليها أبوها أخاً له ليتحمّل إليه ، فلما ركبت أقبلت حتى وقفت على
نادى بنى عبد الله بن دارم ، فقالت : يا بنى دارم ؛ أوصيكم بالفرائب خيراً ، فوالله
ما رأيتُ مثلَ لقيط لم تخشِ امرأةً وجهاً ، ولم تحلق عليه شعراً ، فلولا أنى
غريبة لمخشت وحلقت . فأنثوا عليها .

(١) جبلة : هضبة حراء بين الشريف والشرف ، وهما ماء ان لبنى نمير وبنى كلاب ، وكان
اليوم بين عيس وذبيان ابني بفيض .

٢٩ — ما وراءك يا عصام*

لما بلغ الحارث بن عمرو^(١) ملك كِنْدَةَ جمالُ ابنة عوف بن مُحَلِّمِ الشَّيْبَانِيّ ،
وكالها وقوة عقلها ، دعا امرأة من بني كِنْدَةَ يقال لها عصام ، ذات عقلٍ ولسانٍ
وأدبٍ وبيانٍ ، وقال لها : اذهبي حتى تغلبي لي علم ابنة عوف .

ففضت حتى انتهت إلى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت إلى ابنتها ،
وقالت : أي بُنْيَة ؛ هذه خالتك أنتك لتنظري إليك ، فلا تستري عنها شيئاً أرادت
النظر إليه من وجهٍ وخلقٍ ، وناطقها إن استنظمتك .

فدخلت عصامُ إليها ، فنظرت إلى مالم ترَ عينها مثله قطُّ بهِجَّةٍ وحُسنًا وجمالًا ؛
فإذا هي أكلُ الناس عقلًا وأفصحهم لسانًا ؛ فخرجت من عندها وهي تقول :
ترك الخداع من كشف القناع .

ثم أقبلت إلى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرَّحَ الخفضُ
عن الزُّبْدِ^(٢) . قال : أخبريني . قالت : أخبرك صِدْقًا وحقًا .

رأيت جبهةً كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كَأَذْنَابِ الخيلِ المصفورة ،
إن أرسلته خِلْتَهُ السلاسل ، وإن مسَّطتهُ قلت عناقيدُ كرمٍ جلاها الوايل^(٣) ،
وحاجبين كأنهما خطًا بقلمٍ أو سودًا بمُحَمِّمٍ^(٤) ، قد تتوسَّأ على عينِ الغلبيَّةِ

* بجمع الأمثال : ٢ - ١٩٢ ، العقد الفريد : ٣ - ٢٢٣

(١) كان الحارث بن عمرو من أشرف العرب في الجاهلية ، وكان مطاعاً في قومه ، قوياً في عصبته ،
وكانت تضرب له قبة في عكاظ ، توفي نحو سنة ٤٥ هـ . (٢) مخض اللين : أخذ زبده ، والصرخ :
النين . وهو مثل ؛ يضرب للأمر إذا انكشف وتبين (٣) الوايل : المطر الشديد (٤) اللحم : الفخم .

المُهَبْرَة (١) ، التي لم يرُ عَها قَانِصٌ ولم يَدْعُرْها قَسُورَة (٢) ، بينهما أنْفٌ كحدِّ السيف المصقول ، لم يَخْنِيس (٣) به قِصْرٌ ، ولم يَمْنُضِ به طُولٌ ، حُفَّتْ به وَجَنَّتَانِ كالأرْجُوَانِ (٤) في بياضِ مَحْضِ كالجَمَانِ (٥) ، شُقَّ فيه فَمٌ كالتَحَاتِمِ ، لذيدِ المَبْتَسَمِ فيه ثَنَائِيَا غُرٌّ ، ذواتِ أُشْرٍ (٦) ، وأسنانِ تَبْدُو كالدُّرِّ ، يتقلَّبُ فيه لسانٌ ذو فصاحة وبيان ، يحرِّكُه عقلٌ وافرٌ ، وجوابٌ حاصرٌ (٧) ... إلى أن قالت : فأما ما سوى ذلك فتركتُ أن أصفه . غير أنه أحسن ما وصفه واصفٌ بنظم أو نثر . فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها ، فزوجه إياها .

فلما حُجِّتْ إلى زوجها ؛ قالت لها أمها ، أمانة بنت الحارث :

أى بُنْيَة ؛ إن الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ؛ ولو أن امرأة استغفنت عن الزوج لغنى أبويها ، وشدة حاجتهما إليها كنت أغنى الناس عنه ، ركن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال .

أى بُنْيَة ؛ إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلقت العش الذي فيه درجت ، إلى وكرٍ لم تعرف فيه ، وقرينٍ لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيقاً ومليكا ، فكوني له أمةً يكن لك عبداً وشيكاً (٨) .

يابنية أحملي عنى عشر خصال تكن لك ذخراً وذكراً : الضجة بالقناعة ، والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتمهيد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ؛ فلا تقع

(١) المهبرة : الرقيقة البشرة الناصعة البياض (٢) القسورة : الرماة من الصيادين (٣) خنس : تأخر ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة (٤) الأرجوان : صبغ أحمر (٥) الجمان : اللؤلؤ (٦) أشر الأسنان : التعرير الذي فيها (٧) انظر بقية الوصف في مراجع القصة (٨) الوشيك : السريم .

عينه منك على قبيح ، ولا يَشَمَّ منك إلا أطيّبَ ريح ، والكُحْلُ أحسنُ الحُسن ،
والملاء أطيّبُ الطيبِ المفقود ، والتعمّد لوقت طعامه ، والهُدُوّ عنه عند منامه ؛ فإنَّ
حرارةَ الجوعِ مَلْهَبَةٌ ، وتنفيسُ النومِ مَغْضَبَةٌ . والاحتفاظُ بِبَيْتِهِ وماله ،
والإرعاءُ^(١) على نفسه وحشَمِهِ وعياله ، فإنَّ الاحتفاظَ بالماءِ أحسنُ التقدير ، والإرعاءُ
على العيالِ والخشمِ جميلٌ حسنُ التدبير ؛ ولا تُفْشِي له سرًّا ، ولا تَعْصِي له أمرًا ؛
فإنك إن أفضيتِ سرَّه لم تأمّني غُدْرَه ، وإن عصيتِ أمره أوغرّتِ صدرَه ؛
ثم اتقى مع ذلك الفرحَ إن كان ترَحًّا ، والاكتئابَ عنده إن كان فرِحًا ، فإنَّ
الخصلةَ الأولى من التقصير ، والثانية من التكدير ، وكوفي أشد ما تكونين له
إعظامًا يكن أشد ما يكون لك إكرامًا ، وأشد ما تكونين له موافقةً يكن أطولَ
ما تكونين له مرافقة .

واعلمى أنك لا تصلين إلى ما تُحِبِّين حتى تُؤثري رضاه على رضاك ، وهواه
على هواك فيما أحببتِ وكرهت : والله بخيرُ لك !

٣٠ - لا أتزوج إلا من كريم*

كانت امرأة من العرب من بنات ملوك اليمن ذات جمال وكال ، وحسب ومال ، قالت ألا أتزوج نفسها إلا من كريم ، ولئن خطبها لئيم لتجد عن أنفه ؛ فتحامأها الناس حتى انتدب^(١) إليها زيد الخليل ، وحاتم بن عبد الله ، وأوس ابن حارثة الطائيون ، فارتحلوا إليها .

فلما دخلوا عليها قالت : مرحباً بكم ، ما كنتم زواراً ؛ فما الذي جاء بكم ؟ قالوا : جننا زواراً خطابا ، قالت : أكفاه كرام . ثم أنزلتهم وفرقت بينهم ، وأسبغت لهم القرى ، وزادت فيه .

فلما كان اليوم الثاني بعثت بعض جواربها متكرة في زى سائلة تتعرض لهم ؛ فدفع إليها زيد وأوس شطر ما حمل إلى كل واحد منهما . فلما صارت إلى رخل حاتم دفع إليها جميع ما كان من نفقته ، وحمل إليها جميع ما حمل إليه . فلما كان اليوم الثالث دخلوا عليها ، فقالت : ليصف كل واحد منكم نفسه في شعره ؛ فابتدر زيد وأنشأ يقول :

هلاً سألت بني ذيبان : ما حسبي
عند الطعان إذا ما أحرمت الحدق!^(٢)
وجاءت الخليل محمراً بوادرها^(٣)
بالماء يسفح من لبائها العلق^(٤)
والجار يعلم أتى لست خاذله
إن ناب دهر لعظم الجار معترق^(٥)

* الخزانة : ٤ - ١٦٠ (طبعة السلفية) ، ذيل الأمل : ١٥٤ (طبعة دار الكتب) ، شرح العيون : ٧٥ .

(١) انتدب إليها : أسرع وخف . (٢) إذا ما اشتد الحرب . (٣) البادرة : اللحمة التي بين المنكب والعنق ، وهي تحمر من الدم الذي يسيل عليها من فرساتها . (٤) العلق : الدم . (٥) اعترقه : أكل ما عليه من اللحم .

هذا الثناء ، فإن ترضى فراضيةً أوتسخطى فإلى من تُعطفُ العنق!
وقال أوس بن حارثة : إنك لتعلمين أننا أكرمُ أحساباً ، وأشهرُ أفعالاً من أن
نصِفَ أنفسنا لك ؛ أنا الذي يقول فيه الشاعر :

إلى أوس بن حارثة بن لأمٍ ليَقْضَى حاجتي ولقد قضاها
فما وطى^(١) الحصى مثل ابنِ سَعْدَى ولا لبسَ النعالَ ولا احتذاها
وأنا الذي عقت عقيقته^(٢) ، وأعتقت عن كلِّ شعرةٍ فيها عنه نَسمةً ، ثم
أنشأ يقول :

فإن تنكحني ماوية الحير حاتماً
فتى لا يزال الدهر أ كبرُ همة
وإن تنكحني زيدا ففارسُ قومه
وإن تنكحني تنكحني غيرَ فاجرٍ
ولا متقى يوماً - إذا الحربُ شمرت -
وإن طارقُ الأضياف لا ذَ برِخله
فأنى فتى أهدى لك الله فاقبلي
وأنشد حاتم يقول :

أماوى قد طال التجنُّبُ والهجرُ
أماوى إن المالَ غادٍ ورايحُ
وقد عذرتني^(٤) في طلبِكم عذراً^(٥)
ويبقى من المالِ الأحاديثُ والذُكُورُ

(١) العقيقة : شعر كل مولود من الناس . (٢) الأشأم : جمع أشأم وهو ضد الأيمن .
(٣) عم الرجل عن الشيء : كف عنه بعد المضي فيه . (٤) عذرتني : أى رفعت عنى
اللوم ومحيت الإساءة وطمستها . (٥) العذر : جمع عذير ، والعذير هو الحال .

أماوى إني لا أقول لسائل
أماوى إماما مانع فبين
أماوى ما يغني الثراء عن الفتى
أماوى إن يصبح صدائى^(٤) بفقرة
ترى أن ما أنفقت لم يك ضائرى
أماوى إني رب واحد أمه
وقد علم الأفوام لو أن حاتمًا
أماوى إن المال مال بدلته
وإني لا آلو^(٥) بمالى صنيعه
يفك به العاني^(٦) ويؤكل طيبًا
ولا أظلم ابن العم إن كان إخوتى
غنيًا^(٨) زمانًا بالتصعلك والغنى
فما زادنا بأوأ^(٩) على ذى قرابة
وما ضر جارًا يابنة القويم فاعلى
بعيني عن جارات قومى غفلة
فقلت : أما أنت يا زيد فقد وترت العرب ، وبقاؤك مع الحرمة قليل ، وأما
أنت يا أوس فرجل ذو ضرائر ، والدخول عليهم شديد ؛ وأما أنت يا حاتم فرضى
الأخلاق ، محمود الشيم ، كريم النفس ، وقد زوجتكم نفسى !

(١) النزر : القلة (٢) نهنه : منه (٣) الحشمة : الفرقة عند الموت (٤) الصدى : ما يبق من الميت فى قبره (٥) لا آلو : لا أقصر (٦) العاني : الأسير (٧) القداح : قديح
الميسر . القمر : المقامرة (٨) غنيًا : غنى بالكاؤ : أقام به (٩) البأؤ : الكبر والفخر .

٣١ — سبيّة عروة بن الورد*

أحاب عروة^(١) بن الورد امرأة من بني كنانة ، يقال لها سلمى ، فأعتقها
واتخذها لنفسه ، فكثت عنده بضع عشرة سنة وولدت له أولاداً ، وهو لا يشك
في أنها أرغب الناس فيه ، وهي تقول له : لو حججت بي ، فأمر على أهلي وأراهم !
فحج بها ، فأتى مكة ، ثم أتى المدينة ، وكان يخالط من أهل يثرب بنى النضير ،
فيقرضونه إن احتاج ، ويبايعهم^(٢) إذا غم .

وكان قومها يخالطون بنى النضير ، فاتوهم وهو عندهم ، فقالت لهم سلمى : إنه
خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام ، فتعالوا إليه ، وأخبروه أنكم تستحيون أن
تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحة سبيّة ، واقتدوني منه ، فإنه لا يرى
أنى أفاقره ، ولا أختار عليه أحداً ؛ فاتوه فسقوه الشراب ، فلما كمل قالوا له :
فادنا^(٣) بصاحبنا ؛ فإنها وسيطة^(٤) النسب فينا ، معروفة ، وإن علينا سببة أن
تكون سبيّة ، فإذا صارت إلينا ، وأردت معاودتها ، فاخطبها ؛ فإننا نزوجك ؛
فقال لهم : ذلك لكم ؛ ولكن لى الشرط فيها أن تخيروها ، فإن اختارتني انطلقت
معي إلى ولديها ، وإن اختارتكم انطلقتم بها ؛ قالوا : ذلك لك . قال : دعوا ذلك
إلى غد .

* الشعر والشعراء : ٢٦ ، الأغاني : ٣-٧٦ (طبعة دار الكتب)

(١) عروة بن الورد : شاعر من شعراء الجاهلية ، وفارس من فرسانها العدودين المقدمين
الأجراذ . وكان يلقب عروة الصعاليك ؛ لأنه كان كالرئيس عليهم يجمعهم ويقوم بأمرهم . توفي نحو
سنة ٣٠ ق هـ (٢) يبايعهم : يعقد معهم البيع (٣) المفاداة : إنقاذ الأسير بالفدية
(٤) وسيطة النسب : حسيبة كريمة .

فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فِدَائِهَا ، فقالوا له : قد فادَيْتَنَا به منذ البارحة ؛
وشهِدَ بذلك جماعةٌ مِن حضر ، فلم يَقْدِرِ على الامتناع وفادائها ، فلما فادَوْهُ خَيْرُوهَا
فاختارتْ أهلَهَا ؛ ثم أَقْبَلَتْ عليه ، فقالت : يا عُرْوَةُ ، أما إني أقولُ فيكَ - وإن
فارقتُك - الحقُّ : والله ما أعلمُ امرأةً من العرب أَلقت سِتْرَهَا على بَعْلِ خَيْرِ منك ،
وأغضَّ طرفًا ، وأقلَّ فُحْشًا ، وأجودَ يَدًا ، وَأَحْمَى لِحَقِيقَتِهِ ^(١) . وما مرَّ علىَّ يومٌ
منذ كنتُ عندك إلا والموتُ فيه أحبُّ إليَّ من الحياة بين قومك ، لأني لم أكن
أشاه أن أسمع امرأةً من قومك تقول : قالت أمةٌ عُرْوَةَ كذا وكذا ؛ والله لا أنظرُ
في وَجْهِ غَطَفَانِيَّةٍ أَبَدًا ^(٢) ، فازْجِعِ راشدًا إلى وَلَدِكَ وَأَحْسِنِ إِلَيْهِمْ !

ثم تزوجها رجلٌ من بنى عَمَّهَا ، فقال لها يوماً : ياسلمى ؛ أني علىَّ كما أنثيتِ
على عُرْوَةَ - وقد كان قولها فيه سُهْرٍ - فقالت له : لا تكلفني ذلك ؛ فإني إن قلتُ
الحقَّ غَضِبْتَ ، ولَا واللاتِ والعزى لا أكذب ؛ فقال : عزمتُ عليكِ لتأْتينيني في
مجلس قومي فلتُذنينَّ عليَّ بما تعملين .

وخرج فَجَلَسَ في نَدَى القوم ، وأقْبَلَتْ فرمأها القومُ بأبصارهم ، فوقفَتْ عليهم
وقالت : أنعموا صباحًا ، إن هذا عَزَمَ عليَّ أن أنثيَ عليه بما أعلمُ . ثم أقْبَلَتْ عليه
فقالت : والله إن شُرَيْبِكَ لَأَشْتَفَا ^(٣) ، وإنك لتنامُ ليلةً تخافُ ، وتشبعُ ليلةً
تُضَافُ ، وما تُرْضِي الأهلَ ولا الجانبَ ^(٤) . ثم انصرفتْ . فَلَامَهُ قَوْمُهُ ، وقالوا :
ما كان أغناكَ عن هذا القولِ منها .

(١) الحقيقة : ما يجب على الرجل أن يحميه (٢) غطفان : هم قوم عروة (٣) الاشتفاف : شرب
كل ما في الإناء (٤) الجانب : القريب ، والمراد به الضيف .

٣٢ - لو كان النساء كمثل هذى *

قال الحارث^(١) بن عوف يوماً لخارجة بن سنان المرسي: أتراني أخطبُ إلى أحدٍ فيردني؟ فقال له: نعم! قال: ومن ذاك؟ قال: أوسُ بن حارثة الطائي؛ فقال الحارث لعلامه: ارحلُ بنا. ففعل، وركبا حتى أتيا أوسَ بن حارثة في بلاده، فوجداه في فناء منزله، فلما رأى الحارثَ بنَ عوفٍ قال: مَرَّحِبًا بك يا حارث، قال: وَبِكَ، قال: ما جاء بك؟ قال: جئتُك خاطبًا، قال: لستَ هناك!

فانصرف ولم يكلمه، ودخل أوس على امرأته مُغضبًا - وكانت من عبس - فقالت: من رجلٍ واقف عليك فلم يُبطل، ولم تسكلمه؟ قال: ذاك سيدُ العرب الحارث بن عوف، قالت: فما لك لم تستنزلهُ؟ قال: إنه استعصم^(٢). قالت: وكيف؟ قال: جاءني خاطبًا. قالت: أفتريدُ أن تزوجَ بناتك؟ قال: نعم، قالت: فإذا لم تزوجَ سيدَ العرب فمن؟ قال: قد كان ذلك. قالت: فعدَّ أرك ما كان منك. قال: بماذا؟ قالت: تَلَحُّقُهُ فترده، قال: وكيف وقد فرط مني ما فرط إليه! قالت: تقولُ له لقيتني مُغضبًا بأمرٍ لم تُقدِّم فيه قولًا، فلم يكن عندي فيه من الجواب إلا ما سمعت. عدُّ ذلك عندي كلُّ ما أحببت، فإنه سيفعلُ. فركب في أثرها.

قال خارجة بن سنان: فوالله إني لأسيرُ مع الحارث إذ حانت مني التفاتةُ فرأيت أوسًا، فأقبلتُ على الحارث - وما يكلمني غمًّا - فقلت له: هذا أوسُ بن

* الأغانى: ١٠ - ٢٩٤ (طبعة دار الكتب)، المستطرف: ٢ - ٢٢٢

(١) الحارث بن عوف من بني مرة، أسلم وحسن إسلامه وبث معه رسول الله رجلا من الأنصار في جواره يدهو قومه إلى الإسلام، فقتلوا الأنصارى (٢) استعصم: فعل فعل الحق.

حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنعُ به؟ امض . فلما رأنا لا نقفُ عليه صاح : يا حارث ! ازْبِعْ^(١) عليَّ ساعةً ، فوقفنا له ، فكلمتهُ بذلك الكلام ، فرجع مسروراً .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعِي لي فلانة - لأكْبِرَ بنا تَه - فأتته ، فقال . يا بُنَيَّة ، هذا الحارثُ بن عوف ، سيدٌ من سادات العرب ، قد جاءني طالباً خاطباً ، وقد أردتُ أن أزوجهُك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ، قال : ولم ؟ قالت : لأنني امرأةٌ ، في وجهي رَدَّةٌ^(٢) ، وفي خلقي بعضُ المهْدةِ^(٣) ، ولست بابنةِ عمه فيزعمِي رَحْمِي ، وليس بجارِك في البلد فيستحِي منك ، ولا آمَنُ أن يرمِي مِنِّي ما يكره فيطلقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعِي لي فلانة - لابنته الوُسْطَى - فدعها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثل جوابها ، وقالت : إني خرقاء^(٤) ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمَنُ أن يرمِي مِنِّي ما يكره ، فيطلقني ، فيكونَ عليّ في ذلك ما تعلم ، وليس بابنِ عمي فيرمي حقِّي ، ولا جارِك في بلدك فيستحِيك^(٥) ، قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعِي لي بهيْسة - صُفْرِي بنا تَه - فأتى بها ، فقال لها كما قال لها ، فقالت : أنتَ وذاك فقال لها : قد عرَضْتُ ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت - ولم يذكر لها مقلتيهما - : لكني والله الجميلةُ وجهاً ، الصنَّاعُ يداً ، الرفيعةُ خلقاً ، الحسيبةُ أبا ، فإن طلقني فلا أخلفَ اللهُ عليه بخير ! فقال : بارك الله عليك . ثم خرج إلى الحارث فقال : زوجتك يا حارثُ بهيْسة بنت أوس ؛ قال : قبلت : فأمر أمها أن تهَيِّئها ؛ وتصلح من شأنها ؛ ثم أمر بيْتَه فضرب له ؛ وأنزله إياه ؛ فلما هيئت بعث بها إليه .

(١) رجع عليه : وقف له ، أو مال إليه (٢) الردة : شيء من لبح (٣) المهدة : العيب

(٤) خرقاء : امرأة غير صناع (٥) فيستحيك : يستحي منك .

قال خَارِجَةُ بن سنان : فلما أَدخَلتْ إليه كَيْبَ هُنَيْمَةَ ثم خَرَجَ إلى ، قُلْتُ : أفرَغْتَ من شَأْنِكَ ؟ قال : لا والله . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : لَمَّا دَخَلتْ إليها قالت : مَهْ ! أَعْنَدَ أبى وإِخْوَتى ؟ هذا والله مَالًا يَكُونُ . قال خَارِجَةُ : ثم أَمَرَ بِالرَّحْلَةِ ؛ فَارْتَحَلْنَا وَرَحَلْنَا بِهَا مَعْنًا ؛ فَسِرْنَا مَا شَاءَ اللهُ ، ثم قال لى : تَقَدَّمَ ، فَتَقَدَّمْتُ ، وَعَدَلْتُ بِهَا عَنِ الطَّرِيقِ ؛ فَسَأَلْتُ أَنْ لِحِقَ بى ؛ قُلْتُ : أفرَغْتَ ؟ قال : لا والله ، قُلْتُ : وَلِمَ ؟ قال : قالت لى : أَمَا يُفَعَلُ بِالْأُمَّةِ الْجَلْبُوبَةِ^(١) أَوِ السَّيِّبَةِ الْأَخْيِذَةِ^(٢) ! أَلَا وَاللَّهِ ، حَتَّى تَنْحَرَ الْجَزُورَ^(٣) وَتَذْبِجَ الْغَنَمَ ، وَتَدْعُوَ الْعَرَبَ ، وَتَعْمَلُ مَا يُعْمَلُ لِمِثْلِ ! قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنى لَأَرى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ الْمَرْأَةُ مُنْجِبَةً إِنْ شَاءَ اللهُ .

قال خَارِجَةُ : فَرَحَلْنَا حَتَّى جِئْنَا بِلَادِنَا ، فَأَحْضَرَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهَا ، وَخَرَجَ إِلَى ، قُلْتُ : أفرَغْتَ ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ قال : دَخَلْتُ عَلَيْهَا ، وَقُلْتُ لَهَا : قَدْ أَحْضَرْنَا مِنَ الْمَالِ مَا قَد تَرَيْنَ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ ذَكَرْتُ لى مِنَ الشَّرْفِ مَا لَا أَرَاهُ فَيْكَ ! قُلْتُ : وَكَيْفَ ؟ قالت : أَتَفَرَّغُ لِلنِّسَاءِ - وَالْعَرَبُ تُقْتَلُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ^(٤) ! قُلْتُ : فَيْكُونُ مَاذَا ؟ قالت : أَخْرَجَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَأُصْلِحَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ أَرْجَعُ إِلَى أَهْلِكَ فَلَنْ يَفُوتَكَ مَا تَرِيدُ ، قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنى لَأَرى هِمَّةً وَعَقْلًا ، وَلَقَدْ قَالَتْ قَوْلًا ...

قال خَارِجَةُ : ثُمَّ قَالَ الْحَارِثُ : أَخْرَجْنَا بِنَا ، فَخَرَجْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الْقَوْمَ فَشِينَا فِيهَا بَيْنَهُمْ بِالصَّلْحِ ، فَاصْطَلَحُوا عَلَى أَنْ يَحْتَسِبُوا الْقَتْلَى ، فَيُؤَخِّذُ الْفَضْلُ مِنْهُ هُوَ عَلَيْهِ ، فَحَمَلْنَا عَنْهُمْ الْدِيَّاتِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثَةَ آلَافٍ بَعِيرٍ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ ، فَانصَرَفْنَا بِأَجَلِ الذِّكْرِ ! فَمَدَحَ بِذَلِكَ وَقَالَ فِيهِ زَهْرٌ قَصِيدَتُهُ :

* أَمِنْ أُمَّ أَوْفَى دِمْنَةَ لَمْ تَكَلِّمْ *
* * *

(١) الجلبوبة : المجلوبة (٢) الأخيذة : الأخيذة (٣) جمع جزور ؛ وهو البعير (٤) كان ذلك فى أيام حرب عيس وذيان ، وهى المروفة بحرب داحس والغبراء .

٣٣ - بنت حاتم الطائي *

قال علي بن أبي طالب - عليه السلام : ياسبحان الله ! ما أزهّد كثيراً من الناس في الخير ! عجبتُ لرجلٍ يميئُهُ أخوه في حاجةٍ فلا يرى نفسه للخير أهلاً ! فلو كنّا لا نرجو جنّة ولا ننفأ ناراً ، ولا ننتظر ثواباً ، ولا نخشى عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق ؛ فإنها تدل على سبيل النجاة .

فقام إليه رجل فقال : فدأك أبي وأمي يا أمير المؤمنين ! أسمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، وما هو خيرٌ منه ؛ لما أتينا بسبايا طيء كانت في النساء جاريةً حواء^(١) ، حوزراه العينين^(٢) لئساء^(٣) ، لأمياء^(٤) عيطاء^(٥) ، شماء الأنف ، معتدلة القامة .

فلما رأيتها أعجبت بها ؛ فقلت : لأطلبنّها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجعلها من قيتي^(٦) ، فلما تكلمت أنسيت جمالها لما سمعت من فصاحتها ، قالت : يا محمد ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ؛ فإن رأيت أن تخلّي عني ، فلا تُسمِت بي أحياء العرب ! فإنني بنتُ سيدِ قومي ؛ كان أبي يَفكُّ العاني ، ويحیی الذّمَار ؛ ويقرى الضيف ، ويُشبع الجائع ، ويفرّجُ عن المكروب ، ويُطعمُ الطمّام ، ويُفشي السلام ، ولم يردّ طالب حاجة قط ؛ أنا بنت حاتم طيء . فقال لمارسول الله صلى الله عليه وسلم : يا جارية ؛ هذه صفات المؤمن ، ولو كان أبوك إسلامياً لترحمنا عليه ، خاسوا عنها ، فإن أباهما كان يجب مكارم الأخلاق !

* الأغاني : ١٦-٩٠٣ (طبعة الساسي) ، شرح العيون : ٧٣

(١) حواء : سوداء (٢) الحور : سواد العين كلها ؛ مثل الظباء ، ولا يكون في بني آدم ، بل يستمر لها (٣) جارية لئساء : في شقتها أدنى سواد ، مشربة بجمرة (٤) اللمي : سمرة في الأنف (٥) امرأة عيطاء : طوبلة العنق (٦) النوء : الغنبية .

٣٤ — أيتها أعظمُ العربِ مصيبةٌ ؟ *

لما كانت وقعةُ بدرٍ قُتل فيها عُتْبَةُ بن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، والوليد ابن عُتْبَةَ ، فأقبلت هندُ بنتُ عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويمٌ ^(١) الخنساء ^(٢) هودجها في الموسم ، ومعاظمتها العربَ بمصيبتها بأبيها عمرو بن الشريد وأخويها صخر ومعاوية ، وأنها جعلت تشهدُ الموسم وتبكيهم ، وقد سوّمت هودجها براية ، وأنها تقول : أنا أعظمُ العربِ مصيبةٌ ؛ وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك .

فلما أصيبتُ هند ^(٣) بما أصيبت به وبلغها ذلك ، قالت : أنا أعظمُ من الخنساء مصيبةً ، وأمرت بهودجها فسوّم براية ، وشهدت الموسم بكأظ - وكانت سوقاً يجتمع فيها العرب - فقالت : اقرنوا جلي بجمل الخنساء ، ففعلوا ؛ فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء : مَنْ أنت يا أختي ؟ قالت : أنا هند بنتُ عُتْبَةَ أعظم العربِ مصيبةً ، وقد بلغني أنك تعاطمين العرب بمصيبتك ، قِيمِ تعاطمينهم ؟ قالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو . وبم تعاطمينهم أنت ؟ قالت : بأبي عُتْبَةَ بن ربيعة ، وعمي شيبَةَ بن ربيعة ، وأخي الوليد ؛ قالت الخنساء : أو سواها عندك ؟ ثم أنشأت تقول :

* الأغانى : ٤-٢١٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ١-١١٧
(١) سوم الفئء : جعل له سومة وعلامة ليصرف وحميز (٢) اسمها تماضر بنت عمرو بن الفريد السلي ، كانت من هواهر العرب ، المتترف لمن بالقدم وأدركت الإسلام ، وأسلفت ومات أولادها الأربعة في حرب القادسية ، وأكثر شعرها في رثاء أخويها معاوية وصخر ، ومات في زمن معاوية بالبادية (٣) هي هند بنت عتبة زوج أبي سفيان وأم معاوية :

أبكى أبي عمرَ أبعينِ غزيرةً
قليلٍ إذا نامَ الخليلُ هجودها
وصنويّ ، لا أنسى معاويةَ الذي
له من سرّاةِ الحرّتينِ (١) وفودها
وصخراً، ومنّ ذا مثلِ صخرٍ إذا غدا
بساهةِ الأطلالِ قبا (٢) بقودها
فذلك ياهند الرزية فاعلمى
ونيرانُ حربٍ حين شبّ وقودها

فقال هند تجميها :

أبكى عميد الأبطحين (٣) كليهما
وحاميتها من كلِّ باغٍ يريدها
أبي عتبة الخيرات ويحك فاعلمى
وشيبةُ والحامى الذمار وليدُها
أولئك آل المجد من آل غالب
وفى العزم منها حين يُنمى عديدها (٤)

ثم قالت :

من حسلى الأخوين كالفصين أو من رأهما (٥) !
قرمان لا يتظالما ن ولا يرامُ حاهما
وينبى على الأخوين والقبر الذى وراهما
لا مثل كهلى فى الكهو ل ولا فتى كفتاهما
أسدان لا يتذللا ن ولا يرامُ حاهما
رُثمان خطيان فى كبد السماء سناها
ما خلفنا إذ ودّها فى سودرٍ شرّواها (٦)
سادا بفسير تكلفٍ عفواً يفيضُ نداءها

(١) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . والمراد حرة بن سليم ، وحرة بن هلال بالحجاز .
أى هو مقصد الأشراف تأنيبه وفودها فيما يلزم بها (٢) الساهة : الدقيقه ، والأطلال : جمع لطل
وهو الحاصرة ، والقب : جمع أقب ، وهى الفرس الدقيقه الحصر ، الضامرة البطن (٣) الأبطحان
تريد بطحاء مكة وسهل تهامة (٤) عديدها : جموعها (٥) راما : أصله رآما (٦) شرّواها :
مثلها .

٣٥ — شجاعة صفيّة بنت عبد المطلب *

قالت صفيّة بنت عبد المطلب : كان حسان^(١) بن ثابت معناني حمن قارع^(٢) يوم الخندق ، ومعنا النساء والصبيان ، فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ؛ فقلت : يا حسان ؛ إن هذا اليهودي - كما ترى - يطيف بالحصن ، وأنا والله لا آمن أن يدلّ علينا من وراءنا من يهود ، ورسول الله قد شغل عنا ؛ فانزل إليه واقتله . فقال : يفرُّ الله لكِ يا بنتَ عبد المطلب ، لقد عرفتِ ما أنا بصاحب شجاعة !

قالت : فلما قال لي ذلك ولم أرَ عنده شيئاً ، اعتجرت^(٣) ، ثم أخذتُ عموداً ، ونزلتُ إليه من الحصن فضربتُه بالعمود حتى قتلتُه ؛ فلما فرغتُ منه رجعتُ إلى الحصن ، وقلت : يا حسان ؛ انزلْ إليّ ، فاسلبه^(٤) فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ! فقال : مالي بسلبه من حاجتِ يا بنت عبد المطلب !

* الفرر : ٢٢٥ ، معاهد التنصيص ١ - ٧٤ الأغاني ٤ - ١٦٥ (طبعة دار الكتب) .
(١) هو شاعر الرسول ، وقد نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، وعاش طويلاً في الإسلام ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٢ هـ . (٢) حصن بالمدينة ، ويوم الخندق واقعة مشهورة بين رسول الله والمركبين . (٣) اعتجرت المرأة : لبست المعجر وهو ما تشده على رأسها (٤) سلبه : السلب ما يأخذ أحد الطرفين في الحرب من قرنه مما يكون عليه ومعه . من ثياب وسلاح ودابة .

٣٦ - الخنساء عند عائشة *

دخلت الخنساء على عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها ، وعليها صدر^(١) من شعر ، قد استشعرته إلى جلدتها ؛ فقالت لها : ما هذا يا خنساء ؟ فوالله لقد توفيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فما لبسته .

قالت : إن له معنى دعاني إلى لباسه ؛ وذلك أن أبى زوجى سيد قومه ، وكان رجلاً متلاًفاً ، فأسرف في ماله ، حتى أنفده ، ثم رجع إلى مالى ، فأنفده أيضاً .

ثم التفت إلى فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فأتيناه ، فقسم ماله شطرين^(٢) ، ثم خيرنا في أحسن الشطرين ، فرجعنا من عنده على حال حسنة ؛ فلم يزل زوجى حتى أذهب جميعه .

ثم التفت إلى ، فقال : إلى أين يا خنساء ؟ قلت : إلى أخى صخر ، فرحلنا إليه فقسم ماله شطرين ، وخيرنا في أفضل الشطرين .

فقالت له زوجته : أما ترضى أن تشاطرهم مالك حتى تحيّرهم بين الشطرين !

فقال :

والله لا أمنحها شراها فلو هلكت قدّدت^(٣) خاها

* وأتخذت من شعر صدرها *

فآليت ألا يفارق الصدر جسدى ما بقيت !

* المقعد الفريد : ١ - ٢٢ ، سرح العيون : ٢٩٩

(١) الصدر : ثوب رأسه كالقنعة ، وأسفله يفتى الصدر والنكبين ، وكانت المرأة إذا فقدت جميعها فأحدت عليه لبست صدرا من صوف . (٢) شطر الشيء : نصفه . (٣) قدّدت : قادت .

٣٧ - إلهُ عمر يعلم*

نهى عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه فى خلافته عن مَذَق (١) اللَّبَنِ بِالماء ، فخرج ذات ليلة فى حَواشى المدينة ، فإذا بِامرأةٍ تقولُ لابنةِ لها : أَلَا تَمَذِّقِينَ لبنك فقد أصبحت ؟ فقالت الجارية : كيف أمذِّق وقد نهى أميرُ المؤمنين عن المذِّق !

فقالت : قد مَذَّقَ الناسُ فامذِّقِي فما يدري أميرُ المؤمنين ؟ فقالت : إن كان عمرُ لا يعلم فإنه عمرٌ يعلم ، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر . فلما أصبح دعا عاصمًا ابنه ، فقال : يا بنى ؛ اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية - ووصفها له - فذهب عاصم ، فإذا جاريةٌ من بنى هلال . فقال عمر : اذهب يا بنى فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتى بقراس يَسُوذُ العرب ، فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب فتزوجها عبد العزيز بن مروان ؛ فأنت بعمر بن عبد العزيز !

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٧ ، نهاية الأرب : ٣ - ٢٣٨ ، مجمع الأمثال ٢ - ١٣٨ ، ابن أبي الحديد : ٣ : ١١٠ .
(١) المذِّق : المخلط .

٣٨ - كذلك الدهر !*

لما قدم سعد بن أبي وقاص (١) القادسيّة ، أتته حُرقة بنت النعمان بن المنذر في جوارٍ كلهن في مثل زِيَّها ، يطلبن صلته .

فلما وقفن بين يديه قال : أيتكن حُرقة ؟ قلن : هذه . قال لها : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم ، فما تكثرارك في السؤال ؟ إن الدنيا دارٌ زاول ، لا تدومُ على حال ؛ إنا كنا ملوكَ هذا المِصر ، يُجبي إلينا خراجُه ، ويُطيعنا أهله مدى الإمرةِ وزمان الدولة ، فلما أدبر الأمر وانقضى ، صاح بنسأح الدهر فصدع عَصاننا ، وشئت مَلانًا . وكذلك الدهر يا سعد ؛ إنه ليس يأتي قومًا بمسرةٍ إلَّا ويُعقبهم حسرة . ثم أنشأت تقول :

بيننا نسوسُ الناسَ والأمرُ أمرنا إذا نحن فيهم سوقةٌ نَنصَفُ (٢)
فأفٍ لدُنْيَا لا يدومُ نعيمُها تَقَلَّبُ تاراتٍ بنا وتَصَرَّفُ !

فقال سعد . قاتل الله عدىَّ بن زيد كأنه ينظر إليها حيث يقول :

إنَّ للدهرِ صولةً فاحذرنها لا تبتينَّ قد أمنتَ الدهورا
قد يبیتُ الفتى مُعافى فيزدي ولقد كان آمنًا مسرورًا

ودخل عمرو بن معد يكرب - وكان من قصَّاد النعمان - وهي بين يدي

سعد ، فلما نظر إليها قال : أنت حُرقة ؟ قالت : نعم . قال : فما دهَمَك ؟ أين تتابع

* خزانة الأدب : ٣-١٨١ (المطبعة الأميرية)

(١) هو قَاج العراق ومدائن كسرى ، وفقد بصره في آخر حياته ، وتوفى سنة ٥٥ هـ .

(٢) نَنصَفُ : نخدم .

تَعَمِّكَ ، وسطوات نَعَمِكَ ؟ فقالت : يا عمرو ، إن للدهر عَثْرَاتٍ تَعَثُرُ بِالْمُلُوكِ وَأَبْنَاءَهُمْ
فَتُخَفِّضُهُمْ بَعْدَ رِفْعَةٍ ، وَتُقَرِّدُهُمْ بَعْدَ مَنَعَةٍ ، وَتُدْلِهِمْ بَعْدَ عِزٍّ . إن هذا الأمر كنا
ننتظره فلما حل لم نُنْكِرْه .

فلما انصرفت من لَدُنْ سعد لقيها نساء القادسيّة قتلن لها : ما فعل بك الأمير ؟
قالت : أكرم وجهي ، وإنما يُكْرِمُ الكَرِيمَ الكَرِيمُ .

٣٩ — لَا تَذْهَبِي بِنَفْسِكَ عَنِ الْحَقِّ *

قال عليّ بن أبي رافع : كنتُ على بيتِ مالِ عليّ بن أبي طالب وكاتبه ،
فكان في بيت ماله عِقْدٌ لؤلؤ كان أصابه يومَ البصرة ، فأرسلتُ إلى بنتِ عليّ
ابن أبي طالب ؛ فقالت لي : إنّه قد بلغني أن في بيت مالِ أميرِ المؤمنينِ عِقْدَ لؤلؤ ،
وهو في يدك ، وأنا أحبُّ أن تُعِيرَنيهِ ، أتَجْمَلُ به في يومِ الأضحى .

فأرسلتُ إليها : عاريةٌ مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنتَ أميرِ المؤمنينِ .
فقالت : نعم ! عارية مردودة بعد ثلاثة أيام .

فدفعتهُ إليها وإذا أميرُ المؤمنينِ رآه عليها فعرفه ؛ فقال لها : من أين جاء إليك
هذا العِقْدُ ؟ فقالت : استعرتُهُ من ابنِ أبي رافع خازنِ بيتِ مالِ أميرِ المؤمنينِ ؛
لأنّزليّ به في العيد ، ثم أردده .

فبعث إلى أمير المسلمين فحجته ؛ فقال لى : أنتخون المسلمين يابن أبى رافع ؟
فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين ! فقال : كيف أعزّت بنت أمير المؤمنين
العقد الذى فى بيت مال المسلمين بغير إذنى ورضاهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إنها
بنتك ؛ وسألتنى أن أعبرها العقدتين به فأعزتها إياه عارية مضمونة مردودة على
أن تردّه سالمًا إلى موضعه ؛ فقال : رُدّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله ؛
فتنالك عقوبتى . ثم قال : ويل لابنتى ! لو كانت أخذت العقد على غير عارية
مردودة مضمونة لكانت إذن أول هاشمية قطعت يدها فى سرقة .

فبلغت مقالته ابنته ، فقالت له : يا أمير المؤمنين ؛ أنا ابنتك وبصّة (١)
منك ، فمن أحقّ بلبسه منى ! فقال لها : يا بنت أبى طالب ؛ لا تذهبي بنفسك عن
الحق ! أكلّ نساء المهاجرين والأنصار يتزيّنن فى مثل هذا العيد بمثل هذا !
فقبضته منها ورددته إلى موضعه .

(١) بصّة ، أى قطعة .

٤٠ — المنيرة يخطب بنت النعمان *

سار المنيرة ^(١) بن شعبة — حينما كان والياً على الكوفة — إلى دير هند بنت النعمان بن المنذر ، وهي فيه عمياء مُترَهبة ، فاستأذنَ عليها ، فقيل لها : أميرُ هذه المدرة ^(٢) بالباب ! فقالت : قولوا له : أمينٌ وُلِدَ جبلةً بن الأيهم أنت ؟ قال : لا . قالت : أمينٌ وُلِدَ للمنذر بن السماء ؟ قال : لا . قالت : فمن أنت ؟ قال : المنيرة ابن شعبة الثقفي ! قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُك خاطباً ! قالت : لو كنت جئتني لجمالٍ أو لِمَالٍ لأطلبتُك ^(٣) ، ولكنك أردتَ أن تتشرف بي في محافل العرب ، فتقول : تزوجتُ ابنةَ النعمان بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟

فبعث إليها : كيف كان أمرُكم ؟ فقالت : سأختصرُ لك الجوابَ : أمسينا مساءً وليس في الأرضِ عربيٌّ إلا وهو يرغب إلينا ويرهبنا ، ثم أصبحنا وليس في الأرضِ عربيٌ إلا ونحن نرغبُ إليه ونرهبه .

* الكامل للمبرد : ١ - ١٧٧ ، السمودي : ٢ - ٦٨

(١) المنيرة بن شعبة : من ثقيف ، أسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد يعة انزوان وفتوح الشام والبرموك ، والقادسية ، وولاه عمر البصرة ، ومات بالكوفة وهو أميرها سنة ٥٠ هـ .

(٢) المدرة : المدينة الفخمة . (٣) أطلبه : أعطاه ما طلبه .

٤١ — ولقد آيت على الطوى *

قال تميم بن عدى اليزبوعى :

كنتُ مع عبد الله بن العباس^(١) عند مُنصرَفه من دمشق ، فسألته فى بعض الأيام وقلتُ له : بماذا يتمُّ عقلُ الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروفَ مبتدئاً به ، وجادَ بما هو محتاجٌ إليه ، وتجاوز عن الزلة ، وجازى على المسكُومة ، وتجنَّب مواطنَ الاعتذار ؛ فقد تمَّ عقله . فحفظتُ ذلك منه ، وألصقتُه بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً فلم نجده ، ولا قدرنا عليه — فإنَّ زيادا كان قد نزل بذلك المنزل قبلاً بأيام قليلة فى جمعٍ كثير ؛ فأتوا على ما كان فيه من الطعام — فقال عبدُ الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فاعلك تجدُ بها راعياً معه طعام ، فضى الوكيلُ ومعه غلمان ؛ فأطالوا التوقف ، فلما كادوا يرضعونَ لآح لهم خيباء ، فأثموه ؛ فوجدوا فيه عجوزاً ، فقالوا لها: هل عندك طعامٌ نبتاعه منك؟ فقالت: أمَّا طعامٌ يبيعُ فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وبأولادى إليها أمسٌ حاجة ، قالوا: وأين أولادك؟ قالت: فى رعيهم ، وهذا وقتُ عودتهم . قالوا: فما أعددتِ لهم؟ قالت:

* العقد الفريد للملك السعيد : ١٣

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب : ولد قبل الهجرة بستين ، وكان رسول الله يحبه ويقربه ودعاه فقال : « اللهم علمه التأويل » فكان أعلم الناس بآيات القرآن وتأويلها والفقه فى الدين ، على ما أوتيته من لسان ذلق غواس على موضع الحاجة ، وعاش عمره حياً إلى الخلفاء . وتوفى سنة ٦٨ هـ .

خُبْزَةٌ^(١) تَحْتِ مَتْنِهَا^(٢) أَنْظَرُ بِهَا أَنْ يَجِثُوا ، قَالُوا لَهَا . فَجُودَى لَنَا بِنَصْفِهَا ، قَالَتْ :
لَا ؛ وَلَكِنْ بِهَا كَلِّهَا . قَالُوا : وَلَمْ مَنَعْتَ النِّصْفَ وَجُدْتَ بِهَا كَلِّهَا ، وَلَا خُبْزَ عِنْدَكَ
غَيْرَهَا ؟ قَالَتْ : إِنْ إِيْعَاءَ الشُّطْرِ^(٣) مِنْ خُبْزَةٍ نَقِيصَةٌ ؛ فَأَنَا أَمْنَعُ مَا يَنْقُصُنِي ، وَأَجُودُ
بِمَا يَرْفَعُنِي ، فَأَخَذُوا الْخُبْزَةَ لَقَرَطٍ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا . وَانصَرَفُوا ؛ وَلَمْ تَسْأَلِ : مَنْ هُمْ ؟
وَلَا مِنْ أَيْنَ جَاءُوا !

فَلَمَّا اتَّوَا عَبْدَ اللَّهِ ، وَأَخْبَرُوهُ خَبَرَ الْعَجُوزِ عَجِبَ مِنْ ذَلِكَ ، وَقَالَ : ارْجِعُوا
إِلَيْهَا فَاحْمِلُوهَا فِي دَعَةٍ ، وَأَحْضُرُوهَا ؛ فَارْجِعُوا إِلَيْهَا ، وَقَالُوا لَهَا : إِنْ صَاحِبِنَا أَحَبُّ
أَنْ يَرَكَ . قَالَتْ : وَمَنْ صَاحِبُكُمْ ؟ قَالُوا : عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ . قَالَتْ : مَا أَعْرَفَ
هَذَا الْأَسْمَ . قَالُوا : الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ . قَالَتْ : وَاللَّهِ هَذَا الشَّرْفُ
الْعَالِي وَذِرْوَتُهُ الرَّفِيعَةُ ، وَمَاذَا يَرِيدُ مِنِّي ؟ قَالُوا : يَرِيدُ أَنْ يَكَا فِتْنَتِكَ عَلَى مَا كَانَ
مِنْكَ . قَالَتْ : لَقَدْ أَفْسَدَ الْمَاشِيَّ مَا أَثَلَّ لَهُ ابْنُ عَمَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ! وَاللَّهِ لَوْ كَانَ
مَا فَعَلْتُ مَعْرُوفًا مَا أَخَذْتُ عَلَيْهِ ثَوَابًا ؛ وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَجِبُ عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ
يَقْطَعَهُ . قَالُوا : فَإِنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَرَكَ وَيَسْمَعَ كَلَامَكَ . قَالَتْ : أَصِيرُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنِّي
أَحَبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا مِنْ جَنَاحِ النَّبِيِّ وَعَضُوءًا مِنْ أَعْضَائِهِ .

فَلَمَّا سَارَتْ إِلَيْهِ رَحَّبَ بِهَا وَأَدْنَى مَجْلِسَهَا ، وَقَالَ : مِمَّنْ أَنْتِ ؟ قَالَتْ : مِنْ
كَلْبٍ . قَالَ : كَيْفَ حَالُكَ ؟ قَالَتْ : لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا مَا يَفْرَحُ إِلَّا وَقَدْ بَلَقْتُهُ ، وَإِنِّي
الآنَ أَعِيشُ بِالْقَنَاعَةِ ، وَأَصُونُ الْقُرَابَةَ ، وَأَنَا أَنْتَرِقُ مَفَارِقَةَ الدُّنْيَا صَبَاحًا وَمَسَاءً . قَالَ :

(١) الخبزة : عجين يوضع في الآلة حتى ينضج (٢) اللثة : الرماد الحار والجر

(٣) شطر الشيء : نصفه .

أخبرني ، ما الذي أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبز؟ قالت :
أعددت لهم قول العربي :

ولقد أبيتُ على الطوى وأظلهُ حتى أنالَ به كريمَ المأكلي

فأعجبه قولها ؛ وقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خبأئها ، فإذا أقبل بنوها ،
فجئ بهم . فقالت للغلام : انطلق ، فكن بفناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم
تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ، عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا
طلب أنجح . والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل .
والآخر كأنه شعلة نار وكأنه يطلب بنار ، فذاك الموت المائت والداء الكابت ،
فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عني : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام ، فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمدُه حتى جاءوا ، فأدناهم عبد الله
وقال : إني لم أبعث إليكم وإلى والدتكم إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع ما يجبُ
لكم ؛ فقالوا : إن هذا لا يكونُ إلا عن مسألة أو مكافأة فعلٍ جميل تقدم ، ولم يصدر
منا واحدةٌ منهما ؛ فإن كنت أردت التكرُّم مبتدئاً فمعرفةُك مشكور ، وبرك
مقبول مبرور . فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشيرة من النوق ؛ فقالت لهم
العجوز : ليقبل كل واحد منكم بيتاً من قوله :

فقال الأكبر :

شهدتُ عليك بحسنِ المقالِ وصدقِ الفعالِ وطيبِ الخبزِ

وقال الأوسط :

تبرعتَ بالتبذل قبل السؤالِ فعَالَ كريمٍ عظيمٍ الخطرِ

وقال الأصغر :

وَحَقَّ لِمَنْ كَانَ ذَا فَعْلِهِ أَنْ يَسْتَرْقَى رِقَابَ الْبَشَرِ

وقالت العجوز :

فَعَمَّرَكَ اللَّهُ مِنْ مَاجِدٍ وَوَقَّيْتُ - مَاعَشَتْ شَرَّ الْقَدْرِ

ثم ودَّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليزبوعى : فالتفت إلى وقال لى : يا تميم ؛ وودت لو وَّجَدْتُ مَزِيداً

فى ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنها ، وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده فى

ذلك . فقلت له : لقد أحسنت وأرَّججت وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ،

فَأَنْتَ أُمَّ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْلُهُمْ مُرُوءَةً !

٤٢ — أبو الأسود الدؤلى وزوجه *

قال أبو محمد القشيري :

كان أبو الأسود ^(١) الدؤلى من أكبر الناس عند معاوية بن أبي سفيان ، وأقربهم مجلساً ، وكان لا ينطق إلا بعقل ، ولا يتكلم إلا بمد فهم .

فبينما هو ذات يوم جالس ، وعنده وجوه قريش وأشراف العرب ، إذ أقبلت امرأة أبي الأسود حتى حاذت معاوية وقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ؛ إن الله جعلك خليفة في البلاد ، ورفيقاً على العباد ؛ يُستسقى بك المطر ، ويُستنبت بك الشجر ، وتؤلف بك الأهواء ، ويأمن بك الخائف ، ويردع بك الجانف ^(٢) ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسالُ الله لك النعمة في غير تغيير ، والعافية من غير تعذير ^(٣) . قد أجانى إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق على فيه للنهج ، وتفاقم على منه الخرج ، لأمر كرهت عاره ، لما خشيت إظهاره ؛ فليُنصفي أمير المؤمنين من الخضم ، فإني أعود بعقوته ^(٤) من العار الوييل ، والأمر الجليل ؛ الذي يشتد على الحرائر ذات البعول الأجانر ^(٥) .

فقال لها معاوية : ومن بعلك هذا الذي تصفين من أمره المنكر ؛ ومن فعله

المشهر ؟ فقالت : هو أبو الأسود الدؤلى .

* بلاغات النساء : ٥٣

(١) اسم ظالم بن عمرو ، وأبو الأسود كنيته ، وهو معدود في التابعين والفقهاء والشعراء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والدهاة والنحويين ، كان أكثر الناس تعلقاً بعل بن أبي طالب وعنه أخذ النحو ، توفي سنة ٩٩ هـ (٢) الجانف : المائل (٣) تعذير : قص (٤) العقوة في الأصل : ماحول الدار (٥) البعول : جم بعل ، وهو الزوج ، والأجانر : جم أجور ؛ تفضيل من جار :

فالتفت إليه وقال : يا أبا الأسود ؛ ما تقول هذه المرأة ؟ فقال أبو الأسود : هي تقول من الحق بعضاً ، ولن يستطيع أحدٌ عليها نقضاً ، أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ؛ وأنا نُخبرُ عنه أميرَ المؤمنين بالصدق ؛ والله يا أميرَ المؤمنين ما طلقتمُها عن ربيّةٍ ظهرت ، ولا لأى هفوةٍ حضرت ؛ ولكن كرهت شمائلها ؛ فقطعتُ عن حبائنها .
فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنك مهيبٌها على بجواب عتيدي^(١) ولسانٍ شديد .

فقال معاوية : لا بد لك من محاورتها ، فاردّدْ عليها قولها عند مراجعتها . فقال أبو الأسود : يا أميرَ المؤمنين ؛ إنها كثيرة الصخب ، دائمة الذرب^(٢) ، مهينة للأهل ، مؤذية للبخل ، مُسيئة إلى الجار ، مُظهرة للعار ، إن رأت خيراً كتمته ، وإن رأت شراً أذاعته .

فقالت : والله لولا مكانُ أميرِ المؤمنين ، وحضورُ مَنْ حضره من المسلمين ، لرددتُ عليك بوادِرِ كلامك ، بنوافذِ أقرعٍ بها كل^(٣) سيّاميك ؛ وإن كان لا يحملُ بالمرأة الحرّة أن تشتمَ بعلًا ، ولا أن تظهر لأحد جملًا .

فقال معاوية : عزمتُ عليك لما أجبتّه . فقالت : يا أميرَ المؤمنين ما علمته إلا ستؤلا جهولا ، مُلحاً بخيلاً^(٤) ، إن قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذودٌ غائل^(٥) ، ليث حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يُضاف ، إذا ذُكر الجود انقمع ؛ لما يعرف من قصرِ رشائه^(٦) ، ولثوم آبائه ، ضيفه جانع ، وجاره ضائع ؛ لا يحفظُ جاراً ؛ ولا يحمى

(١) عتيدي : حاضر (٢) الذرب : حدة اللسان (٣) يقال : كل السيف ؛ إذا لم يقطع ، فهو كل وكليل (٤) اشتهر أبو الأسود بالبخل ، وله في ذلك نواحر (٥) الدفائل : جمع دغيلة ، والدغيلة : دخل في الأمر مفسد (٦) الرشاء في الأصل : الجبل .

ذِمَارًا ، وَلَا يُدْرِكُ ثَارًا ، أَكْرَمُ النَّاسِ عَلَيْهِ مَنَ أَهَانَهُ ، وَأَهْوَنُهُمْ عَلَيْهِ مَنَ أَكْرَمَهُ .

فقال معاوية : سبحان الله لما أتاني به هذه المرأة من السَّجْعِ ! فقال أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقة ، وَمَنْ أَكْثَرَ كَلَامًا مِنْ مُطَلِّقَةٍ ! ثم قال لها معاوية : إِذَا كَانَ رَوَاحًا^(١) فتمالئ أفصل بينك وبينه بالقضاء .

فلما كان الرواح جاءت وممها ابنها قد احتضنته ؛ فلما رآها أبو الأسود قام إليها ليشتريه ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ، لَا تُفْجِلِ الْمَرْأَةَ أَنْ تَنْطِقَ بِحُجَّتِهَا .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أحقُّ بحمل ابني منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود دَعَهَا تَقُلْ . فقال : يا أمير المؤمنين ، حملته قبل أن تحمله . فقالت : صدق والله يا أمير المؤمنين ، حمله خيفاً وحملته ثقلاً ، إن بطني لو عاؤه ، وإن ثديي لسقاؤه ، وإن حجري لفيناؤه . فقال معاوية : سبحان الله لما أتيتني به ! ثم قال لأبي الأسود : إنها قد غلبتكَ في الكلام ، فكلف لها آياتاً لملك تغلبها ؛ فأنشأ يقول :

مَرَحِبًا بِالتِّي تَجْمُورُ عَلَيْنَا ثُمَّ مَهْلًا بِالْحَامِلِ الْمُحْمُولِ
أَغْلَقْتُ بِأَبِهَا عَلِيًّا وَقَالَتْ : إِنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ ذَاتُ الْبُعُولِ
شَغَلَتْ نَفْسَهَا عَلَى فِرَاقًا هَلْ سَمِعْتُمْ بِالْفَارِغِ الْمَشْغُولِ !

فأجابته :

ليس من قال بالصواب وبالحق كمن جار على منار السبيل
كان ثديي سقائه حين يضحى ثم حجري ففائه بالأصيل
لست أبني بواحدى يابن حربٍ بدلاً ما علمته والخليل^(٢)

فقضى لها معاوية عليه ، واحتملت ابنها وانصرفت .

(١) الرواح : العشى . (٢) تريد بالخليل محمداً رسول الله .

٤٣- إن قریشاً تحدّثُ أنک من أحلمها*

كتب معاوية إلى والیه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير بنت الحريش
البارقية برحليها ، وأعلمه أنه مجازيه بقولها فيه ؛ بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً .
فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها إياه ؛ فقالت : أمّا أنا فغيرُ زائفةٍ عن
طاعةٍ ، ولا مُعتلةٍ بكذبٍ ! ولقد كنتُ أحبُّ لقاء أمير المؤمنين لأموٍرٍ مُختلجٍ^(١)
في صدري .

فلما حلها وأراد مفارقتها ، قال لها : يا أم الخير ، إن أمير المؤمنين كتب إلى :
إنه يجازيني بقولك في بالخير خيراً وبالشرّ شرّاً ، فما عندك ؟ قالت : يا هذا ؛
لا يطعمنك بيثك بي أن أسرك بباطل ، ولا تؤيسنك معرفتي بك أن أقول فيك
غير الحق ؟

فسارت خيرة مسير ، حتى قدمت على معاوية ، فأنزلها مع جريمه ثلاثاً ، ثم
أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ؛ فقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين
ورحةُ الله وبركاته ؛ قال لها : وعليك السلام يا أم الخير ، وبالزغم منك دعوتني
بهذا الاسم . قالت : مه^(٢) يا أمير المؤمنين ! لكل أجل كتاب .

قال : صدقت ، فكيف حالك ياخاله ؟ وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت :
لم أزل في عافية وسلامة حتى صرتُ إليك ؛ فأنا في عيشٍ أنيق ، عند ملكٍ رقيق ؛
قال معاوية : بحسن نيتي ظفرتُ بكم وأعتُ عليكم ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ أعيذك

* العقد الفريد : ١ - ٢١٧ ، بلاغات النساء : ٤١ .

(١) مختلج في الأمر : تتردد فيه . (٢) مه : كف .

بالله من دَحْضٍ ^(١) أَلْقَالَ وما تُرْذِي عَاقِبَتُهُ ، قَالَ : ليس لهذا أَرْدَنَاكَ . قالت : إنما أَجْرِي في ميدانك ؛ فاسأل عما بَدَا لَكَ ! قال : أخبريني كيف كان كلامك يوم قُتِلَ عَمَّار بن يَاسِرٍ ؟ قالت : لم أكن وَاللَّهِ وَرَثَتُهُ ^(٢) قَبْلُ ، ولا رَوَيْتُهُ بَعْدُ ، وإنما كانت كَلِمَاتٌ نَمَّهِنَّ لِسَانِي حين الصَّدْمَةِ ، فإن شئت أن أُحَدِّثَ لَكَ مَقَالاً غيرَ ذلك فَعَلْتُ . قال : لا أشاء ذلك .

ثم التفت إلى أصحابه فقال : أَيُّكُمْ يَحْفَظُ كَلَامَ أُمِّ الْخَيْرِ ؟ فقال رجلٌ من القوم : أنا أَحْفَظُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَحَفْظِي سُورَةَ الْحَمْدِ . قال : هَاتِهِ ؛ قال : نعم ! كأنني بها يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ في ذلك اليوم ، عليها بُرْدٌ زَبِيدِي كَثِيفٌ الْحَاشِيَةُ ، وهي على جمل أَرَمَك ^(٣) وقد أَحِيطَ حَوْلَهَا حِوَاءٌ ^(٤) ؛ ويدها سَوَاطُ مَنْتَشِرِ الضَّفَرِ ^(٥) ، وهي كالْفَحْلِ يَهْدِرُ في شَتَشِقَتِهِ ^(٦) تقول :

يَأْيُهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ! إن الله قد أَوْضَحَ الْحَقَّ ، وَأَبَانَ الدَّلِيلَ ، وَنَوَّرَ السَّبِيلَ ، وَرَفَعَ الْعَلَمَ ، فلم يَدْعُكُمْ في عَمِيَاءٍ مُبْهَمَةٍ ! ولا سُودَاءٍ مُدْهِمَةٍ ^(٧) ، فإلى أين تُريدون رَحِمَكُمُ اللهُ ! أفراراً عن أمير المؤمنين ، أم فراراً من الزَّخْفِ ، أم رهبةً عن الإسلام أم ارتداداً عن الحق ! أَمَا سَمِعْتُمْ اللهُ عزَّ وَحَلَّ يَقُولُ : ﴿ وَنَبَلُّوْكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبَلُّوْكُمْ أَخْبَارَكُمْ ﴾ .

ثم رَفَعَتْ رَأْسَهَا إِلَى السَّمَاءِ وهي تقول :

(١) دحض القال : باطله (٢) زور الكلام : أعده ؛ تريد أنها فالتة ارتجالاً (٣) أرمك : لونه لون الرماد (٤) الحواء : ما يعمل كالوسادة للراكب على رحل الجمل بدون هودج (٥) ضفر الشعر : لوى بعضه على بعض (٦) الشقيقة : شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج (٧) ادلهم الظلام : كفف ، وأسود مدلهم ، مبالغة .

قد عِيلَ الصَّبْرُ ، وَضَمَّفَ اليَقِينَ ، وَانْتَشَرَ الرَّغْبُ ، وَبِيَدِكَ يَا رَبِّ أَرْزِمَةَ الْقُلُوبِ ،
فَاجْعِ الْكَلِمَةَ عَلَى التَّقْوَى ، وَأَلْفَ الْقُلُوبَ عَلَى الْهُدَى ، وَارْزُدْ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ .
هَلِّمُوا رَحِمَ اللَّهِ إِلَى الْإِمَامِ الْعَادِلِ ، وَالْوَصِيِّ الْوَفِيِّ ، وَالصَّدِيقِ الْأَكْبَرِ . لَهَا إِحْنٌ
بَدْرِيَّةٌ ^(١) ، وَأَحْقَادٌ جَاهِلِيَّةٌ ، وَضَفَائِنٌ أُحْدِيَّةٌ ^(٢) ، وَتَبَّ بِهَا مَعَاوِيَةَ حِينَ الْفَقْلَةِ
لِيَدْرِكَ بِهَا ثَارَاتِ بَنِي عَهْدِ شَمْسٍ ^(٣) .

ثم قالت : قَاتِلُوا أَرْزِمَةَ الْكُفْرِ ، لَأَنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ، صَبْرًا
مَعَشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، قَاتِلُوا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَثَبَاتٍ مِنْ دِينِكُمْ ، وَكَأَنِّي
بِكُمْ غَدًا قَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَحُمْرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ ^(٤) ، فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ^(٥) ، لَا تَدْرِي
أَيْنَ يُسَلِّكُهَا مِنْ فِجَاجِ الْأَرْضِ ، بَاعُوا الْآخِرَةَ بِالْأُولَى ، وَاشْتَرَوْا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى ،
وَبَاعُوا الْبَصِيرَةَ بِالْعَمَى ، وَعَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ، حِينَ تَحُلُّ بِهِمُ النَّدَامَةُ ،
فَيَطْلُبُونَ الْإِقَالََةَ ! إِنَّهُ وَاللَّهِ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ وَقَعَ فِي الْبَاطِلِ ، وَمَنْ لَمْ يَسْكُنِ الْجَنَّةَ
نَزَلَ فِي النَّارِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْأَكْيَاسَ ^(٦) اسْتَقْصَرُوا عُمرَ الدُّنْيَا فَرَفَضُوهَا ، وَاسْتَبْطَأُوا مُدَّةَ
الْآخِرَةِ فَسَمِعُوا لَهَا ؛ فَاللَّهُ اللَّهُ أَيُّهَا النَّاسُ قَبْلَ أَنْ تَبْطُلَ الْحَقُوقُ ، وَتُعْطَلَ الْحُدُودُ ،
وَيُظْهَرَ الظَّالِمُونَ ، وَتَقْوَى كَلِمَةُ الشَّيْطَانِ . فَإِلَى أَيْنَ تَرِيدُونَ - رَحِمَكُمُ اللَّهُ -
ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَزَوْجِ ابْنَتِهِ وَأَبِي ابْنِهِ ^(٧) خَلَقَ مِنْ طِينَتِهِ ،

(١، ٢) بدر وأحد : واقعتان بين النبي والمشركين (٣) قوم معاوية . لأن عليا قتل كثيرا منهم
في وقتي بدر وأحد (٤) مستنفرة : نافرة (٥) القسور : الأسود ، والجمع قسورة (٦) الأكياس :
جمع كيس ، وهو العاقل (٧) تريد الحسن والحسين وهما ابنا فاطمة .

وتَفَرَّعَ عن نَبْعته ، وَخَصَّهُ بِسِرِّه ، وَجَعَلَهُ بابَ مَدِينَتِهِ ^(١) ، فلم يَزَلْ كَذَلِكَ يُؤَيِّدُهُ اللهُ بِمَعُونَتِهِ ، وَيَمْضِي على سُنَنِ اسْتِقَامَتِهِ لا يُعْرَجُ ^(٢) لراحة اللذات .

وهو مُتَلَقُّ الهام ، ومُكَسِّرُ الأصنام ، إِذْ صَلَّى والناس مُشْرِ كُون ، وَأطاع والناسُ سرتابون . فلم يزل كذلك حتى قَتَلَ مُبارِزِي بَدْر ، وَأَفْنَى أَهْلَ أُحُد ، وَفَرَّقَ بَجمَعَ هَوازن ، فِياها وقائع زَرَعَتْ في قلوب قومٍ نِفاقًا ، وَرِدَّةً وشقاقًا ! وقد اجتهدتُ في القَوْلِ ، وبالفتُ في النصيحة ، وبالله التوفيق . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

فقال معاوية : والله يا أمَّ الخير ما أردتِ بهذا إلا قَتْلِي ! والله لو قَتَلْتِكِ ما حَرَجْتِ ^(٣) في ذلك .

قالت : والله ما يسومني يا ابنَ هَنا أن يُجْرِي اللهُ ذلك على يَدَي من يُسعدني اللهُ بِشِقائِهِ ، قال : هيهات ، يا كَثيرةَ الفضول ! ماتقولين في عَمانِ بنِ عِسان؟ قالت : وما عَسَيْتُ أن أقولَ فيه ! اسْتَخْلَفَهُ النَّاسُ وم كارهون ، وقتلوه وم راضون ، فقال : إِيها يا أمَّ الخير ، هذا ثناؤك الذي تَمَنِّين؟ قالت : لكنَّ اللهُ يشهد ، وكفى بالله شهيدا ، ما أردتُ بعَمانَ نَقصًا ، ولقد كان سَباقًا إلى الخِبرات ، وإِنه لرفيع الدرجة .

قال : فما تقولين في طَلْحَةَ بنِ عبيد الله؟ قالت : وما عسى أن أقولَ في طَلْحَةَ؟ اغْتِيلَ مِنْ مَأْمَنِهِ ، وَأُتِيَ مِنْ حَيْثُ لم يَحْذَرُ ؛ وقد وعده رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الجَنَّةَ . قال : فما تقولين في الرُّبَيْرِ؟ قالت : يا هذا ؛ لا تَدْعُنِي كَرَجِيمِ الصَّبِيغِ يُعْرِكُ

(١) لعلها تشير إلى ما يروى عن النبي : أنا مدينة العلم وعلى بابها (٢) لا يعرج : لا يعيل .

(٣) ما حرجت : ما أئمت .

في المرزكن^(١) ، قال : حقا تقولين ذلك ، وقد عزمت^(٢) عليك . قالت : وما عسيت^٣ أن قول في الزبير ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه^(٤) ؟ وقد شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ولقد كان سببا إلى كل مكرمة في الإسلام . وإنني أسألك بحق الله يامعاوية ، فإن قريشا تحدث أنك من أحلبها - أن تسمنى بفضل حلمك ، وأن تمفيني من هذه المسائل ، وامنض لما شئت من غيرها . قال : نعم وكرامة ، قد أعفيتك . وردّها مكرمة إلى بلدها .

(١) المركن : الإناء ينسل فيه الثياب . ويمرك . يحك . والرجيع : المردود ، أى لا تجملنى كالثوب المصبوغ ، يحك في الإناء مرة أخرى لإخراج صبغه منه ؛ تشبه عاورة معاوية لياها وسؤاله لها مرة بعد مرة لاستخراج ما بقى فيها مما ينسل من الثياب المصبوغة لاستخراج صبغها منها .
(٢) أقسمت عليك (٢) الحواري : ناصر الأنبياء .

٤٤ — سوّدة بنت عمارة عند معاوية *

وفدت سوّدة بنت عمارة على معاوية بن أبي سفيان، فاستأذنت عليه فأذن لها. فلما دخلت سلّمت عليه، فقال لها: كيف أنت يا سوّدة؟ قالت: بخير يا أمير المؤمنين، قال لها: أنت القائلة يوم صفين^(١):

شمر كفعل أيبك يا بن عمارة يوم الطعان ومُلّتي الأقران^(٢)
وانصر علياً والحسين ورهطه واقصِدْ لهندي وانبها بهون^(٣)
إن الإمام أبا النبي محمد علم الهدى ومنارة الإيمان
فقيه الختوف وسيرِ أمام لوائه^(٤) قدماً بأبيض صارم وسان^(٥)

قالت: إي والله، مامتلى من رغب عن الحق، أو اعتذر بالكذب! قال لها: فما حلك على ذلك؟ قالت: حب علي، واتباع الحق. قال: فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئاً. قالت: أنشدك الله يا أمير المؤمنين؛ مات الرأس، وبتر الذنب، فدع عنك إعادة ما مضى، وتذكّر ما قد نسي! قال: هيهات! ليس مثل مقام أخيك يُنسى! وما لقيت من أحد ما لقيت من قومك وأخيك! قالت: صدق فوك والله يا أمير المؤمنين؛ ما كان أخى ذميمة المقام، ولا خفي المكان، ولكن كما قالت الخنساء:

* العقد الفريد: ١ - ٢١١، بلاغات النساء: ٣٥

(١) هو يوم من أيام الحرب بين علي ومعاوية (٢) الأقران: الأكفاء

(٣) هند: أم معاوية. (٤) الختوف: الناي. (٥) الصارم: السيف القاطع، والسان:

سان الريمح.

وإن صخرًا لتأتمُّ الهداةُ به كأنَّهُ عَلمٌ في رأسه نارٌ

وبالله أسأل يا أمير المؤمنين إغفائي مما استغفيتُ منه ! قال : قد فعلت ، فقولي حاجتك ! قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنك أصبحت للناس سيِّدًا ، ولأمرهم متقلِّدًا ، والله سائلك عما افترض عليك من حقِّنا ، ولا تزال تُقدِّم علينا من ينهض بعزِّك ، ويبطش بسُلطانك ، فيخصِّدنا حصَّاد السُّنبل ، ويدُوسنا دياسَ البقر ، ويسومنا الخبيسة ، ويسُدُّ لنا الجليلة ؛ هذا ابن أرطاة ^(١) قدم علينا من قبلك قتل رجالي ، وأخذ مالي ، يقول لي : فوهي بما استغصمُ الله منه ، وألجأ إليه فيه ^(٢) ، ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ! فإما عزلته فشكرناك ، وإمَّا لا فعرفناك !

فقال معاوية : إياي تهدِّدين بقومك ! والله لقد هممت أن أردك إليه على قَتَبِ أُشْرَس ^(٣) ، فينفذ حكمه فيك . فأطرقتُ تبكي ، ثم أنشأت تقول :

صلى الإله على روحٍ تضمَّنه قبرٌ فأصبح فيه العدلُ مدفوناً
قد حالف الحقُّ لا يبغى به بدلاً فصار بالحقِّ والإيمان مقرُّونا

قال لها : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ، قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك ! قالت : أتيتهُ يوماً في رجل وآء صدقاتنا ، فكان يبتنا وبينه ما بين العثِّ والسمين ، فوجدته قائماً يصلي ، فأنفتل عن الصلاة ^(٤) ، ثم قال برأفة وتعطف : ألك حاجة ؟ فأخبرته خبرَ الرجل ، فبكى ، ثم رفع يديه إلى السماء ، فقال : اللهم إنك أنتَ الشاهدُ عليّ وعليهم ، إني لم أمرهم بظلم حلقك ،

(١) ابن أرطاة : بسر بن أرطاة كان معاوية سيره إلى الحجاز واليمن ليقتل شيعة علي ويأخذ البيعة له .

(٢) تعني أنه يطلب منها أن تسب علياً (٣) القتب : الإكاف على قدر سنام البعير ، والمراد نفس البعير بدليل الصفة بعده ، وأشرس : لم يرض (٤) افتل عن صلاته : انصرف .

ولا يترك حَقَّك ؛ ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب ، فكتب فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم . (قَدْ جَاءَ نَكْمُ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا^(١) النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بِمَدِّ إِصْلَاحِهَا
ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) . إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في
يديك حتى يأتي من يقبضه منك ، والسلام .

فأخذتهُ منه يا أمير المؤمنين ، ماخرمته بخزام ، ولا ختمه بختام .
فقال معاوية . اكتبوا بالإنصاف لها والعدل عليها . قالت : ألي خاصة أم لقومي
عامة ؟ قال : وما أنت وغيرك ! قالت : هي والله إذن الفحشاء واللؤم ؛ إن كان
عدلا شاملا وإلا يسعني ما يسع قومي .

قال : هيهات ، لَنظَّكُم^(٢) ابن أبي طالب الجرأة ، وغرَّكُم قوله :
فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ لقلتُ لهمدان ادخلوا بسلام
اكتبوا لها ولقومها .

(١) القسط : العدل ، والبخس : النقص والظلم (٢) لظه : ذوقه .

٤٥ — مثلك من قدر فمفا *

لما ولي معاوية الخلافة ، وانتظمت إليه الأمور ، وامتلأت منه الصدور ، وأذعن لأمره الجمهور ، وساعده الله في مراده ، استحضر ليللة خواص أصحابه ، وذاكرهم وقائع أيام صفين ، ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين ، فانهمكوا في القول الصحيح والمريض ، وآل حديثهم إلى من كان يجتهد في إيقاد نار الحرب عليهم زيادة التحريض . فقالوا : امرأة من أهل الكوفة تسمى الزرقاء^(١) بنت عدى ، كانت تتمدّد الوقوف بين الصفوف ، وترفع صوتها صارخة : يا أصحاب علي ؛ تسميهم كلاماً كالصوارم ، مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان لقاتل ، والمدبر لأقبل ، والمسالم لحارب ، والنار لكر ، والمترزل لاستقر .

فقال لهم معاوية : أيكم يحفظ كلامها ؟ قالوا : كلنا نحفظه . قال : فأتشبهون علي فيها ؟ قالوا : نشير بقتلها ، فإنها أهل لذلك . فقال لهم معاوية : بئس ما أشرتم به ، وقبحاً لما قلتم : أيحسن أن يشتهر عني أنني بعد ما ظفرت وقدرت قتلتم امرأة قد وفّت لصاحبها ! إني إذن للثيم ، لا والله لا فعلت ذلك أبداً .

ثم دعا بكتابه فكتب كتاباً إلى واليه بالكوفة : أن أُنزِدُ إلى الزرقاء

* العقد الفريد : ١-٢١٤ ، بلاغات النساء : ٣٧

(١) هي الزرقاء بنت عدى بن غالب بن قيس الهمدانية . من أهل الكوفة ، كانت ذات شجاعة فائقة ، وبلاغة نادرة ، شهدت مع قومها واقعة صفين ، ولها عدة خطب تحرض الناس فيها على القتال ضد معاوية .

بنت عدى ، مع نفرٍ من عشيرتها وفرسانٍ من قومها ، ومهذَّ لها وطاءَ لينا ومركبا
ذُلولا .

فلما ورد عليه الكتاب ركب إليها وقرأه عليها . فقالت بعد قراءة الكتاب :
ما أنا بزائفةٍ عن الطاعة . فحملها في هودجٍ ، وجعل غشاه خزا مبطنا ، ثم
أحسن صُحبتَها .

فلما قدمت على معاوية ، قال لها : مرحبا وأهلا ! خيرَ مقدّم قدمه وافدٌ .
كيف حالك ياخالة ؟ وكيف رأيت سيرك ؟ قالت : ربيبة ^(١) بيتٍ أو طفلا مهدأ .
فقال : بذلك أمرناهم . هل تعلمين لِمَ بعثُ إليك ؟ قالت : وأتى لى بعلم ما لم أعلم !
لا يعلم النيبَ إلا الله سبحانه وتعالى . قال : ألسنِ الراكبة الجمل الأحمر يوم
صيفين وأنتِ بين الصفوف توقدين نار الحرب ، وتُحرضين على القتال ! قالت :
نعم . قال : فما حملك على ذلك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأسُ وبُترَ
الذنبُ ، ولن يعودَ ما ذهب ، والدَّهرُ ذو غيرٍ ، ومن تفكَّر أبصر ، والأمر يحدث
بعده الأمر .

فقال : صدقتِ ، فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلتِ ؟ قالت : لا والله ، ولقد
أنسيته . قال : لله أبوك ! فلقد سمعتك تقولين : أيها الناس ، ارعوا وارجعوا !
إنكم أصبحتم في فتنه غشتكم جلابيب الظلم ، وجارت بكم عن قصدِ المحجة ،
فيا لها فتنه عياء صماء بكاء ، لا تسمع لنا عقيها ، ولا تسلس لقائدها !

إن المصباح لا يضيء في الشمس ، وإن الكواكب لا تنيرُ مع القمر ، وإن
البغل لا يسبق الفرس ، ولا يُقطع الحديدُ إلا بالحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ،
ومن سألنا أخبرناه !

(١) الزبيبة : الملك والسبد .

أيها الناس ، إن الحقَّ كان يطلب ضالَّتَهُ فأصابها . فصبراً يا معشر المهاجرين والأنصار على النُصص ! فكأنكم وقد التأمَّ شملُ الشَّتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلبَ الحقُّ باطله . فإنه لا يستوى الحقُّ والمبطل . أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ! لا يستون . فالنزَّال النَّزال ، والصبرُ الصبر ! ألا إن خِصَابَ النساءِ الحِنَاءِ ، وخِصَابَ الرجالِ السماء . والصبرُ خيرُ الأمور عاقبة ، انتوا الحرب غير ناكسين ؛ فهذا يومٌ له ما بعده !

ثم قال : يا زرقاء ، أليس هذا قولك ونحريضك ؟ قالت : لقد كان ذلك ! قال : لقد شاركتِ علياً في كلِّ دمٍ سفكه . فقالت : أحسن الله بشارتك أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، فمثلك من بشرٍ بخير ، وسرَّ جليسه .

فقال معاوية : أوبسركِ ذلك ؟ قالت : نعم ، والله لقد سرني قولك ، وأتى لي بتصديق الفعل ! فضحك معاوية وقال : والله لو فاؤكم له بعد موته أعجبُ عندي من حبكم له في حياته ؛ إذ كرمي حاجتك ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ إنى آليت على نفسي إلا أسأل أحداً أعنتُ عليه أبداً . فقال : قد أشار على بعض من عرفك بقتلك . فقالت : لوؤمُّ من المشير ، ولو أطمته لشاركته . قال : كلاً ، بل نغفو عنك ، ونحسن إليك ونرعاك . فقالت : يا أمير المؤمنين ، كرمٌ منك ومثلك من قدرَ فعفا ، وتجاوز عن أساء ، وأعطى من غير مسألة .

فأعطاهما كسوةً ودرام ، وأقطعها ضيعةً تُقل^(١) لها في كلِّ سنةٍ عشرة آلاف درهم ، وأعادها إلى وطنها سالمةً ، وكتب إلى والي الكوفةِ بالوصية بها وبعشيرتها .

(١) نقل : تنتج .

٤٦- نَبِّهْكُمْ عَلَى !*

يروى أن عِكْرِشَةَ بنتَ الأطرش دخلت على معاوية مُتَوَكِّئَةً عَلَى عُنْكَازٍ لها ، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ بِالْخِلاَفَةِ ، ثُمَّ جَلَسَتْ ، فَقَالَ لَهَا مَعَاوِيَةُ : الْآنَ صِرْتُ عِنْدَكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَتْ : نَعَمْ ، إِذْ لَا عَلَىَّ حَتَّى ؟ قَالَ : أَلَسْتَ الْمُتَقَلِّدَةَ حَائِلَ السَّيْفِ بِصَفَيْنَ ^(١) وَأَنْتِ وَاقِفَةٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ تَقُولِينَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا هَدَيْتُمْ ؛ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَمُوزُنَ مِنْ قَطْنِهَا ، وَلَا يَهْرَمُ مِنْ سَكْنِهَا ، وَلَا يَمُوتُ مِنْ دَخْلِهَا ؛ فَابْتَاعُوا بَدَارَ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا ، وَلَا تَنْصَرِمُ هُمُومُهَا . وَكُونُوا قَوْمًا مُسْتَبْصِرِينَ فِي دِينِهِمْ ، مُسْتَظْهِرِينَ عَلَى حَقِّهِمْ .

إِنَّ مَعَاوِيَةَ دَلَّفَ إِلَيْكُمْ بَعْجَمَ الْعَرَبِ ، لَا يَفْقَهُونَ الْإِيمَانَ ، وَلَا يَدْرُونَ مَا الْحِكْمَةُ ، دَعَاهُمْ إِلَى الْبَاطِلِ فَأَجَابُوهُ ، وَاسْتَدْعَاهُمْ إِلَى الدُّنْيَا فَلَبَّوهُ ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ فِي دِينِ اللَّهِ ! وَإِيَّاكُمْ وَالتَّوَالِيَ كُلَّ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْقُضُ عُرَا الْإِسْلَامِ ، وَيُطْفِئُ نُورَ الْحَقِّ . هَذِهِ بَدْرُ الصُّغْرَى ، وَالْعَقَبَةُ الْأُخْرَى . يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ؛ امْضُوا عَلَى بَصِيرَتِكُمْ ، وَاصْبِرُوا عَلَى عَزِيمَتِكُمْ ، فَكَأَنَّيْ بَكُمْ غَدًا وَقَدْ لَقِيتُمْ أَهْلَ الشَّامِ كَالْحُمْرِ النَّاهِقَةِ ، تَقْصَعُ قِصْعَ الْبَعِيرِ ^(٢) .

* بلاغات النساء : ٤١ ، العقد الفريد : ١-٢١٦

(١) موضع قرب الرقة بشاطئ الفرات كانت به الوقعة العظمى بين علي ومعاوية في غرة صفر سنة ٣٧ هجرية (٢) يقال : قصع البعير بجرته يقصع قصما : مضها .

ثم قال : فكأنني أراكِ على عصاكِ هذه قد انكفأ^(١) عليكِ المسكران يقولون : هذه عكرشة بنت الأطرش ، فإن كدتِ لتفتلين^(٢) أهل الشام لولا قدرُ الله ، وكان أمرُ الله قدرًا مقدرًا ، فما حملكِ على ذلك ؟

قالت : يا أميرة المؤمنين ؛ يقول الله جل ذكره : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْأَلُهُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْآنُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ . وإن الليبَ إذا كرهه أمرًا لا يحبُّ إعادته .

قال : صدقتِ ، فاذكري حاجتك . قالت : كانت صدقاتنا تؤخذ من أغنيائنا فتُرَدُّ على فقرائنا ، وقد فقدنا ذلك ، فما يُجبرُ لنا كسبر ، ولا يُنمَسُّ لنا فقيرٌ ، فإن كان عن رأيكِ فمثلك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة ، وإن كان من غيرِ رأيكِ فما مثلك من استعان بالخوانة ، ولا استعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ؛ إنه ينوء بنا عن أمورٍ رعييتاً نفورٌ تفتق ؛ وبحورٌ تندقق . قالت : سبحان الله ! والله ما فرض الله لنا حقًا فجعل فيه ضراراً لغيرنا وهو علامُ الغيوب . قال معاوية : هيهات يا أهل العراق ! نهبكم على فلن تطاقوا :

ثم أمر بردَّ صدقاتهم فيهم وإنصافهم .

(١) انكفأ : رجع (٢) فل الجبش : هزمه .

٤٧ — وهل أحلُّ عندك محل علي* ؟

حج معاوية سنةً من سنّيه ، فسأل عن امرأة من بنى كنانة كانت تنزل بالْحَجُون^(١) ، يقال لها : دارميّة الحجونيّة ، وكانت سوداء كثيرة اللحم ، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها فجيء بها . فقال : ما حالك يا بنتَ حامٍ ؟ فقالت : لست لحامٍ إن عيّنتني ؛ إنما أنا امرأة من بنى كنانة تُمّت من بنى أبيك . قال : صدقت ، أتدرين لِمَ بعثتُ إليك ؟ قالت : لا يعلمُ الغيبَ إلا اللهُ . قال : بعثتُ إليك لأسألك : علامَ أحببتِ عليّاً وأبغضتني ، وواليتّه وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإنّي أحببتُ عليّاً على عدلِهِ في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتال من هو أولى منك بالأمر ، وطلبتك^(٢) ما ليس لك بحق ، وواليتُ عليّاً على ما عقد له رسول الله من الولاء ، وعلى حبه المساكين ، وإعظامه لأهل الدين ؛ وعاديتك على سفكك الدماء ، وشقّك العصا ، وجورك في القضاء ، وحكك بالهوى .

قال : فلذلك انتفخ بطنك ! قالت : يا هذا ؛ بهند^(٣) والله كان يُضرب المثل في ذلك لأبي . قال معاوية : يا هذه ، اربعي^(٤) ، فإننا لم نقل إلا خيراً . فرجعت وسكنت .

* المقد الفريد : ١ - ١٣٢ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٥٩ ، بلاغات النساء : ٦٧
(١) الحجون : جبل بمكة (٢) الطلبة : الطلب (٣) هند : أم معاوية (٤) ريم : وقف وانتظر وتحبس .

قال لها : يا هذه ، هل رأيتِ علياً ؟ قالت : إى والله لقد رأيتُه . قال : فكيف رأيتِه ؟ قالت : رأيتُه والله لم يفتنه الملكُ الذى فتنك ، ولم تشغله النعمة التى شغلتك . قال : هل سمعتِ كلامه ؟ قالت : نعم والله ، كان يجأو القلوب من العمى ، كما يجلو الزيتُ الصداً .

قال : صدقت ، فهل لك من حاجة ؟ قالت : أو تفعل إذا سألتك ؟ قال : نعم . قالت : تعطيني مائة ناقة حراء فيها فحلها وراعيا . قال : تصنعين بها ماذا ؟ قالت : أغذو بالبانها الصغار ، وأستحيى بها الكبار ، وأكتسب بها المكارم ، وأصلح بها بين العشائر . قال : فإن أعطيتك ذلك فهل أحلُّ عندك محلّ على ؟ قالت : ماء ولا كصداء^(١) ، ومرعى ولا كالسعدان^(٢) ، وفتى ولا كالإلك^(٣) ، سبحان الله ! أو دونه ؟ فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أعد بالحلم منى عليكم فن ذا الذى بعدى يُؤمّل للحلم !
خديها هنيئاً ، واذكرى فعل ماجدٍ جزاك على حرب العداوة بالسلم
ثم قال : أما والله لو كان على حياً ما أعطاك منها شيئاً ، قالت : لا والله ولا
وَبَرَّةً واحدة من مال المسلمين !

(١) صداء : عين لم يكن عندهم ماء أعذب من مائها (٢) السعدان : نبت ذو شوك ، وهو من أفضل مراعى الإبل (٣) قاله متمم بن نويرة فى أخيه مالك لما قتل فى الردة ، والأمثال الثلاثة تضرب للشىء يفضّل على أقرانه .

٤٨ — نَبَّحْتَنِي كَلَابِكُ*

استأذنت بكارة الهلالية على معاوية بن أبي سفيان فأذن لها - وهو يومئذ بالمدينة - وعنده مروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص - فدخلت عليه ، وكانت امرأة قد أسنت ، وعشى^(١) بصرها ، وضغفت قوسها ، ترعشُ بين خادمين لها ، فسلمت وجلست ، فردَّ عليها معاوية السلام . وقال : كيف أنتِ يا خالة ؟ قالت : بخير يا أمير المؤمنين ! قال : غَيْرِكَ الدهرُ . قالت : كذلك هو ذُو غير^(٢) ، من عاش كبير ، ومن مات قُبر ! قال عمرو بن العاص : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين يوم صفين :

يازيدُ دونك فاحتر من دارنا سيفاً حُساماً في الترابِ دفيناً^(٣)

قد كنتُ أدخرُهُ ليومِ كريمةٍ فاليومِ أبْرَزَمُ الزمانِ مَصُوناً^(٤)

قال مروان : هي والله القائلة يا أمير المؤمنين :

أتري ابنَ هندیٍّ للخِلافةِ مالِكاً هيهاتِ ذاك - وإن أراد - بعيد^(٥)

مَنَّتكَ نَفْسُكَ في الخِلاءِ ضلالةً أغْرَاكَ عمروٌ للشقا وسعيد^(٥)

قال سعيد بن العاص : هي والله القائلة :

قد كنتُ أطمعُ أن أموتَ ولا أرى فوقَ المنابرِ من أميةَ خاطباً

* بلاغات النساء : ٤٠ ، القمد الفريد : ١ - ٢١٢

(١) عشى بصرها : ضغف (٢) غير الدهر : أحواله المتغيرة (٣) احترق الشيء : قاه كما احترق الأرض بالمدينة (٤) أدخره (٥) أي معاوية .

فَاللَّهُ أَخْرُمَدَّتْ فِتْطَاوَلْتُ حَتَّى رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ مَجَابِلَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ لِلزَّمَانِ خَطِيبُهُمْ بَيْنَ الْجَمِيعِ لَأَلِ أَحْمَدَ طَائِبَا
ثُمَّ سَكَتُوا فَقَالَتْ بَكَارَةٌ : نَبَحْتَنِي كَلَابِكُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاعْتَوَرْتَنِي ^(١) ،
قَصَصْتُ مَجْبَنِي ^(٢) ، وَكَثُرَ عَجَبِي ، وَعَشَى بَصْرِي .
وَأَنَا وَاللَّهُ قَائِلَةٌ مَا قَالُوا ، لَا أَدْفَعُ ذَلِكَ بِتَكْذِيبِ ، وَمَا خَفَى عَلَيْكَ مِنِّي أَكْثَرُ ،
فَامْضِ لِشَأْنِكَ ، فَلَا خَيْرَ فِي الْعَيْشِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَضَحِكَ مَعَاوِيَةَ ، وَقَالَ :
لَيْسَ يَنْمَعُنَا ذَلِكَ مِنْ بَرِّكَ . اذْكُرِي حَاجَتَكَ : قَالَتْ : أَمَا الْآنَ فَلَا .

(١) اعتورتني : تناوبتني (٢) المخبئ : العصابة المقوفة الرأس .

٤٩ — أرزوى بنت الحارث *

دخلت أرزوى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية ، وهي هجوز ، فلما رآها معاوية قال : مرحباً بك وأهلاً يا عمّة ! فكيف كنت بعدنا ؟ قالت : يابن أخى ! لقد كفرت بالنعمة ، وأسأت لابن عمك ^(١) الضحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت ^(٢) غير حثك ، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد أن كفرتم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنس ^(٣) الله منكم الجذود ، وأضرع منكم الجذود ، ورد الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون !

وكانت كلتتا هي العليا ، ونبينا ، صلى الله عليه وسلم هو المنصور على من ناواه ، ولو كره المشركون ؛ فكنا - أهل البيت - أعظم الناس في الدين حظاً وصيباً وقدرأ ، حتى قبض الله نبيه ، فوئتم علينا من بعده ، وتحتجون بقرابتكم من رسول الله ، ونحن أقرب إليه منكم ، وأولى بهذا الأمر ، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ؛ وكان على بن أبي طالب - رحمه الله - بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى ؛ ففايتنا الجنة ، وغايتكم النار .

وقال لها عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز الضالة ! وأقصرى عن قولك ،

وغضى من طرفك !

* المقعد الفريد : ١ - ٢١٩ ، بلاغات النساء : ٣٢ .
(١) تريد على بن أبي طالب (٢) تشير إلى أخذه الخلافة (٣) أنس : أهلك ، أو أعتز .
والجذود : الخطوط .

قالت : وأنت يا عمرو تتكلم ! اغنِ بشأن نفسك ؛ فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبيها ، ولا كريم منصيها . وأمك كانت أشهر امرأة تُفنى بمكة ، وآخذهن لأجرة !

فقال مروان : كفى أيتها السبيبة ! أقصرى لما جئت له . فقالت : وأنت أيضاً يا بن الزرقاء تتكلم ! ثم التفتت إلى معاوية فقالت : والله ما برأ علي هؤلاء غيرك ! وإن أمك القائلة في قتل حمزة :

نحن جزيناكم يوم بدرٍ والحربُ بعد الحرب ذاتُ سُعرٍ^(١)
 ما كان، عن عتبة نى من صبرٍ أبي وعمى وأخى وصهرى^(٢)
 شفيت وحشى غليل صدرى شفيت نفسى وقضيت نذرى^(٣)
 فسكرُ وحشى على دهرى حتى ترم أعظمى فى قبرى

فقال معاوية لمروان وعمرو : ويلكما ! أتتا عرضتاني لها وأسمعتاني ما أكره ، ثم قال لها : يا عمة ! اقصدى قصد حاجتك ، ودعى عنك أساطير النساء ، قالت : تأمر لى بألفى دينار ، وألفى دينار ، وألفى دينار ! قال : ماتصنعين يا عمة بألفى دينار ؟ قالت : أشتري بها عيناً خرخرارة^(٤) فى أرض خوارة^(٥) ، تكون لولد الحارث ابن عبد المطلب ! قال : نعم الموضع وضعتها ؛ فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أستعين بها على عسر المدينة ، وزيارة بيت الله الحرام ! قال : نعم الموضع وضعتها ! فما تصنعين بألفى دينار ؟ قالت : أزوّج بها فتيان عبد المطلب من أكفاهم . قال : نعم الموضع وضعتها ا هى لك !

(١) ذات سعر ؛ من سعر الحرب : أوقدها (٢) تشير إلى من قتل من بنى أمية يوم بدر (٣) وحشى : قاتل حمز يوم أحد (٤) خرخرارة : عين ماء جارية (٥) خوارة : منخفضة ، والمراد : أرض للزراعة ليست وعرة .

ثم قال لها : والله ليركان على ما أمر لك به !! قالت : صدقت ، إن علياً أدى الأمانة ؛ وعمل بأمر الله ، وأخذ به ، وأنت ضيعت أمانتك ، وخنت الله في ماله ، فأعطيت مال الله من لا يستحقه ، وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها ، فلم تأخذ بها ؛ ودعانا على إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بمرتك عن وضع الأمور مواضعها ! وما سألتك من مالك شيئاً افتمن به ؛ إنما سألتك من حقنا ، ولا نرى أخذ شئ غير حقنا : أتذكر علياً قرض الله فاك ثم علا في ربهها
وقالت :

ألا ياعينُ ويحكِ أسعدينا ألا وابكى أمير المؤمنين
رُزينا خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا^(١)
ومن لبس النعال أو احتذاها ومن قرأ المثاني والمئينا^(٢)
فأمر لها بستة آلاف دينا وقال لها : يا عمّة ؛ أنفق هذه فيما تحبين ، فإذا
احتجتِ فاكتبي إلى ابن أخيك يُحسن صَفَدَكَ^(٣) ومعونتك إن شاء الله !

(١) رزينا : أسبنا (٢) المثاني : آيات القرآن (٣) الصند : العطاء .

٥٠ - أم سنان تشكو مروان *

حبس مروان^(١) بن الحكم ، وهو والى المدينة غلاماً من بنى ليث ، في جنابة جناها بالمدينة ، فأتته جدّة الغلام - وهي أم سنان بنت خَيْثمة المذحجية - فكلمته في الغلام ، فأغلظ لها ؛ فخرجت إلى معاوية ، فدخلت عليه فانسبت له فعرّفها ، فقال لها : مرحبا يا بنت خَيْثمة ؛ ما أقدمك أرضنا وقد عهدتكَ تشنئين^(٢) قُرْبى ، وتحضين^(٣) على عدوى !

قالت : يا أمير المؤمنين ! إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة ، وأحلاماً وافرة ، لا يجَهِلون بعد علم ، ولا يسفَهون بعد حِلْم ، ولا ينتقمون بعد عَفْو ، وإن أولى الناس باتباع ماسن آباؤه لأنت . قال : صدقتِ انحن كذلك ، فكيف قولك^(٤) :

عَزَبَ الرَّفَادُ ، فَقَلْبِي لَا تَرَقُدُ وَاللَّيْلُ يُصْدِرُ بِالْمُومِ وَيُورِدُ^(٥)
يَا آلَ مَذْحَجٍ لَا مُقَامَ فَشَمَّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لَأَلِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ
هَذَا عَلَيَّ كَالْهَلَالِ تَحْفَهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكُوكَبِ أَسْعُدُ^(٦)
خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَابْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ إِنْ يَهْدِيكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
مَازَالَ مُذْ شَهِدَ الْحُرُوبَ مَظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يُفْقَدُ

* العقد الفريد : ١ - ٢١٤ ، بلاغات النساء : ٦٨

(١) ولد مروان بن الحكم سنة ٢ هـ وأسلم أبوه الحكم يوم الفتح ، فنشأ مروان مسلماً ، وكتب لعثمان في خلافته ، وولى لمعاوية المدينة مرات ، وبويج بالخلافة ولكن لم تطل مدته فيها ومات سنة ٦٥ هـ (٢) تشنئين قرى : تغضين (٣) تحضين : تذكرها بقولها في الحرب التي كانت بينه وبين علي بن أبي طالب لأنها كانت من شيعة علي (٥) عزب : بعد (٦) سعود النجوم عمرة : منها سعد الذاب وسعد السعود . وهي تشير إلى صحابة علي .

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ؛ وأرجو أن تكون لنا خلفاً ! فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين ، وهي القائلة أيضا ؟

إِمَّا هَلَكْتَ أبا الحسين فلم تَزَلْ بالحقِّ تُعرِفُ هاديا مَهْدِيًّا
فأذهب، عليك صلاةُ ربك مادَعَتْ فوقَ الغصونِ حمامةٌ قمرِيًّا^(١)
قد كُنْتَ بعدَ محمدٍ خَلْفًا كما أوصى إليك بنا ، فكنتَ وفتيًّا
فاليوم لا خَلْفٌ يُؤمِّلُ بعده هيئاتُ تأمِّلُ بعده إنسيًّا

قالت : يا أمير المؤمنين ؛ لسانٌ نطق ، وقول صدق ، ولئن تحقق فيك ماظننا ، فظنك الأوفر ، والله ما ورثك الشنان^(٢) في قلوب المسلمين إلا هؤلاء ، فأدحض مقاتلهم ؛ وأبعد منزلتهم ، فإنك إن فعلت ذلك تزدد من الله قرباً ، ومن المؤمنين حباً .

قال : وإناك لتقولين ذلك لعلك : يا سبحان الله ! والله ما مثلك مدح يبطل ، ولا اعتذر إليه بكذب ؛ وإناك لتعلم ذلك من رأينا ، وضمير قلوبنا .

كان والله على أحبَّ إلينا منك ، وأنت أحبُّ إلينا من غيرك . قال : بمن ؟
قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص . قال : وبم استحققت ذلك عندك ؟ قالت : بسعة حيلك ، وكريم عفوك . قال : فإنهما يطمعان في ذلك ؟
قالت : هما والله من الرأي على مثل ما كنت عليه لعثمان بن عفان رحمه الله تعالى^(٣) .

قال : والله لقد قاربت ؛ فما حاجتك ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ إن مروان تبنتك^(٤) بالمدينة تبنتك من لا يريد منها البراح ، لا يحكمُ بهادل ، ولا يقضى بسنة ، يتتبعُ

(١) القمري : نوع من الحمام (٢) الشنان : البفض (٣) تريد أنهما يأملان الخلافة بعدك كما كنت تأملها بعد عثمان (٤) تبنتك : أقام .

عثراتِ الملين ، ويكشفُ عَوَزاتِ المؤمنين ، حبس ابن ابني فأثبته ،
فقال : كنتِ وكنتِ ، فألقمتهُ أحسنَ من الحجر ، وألقتهُ أمرَ من الصبر ،
ثم رجعتُ إلى نفسي باللائمة ، وقلت : لم لا أصرف ذلك إلى من هو أولى منه
بالفوق عنه !

فأثبتك يا أمير المؤمنين ؛ لتكون في أمرى ناظراً ، وعليه مُعدياً ^(١) . قال :
صدقتِ ، لا أسألكِ عن ذنبه ، ولا عن القيامِ بحجته ، اكتبوا لها بإطلاقه .
قالت : يا أمير المؤمنين ؛ وأنى لي بالرجمة ^(٢) ! وقد نقد زادي ، وكلتِ راحتي !
فأمر لها برحلة وخمسة آلاف درهم .

(١) معدياً : معيناً ناصرأ (٢) الرجمة - الرجوع .

٥١ — ليلي الأخيلىة عند معاوية*

بيننا معاوية يسير إذ رأى راكباً ؛ فقال لبعض شُرطه : ائتنى به ، وإيّاك أن
تروّعه^(١) فأتاه فقال : أجب أمير المؤمنين ، فقال : إياه أردتُ .

فلما دنا الراكبُ حَدَرَ^(٢) لثامه ، فإذا ليلي الأخيلىة^(٣) ، فأنشأت تقول :

معاوى لم أ كدّ آتيك تهوى برحلٍ نحو ساحتك الركابُ
تجوبُ الأرضَ نحوك ما تآنى^(٤) إذا ما الأكم^(٥) قنعها السرابُ
وكنّت الرنجي ، وبك استعادت لتُنمِشها إذا بجمل السحابُ

فقال : ما حاجتك ؟ قالت : ليس مثلي يطلبُ إلى مثلك حاجة ، فتخبر أنت .
فأعطاها خمسين من الإبل ، ثم قال : أخبريني عن مضر . قالت : فأخبرُ بمضَر ،
وحارب بقيس ، وكأثرُ بتميم ، وناظر بأسد . فقال : ويحك يا ليلي ؟ أ كما يقول الناس
كان توبة ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ، ليس كلُّ الناسِ يقولون حقاً ! الناس شجرة
بني ، يمسدون النعم حيث كانت ، وعلى من كانت ، ولقد كان يا أمير المؤمنين سبب^(٦)
البنان ، حديد اللسان ، شجى للأقران ، كريم الخبَر ، عفيف المتزر ، جميل المنظر ،

* الأغاني : ١٠ - ٧٤ ، مهذب الأغاني : ٤ - ٢٣٩ ، زهر الآداب : ٤ - ٧٣
(١) تروعه : تفزعه (٢) حدر الشيء : أنزله (٣) هي ليلي الأخيلىة بنت عبد الله ؟ من بني
الأخيل بن عامر ؟ من النساء المتقدمات في الشعر ، هويها توبة بن الحير ، وخطبها إلى أبيها ، فأبى
أن يزوجه إياه . توفيت نحو سنة ٨٠ هـ (٤) تآنى : تتأنى (٥) الأكم : جمع أكمة : الوضع
يكون أشد ارتفاعاً من غيره (٦) سبط البنان : سخي .

وهو يا أمير المؤمنين كما قلتُ له . قال : وما قلتُ له ؟ قالت : قلتُ ولم أتمد الحق
وعليّ فيه :

بميد المدى لا يبلغ القوم شأوه ^(١) الد ^(١) مَلِدٌ يَغْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلُهُ
إذا حلّ ركب في ذراه وظلّه ^(٢) لينعمهم مما تخاف نوازه
حائمٌ بنصل السيف من كل فادح يخافونه حتى تموت خصائله ^(٣)
فقال معاوية : ويحك يا بلي ! يزعم الناس أنه كان عاهراً فاجراً ! فقالت من
ساعتها مرتجلة :

معاذ الهى قد كان - والله - توبةً ^(٤) جواداً على العلات جماً نوافله ^(٣)
أغرّ خفاجياً يرعى البخل سبّةً ^(٤) تحالف كفاء الندى وأنامله
عفيفاً بميد الممّ صلباً فئاته ^(٤) جميلاً محيياً قليلاً غوايله
وكان إذا ما الضيف أرغى بعيره لديه ، أتاه تنيله وفواضله
وقد علم الجوع الذى كان سارياً على الضيف والجيران أنك قاتله
وأنت رَحْبُ الباعِ ياتوب بالقرى إذا مالئتم القوم ضاقت منازلهم
بيت قرير العين من كان جاره ويضحى بخير ضيفه ومنازله

فقال لها معاوية : ويحك يا بلي ! لقد جرت بتوبة قدره ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين
والله لو رأيته وخبرته لملت أنى مقصرة فى نمته ؛ لا أبلغ كنه ما هو أهله ! فقال لها
معاوية : فى أى سن كان ؟ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛

(١) اللد : شدة الحصومة (٢) الحصلة : كل لحة فيها عصب (٣) جوادا على العلات : أى
على كل حال (٤) خفاجة : حى من بنى عامر .

أنته المنايا حين تمّ تمامه وأقصر عنه كل قرن بـصاولة
وصار كليث الغاب يحى عربته فترضى به أشباله وحلائله
عطوف حلیم حين يطلب حله وسمّ زُعاف لا تصاب مقاتله

فأمر لها بجائزة ، وقال : أى ماقلت فيه أشعر ؟ قالت : يا أمير المؤمنين ؛ ماقلت

شيئاً إلا والذي فيه من خصال الخير أكثر ، ولقد أجدتُ حيث أقول :

جزى الله خيراً - والجزاء بكفه فتى من عُقيلٍ ساد غير مكلف
فتى كانت الدنيا تهونُ بأسرها عليه فلم ينفك جمّ التصرف
ينالُ علياتِ الأمور بهونة إذا هي أُعيت كل خرق مُشرف^(١)

(١) المهونة : الرفق والسهولة. الحرق : السخى أو الظريف في سخاوة . مشرف : جعل له شرف .

٥٢ — أم *

دخل ابنُ الزبير^(١) على أمه^(٢) حين رأى من الناس مارأى من خذلانهم ، فقال : يا أمه ؛ خذني الناس حتى ولدي وأهلي ، فلم يبقَ معي إلا اليسيرِ ممن ليس عنده مع الدفع أكثرُ من صبر ساعة ، والقومُ يُعطونني ماأردت من الدنيا ، فما رأيك ؟

فقلتُ : أنت والله يابني أعلم بنفسك ؛ إن كنت تعلم أنك على حق وإليه تدعو فامضِ له ، فقد قُتِلَ عليه أصحابك ، ولا تمكن من رقبك يتلقب بها غلمانُ بني أمية ، وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبدُ أنت ! أهلكت نفسك وأهلكت من قُتِلَ معك . وإن قلتُ : كنتُ على حق ، فلما وهن أصحابي ضعفت ؛ فهذا ليسَ فعلَ الأحرار ، ولا أهلِ الدين ... وكم خلودك في الدنيا ! القتلُ أحسن ! والله لضربةٌ بالسيف في عِزِّ أحبُّ إليَّ من ضربةٍ بسوط في ذلِّ . قال : إني أرى إن قتلوني أن يُمثّلوا بي ! قالت : يابني ؛ إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها .

فدنا ابنُ الزبير ، فقبل رأسها ، وقال . هذا والله رأيي ؛ والذي قتُّ به داعياً إلى يومى هذا ، ماركنتُ إلى الدنيا ، ولا أحببتُ الحياة فيها ، ومادعاني إلى الخروجِ إلا

* تاريخ الطبرى : ٧ - ٢٠٣ ، بلاغات النساء : ١٣٠ ، العقد الفريد : ٢ - ٢٧١

(١) عبد الله بن الزبير بن العوام ؛ طلب الخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، وبويع له في الحجاز والعراق واليمن ، ومكث خليفة تسع سنوات ، ثم حاصره الحجاج بمكة . وقتل سنة ٧٣ هـ .
(٢) هى أسماء بنت أبى بكر الصديق ، وهى من قريش ، من فضليات نساء العرب ، وأخت عائشة لأبيها توفيت سنة ٧٣ هـ . وهذه المحاورة كانت حين حاصر الحجاج ابن الزبير في مكة ، وحين خذله عبد الله أعوانه .

الغضبُ أن الله تُسْتَحَلَّ حُرْمَهُ ، ولكنِّي أحببتُ أن أعلم رأيتُك ، فزدتني بصيرةً مع بصيرتي ، فانظري يا أمه فإني مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك ، وسئلى لأمر الله؛ فإن ابنك لم يعتمد إتيان منكر ولا عملاً بفاحشة ، ولم يجز في حكم الله ، ولم يدر في أمان ، ولم يعتمد ظلم مسلم ولا معاهد ، ولم ييلقى ظم عن عمالي فوضيتُ به ، بل أنكرته ؛ ولم يكن شيء آثر عندي من رضا ربى ؛ اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً منى لنفسى؛ أنت أعلمُ بي ولكن أقوله تعزيةً لأمى لتسلوا عنى.

قالت أمه : إني لأرجو من الله أن يكون عزائى فيك حسناً إن تقدمتني ، وإن تقدمتُك فنى نفسى حرجٌ حتى أنظرُ إلام بصير أمرك . قال : جزاك الله يا أمه خيراً ؛ فلا تدعى الدعاء لى قبلُ وبعده . فقالت : لا أدعه أبداً ، فن قتل على باطل فقد قُتلت على حق ! ثم قالت : اللهم ارحم طول ذلك القيام فى الليل الطويل ، وذلك النحيب والظما فى هواجر المدينة ومكة ، ويره بأبيه وبنى ، اللهم قد سلمته لأمرك فيه ، ورضيتُ بما قضيت فأثبني فى عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين .

ثم ودعها وخرج ، ولم يلبث أن قُتل رحمه الله !

٥٣ — التلطّف في السّؤال *

دخلت امرأة من هوازن على عبيد الله بن أبي بكر^(١) ، فوفقت بين السّماطين^(٢) ، وجعلت تُظهِر وجهها صرّة ، ونستره أخرى ؛ فلما أبصرها علم أنّ لها حاجة ؛ فقال لجلسائه . ما عليكم أن تقوموا حتى تقول هذه المرأة حاجتها .

فتقدّمت ، وقالت : أصلح الله الأمير إني أتيتك من أرضٍ شاسعةٍ ، ترفضى رافعةً ، وتخفضنى واضعةً ؛ للماتٍ قد أكلن لحمي ، وبرّين عظمي فضاقي بي البلدُ العريض . وقد جئتُ بلداً لا أعرف فيه أحداً ، لا قرابة تكفّني ، ولا عشيرة تعرفني ، بعد أن سألتُ أحياء العرب : من الرجوؤ نائله ، المُعطى سائله ؛ فأرسلتُ إليك ، ودلّلتُ عليك ؛ وأنا - أصلحك الله - امرأةٌ قد هلك عنها الوالد ، وذهب عنها الطارف والتّالِد ، ومثلك يسد الخلة ، ويزيح العلة ؛ فإما أن تُحسن صدّدي^(٣) وتقيم أودي ، وإما أن تردّني إلى بلدي ! فقال : بل أجمع لك كل ما ذكرت .

ثم أمر لها بمشرة آلاف درهم ، وزاد وكسوة وراحلة .

* غرر الخصائص الواضحة : ١٦٥

(١) عبيد الله بن أبي بكر كان أجل الناس وأشجعهم ، ولاءه الحجاج سجستان سنة ٧٨ هـ ،

ومات هناك (٢) السّماطين : الصّفان (٣) الصدق : الطاء .

٥٤ - نساء بنى تميم *

قال الشعبي : قال لى شريح^(١) : يا شعبي ؛ عليكم بنساء بنى تميم ، فإنهن النساء اقلت : وكيف ذلك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مُظهِراً^(٢) ، فررت بدور بنى تميم ، فإذا امرأة جالسة فى سقيفة^(٣) على وسادة ، وتُجاهها جارية رُوْدَةٌ^(٤) ، ولها ذُوَابَةٌ على ظهرها كأحسن مَنْ رأيت من الجوارى ، فاستسقيت - وما بى من عطش - فقالت : أىُّ الشراب أعجب إليك ؟ ألتبيذ أم اللبن أم الماء ؟ قلت : أىُّ ذلك تيسر عليكم . قالت : اسقوا الرجل لبناً فإنى إخاله غريباً . فلما شربت نظرت إلى الجارية فأعجبتنى ، قلت : مَنْ هذه ؟ قالت : ابنتى ، قلت : ومَنْ ؟ قالت : زينب بنت حدير ، إحدى نساء بنى تميم . قلت : أطارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل طارغة . قلت : أتزوجينها ؟ قالت : نعم ، إن كنت كفتاً ؛ ولها عمٌ فاقصده .

وانصرفت إلى منزلى لأقيل فيه ، فامتنعت منى القائلة^(٥) ، فأرسلت إلى إخوانى القراء^(٦) ، ووافيت معهم صلاة العصر ، فإذا عمها جالس ، فقال : أبا أمية !

* مهذب الأغانى : ٣ - ٨٠ ، المستطرف : ٢ - ١٩ ، العقد الفريد : ٤ - ٨٠ ، الأغانى : ١٦ - ٣٦ (طبعة الساسى)

(١) هو شريح بن الحارث . أدرك الجاهلية ، واستقضاء عمر بن الخطاب على الكوفة ، فأقام بها قاضياً مدة طويلة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين فى فتنه ابن الزبير امتنع من القضاء فيها ، وكان أعلم الناس بالقضاء ، ذا فطنة وذكاء ومزقة ، وعقل وإصابة ؛ كما كان شاعراً محسناً . توفى سنة ٨٧ هـ . (٢) أظهر : دخل فى الظهيرة ، والظهيرة : حد اتصاف النهار (٣) السقيفة : الموضع المظلل (٤) الرُوْدَةُ : الشابة الحسنة (٥) القائلة : نصف النهار ، وقال قبلا : نام فيه . (٦) جمع قارى ، وهم الذين يقرءون القرآن ويتلونه .

حاجتك ، قلت : إليك . قال : وما هي ؟ قلت : ذكرت لي بنت أخيك زينب ، فقال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها . وما بلغت منزلي حتى ندمت وقلت : تزوجت إلى أغلظ العرب وأجفاها ! ثم هممت بطلاقها ، ولكن قلت : أجمعها إلي ، فإن رأيت ما أحب وإلا طلقتها .

ثم مكثت أياماً حتى أقبل نساؤها يهادينها^(١) ، ولما أدخلت قلت . يا هذه ؛ إن من السنة إذا دخلت المرأة على الرجل أن يُصلي ركعتين وتُصلي ركعتين ، ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا به من شرها . فتوضأت فإذا هي تتوضأ بوضوئي ، وصليت فإذا هي تصلي بصلاتي ، ولما قضينا الصلاة قالت لي : إني امرأة غريبة ، وأنت رجل غريب لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما أحب فأتيته ، وما تكره فأنزجرت عنه . فقلت : قدمت خير مقدم ؛ قدمت على أهل دار ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيده نساءهم ، أحب كذا وأكره كذا ، وما رأيت من حسنة فابثيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها .

قالت : أخبرني عن أختانك^(٢) أحب أن يزوروك ؟ فقلت : إني رجل قاض وما أحب أن تملوني . قالت : فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن له ، ومن تكرهه أكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون ، وبنو فلان قوم سوء .

وأقت عندها ثلاثاً ؛ ثم خرجت إلى مجلس القضاء ؛ فكنت لا أرى يوماً إلا وهو أفضل من الذي قبله ؛ حتى إذا كان رأس الحول دخلت منزلي امرأة عجوز تأمر وتنهي . قلت : يا زينب ؛ من هذه ؟ قالت : أمي فلانة . قلت : حياك الله

(١) يقال : تهادت المرأة إذا تمايت في مشيتها ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه .

(٢) الخنث : الصهر ، أو كل من كان من قبل المرأة .

بالسلام ، قالت : أبا أمية ؛ كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحدُ الله . قالت :
أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كغير امرأة ، قالت : إن المرأة لا تُرى في حال
أسوأ خلقاً منها في حالين : إذا حظيت عند زوجها ، وإذا ولدت غلاماً ، فإن رآبك
منها ريب فالسوط ، فإن الرجال ما حازت - والله - بيوتهم شرّاً من الورهاء (١)
المتدلة (٢) .

قلت : أشهد أنها ابنتك ، فقد كفيّتيّني الرياضة ، وأحسنت الأدب . قالت :
أنجب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا .

قال شريح : فكانت كل حولٍ تأتينا وتوصي تلك الوصية ، ثم تنصرف .
ومكثتُ مع زينب عشرين عاماً ، فما غضبتُ عليها قط إلا مرة كفت لها فيها
ظلاماً (٣) .

(١) الورهاء : الحفاه (٢) يقال : تدلت المرأة على زوجها ؛ إذا أرتته جراءة عليه كأنها تخالفه
وما بها خلاف .

(٣) قد رووا أن شريحاً رأى رجلاً يضرب امرأته فقال :

فثلثت يميني يوم أضرب زينبا	رأيت رجلاً يضربون نساءم
إلى فاعذرى إذا كنت مذنباً	أأضربها في غير جرم أنت به
كأن فيها السك خالط مجلباً	فتاة تزني الحلي إن هي حليت

٥٥ - ليلي الأَخِيلِيَّة عند الحجاج *

قال مولى من الموالى : كنت أدخل مع عَنبَسَةَ بن سعيد^(١) بن العاص إذا دخل على الحجاج ؛ فدخل يوماً ، فدخلتُ إليهما ، وليس عند الحجاج أحدٌ إلا عَنبَسَةَ ؛ فأقعدنى ، فجىء إلى الحجاجِ بِطَبَقٍ فيه رُطَبٌ ، فأخذ الخادمُ منه شيئاً ، فجاءنى به ثم جىء بطبقٍ آخر ، حتى كَثُرَت الأطباق ، وجعل لا يأتون بشيء إلا جاءنى منه شيء ، حتى ظننتُ أن ما بين يديَّ أكثرُ مما عندها .

ثم جاء المَلْجَبُ ؛ فقال : امرأةٌ بالباب ؛ فقال له الحجاج : أدخلها ، فدخلت ، فلما رآها الحجاج طأطأ رأسه حتى ظننتُ أن ذقنه قد أصاب الأرض ؛ فجاءت حتى قعدت بين يديه ؛ فنظرتُ فإذا امرأةٌ قد أسنت ، حَسَنَةٌ أتلق ، ومعهما جاريتان لها ، وإذا هى ليلي الأَخِيلِيَّة .

فسألها الحجاج عن نسبها فانتسبت له ؛ فقال لها : يا ليلي ؛ ما أتى بك ؟ فقالت إخلاف^(٢) النجوم ، وقلةُ النجوم ، وكَلْبُ^(٣) البردِ ، وشدةُ الجهد ؛ وكنت لنا بعد الله الرِّفْدُ^(٤) .

* الأمالى : ١ - ٨٦ : زهر الآداب : ٤ - ٧٦ ، مصارع العشاق : ١٨٥ ، الأغاني : ١٠ - ٧٨ (طبعة الساسي) ، فوات الوفيات : ٢ - ١٧٦ ، المحاسن والأضداد : ٢٤٦ ، سمط الآلى : ١ - ٢٨٠ ، أشعار النساء : ٣ - ٣٧

(١) كان عنبسة آثر الناس عند الحجاج ، وكان على جانب عظيم من البخل ، وله فيه أخبار طريفة (٢) إخلاف النجوم ؛ تريد : أخلفت النجوم التي بها يسكون المطر فلم تأت بمطر (٣) كلب المطر : شدته (٤) الرِّفْد . للمعونة والطيبة .

قال لها : صفى لنا الفِجَاجَ ^(١) ، فقالت : الفِجَاجُ مُغْبِرَةٌ ، والأرضُ مُقَشِّرَةٌ ،
والمَبْرُكُ ^(٢) مَعْتَلٌ ، وذو العيالِ مُخْتَلٌ ^(٣) ، والمالِكُ لِلْقَلِّ ^(٤) ، والناسُ مُسْتَفْتُونَ ^(٥) ،
رحمةَ اللهِ يَرْجُونَ ؛ وأصابتنا سِنونُ مُجْحِفَةٌ ^(٦) مَبْلُطَةٌ ^(٧) ، لم تَدْعُ لنا هُبَمَا ^(٨)
ولا رَبِّمَا ، ولا عَافِطَةً ^(٩) ولا نَافِطَةً ، أذهبتِ الأموالُ ؛ ومزقتِ الرجالُ ،
وأهلكتِ العيالُ .

ثم قالت : إني قلت في الأمير قولاً ، قال : هاتي ، فأنشأت تقول :

أحجاجُ لا يُفْلَلُ سلاحُك ^(١٠) إنيها أ	منايا بكف الله حيثُ ترأها
أحجاجُ لا تَمَطُّ المصاةَ مُنَاهُمُ	ولا اللهُ يُعْطِي المصاةَ مُنَاها
إذا هبطَ الحجاجُ أرضاً مريضةً	تتبعُ أقصى دأبها فَشفاها
شفاها من الداءِ المُضالِ الذي بها	غلامٌ إذا هَزَّ القنفاةَ سقاها
سقاها فرواًها بشرِبِ سِجَالِه ^(١١)	دماءِ رجالٍ حيثُ مالَ حشاها
إذا سمعَ الحجاجُ رِزًّا ^(١٢) كتيبة	أعدَّ لها قبلَ النزولِ قِراها
أعدَّ لها مسمومةً فارسيةً	بأيدي رجالٍ يَحْتَبُونَ صِراها ^(١٣)
فا وُلِدَ الأَبكارُ والمونُ ^(١٤) مثله	يبحِرُ ولا أرضٍ يَجِفُّ ثراها

(١) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع بين جبلين (٢) المبرك : أرادت الإبل ؛ فأطمت
المبرك مكانها (٣) ذو العيال مختل : أي محتاج ، والمثلة : الحاجة (٤) المالك للقل : من أجل
القلة (٥) مستنون : مقطون (٦) السنة المحففة : التي تحيف بالقوم قتلا وإنساداً للأحوال ،
أو مضرة بالمال (٧) مبلطة : مزقة بالبلاط ؛ تريد مهلكة (٨) هبما : ماتج في الصيف ،
والربيع : ماتج في اربيع (٩) العافطة : الضأن ، والنافطة : للاعزة (١٠) السلاح : يذكر
ويؤنث (١١) السجال : جمع سجال ، وهو الفلوة العظيمة (١٢) الرز : الصوت تسمعه من بعيد
(١٣) المصري : البقية . قال في السط عند تفسير هذا البيت : تعني نصال الرماح والسهام كأنها
مسقية ، من أصابه لم ينج منها (١٤) المون : جمع هوان ، وهي التي كان لها زوج .

فلما قالت هذا البيت ، قال الحجاج : قاتلها الله ! والله ما أصاب صفتي شاعرٌ
مذ دخلتُ العراقَ غيرها .

ثم التفتَ إلى عنبسة بن سعيد ، فقال : والله إنى لأعدُّ للأمرِ عُدتَه ، عسى
ألا يكونَ أبداً . ثم التفتَ إليها ، فقال : حسبك !

قالت : إنى قد قلتُ أكثرَ من هذا ! قال : حسبك ، ويحك ! حسبك .

ثم قال : يا غلام ؛ اذهب إلى فلان ؛ فقل له : اقطعْ لسانها ، فذهب بها ،
فقال له : يقولُ لك الأميرُ : اقطعْ لسانها !

فأمرَ بإحضارِ الحجاجِ ؛ فالتفتت إليه فقالت : نِكَلْتَكْ أَثْمُكْ ! أما سمعتَ
ما قال ! إنما أمرُك أن تقطعَ لسانى بالصلة ، فبمَثِ إليه يَسْتَنْبِتُه ؛ فاستنشاطِ الحجاجِ
غضباً ، وهمَّ بقطعِ لسانه ، وقال : ارزُدْها . فلما دخلتْ عليه قالت : كادَ والله
يقطعُ مقولى ، ثم أنشأت تقول :

حَجَّاجُ أَنْتَ الَّذِي مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ إِلَّا اخْلَيْفَةُ وَالْمُسْتَفَرُّ الصَّمْدُ
حَجَّاجُ أَنْتَ شَهَابُ الْحَرْبِ إِنْ لَقِيتَ ^(١) وَأَنْتَ لِلنَّاسِ نُورٌ فِي الدُّجَا يَقْدُ
ثم أقبلَ الحجاجُ على جلسائه فقال : أتدرونَ مَنْ هذه ؟ قالوا : لا والله أيُّها
الأميرُ ، إلا أنا لم نَرَ قطُّ أفصحَ لساناً ، ولا أحسنَ محاورَةً ، ولا أملحَ وجهاً ،
ولا أرضنَ شعراً منها .

فقال : هذه ليلي الأخيلية ، التي ماتت توبة الخفاجي من حبها ، ثم التفتَ
إليها ؛ فقال : أنشدينا باليلي بعضَ ما قال فيك توبة .

(١) أصله من لقت الإبل ؛ إذا حلت . والحرب إذا عظمت تتولد عنها الأمور التي لم تكن
تحتسب (الحزاة - ١ : ٤٢٦)

قالت : نعم أيها الأمير، هو الذي يقول :

وهل تَبْكِينِ لَيْلَى إِذَا مَتَّ قَبْلَهَا وقام على قبري النساءِ النواحُ ؟
 كما لو أصاب الموتُ لَيْلَى بِكَيْتُهَا وجادَ لها دمعٌ من العينِ سافحٌ^(١)
 وأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ بلى ، كلَّ ما قرَّرتَ به العينُ طامحُ
 ولو أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلِمَتْ طَلَى ؛ ودوى جَنْدَلٌ وصفاحُ
 لَسَلِمَتْ تَسْلِيمَ الْبِشَاشَةِ أَوْ زَقَا إليها صدىً من جانب القبرِ صامحُ

فقال : زبيدنا من شعره باليلي ، قالت : هو الذي يقول :

حَمَامَةٌ بَطْنِ الْوَادِيَيْنِ تَرْمِي سقاك من الغرِّ الفوادي^(٢) مَطِيرُهَا
 أَيْبِنِي لَنَا ، لَا زَالَ رِيْشُكَ نَاعِمًا ولا زلتَ في خضراءِ غَضٍّ نَضِيرُهَا
 وَكُنْتُ إِذَا مازرتُ لَيْلَى تَبَرَّقَعْتُ فقد زابني منها القدأةُ سُفُورُهَا
 وَقَد رابني منها صدودٌ رأيتُهُ وإعراضها عن حاجتي وبُسُورُهَا^(٣)
 وَأَشْرَفَ بِالْقُورِ^(٤) الْبِغَاعَ لَطَنِي أرى نارَ لَيْلَى أَوْ يراني بصِيرُهَا
 يَقُولُ رِجَالٌ : لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بلى ! كل ما شف^(٥) النفوسَ بَصِيرُهَا
 بلى اقد يضيرُ العينَ أَنْ تَكْثُرَ الْبُكَاءُ ويُمنَعُ منها نومُها وسرورُها
 وَقَد زَعَمْتُ لَيْلَى بِأَنْيَ فَاجِرٌ لِنَفْسِي تُقَاها ، أَوْ^(٦) عَلَيْهَا فُجُورُهَا

فقال الحجاج : باليلي ؛ ما الذي رآه من سُفُورِكَ ؟ فقالت : أيها الأمير ؛ كان
 يُلم بي كثيراً ؛ فأرسل إليَّ يوماً : إني آتيك ، وفطن الحى ؛ فأرصدوا له ، فلما

(١) سافح: منصب (٢) الفوادي : جمع غادية ، وهي السحابة تنشأ غدوة (٣) بسورها: عبوسها

(٤) القور . جمع قارة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء : والبياع كسحاب : التل (٥) شفه

الهم : هزله . أو هنا بمعنى الواو .

أناي سَفَرْتُ عن وجهي ، فلم أن ذلك لشره ؛ فلم يزد على التسليم والرجوع .
قال : لله درك ! فهل رأيت منه شيئاً تكرهينه ؟ قالت : لا والذي أسأله
أن يصلحك ، غير أنه قال مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر ، فأنشأتُ
أقول :

وذي حاجةٍ قلنا له لا تبئخ بها فليس إليها ما حيتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا يبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ و خليل
فلا والله الذي أسأله أن يصلحك ما رأيتُ منه شيئاً ، حتى فرق الموت بيني
وبينه . قال : ثم مه ؟ قالت : ثم لم يلبث أن خرج في غزاةٍ له ، فأوصى ابن عم له :
إذا أتيت الحاضر من بني عبادة ، فنادِ بأعلى صوتك :

صفا الله عنها ، هل أبيتنَّ ليلةً من الدهر لا يسرى إلى خيالها !
وأنا أقول :

وهنه هفاري وأحسن حاله فمزت علينا حاجةٌ لا ينألها
قال : ثم مه ! قالت : ثم لم يلبث أن مات ؛ فأنا ناعية .
قال : أنشدينا بعض مرثيتك فيه ، فأنشدت :

لتبكِ العذارى من خفاجة نسوة^(١) بماء شئون المبرة المتحدِّر
قال لها : فأنشدينا ؛ فأنشدته :

كان فتى الفتيان توبةً لم يُبججْ قلانس يفحصن الحصى بالكرأكر^(٢)
فلما فرغت من التصيدة ، قال محسن القمسي^(٣) - وكان من جلساء الحجاج :

(١) نسوة : تبيين ، وارتفاعه بفعل مضمر ، كأنها قالت تبكيه نسوة . وفي هامش الأمانى : « لعله المتحادر بالألف قبل الدال لتستقيم القافية » (٢) الكركرة : رحي زور البعير ، أو صدر كل ذي خف ، وتفضل الإبل ذلك في شدة الحر يطلبن برد الماء لينلنه (٣) كان محسن القمسي من جلساء الحجاج .

من الذى تقول هذه هذا فيه؟ فوالله إني لأظنها كاذبة! فنظرت إليه، ثم ردت عليه رداً شديداً، فقال الحجاج: هذا وأبيك الجواب، وقد كنت عنه غنياً.

ثم قال لها: سلى ياليلى تُعْطَى، قالت: أعطِ، فثلك أعطى فأحسن، قال: لك عشرون، قالت: زد فثلك زاد فأجمل، قال: لك أربعمون، قالت: زد فثلك زاد فأكمل، قال: لك ثمانون، قالت: زد، فثلك زاد فقتم، قال: لك مائة، واعلمى أنها بنعم، قالت: معاذ الله أيها الأمير! أنت أجودُ جوداً، وأجيدُ مجداً، وأورى زنداً، من أن تجعلها غنماً. قال: فما هي؟ ويحك ياليلى! قالت: مائة من الإبل برُعاتها. فأمر لها بها.

ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: تدفع إلى النابغة الجعدي، قال: قد فعلت، وقد كانت تهجوه ويهجوها، فبلغ النابغة ذلك؛ فخرج هارباً عائداً بعبد الملك. فاتبته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان، فاتبته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة، فأتت قُومِس^(١).

(١) صنع كبير بين خراسان وبلاد الجبل.

٥٦ - الحجاج يخالف سجاجيا*

خرج زيد بن شبيب الشيباني في أيام عبد الملك بن مروان ، فظفر به الحجاج^(١) وبأصحابه ، وجعل يقتل كل مقدور عليه منهم ، فلما كان آخر الأمر قدم إليه رجل منهم ، له سميت^(٢) ورؤاء وهيئة .

فلما هم الحجاج بقتله سمع ضجةً بالباب ؛ فقال لحاجبه : ماهذه الضجة ؟ قال : نسوة في الباب يسألن الدخول على الأمير . فقال الحجاج : ائذن لهن بالدخول ؛ فدخلن وهن ثلاث وعشرون امرأة ، كلهن أهل بيت هذا الرجل الذي هم الحجاج بقتله ، فقال لهن الحجاج : ما حاجتكن ؟ فتقدمت امرأة منهن فقالت : أصلى الله الأمير إن رأيت أن تجود باستماع ما أقول ؛ فقال لها : قولى ما أحببت ، فقالت :

أحجاجُ إما أن تمنَّ بترَّكه علينا وإما أن تُقتلنا معاً
أحجاج لو تشهد مقام بناته وعماته يندبنه الليل أجمعاً
أحجاج لا تفجع به إن قتلته نمانا وتسعاً واثنتين وأربماً
فمن رجلٌ دانٍ يقومُ مقامه علينا فهلاً لا تزِدنا تَضَمُّماً

فلان الحجاج لقولها ، ووجد رقةً عليهن ، وغفاعة وأطلقه ، وزاد في عطائه مائة دينار ، وكتب كتاباً إلى عبد الملك يذكر له خبره وخبر النسوة والمرأة وشعرها ، وأنه قدرق لهن ، وأطلقه وزاد في عطائه مائة دينار .

فكتب إليه عبد الملك يحمده على ذلك ، وأمره أن يزيد مائة أخرى في عطائه .

* المقد القريد للملك السعيد : ١١٨ ، المحاسن والمساوى : ٦٠٢ (طبع ليزج) .

المستطرف : ١ - ١٩٥

(١) انظر صفحة ٤٣ (٢) السميت : هيئة أهل الخير .

٥٧ — أسدٌ علىّ وفي الحروب نعامه*

قدم الحجاج على الوليد بن عبد الملك ؛ فدخل وعليه درع وعمامة سوداء ، وقوس عربية وكفانة ، فبعثت إليه أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فقالت : مَنْ هذا الأعرابي المُستلثم^(١) في السلاح عندك ، وأنت في غلالة^(٢) ! فبعث إليها : إنه الحجاج .

فأعدت الرسول إليه ، فقال : تقول لك : والله لأن يخالو بك ملك الموت أحبُّ إليّ من أن يخالو بك الحجاج ! فأخبره الوليد وهو يمازحه ؛ فقال : يا أمير المؤمنين : دَعْ منك مفاكّه النساء بزخرف القول ؛ فإنما المرأة ريحانة ، وليست قهرمانة^(٣) ؛ فلا تظلمها على سرك ، ومكايده عدوك .

فلما دخل الوليد أخبرها بمقالة الحجاج ؛ فقالت : يا أمير المؤمنين ؛ حاجتي إليك أن تأمره غداً بأن يأتيني مُستلثماً ، ففعل ذلك .

وأناه الحجاج ؛ فحجبتة ثم أدخلته ولم تأذن له في القعود ، فلم يزل قائماً ، ثم قالت : إيه يا حجاج ! أنت الممتنُّ على أمير المؤمنين بقتال ابن الزبير وابن الأشعث ! أما والله لولا أن الله عَلِمَ أنك شرُّ خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة الحرام ،

* ابن أبي الحديد : ٢ - ٤٠ ، بلاغات النساء : ١٢٤ ، عيون الأخبار : ١ - ١٦٩

(١) استلثم الرجل ؛ إذا لبسنا عنده من عدة : رمح وبيضة ومغفر وسيف ونبل .

(٢) الغلالة : شعار تحت الثوب (٣) القهرمان : هو كالحازن والوكيل المحافظ لما تحت يده

والقائم بأمر الرجل بلغة الفرس .

ولا يقتل ابن ذات النطاقين^(١)؛ أوّل مولود في الإسلام .

وأما نهيك أمير المؤمنين عن مفاكحة النساء وبلوغ أوطاره ، فإن كُنَّ يلدنَ مثلكَ فما أحقه بالقبول منك ، وإن كن يلدن مثله فهو غير قابل لقولك . أما والله لقد نفّضَ نساء أمير المؤمنين الطيبَ من غدائرهن والحلَى من أيديهن وأرجلهن فبيعتَه في أعطية أهل الشام ، حين كنتَ في أضيّقَ من القرن^(٢) ، قد أظلتك رماحهم ، وأنخنتك^(٣) كفاحهم ، وحين كان أمير المؤمنين أحبَّ إليهم من آباؤهم وأبنائهم ؛ فأنجلك الله من عدو أمير المؤمنين بحبهم إياه ؛ قاتل الله القاتل حين نظر إليك وسنان غزاة^(٤) بين كفتيك :

أسدٌ علىّ وفي الحروب نعامَةٌ فتخّاه تنفرُ من صغير الصافر^(٥)
هلاكررت على غزاة في الوغى بل كان قلبك في جوائح طائر
ثم قالت لجواربيها : أخرجنه ؛ فأخرج !

فدخل على الوليد ، فقال : ما كنتَ فيه يا حجاج ؟ قال : يا أمير المؤمنين : ماسكت حتى ظننت نفسي قد ذهبت ، وحتى كان بطن الأرض أحبَّ إلى من ظهرها ، وما ظننت أن امرأة تبلغ بلاغتها ، وتحسن فصاحتها ! قال : إنها بنت عبد العزيز !

(١) ذات النطاقين : أسماء بنت أبي بكر ، سميت بذلك لأنها شقت نطاقها ليلة خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، فجعلت واحدة لسفرة النبي ، والأخرى عصاً لقربته (٢) القرن هنا : الجمبة من جلود تكون مشقوقة ثم تنحز (٣) أنخن : غلب وقهر (٤) غزاة : امرأة شيبه الخارجي (٥) يقال ناقة فتخاه : ارتفعت أخلافها قبل بطنها ؛ وهو ذم .

٥٨ — الشعراء عند سكينه بنت الحسين *

اجتمع الفرزدقُ وجميل وجريـر ونُصيب وكُثير في موسم من المواسـم ، فقال بعضهم لبعض : والله لقد اجتمعنا في هذا الموسم ، وما ينبغي لنا أن نتفرقَ إلا وقد تتابعَ لنا في الناس شيءٌ نذُكرُ به . فقال جرير : هل لكم في سكينه ^(١) بنت الحسين ، نصددها فنسلمَ عليها ؛ فلعل ذلك يكون سبباً لبعض ما تريد ! فقالوا : امضوا بنا . فكنوا أياماً ، ثم أذنت لهم ، فدخلوا عليها وقعدت لهم حيث تراهـم ولا يرونها ، ثم أخرجت لهم وصيفة لها وضيفة ، وقد روت الأشعار والأحاديث ، فأقرأها كل منهم السلام فقالت : أيكم الفرزدق ؟ فقال : هأنذا ، قالت : أنت الذي تقول :

أبيتُ أمتي النفسَ أنْ سوف نلتقي وهل هو مقدورٌ نفسي لقاؤها
فإن ألقها أو يجمع الدهرُ بيننا ففيها شفاء النفس منها ودأؤها

قال : نعم ! قالت : قولك أحسنُ من منظرك ! وأنت القائل :

ودعني بإشارةٍ ونحييةٍ وتركني بين الديارِ قتيلاً
لم أستطع ردَّ الجوابِ عليهمُ عند الوداعِ وما شفينَ غليلاً
لو كنتُ أمليكمُ إذن لم يبرحوا حتى أودعَ قلبي الخجولاً

* المحاسن والمساوي : ٢٣٤ (طبع لبيـزج) ، مصارع المشاق : ٢٧٢ ، الأغاني : ١٤ - ١٩٦

(طبعة الساسي) ، الموشح : ١٥٩

(١) هي سكينه بنت الحسين بن علي بن أبي طالب ؛ كانت برزة من النساء ، تجالس الأجلة من قريش ، ويجتمع عندها الشعراء ، وتزوجت عدة أزواج . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

قال : نعم ، قالت : أحسنت ، أحسنَ اللهُ إليك ! وأنتَ القائل :
هُمَا دَلَّتَانِي مِنْ ثَمَانِينَ قَامَةً كَمَا انْقَضَ بَارِأَتَمُ الرِّيشِ كَامِرُهُ^(١)
فَمَا اسْتَوَتْ رِجْلَايَ فِي الْأَرْضِ نَادَاتَا : أَحَى فَيُرْجَى أُمُ قَتِيلٍ نَحَاذِرُهُ
فَقُلْتُ : ارْفَعُوا الْأَسْبَابَ لَا يَشْعُرُوا بِنَا وَوَلَيْتُ فِي أَعْقَابِ لَيْلٍ أَبَادِرُهُ
قال : نعم ، قالت : سَوَاءٌ لَكَ ! فَمَا دَعَاكَ إِلَى إِفْشَاءِ سِرِّهَا وَسِرِّكَ ! هَلَا سَتَرْتَ
عَلَيْهَا وَعَلَى نَفْسِكَ ! فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى جَبْهَتِهِ ، وَقَالَ : نَعَمْ ، فَسَوَاءٌ لِي !
ثم دخلت على مولاتها وخرجت وقالت : أَيْكُمْ جَرِيرٌ ؟ فَقَالَ : هَإِنَذَا ؛ قَالَتْ :
أَنْتَ الْقَائِلُ :

رُزِقْنَا بِهِ الصَّيْدَ الْغَزِيرَ وَلَمْ نَكُنْ كُنْ نَبْلُهُ مُحْرَمَةٌ وَحِبَابُهُ
فَهِيهَاتَ هِيهَاتَ الْمُعْقِيقُ وَمَنْ بِهِ وَهِيهَاتَ حَىِّ بِالْمُعْقِيقِ نَوَاصِلُهُ
قال : نعم ، قالت : أحسنَ اللهُ إليك ، وأنتَ القائل :
كَأَنَّ عَيُونَ الْمُجْتَلِينَ تَعَرَّضَتْ وَشَمْسًا تَجَلَّى يَوْمَ دَجْنِ سَحَابِهَا^(٢)
إِذَا ذُكِرَتْ لِلْقَلْبِ كَادَ لِذِكْرِهَا يَطِيرُ إِلَيْهَا وَاعْتَرَاهُ عَذَابُهَا
قال : نعم ، قالت : أحسنت ! وأنتَ القائل :

سَرَّتِ الْمَهْمُومُ فَبِتْنَ غَيْرَ نِيَامِ وَأَخُو الْمَهْمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامِ
ذُمَّ الْمَنَازِلَ بِمَدِّ مَنَزَلَةِ اللَّوَى وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَثِكَ الْأَيَّامِ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامِ

(١) كسر الطائر جناحيه : إذا ضم منها شيئاً ، وهو يريد الوقوع أو الاقراض (٢) الدجن : المطر الكثير .

لو كان عهدك كالذي حدثتني لوصلت ذلك فكان غير ريمام
تجري السواك على أغر كأنه برد محدر من متون غمام

قال : نعم ، قالت : سوء لك ! جماتها صائدة القلوب ، حتى إذا أناخت بياك
جملت دونها حجاباً ! ألا قلت :

طرقتك صائدة القلوب فرحياً نفسى فداوك فادخل بسلام
قال : نعم ! فسوء لي !

ودخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم كثير ؟ فقال : هانذا !
قالت : أنت القائل :

وأعجبني يا عز منك خلانق - حسان إذا عدت الخلائق - أربع
دُنُوكِ حتى يطعم الصب في الصبا وقطعك أسباب الصبا حين تقطع
وأنك لا تدري غريماً مطلته أيشد إن قاصاك أم يتضرع !
وأنك إن واصلت أعلمت بالذي لديك فلم يوجد لك الدهر مطمع
قال : نعم ، قالت : أعطاك الله منك ! وأنت القائل :

هيناً مريئاً غير داه مخامر لعزة من أعراضنا ما استحل
فأنا بالداعي لعزة بالجوى ولا شامت إن نعل عزة زلت
وكنت كذي رجلين رجل صحيحه ورجل رمى فيها الزمان فسلت
قال : نعم ، قالت : أحسن الله إليك .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم نصيب ؟ فقال : هانذا ،
قالت : أنت القائل :

ولولا أن يقال : صَبًا نَصِيبٌ لقلت : بِنَفْسِي النَّشَأُ الصَّنَارُ (١)
قال : نعم ! قالت : أحسنت وكرمت ، إلا أنك صبوت إلى الضغار ، وتركت
الناهضات بأحاملها .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، وقالت : أيكم جميل ؟ قال : أنا ، قالت :
أنت القائل :

لقد ذرقت عيني وطال سفوحها وأصبح من نفسي سقيماً صحيحها
ألا ليتنا كنا جميعاً وإن تمت يجاور في الموتى ضريحي ضريحها
أظله نهارى مستهماً ويلتقى مع الليل روى في المنام وروحها
فهل لي في كتمان حبي راحة ! وهل تنفعتي بوحه لو أبو حها ؟

قال : نعم ! قالت : بارك الله عليك ؛ وأنت القائل :

خلي فيما عشتا هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي ؟
أيت مع الهلاك ضيفاً لأهلها وأهلي قريب مؤسعون ذوو فضل
فيارب إن تهلك بثينة لا أعش فواقاً (٢) ، ولا أفرح بمالي ولا أهلي
ويارب إن وقيت شيئاً فوقها حُتوف المنايا، رب واجمع بها شملي

قال : نعم ! قالت : أحسنت . أحسن الله إليك ، وأنت القائل :

ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بوادي القرى إني إذن لسعيد
لكل حديث عندهن بشاشة وكل قتيلاً بينهن شهيد
وياليت أيام الصبا كن رجماً ودهراً تولى يابسين بمود

(١) النشأ : جمع ناشئ للذكر وللؤث ، وهو المحدث الذى جاوز حد الصغر .

(٢) فواقا : فترة .

إذا قلتُ : ما بى يا بئينةُ قاتلى من الحبِّ قالت : ثابتٌ ويزيدُ
وإن قلتُ: رُدِّى بعضَ عفى أعش به تناءتْ وقالت : ذاك منك ببيدُ
فما ذُكِرَ الخِلَّانُ إلا ذكرتُها ولا البخلُ إلا قلتُ سوف تجودُ
فلا أنا مردودٌ بما جئتُ طالباً ولا حُبُّها فيما يبيدُ يبيدُ
يموتُ الموصى منى إذا ماتتِها ويحيى إذا فارتقتُها ويزيدُ
قال : نعم ، قالت : لله أنت ا جعلت لحدِيثها مَلاحة و بشاشة ، وقتيلها شهيداً ،
وأنت القاتل :

ألا ليتنى أعمى أصمُّ تقودُنى بئينةُ لا يخفى على مكانها
قال : نعم ، قالت : قد رضيت من الدنيا أن تقودك بئينة وأنت أعمى أصم !
قال : نعم .

ثم دخلت على مولاتها وخرجت ، ومعها مذهبٌ فيه غالية (١) ، ومنديل فيه
كسوة ، وصرّة فيها خمسمائة دينار فصبت الغالية على رأس جميل ، حتى سالت على
لحيته ، ودفعت إليه الصرة والكسوة ، وقالت : ابسط لنا العذر ؛ أنت أشعرهم ،
وأمرت لأصحابه بمائة مائة .

(١) الغالية : الطيب .

٥٩ — الفرزدق وسكينة بنت الحسين *

خرج الفرزدق^(١) حاجًا؛ فلما قضى حجة عدل إلى المدينة، فدخل إلى سُكينة بنت الحسين، فسلم، فقالت له: يا فرزدق، مَنْ أشعر الناس؟ قال: أنا، قالت: كذبت، أشعرُ منك الذي يقول:

بِنَفْسِي مَنْ تَجَنَّبُهُ عَزِيزٌ عَلَيَّ وَمَنْ زيارته لِمِائِمٍ
وَمَنْ أُمْسَى وَأَصْبَحَ لَا أَرَاهُ وَيَطْرُقُنِي إِذَا هَجَعَ النَّيَامُ

فقال: أما والله لو أذنت لي لأسمعك أحسن منه. قالت: أقيموه؛ فأخرج. ثم عاد إليها من الغد، فدخل عليها؛ فقالت: يا فرزدق، مَنْ أشعرُ الناس؟ فقال: أنا، قالت: كذبت، صاحبك جرير أشعر منك حيث يقول:

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ
وَلَزَرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَبِيبُ يُزَارُ
كَانَتْ إِذَا هَجَرَ الضَّجِيعُ فَرَاشَهَا^(٢) كُتِمَ الْحَدِيثُ وَعَفَّتِ الْأَسْرَارُ
لَا يَلِثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَسْكُرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ

فقال: والله لئن أذنت لي لأسمعك أحسن منه، فأمرت به فأخرج. ثم عاد إليها في اليوم الثالث، وحوالها مَوْلِدَاتٌ لَهَا كَأَنَّهَا التَّمَائِيلُ؛ فنظر الفرزدق إلى واحدة منهن فأعجب بها، وبهت ينظر إليها. فقالت له

* الأغاني: ٨ - ٣٨ (طبعة دار الكتب)، مصارع العشاق: ٧٤، انحاسن والساوي: ٢٣٣ (طبع ليبرج).

(١) هو أبو فراس حماد بن غالب، نشأ بالبصرة وأخذه أبوه برواية الشعر وظلمه، فرواه ونبغ فيه، وتعرف بولادة البصرة ومدحهم وهجاءهم، ثم رحل إلى خلفاء بني أمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم. مات سنة ١١٠ هـ.

(٢) الضجيج هنا: الزوج، وهجرها أن يغيب عنها؛ يصفها بالغباف.

سكينة : يافرزدق من أشعرُ الناس ؟ قال : أنا ؛ قالت : كذبت ؛ صاحبك أشعر منك حيث يقول :

إنَّ العيونَ التي في طرفها مَرَضٌ قتلنا ثم لم يُحمين قتلانا
يصرعنَ ذا اللبِّ حتى لا حَرَآك به وهُنَّ أضعفُ خلقِ الله إنسانا

فقال : لئن تركتني لأسمنك أحسنَ منه ، فأمرت بإخراجه .

فالتفت إليها ، وقال : يا بنت رسول الله ، إن لي عليك حقاً عظيماً . قالت : وما هو ؟ قال : ضربتُ إليك آباط الإبل من مكة إرادة التسليم عليك ، فكان جزأى من ذلك تكذبي وطردى ، وتفضيلَ جرير على ، ومنعتك إياى أن أنشدك شيئاً من شعري ، وبنى ما قد عيلَ منه صبرى ؛ وهذه المنايا تفتدو وتروح ، ولعلى لا أفارقُ المدينة حتى أموت ، فإذا أنا مت فمرى بى أن أدرج فى كفتى ، ثم أدفن فى ثياب هذه الجارية (١) .

فضحكت سكينة وأمرت له بالجارية ، فخرج بها أخذاً بربطها (٢) ؛ ثم قالت له : يافرزدق ، احتفظ بها وأحسنِ صحبتها ، فإنى آثرتك بها على نفسى ، بارك الله لك فيها .

قال الفرزدق : فلم أزل والله أرى البركة بدعائها فى نفسى وأهلى ومالى .

(١) يشير لى الجارية التى أعجبتة . (٢) الربطة : الملاوة .

٦٠ - يوم عند امرأة من بنى أمية*

خرج النُصيب هو وكثير الأحوص^(١) غيباً يوم أمطرت فيه السماء ، فقال :
هل لكم في أن نركب جميعاً فנסير حتى نأتي العقيق ، فنمتع فيه أبصارنا ؟ فقالوا :
نعم ؛ فركبوا أفضل ما يقدرُون عليه من الدواب ، ولبسوا أحسن ما يقدرُون عليه من
السياب ، وتكروا ثم ساروا حتى أتوا العقيق ، فجعلوا يتصفحون^(٢) ويرون بعض
ما يشتهون ، حتى رُفِعَ لهم سوادٌ عظيم فأموه ، فإذا وصافُ ورجالٌ من الموالي
ونساء بارزات ، فسألنهم أن ينزلوا فاستحيوا أن يُجيبوهنَّ من أول وهلةٍ ؛ فقالوا :
لا نستطيع أو نمضي في حاجةٍ لنا ، فحلفنهم أن يَرَجِعُوا إليهنَّ ، ففعلوا وأنوهنَّ
فسألنهم النزول فنزلوا .

ودخات امرأة من النساء فاستأذنتُهم ، فلم تلبث أن جاءت للمرأة فقالت :
ادخلوا .

قال النُصيب : فدخلنا على امرأة جميلة برزة على فرش لها ، فرحبت ، وحيَّت ؛
وإذا كرامتي موضوعة ، فجلستنا جميعاً في صفةٍ واحدٍ كلُّ إنسانٍ على كرسى ،
فقالت : إن أحببتُم أن ندعو بصبي^(٣) لنا فنصيححه ونعرك أذنه فعلنا ، وإن شئتم
بدأنا بالغداء ، فقلنا : بل تدعين بالصبي ، ولن يفوتنا الغداء .

فأومات بيدها إلى بعض الخدم ، فلم يكن إلا كلاً ولا^(٤) حتى جاءت جارية

* الأغاني . ١ - ٣٥٦ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله ، شاعر هجاء ، كان معاصراً لجرير والفرزدق ، وهو من
سكان المدينة ، ولقب بالأحوص لضيق في مؤخر عينيه . توفي سنة ١٠٥ هـ . (٢) تصفحت
الشيء : نظرت إليه لأنعرفه . (٣) تريد العود ؛ على التشبيه (٤) العرب إذا أرادوا تقليل مدة
فعل أو ظهور شيء حتى قالوا : كان فعله كلاً ، وربما كرروا فقالوا : كلاً ولا . اللسان - مادة «لا» .

جميلةٌ قد سُرَّتْ بِمُطَرَفٍ ، فأسكوه عليها حتى ذهب بهزها^(١) ، ثم كَشَفَ عنها ،
وإذا جارية ذات جمالٍ ، قرييةٌ من جمال مولاتيها ، فرحبت بهم وحببتهم ، فقالت
لها مولاتها : خُذِي العود ويحك ! وغنى من قول النسيب ، عافى الله أبا محجن !

أهل من البين المُتَرَف من بُدُّ وهل مثلُ أيامٍ بِمُنْقَطعِ^(٢) السَّمَدِ ا
تَمَنَيْتُ أَيامِي أَوْلَثَكَ وَالْمَنَى على عهد عادٍ ما تُعِيدُ^(٣) ولا تُبْدِي

فغنته ، فجاءت به كأحسن ما سمعته قط ؛ بأحلى لفظ وأشجى صوت ، ثم قالت
لها : خُذِي أيضا من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !

أرقَ الحبُّ وعاده سَهْدَةٌ لِطَوَارِقِ الممِّ التي تَرِدُهُ
وذكرتُ من رَقَّتْ له كبدِي وأبى فليس ترقُّ لي كبدُهُ
لا قَوْمُهُ قومي ، ولا بَلَدِي - فنكونَ حينًا حيرةً - بَلَدُهُ
ووجدتُ وجدًا لم يكن أحدٌ قَبْلِي من أَجْلِ صِبايَةِ بِجْدُهُ
إِلا ابنَ عَجَلانَ^(٤) الذي تَبَلَّتْ هندٌ ففات^(٥) بنفسه كدَّهُ

قال : فجاءت به أحسن من الأول ، فكادت أظيرُ سرورا ، ثم قالت لها :
ويحك ! خذي من قول أبي محجن ، عافى الله أبا محجن !
فيلك من ليلٍ تمتتُ طولَهُ وهل طائفٌ من نائمٍ مُتَمَتِّعُ !

(١) البهر في الأصل : اقتطاع النفس من الإعياء ، ويراد هنا : الحجل والروع (٢) منقطع
المكان : حيث ينتهي ، والسعد : موضع قرب المدينة (٣) أي لا فائدة منها (٤) هو عبد الله
ابن مجلان ، شاعر جاهل عاشق ؛ عشق هند بنت كعب بن عمرو مات في سبيلها ، فضرب الثلج
بشفقه (تزيين الأسواق : ٢ - ٧٦) .
(٥) أي أن الكد أهلكه وذهب بنفسه .

نم إن ذا شَجْوٍ - متى يلقَ شَجْوَهُ ولوناً مُسْتَعْتَبٌ^(١) أو مودَعُ
له حاجةٌ قد طالما قد أمرها من الناسِ في صدرٍ بها يتصدعُ
تحمّلها طولَ الزمانِ اعلمها يكونُ لها يوماً من الدهرِ منزعُ
وقد قرّعت في أمِّ عمرو لي العصا قديماً ، كما كانت لذي الحلمِ تقرّع^(٢)

قال : فجاءت والله بشيء حيرني وأذهلني طر بالحسن الغناء ، وسروراً باختيارها
الغناء في شعري ، وما سمعتُ فيه من حُسن الصنعة وجودتها وإحكامها . ثم قالت
لها : خذني أيضاً من قول أبي عجمن ، عافى الله أبا عجمن :

يأيها الرّكبُ إني غيرُ تائبكم حتى تلتّوا وأتم بي ملّونا
فأرى مثلكم ركبا كمثلكم يدعوهم ذو هوى إلا يعوجونا
أم خبروني عن داني بملكم وأعلمُ الناسِ بالداء الأطنونا^(٣)

قال نصيب : فوالله لقد زُهيتُ بما سمعت زهوا ، خيل إلى أي من قرش ،
وأن الخلافة لي ، ثم قالت : حَسْبُكَ يَا بَنِيَّةَ ، هاتِ الطعامِ يا غلام ؛ فوثب الأحوصُ
وكثيرٌ ، وقالوا : والله لا نَظَمَ لكَ طعاماً ، ولا نجاسَ لكَ في مجلس ، فقد أسأتِ
عِشْرَتَنَا واستخففتِ بنا ، وقدّمتِ شعر هذا على أشعارنا ، واستمعت الغناء فيه ؛
وإن في أشعارنا لَمَّا يَفْضُلُ شعره ، وفيها من الغناء ما هو أحسنُ من هذا ، فقالت :
على معرفةٍ كلُّ ما كان مني !

(١) الاستعتاب : طلب العتي وهو الرضا (٢) يشير إلى التل : « إن العصا قرعت لذي
الحلم » يضرب لمن إذا نه انتبه ، والمعنى أنه قد ليم قديماً في حيا (٣) الأطنون : البارعون
في الطلب .

ثم خرجا مُغْضَبَيْنِ وَاحْتَبَسْتَنِي . فتغدّيت غندها ، وأمرت لي بثلاثائة دينار
وحلّتين وطيبٍ ، ثم دفعتُ إلى مائتي دينار ، وقالت : ادفعا إلى صاحبك ، فإن
قبلاها وإلا فهي لك .

فأتيتهما منازلهما فأخبرتهما القصة ، فأما الأحرص فقيلها ، وأما كثير فلم يقبلها
وقال : لعن الله صاحبك وجائزتها ولعنك معها ، فأخذتها وانصرفتُ .

قال الراوي : فسألتُ النصيب : ممّن المرأة ؟ قال : من بنى أمية ، ولا أذكر
اسمها ما حيت لأحد .

٦١ — حديث عائشة بنت طلحة مع النميري*

لما تَأَيَّمَتْ^(١) عائشةُ بنتُ طلحةِ كانت تقيمُ بمكةَ سنةً وبالمدينةِ سنةً؛ وتخرجُ إلى مالٍ^(٢) عظيمٍ لها بالطائف ، وقصرٍ كان لها هناك فتتزره فيه، وتجلس بالعشيات ، فيتناضَلُ بين يديها الرُّماةُ .

فَرَبَّهَا النميريُّ الشاعرُ^(٣) ، فسألتُ عنه فنُسبَ لها ، فقالت : ائتوني به فأتوها به . فقالت له : أَنَسِدْنِي مِمَّا قَلتَ في زينب^(٤) ؛ فامتنع عليها وقال : تلك ابنةُ عمِّي ، وقد صارت عظاماً باليةً ، قالت : أقسمتُ عليك باللهِ إلا فعلتَ ؛ فأنشدها قوله :

تَصَوَّعَ مِسْكَاً بطنُ نَعْمَانٍ^(٥) إذ مَشَتْ به زينبُ في نَسْوَةٍ عَطِرَاتِ
تَهَادَيْنَ ما بينَ المَحْصَبِ^(٦) من مِني وَأَقْبَلْنَ لاشُعْمَاً ولا غَبِرَاتِ
أَعَانَ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ عرشَهُ مَوَاشِيََ بالبَطْحَاءِ مَوَاتِجِرَاتِ^(٧)
مَرَزْنَ بفتحٍ^(٨) ، ثم رُحْنَ عَشِيَّةً يَلْبَسِينَ للرَّحْمَنِ مُعْتَمِرَاتِ

* الأغاني . ٦٠ - ٢٠٣ (طبعه دار الكتب)

(١) تأيَّمت المرأة : إذا مات عنها زوجها ولم تتزوج . وقد كانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر فهلك عنها فتزوجها بعده مصعب بن الزبير فقتل عنها ، ثم تزوجها عمر ابن عبد الله بن معمر ، فات عنها ، فلم تتزوج بعده . توفيت سنة ١١٠ (٢) المال : ما ملكه الإنسان من كل شيء . (٣) هو محمد بن عبد الله ، من ثقيف ، شاعر غزل مولد من شعراء الدولة الأموية . توفي سنة ٩٠ هـ . (٤) هي زينب بنت يوسف بن الحكم أخت الحجاج الثقفي ، وللمنبري فيها أشعار كثيرة : شبب بها في حياتها وورثها بعد موتها (٥) بطن نعمان : موضع بين مكة والطائف (٦) المحصب : موضع بين مكة ومي (٧) مؤنجات : طالبات للأجر (٨) فتح : موضع ؛ بينه وبين مكة ثلاثة أميال .

يَحْبِئُنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ التَّتَى وَيَقْتُلُنَ بِالْأَلْحَاطِ مُقْتَدِرَاتِ
تَقْسَمُنَ لِيَّ يَوْمَ نَعْمَانَ لِمَتِي رَأَيْتَ فُوَادِي عَارِمٍ ^(١) النَّظْرَاتِ
جَلُونَ وَجُوهَا لَمْ تَلْحُهَا سَمَائِمٌ حَرُورٌ ، وَلَمْ يُسْفَعْنَ بِالسَّبْرَاتِ ^(٢)

وَلَمَّا رَأَتْ رَكْبَ الْغَيْرَى رَاعَهَا وَكُنَّ مِنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذْرَاتِ
فَأَذْنِينَ حَتَّى جَاوَزَ الرِّكْبُ دُونَهَا حِجَابًا مِنَ الْقَسَى ^(٣) وَالْحَبْرَاتِ
فَكِدَّتْ أَشْتِيَاقًا نَحْوَهَا وَصَبَابَةً تَقْطَعُ أَنْفَاسِي لِأَثْرَهَا حَسْرَاتِ
فَرَاجَعْتُ نَفْسِي وَالْحَفِيظَةَ بَعْدَمَا بَدَلْتُ رِذَاءَ الْعَصَبِ ^(٤) بِالْعَبْرَاتِ ^(٥)

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا قَلَّتْ إِلَّا جَمِيلًا ، وَلَا ذَكَرْتَ إِلَّا كَرَمًا وَطِيْبًا ، وَلَا وَصَفْتَ
إِلَّا دِينَئًا وَتَقَى ! أَعْطَوْهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ .

فَلَمَّا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الْأُخْرَى تَعَرَّضَ لَهَا ؛ فَقَالَتْ : عَلَيَّ بِهِ ، فَأَحْضَرَ . فَقَالَتْ لَهُ :
أَنْشَدْنِي مِنْ شَعْرِكَ فِي زَيْنَبَ ، فَقَالَ لَهَا : أَوْ أَنْشِدُكَ مِنْ شَعْرِ الْحَارِثِ بْنِ خَالِدِ
فِيكَ ؟ فَوَثِبَ مَوَالِيهَا إِلَيْهِ ؛ فَقَالَتْ : دَعُوهُ فَإِنَّهُ أَرَادَ أَنْ يَسْتَقِيدَ ^(٦) لِبَيْتِ عَمِّهِ ؛
هَاتِ مِمَّا قَالَ الْحَارِثُ فِيَّ فَأَنْشُدْهَا ^(٧) :

(١) عارم النظرات : شديدها (٢) لاحته الشمس : لفته وغيرت وجهه ، والسائم : جمع سموم وهي ريح حارة ، وسففته : غيرته . والسبرات : جمع سبرة وهي شدة البرد (٣) القسى : نوع من الثياب ، والحبرات : ضرب من برود اليمن (٤) العصب : برود يصنع غزلها ثم تنسج (٥) روى أن هذه القصيدة حينما بلغت عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج : « قد بلغني قول الحبيث في زينب ، فإله عنه ، وأعرض عن ذكره ؛ فإنك إن أدنيتيه أو عاقبتيه أطعته ، وإن عاقبتيه صدقته » (٦) يأخذ بثأرها (٧) قال الحارث بن خالد هذه الأبيات حين تزوج مصعب بن الزبير عائشة ، ورحل بها إلى العراق . والحارث بن خالد : أحد شعراء قريش المدودين النزلين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة في شعره ، لا يتجاوز الغزل إلى المدح والهجاء إلا نادراً .

ظَمَنَ الْأَمِيرُ بِأَحْسَنِ الْخَلْقِ وَغَدَا بِلَبِّكَ مَطْلَعَ الشَّرْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ وَمِنْ أَهْلِ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالصَّدَقِ
مَا صَبَّحَتْ أَحْسَدًا بِرُؤْيَيْهَا إِلَّا غَدَا بِكُوَاكِبِ الطَّلْقِ ^(١)

فَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا ذَكَرْتُ إِلَّا جَمِيلًا ؛ ذَكَرْتُ أَنْبِيَّ إِذَا صَبَّحْتُ زَوْجِي بِوَجْهِ غَدَا
بِكُوَاكِبِ الطَّلْقِ ، وَأَتَى غَدَا مَعَ أَمِيرٍ تَزَوَّجَنِي إِلَى الشَّرْقِ ، وَأَنْبِيَّ أَحْسَنُ الْخَلْقِ
فِي الْبَيْتِ ذِي الْحَسْبِ الرَّفِيعِ ؛ أَعْطَاهُ أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَأَكْسُوهُ حَلَّتَيْنِ ، وَلَا تَمُدُّ لِإِتْيَانِنَا
بِمَدِّ هَذَا يَا نَمِيرِي .

(١) يُقَالُ : يَوْمَ طَلَقَ ؛ أَي مَشْرُقٍ مُعْتَدِلٍ ، وَهُوَ يُرِيدُ : أَنْ مِنْ تَصْبُحِهِ بِرُؤْيَيْهَا يَرَى الْيَوْمَ
طَبِيبًا سَعِيدًا .

٦٢ - أتريد أن تقتلني ! *

أقبل أبو العباس السفاح^(١) على أختي أم سلمة^(٢) بنت يعقوب، فسأله التزويج بها فزوجه إياها ، فأصدقها خمسمائة دينار ، وأهدى مائتي دينار ، ودخل عليها من ليلته ، وحظيت عنده ، وحلف ألا يتزوج عليها ولا يتسرى ، وغلبت عليه غلبةً شديدة حتى ما كان يقطعُ أمراً إلا بمشورتها وبأمرها ، ثم أفضت الخلافةُ إليه ، فوقى لها بما حلف .

فلما كان ذات يوم في خلافته خلا به خالدُ بن صفوان ؛ فقال: يا أمير المؤمنين إنني فكرت في أمرك ، وسعة ملكك ، وقد ملكت نفسك امرأةً واحدة ، فإن مرضت مرضت ، وإن تألمت ألمت ، وحرمت نفسك الجوارى ، والتمتع بما تشتهي منهن ؛ فإن منهن - يا أمير المؤمنين - الطويلة العيذاء^(٣) ، وإن منهن الغضة ، والدقيقة السمراء ، من مولدات المدينة ؛ ولورأيتَ يا أمير المؤمنين الطويلة البيضاء ، والسمراء اللعساء^(٤) ، من مولدات البصرة والكوفة ، وذوات الألسن العذبة والقُدود المهففة ، وحسن زيهنّ وزيتهنّ ، وشكلهنّ لرأيت شيئاً حسناً .

* المحاسن والمساوي : ٤٣٠ (طبع ليزج) ، ثمرات الأوراق : ٢ - ٢٩٢ ، السمودي : ٢ - ٢١٥ .

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، رأس الدولة العباسية . بويج بالخلافة سنة ١٣٢ ومات سنة ١٣٦ (٢) كانت عند عبد العزيز بن الوليد فهلك عنها ، ثم كانت عند هشام فهلك عنها (٣) العيذاء : المتذنية لينا (٤) اللس : سواد مشرب بحمرة .
(١١ - قصص العرب - ثان)

وأين أنت يا أمير المؤمنين من بنات الأحرار ، والنظر إلى ما عندهن من
الحياء والتخفُّر !

وجعل خالد يجيد في الوصف ، ويجدُّ في الإطناب ، بحلاوة لفظه وجودة
وصفه .

فلما فرغ قال له أبو العباس : ويحك يا خالد ! ما صكَّ مسامعي - والله - قطّ
كلام أحسن مما سمعته ، فأعدِّ عليّ كلامك ؛ فقد وقع مني موقعاً . فأعاد عليه خالد
الكلام أحسن مما ابتدأه ، ثم انصرف .

وبقى أبو العباس مفكراً فيما سمع منه ، فدخلت عليه أم سلمة امرأته . وكانت
تبرّه كثيراً ، وتحري مسرته وموافقته في جميع ما أرادته - فقالت له : إني
لأنكرُك يا أمير المؤمنين ؛ فهل حدث أمر تكرهه ؟ أو أتاك خبر فارتعت له ؟
قال : لم يكن من ذلك شيء !

قالت : فما قصتك ؟ فجعل ينزوي عنها ؛ فلم تزل به حتى أخبرها بمقالة خالد له ،
فقالت : فما قلت له ؛ إنه ... قال : سبحان الله ينصحنى وتشتمينه !

فخرجت من عنده مغضبة ، وأرسلت إلى خالد بعض خدمها ، وأمرتهم ألا
يتركوا منه عضواً صحيحاً .

قال خالد : فانصرفتُ إلى منزلي ، وأنا مسرور بما رأيتُ من أمير المؤمنين ؛
وإعجابه بما ألقىته إليه . ولم أشك أن صلته ستأتينني ، فلم ألبث حتى صار إليّ
أولئك الخدم ، وأنا قاعد على باب داري ؛ فلما رأيتهم قد أقبلوا نحوي أيقنتُ
بالجائزة ، حتى وقفوا عليّ ؛ فسألوا عني ؛ فقلت : هاأنذا خالد ؛ فسبق إليّ أحدهم

بهرآوة كانت معه ، فلما أهوى بها إلى وثبت فدخلت منزلي ، وأغلقت الباب على واستترت ، ومكثت أياماً على تلك الحال لا أخرج من منزلي ، ووقع في خلدني أني أتيت من قبل أم سلمة .

وطلبني أبو العباس طلباً شديداً ، فلم أشعر ذات يوم إلا بقوم قد هجموا علي وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأيتت بالموت .

ولما وصلت إلى الدار أوماً إلى بالجلوس ، ونظرت فإذا خلف ظهري باب عليه ستور قد أرخيت ، وحركة خلفها ! فقال : يا خالد : لم أرك منذ ثلاث . قلت : كنت عليلاً يا أمير المؤمنين : قال : ويحك ! إنك وصفت لي في آخر دخلة من أمر النساء والجواري ما لم يخرق مسامعي قط ؛ فأعده علي .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، أعلمتك أن العرب اشتقت الضرّة من الضرّ ، وأن أحدهم ما تزوج من النساء أكثر من واحدة إلا كان في جهدي^(١) ، فقال : ويحك ! لم يكن هذا في الحديث ، قلت : بلى والله يا أمير المؤمنين ، وأخبرتكم أن الثلاث من النساء كأتاني^(٢) القدر يغلي عليهن . قال أبو العباس : برئت من قرابتي من رسول الله إن كنت سمعت هذا منك في حديثك اقلت : وأخبرتكم أن الأربعة من النساء شرّ لصاحبهن يُشيبنه ويهرّ منه ويسقمه . قال : ويحك ! والله ما سمعت هذا الكلام منك ولا من غيرك قبل هذا الوقت . قلت : بلى والله ، قال : وتلك ! أو تكذبني ! قلت : وتريد أن تقتلني يا أمير المؤمنين !

(١) الجهد : المشقة (٢) الأتاني : جم أنفية : وهي ما يوضع عليه القدر .

قال خالد : فسمعت الضحك من وراء الستر . قلت : نعم ، وأخبرتكَ أيضاً أن
بني مخزوم ريمانة قريش ، وأنت عندك ريمانة من الرياحين ، وأنت تطعم مينيك
إلى حرائر النساء وغيرهن من الإماء .

فقيل لى من وراء الستر : صدقتَ والله يا عمّاه وبررت ، بهذا حدثتَ أميرَ
المؤمنين ، ولكنه بدلَ وغيرَ ، ونطق عن لسانك !

فقال أبو العباس : مالك قاتلك الله وأخزأك ، وفعل بك وفعل !
فتركته وخرجت ، وقد أيقنتُ بالحياة ، فما شعرت إلا برسل أمّ سلمة قد صاروا
إلى ، ومعهم عشرة آلاف درهم وتحت^(١) ويردّون وغلّام .

(١) التخت : وعاء يسان فيه الثياب .

٦٣ — بعد أن ذهب الملك*

كانت الخَيْرَان^(١) أم الهادي والرشيد في دارها ، وعندها أمهاتُ أولادِ الخلفاء وغيرهنّ من بنات بني هاشم ؛ فبينما هي كذلك إذ دخلت عليها جارية من جواربها ، فقالت : أعز الله السيدة ! بالبواب امرأة ذاتُ حسن وجمال ، في أطمارِ رثّة ، وليس وراء ما هي عليه من سوء الحال غاية ، تأتي أن تُخبرَ باسمها ، وهي تروم الدخول .

فقالت الخَيْرَان للجارية : أدخلها ، فإنه لا بد من فائدة أو ثواب ، فدخلت امرأة ذاتُ بهاء وجمال ، في أطمارِ رثّة ؛ فوقفت بجانب عَصَادَة الباب ثم سلّمت متضائلة ، وتكلمت فأوضحت عن بيان ولسان . فقالت : من أنت ؟

قالت : أنا مزنة زوج مروان بن محمد ، وقد أصارني الدهر إلى ما ترين ، ووالله ما الأطمارُ الرثّة التي علىّ إلا عارية ، وإنكم لما غلبتمونا على هذا الأمر ، وصار لكم دوننا لم نأمن مخالطة العامة - على ما نحن فيه من الضرر - على بآدرّة إلينا تنزيل موضع الشرف ؛ فقصدناكم لتكونَ في حجابكم على أية حال كانت ؛ حتى تأتي دَعْوَةٌ من له الدعوة .

* ثمرات الأوراق : ١ - ٢١٨ ، السعدي : ٢ - ٢٤٩ .

(١) هي زوجة المهدي العباسي ، وأم الهادي والرشيد ، يمانية الأصل ، وللاولى ابنها الهادي استبدت بالأمر دونه ، فكانت المواقب تغدو وتروح إلى بابها فنمها الهادي من ذلك . وكانت حازمة ، توفيت في خلافة الرشيد سنة ١٨٣ .

فاغرورقت عينا الخيزران بالدموع ، ونظرت إليها زينب^(١) بنت سليمان بن علي فقالت : لا خففَ الله عنك يا مَرْزُنة ! أتذكرين وقد دخلتُ إليك وأنت على هذا البِساطِ بعينه ، فكلمتُك في جثة إبراهيم الإمام ، فانتهرتني ، وأمرت بإخراجي ، وقلت : ما للنساء والدخول على الرجال في آرائهم ! فوالله لقد كان مَرْوانُ أَرْحَى للحقِّ منك ! لقد دخلتُ إليه فحلفَ إنّه ما قتله - وهو كاذب - وخيّرني بين أن يدفنه ، أو يدفعَ إليّ جُثته ، وعرض عليّ مالاً فلم أقبله .

قالت مَرْزُنة : والله ما أدّاني إلى هذه الحال التي ترينها إلا تلك الفِعال التي كانت مني ، وكأنك استحسنيتها ، فخرست الخيزران على مثلها ؛ إنما كان يجب أن تحضّيها على فعل الخير ، وتركِ المقابلة بالشر ؛ لتُخْرِزَ بذلك نعيمها ، وتُصَوِّنَ دينها ثم قالت لزينب : يا بنت عم ؛ كيف رأيت صَنِيعَ الله بنا في العقوق ، فأُحْبِيتِ التامِسَ بنا ! ثم ولّت باكية .

فأشارت الخيزران إلى جاريةٍ من جواريتها ، فعدلت بها إلى بعض القاصير ، وأمرت بتغيير حالها والإحسان إليها .

فلما دخل المهدي عليها - وقد انصرفت زينب - قصّت الخيزران عليه قصتها ، وما أمرت به من تغيير حالها ؛ فدعا بالجارية التي رَدَّتها ، فقال لها لما رددتها إلى المقصورة : ما الذي سمعتها تقول ؟ قالت لحقتها : وهي تبكي في خروجها ، وتقرأ : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ؛ فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ .

(١) كان المهدي قد تقدم إلى الخيزران بأن تلزم زينب بنت سليمان ، وقال لها : اتبسي من آدابها ، وخذني من أخلاقها ، فإنها مجوز لنا قد أدركت أوائلنا .

ثم قال للخيزران : والله لو لم تفعلى بها ما فعلت ما كنتك أبداً ، وبكى بكاءً كثيراً ، وقال : اللهم إني أعوذ بك من زوال النعمة !

ثم بعث جارية إلى مقصورتها التي أخليت لها ، وقال للجارية : اقرنى عليها السلام ، وقرئى لها : يا بنت عم ؛ إن أخواتك قد اجتمعن عندي ، ولولا أنى ابن عمك لجئناك !

فلما سمعت الرسالة علمت مراد المهدي ، فجاءت تسحب أذيالها فأمرها بالجلوس ، ورحب بها ورفع منزلتها .

ثم تذكروا أخبار أسلافهم ، وأيام الناس والدولة وتنقلها ؛ فتركت لأحد في المجلس كلاماً !

فقال لها المهدي : يا بنت عم ؛ والله لولا أنى لا أحب أن أجعل لقويم أنت منهم في أمرنا شيئاً تزوجتك ، ولكن لا شيء أضون لك من حجابي ، وكونك مع أخواتك في قصرى ؛ لك ما هنّ ، وعليك ما عابهنّ ، إلى أن يأتيك أمر من له الأمر فيما حكم به على الخلق .

ثم أخذ معها^(١) وأجازها ، فأقامت في قصره إلى أن قضى المهدي والمهدي ، ومضى صدر من أيام الرشيد وماتت في خلافته ؛ فجزع عليها جزعاً شديداً .

(١) أخذت فلانا . أعطيته خادماً يخدمه .

٦٤ — أم أمير المؤمنين بالباب *

كانت أم جعفر^(١) بن يحيى أرضعت الرشيد^(٢) مع جعفر ، لأنه كان رُبِّي في حجرها ، وغذِّي برِسلِها^(٣) إذ أن أمه ماتت عن مهديه ، فكان الرشيد يشاورها ، مُظهِراً لإكرامها ، والتبرُّك برأيها . وكان آلى - وهو في كفالتها - ألا يحجبها ، ولا استشفعته لأحد إلا شفعا ، وآلت عليه أم جعفر ألا دخلت عليه إلا مأذوناً لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترفٍ ذنباً ، فكم أسيرٍ فكَّت ، ومُبهمٍ عنده فتحت ، ومستغلقٍ منه فرجَّت !

وتعبّر الرشيد على البرامكة^(٤) ، فقتل جعفرأ ، وسجن يحيى والفضل ، وسجن معهما أقاربهما ، واستصفي ضياعهم وأموالهم . ثم احتجب عن الناس ، فسعت إليه أم جعفر ، وطلبت الإذن عليه ومثت^(٥) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفةً وجهها ، واضعةً لثامها، محتفية^(٦) في مشيها، حتى صارت بباب قصر الرشيد .

فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظنيرُ أمير المؤمنين بالباب ، في حالةٍ تغلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك !

* العقد الفريد . ٣ - ٣٣ .

- (١) هي فاطمة بنت محمد بن الحسين بن قطيبة (٢) هو هارون الرشيد بن محمد المهدي ، كان ديناً محافظاً كثير الجهاد ، وافر الطاء ؛ توفي سنة ١٩٣ هـ (٣) الرسل : اللب .
 (٤) كانت نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ ؛ بعد عودة الرشيد من الحج
 (٥) متت : توسلت (٦) احتفى : مضى حافياً .

أو ساعية؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين وحافية! قال: أدخلها يا عبد الملك، فرب كبد غدتها، وكربة فرجتها، وعوزة سقرتها! .

ودخلت، فلما نظر الرشيد إليها داخلته محضية، قام محتضياً حتى تلقاها بين عمدة المسجد، وأكب على تقبيل رأسها، ثم أجلسها معه؛ فقالت: يا أمير المؤمنين؛ أيمدو علينا الزمان، ويخفوننا خوفاً لك الأعوان، ويُجردك^(١) بنا البهتان، وقد رببتك في حجرى، وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى! فقال لها: وماذا يا أم الرشيد؟ قالت: ظنرك^(٢) يحبى وأبوك، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين؛ من نصيحتته له، وإشفاقه عليه . . .

فقال لها: يا أم الرشيد، أمر سبق، وقضاء حم^(٣)، وغضب من الله نفذ .

فقالت: يا أمير المؤمنين ﴿يَمْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ .

فقال: صدقت، فهذا مما لم يمنحه الله . فقالت: الغيب محبوب عن النبيين،

فكيف عنك يا أمير المؤمنين! فأطرق الرشيد ملياً، ثم قال:

وإذا المنية أنسبت أظفارها ألفت كل تيممة لاتنفع^(٤)

فقالت: بغير روية: ما أنا ليحيى بتيممة يا أمير المؤمنين، وقد قال الأول^(٥):

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

هذا بعد قول الله عز وجل: ﴿وَالكَافِرِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَكَبِّرُونَ﴾

والله يحب المحسنين .

(١) مجردك: يفضك (٢) الظئر: من يصف على ولد غيره - للذكر والانتى .
(٣) حم: نزل ووقع (٤) التيممة: خرزة كان العرب في جاهليتهم يملقون العمد منها على أولادهم وقاية لهم من العين، والبيت لأبى ذؤيب (٥) البيت للأختل .

فأطرق الرشيد ثانية ، ثم قال : يا أم الرشيد ، أقول :
إذا انصرفتِ نفسى عن الشيء لم تكذِّدْ إليه بوجهٍ آخر الدهر تُقبِلُ
قالت : يا أمير المؤمنين ، وهو يقول أيضاً^(١) :

سَتَقَطَّعُ فِي الدُّنْيَا - إِذَا مَاقَطَعْتَنِي - بِمِيتِكَ ، فَانظُرْ أَيْ كَفْ تَبَدُّلاً !
فقال هارون : رضيت ! قالت : هَبْنِي لِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ تَرَكَ شَيْئًا ، لَمْ يُوجِدْهُ اللَّهُ لِقَدَمِهِ » ، فَأَكْبَبَ مَلِيًّا ،
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ . فقالت : يا أمير المؤمنين ،
﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصَرُّ اللَّهُ يُنْصَرُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ،
وَإِذْ كَرَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْتِكَ^(٢) : مَا اسْتَشْفَعْتُ إِلَّا شَفَعْتَنِي فَقَالَ : وَإِذْ كَرَى
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَيْتِكَ الْأَشْفَعْتِ لِمَقْتَرِفِ ذَنْبًا . فَلَمَّا رَأَتْهُ قَدْ صَرَخَ بِمَنْعِهَا ، وَلَآذَ عَنْ
مَطْلَبِهَا ، أَخْرَجَتْ حُقًّا مِنْ زُمُرْدٍ خَضْرَاءَ فَوَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ الرَّشِيدُ : مَا هَذَا؟
فَفَتَحَتْهُ ، وَأَخْرَجَتْ مِنْهُ ذَوَائِبَهُ وَثَنِيَاءَهُ ، وَقَدْ غَمَسَتْ جَمِيعَ ذَلِكَ فِي الْمَسْكِ .

قالت : يا أمير المؤمنين ، أستشفع إليك ، وأستعين بالله عليك ، وبما صار
معى من كريم جسدك ، وطيب جوارحك أن تشفنى في عبدك يحيى .
فأخذ هارون ذلك ، ولثمه ، ثم بكى طويلاً ، فأبكى أهل المجلس ، وذهب
البشير إلى يحيى وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ورجوع عنه . فلما أفاق روى
جميع ذلك فى الحَقِّ ، وقال لها : لِحَسَنٍ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ . فقالت : وَأَهْلٌ
لِلْمَكَافَاةِ أَنْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ .

(١) هذا البيت والذى قبله لمن بن أوس . (٢) الآية : الحلفة .

فسكت وأقلل الحقّ، ودفعه إليها ، وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ . فقالت : والله يقول : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ، ويقول : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ . ثم قال : وما
ذاك يا أمّ الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت ألا تحجبنى ولا تتمهنى .

قال : أحب يا أمّ الرشيد أن تبيعينى ذلك محكّمة فيه . فقالت : أنصفت
يا أمير المؤمنين ، وقد فعلتُ غير مستقيلة لك ، ولا راجعة عنك . فقال : بكم ؟
قالت : برضائك عن لم بسخطك . فقال : يا أمّ الرشيد ؛ أمالى من الحقّ عليك
مثل الذى له ا قالت : بلى ا أنت أعزّ علىّ وهو أحبُّ إلى . قال : فتحكى فى تمنيةٍ
بغيره . فقالت : قد وهبْتُك وجملتك فى حلٍّ منه ؛ وقامت عنه غضبى ، وبقي
مبهوتاً ، ما يُحير لفظه .

٦٥ - كريم يجمع بين زوجين *

قال إبراهيم بن ميمون : حججتُ في أيام الرشيد^(١) ، فبينما أنا بمكة أجول في سَكِّهَا إذا أنا يسوداء قائمة ساهية ، فأنكرتُ حالها ، ووقفت أنظر إليها ، فسكتتُ كذلك ساعةً ثم قالت :

أعمرُو علامَ نَجَبْتِنِي أخذتُ فؤادِي فعدَّ بِنِي !
فلو كنتُ يا عمرو خَيْرْتِنِي أخذتُ حذارِي فما نَلْتِنِي

فدنوت منها ، فقلت : يا هذه ؛ من عمرو ؟ فارتاعت من قولي ، وقالت : زوجي . فقلت : وما شأنه ؟ قالت : أخبرني أنه يهواني وما زال يدس إليّ ، ويلقني بي في كُلالٍ طريوق ، ويشكو شدةَ وَجْدِهِ حتى تزوجني ، فلبث معي قليلاً ، وكان له عندي من الحبِّ مثل الذي كان لي عنده ، ثم مضى إلى جُدَّة ، وتركتني قلت : صفيه لي ، فقالت : أحسنُ من تراه ، وهو أسمرٌ حلوظريف .

قلت : فخبريني ، أنجبين أن أجمع بينكما ؟ قالت : فكيف لي بذلك ! وظننتي أهزل بها .

فركبتُ راحلتي ، وصرت إلى جُدَّة ، فوقفت في المرقى أتبصّرُ من يعمل في السفن ، وأصوتُ^(٢) يا عمرو ! يا عمرو ! فإذا به خارجٌ من سفينة وعلى عنقه صنٌّ^(٣) ، فمرفته بالصَّفَّة .

* مصارع المشاق : ١٥٩ .

(١) انظر صفحة ١٦٢ (٢) أصوت : أنادى (٣) الصن : شبه السلة الطبقة ؛ يجعل فيها الطعام . الخنز

قلت : « أعمرو ، علام تجنبتني ! » فقال : هيه ! هيه ! رأيتها ، وسمعتها منها !
ثم أطرق هنيهة ، واندفع يفتنيه ، قلتُ : ألا ترجع ! فقال : بأبي أنت ! ومن لي
بذلك ؟ ذلك والله أحبُّ الأشياء إلىَّ ، ولكن منعَ منه طلبُ المعاش . قلت : كم
يكفيك كلَّ سنة ؟ قال : ثلاثمائة درهم ، فأعطيته ثلاثة آلاف درهم ، وقلت : هذه
لمشر سنين ، ورددته إليها ، وقلت له : إذا فنيته أو قاربتِ الفناء قدميت على
وأعطيتك ، وإلا وجهت إليك . وكان ذلك أحبَّ إلىَّ من حجِّي .

٦٦ - أعرابيةٌ على قبرِ زوجها ! *

قال الأصمعي^(١) : دخلتُ بعضَ مقابر الأعراب ، ومعى صاحبٌ لى ، فإذا جارية على قبر كأنها تمثال ، وعليها من الحلبي والحلل ما لم أر مثله ، وهى تبكى بعين غزيرة ، وصوتٍ شجيٍّ ! فالتفتُ إلى صاحبى ؛ فقلت : هل رأيتَ أمحبَ من هذه ؟ قال : لا والله ، ولا أحسبني أراه !

ثم قلتُ : يا هذه : إني أراك حزينة وما عليكِ زىَ الحزن ! فأنشأت تقول :

فإن تسألانى : فِيمَ حزنى ؟ فإنتى رهينةُ هذا القبرِ يافتياتِ
وإنى لأستحييه والتربُّ بيننا كما كنتُ أستحييه حين يرانى

ثم اندفعت فى البكاء ، وجعلت تقول :

يا صاحب القبر ، يَأْمَنُ كان ينعم بى
قد زرتُ قبرك فى حلبي وفى حللى
أردت آتيتك فيما كنتُ أعرفه
فن رآنى رأى عبرى مولهة
بألا ، ويكثرُ فى الدنيا مُواساتى
كأنتى لستُ من أهل المصيبات
أن قد تسرُّ به من بعض هيتابى
عجيبية الزى تبكى بين أمواتِ !

٦٧ — على قبور الزاهبين *

قال الأصمعي :

دَفَعْتُ يوماً في تَلَمَّسِي بالبادية إلى وادٍ خَلَاءَ ، لا أُنِيسَ به إلا بيت مُعْتَبِرٍ^(١) ،
بفنائِه أعز ، وقد ظَمِئْتُ ، فَيَمَّمْتُهُ فسَلَمْتُ ، فإذا عَجُوزٌ قد برزت كأنها نعامه
راخِم^(٢) ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لَبَنٍ ! فقلتُ : ما كان يُغَيِّقِي إلا الماء ،
فإذ يَسَّرَ اللهُ اللبَنَ فإني إليه فقير .

فقامت إلى قَعْبٍ فأفرغت فيه ماء ، ونظفت غَسَلَه ، ثم جاءت إلى الأعرز
فتغَيَّرَتِهِنَّ^(٣) حتى احتلبت قُرَاب^(٤) مِلءِ القَعْبِ ، ثم أفرغت عليه ماءً حتى رَغَا ،
وظفت ثَمَالته^(٥) ، كأنها غمامة بيضاء ، ثم ناولتني إياه فشربت حتى تحببت^(٦)
رياً ، واطمأنتُ .

فقلت : إني أركِ مُعْتَزَةً في هذا الوادي الموحش ، والحلَّة^(٧) منك قريب ،
فلو انضمت إلى جنابهم^(٨) فأنست بهم . فقالت : يا ابن أخي ! إني لأنسُ
بالوَحْشَةِ وأستريح إلى الوحدة ، ويطمئن قلبي إلى هذا الوادي الموحش ، فأتذكر
مَنْ عَهِدْتُ فكأنني أخاطبُ أعيانهم ، وأترامى ، أشباحهم ، وتَتَخَيَّلُ لي أندية
رجالهم ، وملاعبُ ولدانهم ، ومندى أموالهم .

* الأمالي : ٢-٧ .

(١) معتز : منفرد (٢) الراخم : التي تحضن بيضها (٣) تغيرتهن : احتلبت الفبر وهو بقية
اللبن في الصرع (٤) قراب : قريب (٥) الثمالة : الرغوة (٦) تحببت : امتلأت
(٧) الحلَّة : وجمعها حلال : بيوت الناس (٨) الجناب : واء الدار .

والله يابن أخى ، لقد رأيتُ هذا الوادى بشع^(١) اللديدين^(٢) بأهل أدواح^(٣)
وقباب ، ونعم^(٤) كالمضاب ، وخيل كالذئاب ، وقتيان كالرماح ، يبارون الرياح ،
ويحمون الصبّاح ، فأحال عليهم الجلاء قماً^(٥) بفرقة ، فأصبحت الأثارُ دارة ،
والحالُ طامسة ، وكذلك الدهر فيمن وثق به .

ثم قالت : أزمِ بعينك فى هذا الملا^(٦) المتباطن^(٧) . فنظرت فإذا قبور
نحو أربعين أو خمسين . فقالت : أترى تلك الأجداث ؟ قلت : نعم . قالت :
ما انطوت إلا على أخ أو ابن أخ أو ابن عم ، فأصبحوا قد ألمأت^(٨) عليهم الأرض ،
وأنا أترقب ما غآلهم ! انصرف راشداً رحمك الله .

(١) شع : ملآن (٢) اللديدان : الجانبان (٣) الأدواح : الأشجار العظيمة
(٤) المضاب : الجبال الصغار (٥) قما : كنسا (٦) الملا : ما اتسع من الأرض
(٧) التباطن : المتطامن (٨) ألمأت . احتوت .

٦٨ - الحق أنطقها وأخرسه *

قال الشَّيبَانِي : جلس المأمون^(١) يوماً للمظالم ، فكان آخرُ مَنْ تقدم إليه
وقد همَّ بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر ، عليها ثياب رثة .

فوقفت بين يديه وقالت : السلامُ عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته .
فنظر المأمونُ إلى يحيى بن أكرم . فقال لها يحيى : وعليك السلام يا أمة الله ،
تكلمي في حاجتك ؛ فقالت :

يا خيرَ منتصفٍ يَهْدِي له الرشدُ ويا إماماً به قد أشرقَ البـلـدُ
تشكو إليك عميدَ القومِ أزملةً عدّاً عليها فلم يُترك لها سببُ^(٢)
وابترَّ مني ضياعي بعدَ منعتها ظُلماً وفرَّقَ مني الأهلُ والولدُ

فأطرق المأمونُ حيناً ، ثم رفع رأسه إليها ، وهو يقول :

في دُونِ ماقلتِ زال الصبر والجلدُ عني ؛ وفرَّحَ مني القلبُ والكبدُ
هذا أو أن صلاةَ العصرِ فانصرِفي وأحضري الخصمَ في اليوم الذي أعدُ
والجلس السبتُ إن يقضَ الجلوسُ لنا نُنصفكِ منه ؛ وإلاَّ المجلسُ الأحدُ

فلمَّا كان يوم الأحد جلس ، فكان أوَّلَ مَنْ تقدم إليه تلك المرأة ،

* العقد : ١ - ١٥ ، المحاسن والساوي : ٣٥٠ (طبع ليزج) .

(١) هو عبد الله بن المأمون بن هارون الرشيد ، من أعظم خلفاء بني العباس وعلماهم وحكامهم
كان وافر الخلق ، عظيم الحلم محباً للعلم ، مؤثراً للحكمة . توفي سنة ٢١٨ هـ (٢) السبدهنا :
القليل ، وهو في الأصل القليل من الشعر .

(١٢ - قصص العرب ٢)

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . فقال : وعليك السلام ، أين الخصم ؟ فقلت : الواقفُ على رأسك يا أمير المؤمنين - وأوماتُ إلى العباس ابنه .

فقال : يا أحمد بن أبي خالد ، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم . فجعل كلامها يعلو كلام العباس ، فقال لها أحمد بن أبي خالد : يا أمة الله ؛ إنك بين يدى أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك ، فقال للمأمون : دَعِها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها وأخرسه . ثم قضى لها يرد ضيعتها إليها ، وأمر بالكتاب لها إلى العامل ببلدها أن يوغر لها ^(١) ضيعتها ويحسن معاوتها ، وأمر لها بنفقة .

(١) أوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

٦٩ - أجارها ثم تزوجها *

قال إبراهيم بن المدير ^(١) :

جاءني يوماً محمد بن صالح ^(٢) بعد أن أُطلقَ من الحبس ، فقال لي : إني أريد المقام عندك اليوم على خَلْوَةٍ لأبْنِتِكَ من أمرى شيئاً لا يصلحُ أن يسمعه غيرُنا .
قلت : أفعل ؛ فصرفتُ من كان بِمَحْضَرَتِي وخالَتِ معه .

فلما اطمانَ وأكلنا واضطجعنا قال لي : إني خرجت في سنة كذا وكذا ، ومعى أصحابي على القافلة فقاتلنا من كان فيها فهزمنام وملكنا القافلة ؛ فبينما أنا أُحوزُها وأُنِيخُ الجمالَ إذ طلعت على امرأة ، ما رأيتُ قطُّ أحسنَ منها وجهاً ولا أحلى منطِقاً . فقالت : يا فتى ؛ إن رأيتَ أن تدعوني بالشريف المتولى أمر هذا الجيش ؟ قلت : قد رأيتِه وسمِعَ كلامك ! فقالت : سألتك بحقِ اللهِ وحقِّ رسوله ؛ أنتَ هو ؟ قلت : نعم وحقُّ اللهِ وحقُّ رسوله إني لهو . فقالت : أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى ؛ ولأبي محلّ من سلطانه ، ولنا نعمة إن كنتَ ممن سمعَ بها فقد كفك ما سمعتَ ، وإن كنتَ لم تسمعَ بها فسلِّ عنها غيري ! واللهِ لا استأثرت عنك بشيءٍ أملكه ، ولك بذلك عهدُ اللهِ وميثاقه عليّ . وما أسألك إلا أن تصونني وتسترني ، وهذه ألفُ دينارٍ معي لنفقتي ، فخذها حالا ، وهذا حلّي عليّ ثمنه خمسمائة

* الأغانى : ١٥ - ٨٧ (طبعة الساسي) .

(١) إبراهيم بن المدير ، شاعر كاتب ، من وجوه كتاب أهل العراق ومتقدميهم وذوى الجاه فيهم ، وكان التوكل يقدمه ويؤثره ويفضله ، توفي سنة ٢٧٠ هـ . (٢) محمد بن صالح : ينتهى نسبه إلى علي بن أبي طالب ، كان شاعرا حجازيا ظريفاً من شعراء أهل بيته القديمين ، توفي سنة ٢٣٨ هـ .

دينار فخذة ؛ وما شئت بعده آخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل اللؤس ، فليس منهم أحدٌ ينعني شيئاً أطلبه ، وادفع عني واحني من أصحابك ومن عاري يلحقني .
فوقع قولها من قلبي موقماً عظيماً . فقلت لها : قد وهب الله لك مالك وحليتك وجاهك ، ووهب لك القافلة بجميع ما فيها .

ثم خرجت ، فناديت في أصحابي فاجتمعوا ، فناديت فيهم : إني قد أجزت هذه القافلة وأهلها وخفرتُها وحميتُها ، ولها ذمةُ الله وذمةُ رسوله وذمتي ؛ فمن أخذ منها خيطاً أو عقلاً فقد آذنته بحربٍ . فانصرفوا معي وانصرفت .

فلما أخذت^(١) وحسبتُ جأني يوماً السجن ، وقال لي : إن بالباب امرأتين تزعمان أنهما من أهلك ، وقد حُظِرَ عليَّ أن يدخلَ عليك أحدٌ ؛ إلا أنهما أعطتاني دُمْلَجَ ذهب ، وجعلتاه لي إن أوصلتهما إليك ، وقد آذنتُ لهما في الدهليز .
فاخرج إليهما إن شئت .

ففكرت فيمن يجيئني في هذا البلد وأنا به غريب لا أعرف أحداً . ثم قلت : لعليهما من ولد أبي أو بعض نساء أهلي . فخرجتُ إليهما فإذا بصاحبتي ، فلما رأتنِي بكتُ لما رأته من تعبير خلقي وثقل حديدي ، فأقبلت عليها الأخرى فقالت : أهو هو ! فقالت : إي والله إنه لهو هو ! ثم أقبلت عليَّ فقالت : فداك أبي وأمي ! والله لو استطعت أن أقيك بما أنت فيه بنفسي وأهلي لفعلت وكنت بذلك مني حقيقاً ، والله لا تركت المعاونة لك والسعي في حاجتك وخلصك بكل حيلة ومالٍ وشفاعة . وهذه دنانير وثياب وطيب فاستمن بها على موضعك ، ورسولي يأتيك في كل يوم بما يصلحك حتى يُفرج الله عنك . ثم خرجت إليَّ كسوة وطيباً ومائتي دينار .

(١) حبس التوكل محمد بن صالح حين خرج عليه ثلاث سنين ، ثم عفا عنه لشعر مدحه به .

وكان رسولها يأتيني كل يوم بطعام نظيف ، ويتواصل برؤها بالسجان ، فلا
يمنع من شيء أريدُه . ثم من الله بخلصي فخطبتها ؛ فقالت : أما من جيتي
فأنا متابعه مطيعه والأمر إلى أبي . فأتيته فخطبتها إليه ، فردني فقت من عنده
مفكسراً مستحيياً .

قال إبراهيم بن المدبر : فقلت له : إن عيسى صنيعه أختي وهو لي مطيع وأنا
أكفيك أمره . فلما كان من الغد لقيت عيسى في منزله وقلت له : قد جئتُك في
حاجة لي ، فقال : مقضية ؛ ولو كنت استعملت ما أحبه لأمرتني بجئتك ، وكان
أسرَّ إلى . فقلت له : قد جئتُك خاطباً إليك ابنتك ، فقال : هي لك أمة وأنا لك
عبدٌ وقد أحببتك . فقلت : إنني خطبتها على من هو خير مني أباً وأماً ، وأشرف لك
صهراً : محمد بن صالح العلوي . فقال لي : ياسيدي ؛ هلا كان غير هذا ! فلم أزل أرفق
به حتى أجاب . وبعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتَه وما برحت حتى زوجته ،
وسقتُ الصداقَ عنه ^(١) .

(١) وفي ابن المدبر يقول بن صالح حينما أولاه وأعانه على زواجه :

فهلالي الذي أولاك عرفاً	تسرى من مقالك ما يسير
ثناء غير مختلق ومدحاً	مع الركبان بنجد أو يغور
أخ واسباك في كلب الليالي	وقد خذل الأفاقر والنصير
حفاظاً حين أسلمك الموالى	وضن بنفسه الرجل الصبور
فإن تشكر فقد أولى جيلاً	وإن تكفر فإنك للكفور

وكل خلقه ، حملته على عتاق الخليل ففترس وتمرس^(١) ، ولبس السلاح ، ومشى بين بُونَيَاتِ الحَيِّ اَلْخَيْلَاءِ ، فأخذ في قِرْمَى الضيف ، وإطعام الطعام ، وأنا عليه وَجِلَةٌ ، أشفق عليه من العيون أن تصيبه .

ثم اتفق أن نزلنا بمنهل من المناهل بين أحياء العرب ، فخرج فتیانُ الحَيِّ في طلب نَأْرِ لِمِ ، وشاء الله أن أصابته وَعَسْكَ^(٢) شغلته عن الخروج ، وأمن القوم ، ولم يبق في الحَيِّ غيره ، ونحنُ آمنون وادعون ، ثم أدير الليل ، وأسفر الصباح ، فطلعت علينا غُرر الجياد ، وطلائع العدو ، وما هو إلا هُنَيْهَةٌ حتى أحرزوا الأموال دون أهلها ، وهو يسأئني عن الصوت ، وأنا أسترعنه الخبر إشفاقاً عليه وضناً به .

ولما عَلَّتِ الأصوات ، وبرزت المخدرات^(٣) ، رمى دِئَارَهُ^(٤) ، وثار كما يشور الأسد ، وأسر ياسراج فرسه ، ولبس لَأَمَةً حربيه ، وأخذ رُمحه بيده ، ولحق حُجَاهُ القوم ، فظعن أدنأهم منه فرمى به ، ولحق أبدم منه فقتله ؛ فانصرفت وجوه الفرسان ، ثم رأوه صيباً صغيراً لا مددَ وراءه ، فحملوا عليه ، فأقبل يؤم البيوت ، ونحنُ ندعو الله عز وجل له بالسلامة ، حتى إذا مدم وراءه ، وامتمدوا في أثره عطف عليهم ، ففرق شملهم ، وشنت جمعهم ، وقلل كثيرتهم ، ومزقهم كلِّ مُمَزَّقٍ ، ومزق كما يمزقُ السهم . ونادام: خلوا عن المال ! فوالله لا رجعت إلا به أو أهلك دونه !

فانصرفت إليه الأقران ، وتمايلت نحوه الفرسان ، وحملوا عليه ، وقد رفعوا إليه الأستنة ، وعطفوا عليه بالأعنة ، فوثب عليهم وهو يهديرُ كما يهديرُ الفحل من وراء

(١) تفرس : تثبت ونظر ، ورأى الناس أنه فارس ، وتمرس : عالج الأمور ، واحتك بها .
(٢) الوعكة : الألم من شدة التعب (٣) المخدرات : المحجوبات من النساء (٤) الدثار : ما فوق الشعار من الثياب .

٧٠ — كيف ربّت ابناً ! *

قال الفضل بن يزيد: نزل علينا بنو ثعلبة في بعض السنين، وكنت مشغولاً بأخبار العرب، أحبُّ أن أسمعها وأجمعها. فبينما أنا أدور في بعض أحيائهم، إذا بامرأة واقفة في فناء خبائها، وهي آخذةٌ بيد غلام. قلما رأيتُ مثله في حسنه وجماله، وهي تعاتبه بلسان رطب، وكلام عذب، تمنحُ إليه الأسماع، وترتاح إليه القلوب. وأكثر ما أسمع منها: أيُّ بني، وهو يتسم في وجهها، قد غلب عليه الحياء والحجل، لا يردّ جواباً؛ فاستحسنتُ ما رأيت، واستعليت ماسمعت، ثم دنوت منه وسلّمت عليه، فردّ عليّ السلام، فوفقت أنظر إليهما.

قالت: يا حضري، ما حاجتك؟ قلت: الاستكثار بما أسمع، والسرور بما أرى من هذا الغلام. قالت: يا حضري، إن شئت سقتُ إليك من خبره ما هو أحسن ممّا شاهدتَ من أدبه، قلت: قد شئتُ — يرحمك الله! فقالت: حملتهُ والرزق عيسر، والعميش نكيد، حملاً خفيفاً، حتى إذا مضت له تسعة أشهر ولدتهُ؛ فوَرَبِكَ ما هو إلا أن صار ثالثَ أبويه حتى أفضلَ الله عز وجلّ وأعطى، وأتى من الرزق بما كفى وأغنى؛ ثم أرضعتهُ حوَلَيْنِ كاملين، فلما استتمّ الرضاع قلته من خرق المهد إلى فراش أبيه، فنشأ كأنه شبل أسد، أقيه برد الشتاء وحرّ الحجير، حتى إذا مضت له خمسُ سنين أسلمتهُ إلى المؤدّب، لحفظه القرآن فتلاه، وعلمه الشعر فرّواه، ورغب في مفاخر قومه وآبائه وأجداده، فلما أن بلغ الحلم، واشتدَّ عظمه،

الإبل ، وجعل لا يمطف على ناحية إلا حطّما ، ولا كتيبة إلا مزقها ، حتى لم يبق من القوم إلا من نجا به فرسه .

ثم ساق المال وأقبل به ؛ فكبر القوم عند رؤيته ، وفرح الناس بسلامته . فوالله ما رأينا قطّ يوماً كان أسمح صباحاً ، وأحسن رواحاً من ذلك اليوم ، ولقد سمعته يقول في وجوه فتيات الحلى هذه الأبيات :

تأملن فعلى هل رأيتنّ مثله إذا حشرجت نفس الجبان من الكربا
وضاقت عليه الأرض حتى كأنه من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
ألم أعط كلاً حقّه ونصيبه من السّمهرى اللدن والرّهف المصّب^(١)
أنا ابنُ أبي هند بن قيس بن مالكٍ سليل المعالي والمكارم والسيب^(٢)
أبي لي أن أعطى الظّلامة مرّهفٌ وطرف^(٣) قوى الظّهر والجوف والجنب
وعزمٌ صحيح لو ضربت بحده السّجبال الرواسي لا انحططن إلى التّرب
وعرضٌ تقى أتقى أن أعيبه وبيتٌ شريف في ذرّات قلب القلب^(٤)
فإن لم أقاتل دونكُن وأحتمي لكنّ ، وأحيكُنّ بالطن والضرب
فلا صدق اللاتي مشين إلى أبي يهيننه بالفارس البطل النّدب^(٥)

(١) السّمهرى : الرمح ، وهو منسوب إلى سمهر ؛ رجل كان يتقف الرماح ، والرّهف : السيف الرقيق الحد ، والمصّب : القاطع (٢) السيب : العطاء (٣) الطرف : الكرم من الخيل .
(٤) ثلمب : أصله ثلمبة وهي قبيلة الغلام ، والقلب جمع أغلب ، وهو الأسد ؛ يريد أنهم شجعان .
(٥) النّدب : الحفيف في الحاجة .

٧١ — خائف وجد مأمناً*

قال وهب بن ناجية الرضافي: كنت أحد من وقعت عليه التهمة في مال مصر أيام الواثق، فطلبني السلطان طلباً شديداً، حتى ضاقت علي الرضافة^(١) وغيرها، فخرجت إلى البادية مرتاداً رجلاً عزيز الدار، منيع الجار، أعود به، وأنزل عليه.

فبينما أنا أسيرُ إذا رأيتُ خياماً، فعدلتُ إليها، فلتُ إلى بيت منها مضروب، وبنفائه رُمحٌ مركوز، وفرس مربوط؛ فدنوتُ فسلمت، فردتُ علي نساء من وراء السجف^(٢)، وقالت لي إحداهن: اطمئن يا حضري، فنع مناخ الضيفان بؤاك القدر، ومهدك السفر. قلت: وأتى يطمئن المطلب، أو يأمن المرغوب، من دون أن يأوي إلى جبلٍ يعصمه، أو مأمنٍ أو مفرجٍ يمنعه! وقليلاً ما يرجع من السلطان طالبه، والخوفُ غالبه! قالت: لقد ترجم لسانك عن ذنبٍ عظيم، وقلبٍ صغير، وإيمٌ الله لقد حلت بفناء رجل لا يضام بفنائه أحد، ولا يجوع بساخته كيد، هذا الأسود بن قنان، أخواله كعب، وأعمامه شيبان، صلوك^(٣) الحى في ماله، وسيدهم في حاله، وسندهم في فعاله^(٤)، صدوق الجوار، وقود النار؛ وبهذا وصفته أمامة بنت خزرح حيث تقول:

* محاضرات الأبرار: ٢ - ١١٦

(١) الرضافة: عمله يقداد (٢) السجف: الستر (٣) أصل الصلوك الفقير، والبراد أنه ينفق حتى يصير فقيراً (٤) الفعالي: (بالفتح) الفعل الحسن من فاعل واحد، وإذا كان من فاعلين فهو الفعالي (بالكسر).

إذا شئت أن تلقى فتى لو ووزنته بكل معدى وكل يمانى
وفى بها فضلاً وجوداً وسودداً ورأياً ، فذاك الأسود بن قنان
فتى لا يرى فى ساحة الأرض مثله ليوم ضراب أو ليوم طعان
قال : قلت : يا جارية ، وأتى لى به ! فقالت : يا خادم ، مولاك ! فلم تلبث
أن جاءت وهو معها فى جماعة من قومه ، وقال : أى المنعمين علينا أنت ؟ فسبقتنى
المرأة ، وقالت : هذا رجل نبت به أوطانه ، وأزعجه زمانه ، وأوحشه سلطانه ؛
وقد صمماً له ما يضمن لمثله على مثلك ، قال : بل الله فاك ، أشهدكم يا بنى عمى
أن هذا الرجل فى جوارى وفى ذمى ، فمن آذاه فقد آذانى ، ومن كاده فقد كادنى .
وأمر بيته فضرب إلى جانبه ، وقال : هذا بيتك وأنا جارك ، وهؤلاء رجالك .
فلم أزل بينهم فى حفضٍ وسعةٍ إلى أن سرت عنهم .

٧٢ - تحنُّ إلى وطنها*

هوى بعضُ خلفاءِ بنى العباسِ أعرابيةً فتزوَّجَ بها ، فلم يوافقها هوى المدين ، فلم تزل تعتلّ وتتاوّه ، مع ما هي عليه من التّعبِ والرّاحة ، والأمرِ والنهي ؛ فسألها عن شأنها ، فأخبرتهُ بما تجهدُ من الشوقِ إلى البرارى وأحاليبِ^(١) الرّعاء ، وورودِ المياه التي تعودتُ ؛ فبنى لها قصرًا على رأس البرية بشاطئ دجلة^(٢) ، وأمر بالأغنام والرّعاء أن تَسْرَحَ بين يديها وتتراعى لها ؛ فلم يزد لها ذلك إلا اشتياقًا إلى وطنها .

ثم مرَّ بها يوماً في قصرها من حيث لا تشعر بمكانه ، فسمعها تنتحبُ وتبكي ، حتى ارتفع صوتُها ، وهلا نحيبُها ، ثم قالت :

وما ذنبُ أعرابيةٍ قدّفتُ بها صروفُ النوى من حيثُ لم تكظنتِ
تمتتُ أحاليبَ الرّعاءِ وخيمَةً بنجدٍ فلم يُقضَ لها ما تمنيتِ
إذا ذكرتُ ماءَ العذيبِ^(٣) وطيبه وبردَ حصاهُ آخرَ الليلِ أنتِ
لها أنّهُ عندَ العشاءِ وأنَّهُ سحيراً ، ولولا أنّها لجنّتِ

فخرج عليها الخليفة ، وقال : قد قُضى ما تمنيت ، فالحقّ بأهلك من غير فراق ؛ فما مرَّ عليها وقتُ أسرِّ من ذلك ، وسرى ما الحياة في وجهها من حينها ، والتحقّت بأهلها بجميع ما كان عندها في قصرها ، وظلّ الخليفة يزورها في أهلها بين الحين والحين .

* محاضرات الأبرار : ٢ - ٢٤٨

(١) الإحلابة : أن يجلب لأهله وهو في المرعى لبناً ، ثم يبيت به اليهم ، وجمه أحاليب ، والرعاء جمع راع (٢) دجلة : نهر بالعراق (٣) العذيب : موضع .

٧٣ — سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره!

قال محدث : سألت أبا الندى^(١) - وكان من أعلم من شاهدتُ بأخبار العرب : هل تعرف من شعر الذلفاء بنت الأبييض في ابن عمها نجدة بن الأسود ؟ قال : نعم ، كنتُ فيمن حضرَ جنازةَ نجدةَ ، حتى وضعناه في قبره ، وأهْلنا عليه التراب ، وصَدَرنا^(٢) عنه غير بعيد ، فأقبلتُ نسوةٌ يتهادين^(٣) ، فيهنَّ امرأةٌ قد فاقتهنَّ طولاً ، كالفضن الرطب ، وإذا هي الذلفاء ؛ فأقبلتُ حتى أكتبتُ على القبر ، وبكتُ بكاءً مُحرِقاً ، وأظهرتُ من وجدِّها ماخِفتُ معه على نفسها ، فقلن لها : يا ذلفاء ؛ إنه قد مات الساداتُ من قومك قبل نجدةَ ، فهل رأيتِ نساءً قتلن أنفسهنَّ عليهم ؟ فلم يزلن بها حتى قامت ، فانصرفتُ عن القبر ، فلما صارت منه غير بعيد عطفتُ بوجهها عليه ، وقالت :

سئمتُ حياتي حين فارقتُ قبره ورُحْتُ وماء العينِ ينهلُ هامِله^(٤)
وقالت نساء الحى : قد مات قبله شريفٌ فلم تهلكِ عليه حلائله^(٥)
صدقن ، أقدمت الرجالُ ولم يمت كنجدةَ من إخوانه من يُعادلهُ
فتى لم يَضِقْ عن جسِمِهِ لحدِّ قبرِهِ وقد وسِعَ الأرضَ القضاءَ فضائله
قال . فقلت : أحسنتُ والله يا أبا الندى وأحسنتُ ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم ! كنتُ ممن حضرَ قبرَ نجدةَ عند زيارتها إياه لتمام الحولِ ،

* معجم الأدياء : ١٧ - ١٦٠

(١) محمد بن أحمد أبو الندى الفندجاني اللنوي : رجل واسم العلم ، راجع المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها (٢) رجعتاه (٣) يتاملن في مشيتهن (٤) ينهل : ينصب ؛ وهامله : دمه الفانس (٥) أى زوجاته .

فرايتها قد أقبلت حتى أكبّت على القبر، وبكّت بكاء شديداً ، ثم أنشأت تقول :
يا قبر نجدة لم أهجرُك مقليّةً ولا جفوتك من صبري ولا جلدي
لكن بكيتك حتى لم أجد مدداً من الدموع ولا عوناً من الكمد
وآستني جفوني من مدايمها فقلت للمين : فيضي من دم الكبد
فلم أزل بدمي أبكيك جاهدةً حتى بقيتُ بلا عينٍ ولا جسدي
والله يعلم لولا الله ما رضيتُ نفسي عليك سوى قتلي لها بيدي

قال : فقلت : أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت ! فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر ؟ قال : نعم : حضرنا في زمن الربيع ونحن في رياضٍ خضرةٍ مُعشبةٍ ، فركبَ الفتيانُ ، وغقدوا العذب^(١) الصُّفْرَ ، في القنا الحمر ، وجعلوا يتجاولون . فلما أردنا الانصراف ، قال بعضنا لبعض : ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء ! لعلها إذا نظرت إليكم تسلتُ بمن بقى عن هالك !

قال : فخرجنا نوثمها فأصبناها بارزةً من خباثتها ، وهي كالشمس الطالعة ، إلا أنه يعلوها كسوفُ الحزن ، فسلمنا عليها ، وقلنا : يا ذلفاء ! إلى متى يكون هذا الوجد على نجدة ! أما أن لك أن تتسلّي بمن بقي من بني عمك عن هلك ؟ ها نحن أولاء سادات قومك وفتيانهم ونجومهم ، وفينا السادة والذادة^(٢) ؛ والبأس والتجدة ؛ فأطرقتُ ملياً ، ثم رفعت رأسها باكية وهي تقول :

صدقتم إنكم لنجوم قومي ليوثٌ عند مُختلفِ العوال^(٣)
ولكن كان نجدة بدر قومي وكنهممُ المنيف على الجبال !
فما حسنُ السماء بلا نجومٍ وما حسنُ النجوم بلا هلال !
ثم دخلت خيائها ، وأرسلت سترها ، فكان آخر العهد بها !

(١) أي الرايات ، والقنا الحمر : الرماح (٢) الذادة (٣) العوال : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو النصف الذي يلي السنان .

٧٤ - المتكلمة بالقرآن *

قال عبدُ الله بنُ المبارك : خرجت حاجًّا إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه السلام ، فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسواد ، فتميزت ذلك ، فإذا عجوزٌ عليها درع^(١) من صوف وخِمار ، فقلت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقالت : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴾ . فقلت لها : رَحِمَكَ اللهُ ! ما تصنعين في هذا المكان ؟ قالت : ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ؛ فعلمتُ أنها ضالة عن الطريق .

فقلت لها : أين تريدن ؟ قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾ ، فعلمتُ أنها قضتُ حجَّها وهي تريدُ بيت المقدس . فقلت لها أنتِ منذُكم في هذا الموضع ؟ قالت : ﴿ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴾ . فقلت : ما أرى معك طعامًا تأكلين ؟ قالت : ﴿ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴾ . فقلت : فبأى شيء تتوضئين ؟ قالت : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ . فقلت لها : إن معي طعامًا ؛ فهل لكِ في الأكل ؟ قالت : ﴿ ثُمَّ آتَمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ ، فقلت : قد أبيعَ لنا الإفطار في السفر ، قالت : ﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

فقلت : لم لا تكلمينني مثل ما أكلت ؟ قالت : ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ، فقلت : فمن أىِّ النَّاسِ أنتِ ؟ قالت : ﴿ وَلَا تَقْفُ

* ذيل عمات الأوراق : ٢ - ٢٤٣

(١) درع : قميص .

مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١﴾ .

فقلت : قد أخطأتُ فاجعليني في خِلِّ ، قالت : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَنْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ .

فقلتُ : فهل لك أن أحلِّك على ناقتي ؛ فتدركي القافلة ؟ قالت : ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ :

قال : فأخَّتُ الناقة ، فقالت : ﴿ قُلِ الْمُؤْمِنِينَ يَفْعَلُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ .
فَفَعَّضْتُ بَصْرِي عَنْهَا ؟ وقلت لها أَرْكَبِي .

فَمَا أَرَادَتْ أَنْ تَرْكَبَ نَفَرَتِ الناقة ؛ فَرَزَقَتْ نِيَابَهَا ؛ فقالت : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ ، فقلت : لها اركبي ، قالت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(١) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴾ :

فَأَخَذَتْ بِيَمَامِ الناقة ، وَجَمَلَتْ أَسْعَى وَأَصْبَحَ ؛ فقالت : ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ ، فجعلت أمشي رويداً رويداً ، وأترتم بالشعر ؛ فقالت : ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ . فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ، فقالت : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ .

فَمَا مَشَيْتِ بِهَا قَلِيلًا قُلْتُ لَهَا : أَلَيْكَ زَوْجٌ ؟ قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾ .

فَسَكَتَ وَلَمْ أَكَلِمَهَا ، حَتَّى أَدْرَكَتُ بِهَا الْقَافِلَةَ ، فقلت لها : هذه القافلة ؛ فمن لك فيها ؟ فقالت : ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ ؛ فعلت أن لها أولاداً .

(١) أقرن للأمر : أطاقه وقوى عليه .

قلت : وما شأنهم في الحج ؟ قالت : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعلت أنهم أدلاء الركب .

قصدت القباب والعمارات ؛ قلت : هذه القباب ؛ فمن لك فيها ؟ قالت : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ . ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ . ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ﴾ . فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ؛ فإذا بشبان كأنهم الأفاقر قد أقبلكوا ؛ فلما استقر بهم الجلوس ، قالت : ﴿ ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ ^(١) هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .

فضى أحدم ، فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي ، فقالت : ﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

قلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأسرها ؛ فقالوا : هذه أمنا ، لها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن ؛ قلت : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ .

البَابُ الثَّالِثُ

في القصص التي تمثل ذلافة ألسنتهم، وحكمة منطقتهم،
وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ، و بلاغة المعنى،
وجمال الأسلوب، وحسن التصرف في الإبانة والتمبير.

٧٥ — بنو أسد وامروء القيس*

قَدِمَ عَلَى امْرِئِ الْقَيْسِ^(١) بِنِ حُجْرِ الْكِنْدِيِّ بَعْدَ مَقْتَلِ أَبِيهِ رَجَالَاتٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ ، فِيهِمُ الْمُهَاجِرُ بْنُ خِدَاشٍ ، وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ ، وَقَبِيصَةُ بْنُ نُعَيْمٍ ؛ وَكَانَ رَجُلًا مَقِيماً فِي بَنِي أَسَدٍ ، ذَا بَصِيرَةٍ بِمَوَاقِعِ الْأُمُورِ وَزِدَاً وَإِصْدَاراً ، يَعْرِفُ ذَلِكَ لَهُ مَنْ كَانَ حَيْضَةً بِأَكْنَافِ بِلَدِهِ مِنَ الْعَرَبِ .

فَلَمَّا عَلِمَ امْرِئُ الْقَيْسِ بِمَكَانِهِمْ أَمَرَ بِإِزَالِهِمْ ، وَتَقَدَّمَ^(٢) فِي إِكْرَامِهِمْ وَالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ ، وَاحْتَجَبَ عَنْهُمْ ثَلَاثًا .

فَقَالُوا لِمَنْ بِيَابِهِ مِنْ رَجَالِ كِنْدَةَ : مَا بَالُ الرَّجُلِ لَا يُخْرِجُ إِلَيْنَا ؟ فَقِيلَ لَهُمْ : هُوَ فِي شُغْلٍ بِإِخْرَاجِ مَا فِي خَزَائِنِ حُجْرٍ مِنَ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ . فَقَالُوا : اللَّهُمَّ غَفِّراً ! إِنَّمَا قَدِمْنَا فِي أَمْرٍ نَتَنَاسَى بِهِ ذِكْرَ مَاسَلَفٍ ، وَنَسْتَدْرِكُ بِهِ مَا فَرَطَ ؛ فَلْيَبْلُغْ ذَلِكَ عَنَّا .

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ ثَلَاثِ فِي قَبَاءٍ^(٣) وَخَفَّ وَعِمَامَةُ سَوَادَاءَ - وَكَانَتِ الْعَرَبُ لَا تَعْتَمُ بِالسَّوَادِ إِلَّا فِي التَّرَاتِ^(٤) - فَلَمَّا رَأَوْهُ نَهَضُوا لَهُ ، وَبَدَّرَ إِلَيْهِ قَبِيصَةُ فَقَالَ : إِنَّكَ فِي الْمَحَلِّ وَالْقَدْرُ وَالْمَعْرِفَةُ بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ ، وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ ، وَتَتَنَقَّلُ بِهِ

* الأغانى : ١٠٣-٩ (طبعة دار الكتب) ، صبح الأعشى : ٣-١٢٦ (١) هو أشهر شعراء الجاهلية وأرفهم منزلة ، يتصل نسبه بملوك كندة ، كان قوى الشاعرية رقيق الوصف دقيق الشعور . توفي سنة ٥٦٠ م (٢) تقدم في كذا : أمر به . (٣) القباء : الثوب المجتمع الأطراف (٥) الترات : جمع ترة ؛ وهي في الأصل مصدر وتر ؛ أي قس ، واستعمل في النار .

أحواله بحيث لا تحتاج إلى تبصيرٍ واعظٍ ، ولا تذكرةٍ مُجربٍ ، ولك من سوؤدٍ
منصبك ، وشرفٍ أعراقك^(١) ، وكرمٍ أصلك في العربٍ مُحتملٍ يَحتمِلُ ما حَمَلَ
عليه من إقالة العترة ، والرجوع عن المفوة ؛ ولا تتجاوزُ الهَمُّ إلى غايةٍ إلا
رَجعتُ إليك ؛ فوجدتُ عندك من فضيلة الرأي ، وبصيرة الفهم ، وكرم الصنع
ما يطول رَغباتها ، ويستغرق طلباتها .

وقد كان الذي كان من الخَطْبِ الجليل ، الذي عمت رزيتُهُ نِزاراً واليمن ، ولم
تُخصَّصْ به كِنْدَةُ دوننا ؛ للشرفِ البارِعِ الذي كان مُلجِراً . ولو كان يقدى هالك
بالأنفُسِ الباقية بعده لما بَحَلتْ كرائمنا^(٢) على مثله ببذلِ ذلك ، ولقد يناه منه ، ولكن
مَضَى به سبيلٌ لا ترجع أولاه على أخراه ، ولا يَلتَحِقُ أقصاهُ أذناه .

فأخذُ الحالات في ذلك أن تعرفَ الواجبَ عليك في إحدى خلال ثلاث :
إما أن اخترتَ من بني أسدٍ أشرفها بيتاً ، وأعلاها في بناء المكرُمات صوتاً ، فقد ناه
إليك بِنِسْمَةٍ^(٣) تذهب مع شَفَراتِ حُسامك بباقي قَصَدَتِهِ^(٤) ، فيقال : رجل
امتحنَ بهلكَ عزيز عليه ؛ فلم تُستَلِّ سَخِيمَتُهُ إلا بِتَمَكِينِهِ من الانتقام ؛ أو فداء
بما يروح^(٥) على بني أسدٍ من نَعَمها ، فهي أوف تجاوزُ الحِسبة ، وكان ذلك فداءً
ترجع به القُضْبُ^(٦) إلى أجنانها ، لم يردُّدُه تسليط الإحن على البرءاء ؛ وإما أن
توادعنا حتى تضعَ الحواملُ قُسدَلَ الأزرُ ، وتُعمَقَدَ الخُرُّ فوق الرايات .

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع طرفه إليهم فقال : قد علمتِ العربُ أن

(١) الأعراف : جمع عرق ، وهو أصل كل شيء . (٢) الكرائم : خيار الأموال وقد يراد بها
القوس أو النساء . (٣) النسمة : السير من الجلد يجعل زماما للسير فيقاد به . (٤) القصدة :
الضيق . (٥) يروح : يرجع . (٦) القُضْبُ : السيف .

لا كَفءَ لِحَجْرٍ فِي دَمٍ ، وَأَتَى لِنِ أَعْتَاضٍ بِهِ نَاقَةً أَوْ جَمَلًا فَأُكْتَسِبَ بِذَلِكَ سُبَّةَ
الْأَبْدِ ، وَفَتَّ الْعَضُدُ ؛ وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجَنَةُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِهَا ، وَإِنِّي لِنِ
أَكُونُ لِعَطْبِهَا سَبِيًّا ، وَسَتَعْرِفُونَ طَلَانِعَ كِنْدَةَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمَلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا ،
وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عَاقًا ^(١)

إِذَا جَالَتِ الْخَلِيلُ فِي مَازِقٍ ^(٢) تُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النَّفُوسَا
أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ ؟ قَالُوا : بَلِ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَى الْإِخْتِيَارِ ؛ لِحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ،
وَمَكْرُوهٍ وَأَذِيَّةٍ ! ثُمَّ نَهَضُوا عَنْهُ وَقَبِيصَةَ يَقُولُ مِمَثَلًا :

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْمَوْتَ إِنْ غَدَتِ كِتَابِينَا فِي مَازِقِ الْمَوْتِ تُنْمِطِرُ
فَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ : لَا وَاللَّهِ ، لَا أَسْتَوْخِمُهُ وَلَكِنْ أَسْتَعْذِبُهُ ؛ فَرَوِيْدًا يَنْكَشِفُ
لَكَ دُجَاهَا عَنْ فُرْسَانَ كِنْدَةَ وَكِتَابِ حَيْمِرٍ ، وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ غَيْرِ هَذَا أَوْلَى بِي ،
إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي ، وَمَتَحَرَّمًا بِدِمَامِي ، وَلَكِنَّكَ قَلْتَ فَأَجَبْتُ .

قَالَ قَبِيصَةَ : إِنْ مَا تَتَوَقَّعُ فَوْقَ قَدْرِ الْعَاتِبَةِ الْعَاتِبَةِ وَالْإِعْتَابِ ^(٣) ، قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

هُوَ ذَاكَ !

(١) الملق : الدم (٢) المأزق : المضيق (٣) الاعتاب والتعب : رجوع المتوب عليه إلى ما يرضى العاتب .

٧٦ - نهاية الأعشى *

وفد الأعشى^(١) إلى النبي عليه السلام ، وقد مدحه بقصيدته التي أولها :

ألم تغمض عينك ليلة أرمداً^(٢) وعادك ما عاد السلم^(٣) المسهداً
وما ذاك من عشق النساء وإنما تناسيت قبل اليوم خلة مهدياً^(٤)
وفيها يقول لناقته :

فآليت لا أزيي لها من كلاله^(٥) ولا من حفاً^(٦) حتى تزور محمدًا

نبي يري مالا ترؤن وذكره أغار لعمري في البلاد وأنجداً^(٧)

متى ماتناخي عند باب ابن هاشم تراحي^(٨) وتلقى من فواضله يداً

فبلغ خبره قريباً ؛ فرصدوه على طريقه وقالوا : هذا صناجة^(٩) العرب ، مامدح

أحداً قط إلا رفع في قدره .

فلما ورد عليهم قالوا له : أين أردت يا أبا بصير ؟ قال : أردت صاحبكم

هذا لأسلم . قالوا : إنه نهاك عن خلال ويحرمها عليك ، قال : وما هي ؟

فقال أبو سفيان بن حرب : الزنا . قال : لقد تركني الزنا وتركته ، ثم ماذا ؟

قالوا : القمار ، قال لعلي إن لقيته أن أصيب منه عوضاً من القمار ، ثم ماذا ؟

* الأغاني : ٩-١٢٥ (طبعة دار الكتب) ، سيرة ابن هشام : ١-٢٣١

(١) اسمه ميمون بن قيس ، أحد الأعلام من شعراء الجاهلية وغزلهم ، متصرف في المدح

والهجاء ، وهو أول من سأل بالشعر ، واتجم به أفاصي البلاد : توفي سنة ٦٢٩ م (٢) رجل

أرمد : به رمد في عينيه ، والسكلام على تقدير مصدر محذوف ، والتقدير . اغتاض ليلة أرمداً ،

غذف المضاف وأقيمت ليلة بدله (٣) السلم . اللدنيغ (٤) مهدي : اسم امرأة (٥) الكلاله : التعب

(٦) الحفا : رقة القدم (٧) أغار : دخل النور ؛ وهو كل ما انحدر مغرباً عن تهامة ، وأنجد :

دخل النجد ، وهو ضد النور (٨) تراحي : تستريح (٩) كان الأعشى يسمى صناجة العرب ،

لجودة شعره . وأصل الصناجة : اللاعب بالصنح .

قالوا : الربا . قال : مادنتُ ولا ادنتُ ؛ ثم ماذا ؟ قالوا : الخمر . قال : أوه !
أرجعُ إلى صُبابَةٍ قد بقيت في المِهْرَاسِ ^(١) فأشربُها .

فقال له أبو سفيان : هل لك في خير مما همتَ به ؟ قال : وما هو ؟ قال : نحن
وهو الآن في هُدنة ، فتأخذ مائة من الإبل ، وترجع إلى بلدك سنَّتكَ هذه ، وتنظر
ما يصير إليه أمرنا . فإن ظهرنا عليه كنت قد أخذت خلفاً ، وإن ظهر علينا أتيتَه .
فقال : ما أكرهُ ذلك . فقال أبو سفيان : يامعشر قريش ، هذا الأعشى ا والله لنن
أتى محمداً واتبعه ليضرمَ عليكم نيران العرب بشعره ، فاجعوا له مائة من الإبل ،
فقلوا ، فأخذها وانطلق إلى بلده . فلما كان بقاع مَنفُوحَةٍ ^(٢) رمَى به بعيرُ ققتله .

(١) المِهْرَاس : حجر منقور يسم كثيرا من الماء (٢) منفوحة : قرية مشهورة من
نواحي اليمامة .

٧٧ - رثاء فوق قبر*

كان عامر^(١) بن الطفيل أفرس أهل زمانه وأسوِّدَم ، فلما مات ودُفِنَ مرَّ على قبره حيَّان بنُ سلى - وقد غاب عند موته - فقال : ماهذه الأنصاب ؟ فقالوا : نصَّبناها على قبر عامر ، فقال : ضيقتُم على أبي علي ، وأفضَلتُم^(٢) منه فضلا كثيرا . ثم وقف على قبره وقال : أنم ظلاماً أبا على ! فوالله لقد كنت تشنُّ الغارة ، وتحسى الجارة ، سريعا إلى المولى بوعدك ، بطيئا عنه بوعيدك^(٣) ؛ وكنت لا تضلُّ حتى يضلَّ النجم ، ولا تنهَبُ حتى يهابَ السيل ، ولا تعطش حتى يعطشَ البعير ؛ وكنت والله خيرَ ماتكون حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيرا .
ثم التفت إليهم ، فقال : هلا جعلتم قبر أبي علي ميلا في ميل !

* مجمع الأمثال : ٢-٢٣

(١) عامر بن الطفيل بن مالك ابن أخي عامر ملاعب الأسته ، وابن عم لبيد الشاعر المعروف ، كان منادياً ينادى يكماظ : هل من راجل فأحله ، أو جائح فأطعمه ، أو خائف فأؤمنه ؟ وكان سيد بني عامر غير مدافع . وقد وفد على النبي ومعه أريد أخو لبيد يضران الشعر والسوء غلاب مسعما ، وسار عامر يريد قومه فأت في الطريق سنة ١١ هـ (٢) أفضل منه : إذا ترك منه شيئا ، والفضل والفضلة : البقية من الشيء (٣) الوعيد في الشعر ، والوعد في الخير .

٧٨ — بمثل هذا فليثن على الملوك *

قال حسان بن ثابت ^(١) : قدِمْتُ على عمرو بن الحارث ، فاعتاص على الوصولِ إليه ، فقلت للحاجب بعد مدّة : إن أذنتَ لي عليه وإلا هجوتُ اليمينَ كلّها ثم انقلبتُ عنكم . فأذن لي ، فدخلتُ عليه فوجدتُ عنده النابغة وهو جالس عن يمينه ، وعلقمة بن عبدة وهو جالس عن يساره ، فقال لي : يا ابن الفريضة ؛ قد عرفت عيصك ^(٢) ونسبك في غسان ، فارجع فإني باعث إليك بصلة سنية ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فإني أخافُ عليك هذين السبعين - النابغة وعلقمة - أن يفضحاك ؛ وفضيحتك فضيحتي ، وأنت والله لا تُحسِنُ أن تقول :

رِفاقُ النمالِ طيبٌ حُجْرَتُهُمْ مُجَيَّبُونَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَاسِبِ ^(٣)
فأبيتُ وقلت : لا بدّ منه ، فقال : ذاك ، فقال لي عمّيك ، فقلت لها : بحقّ الملكِ
إلا قدّمَتاني عليكما ا قتالا : قد فعلنا ، فقال عمرو بن الحارث : هات يا ابن الفريضة ،
فأنشأت :

* الأغاني : ١٤ - ٢٢ .

(١) حسان بن ثابت ، شاعر الأنصار في الجاهلية ، وشاعر رسول الله في النبوة ، وشاعر اليمين كلها في الإسلام ، دافع عن رسول الله بعمره ، كما دافع عنه قومه بسيفهم ، وعمر طويلا . ومات سنة ٥٤ هـ (٢) العيص : الأصل ، والفريضة : أمه (٣) رفاق النمال : أي أن نالهم رقيقة لا يخفضونها طباطبا ، وذلك كناية عن قلة مشيهم ، لأنهم ملوك . بل يركبون الجبل غالبا ، وحجزة الإزار والسراويل جمع شدما على الوسط من الجسم ، كناية عن عقمتهم ، والسباسب : يوم الشعانين ، وهو يوم عيد عند الأنصاري ، وكان المدوح نصرانيا .

لله دَرَّ عَصَابَةٌ نَادِمَتْهُمْ يَوْمًا بِجَلْقٍ (١) فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ
أَوْلَادُ جَفْنَةَ (٢) عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِمْ (٣)
يَسْقُونَ مِنْ وَرْدِ الْبَرِيصِ (٥) عَلَيْهِمْ
بِرَدَى يُصَفَّقُ (٦) بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
يُتَشَوَّنَ حَتَّى مَاتَهُمْ كَلَابُهُمْ
لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ
بِيضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةِ أَحْسَابِهِمْ
شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ
فَلَبِثْتُ أَرْمَانًا طَوَالًا فِيهِمْ
ثُمَّ أَدْرَكْتُ كَأَنِّي لَمْ أَفْعَلِ

قال : فلم يزل عمرو بن الحارث يزحل (٧) عن موضعه سرورا ، وهو يقول :
هذا وأبيك الشعر ؛ لا ما يعللاني به منذ اليوم ! هذه والله البتارة التي قد بتت المدامح !
أحسنت يا بن الفريمة ! هات له يا غلام ألف دينار مر جوحة (٨) ، فأعطيت ذلك ،
ثم قال : لك علي في كل سنة مثلها .

ثم أقبل على النابغة فقال : قم يا زياد ، فهات الثناء المسجوع ، فقام النابغة
فقال : ألا أنم صباحا أيها الملك المبارك ! السماء غطاؤك ، والأرض وطاؤك ، والوالدي

(١) جلق : دمشق (٢) جفنة : هو جفنة بن عمرو أبو ملوك الشام ، وأولاده هم : النعمان
والنضر والنيذر وجبله وأبو شمر ، وكانوا جميعا ملوكا (٣) أراد بهذا أنهم أعزاء مقيمون بدار
مملكتهم ، ليسوا أصحاب رحلة واتجاج (٤) هي مارية بنت ظالم الكندية أم الحارث الأعرج ،
وهي ذات القرطين اللذين يضرب بها المثل ، فيقال لما يقل به الثمن . بقرطى مارية ، وأختها هند
الهنود امرأة حجر آكل الرار (٥) البريص : غوطة دمشق (٦) صفق الشراب : حوله بمزوجا
من إناء إلى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها ، والسلسل : العذب البارد (٧) زحل عن
موضعه : زحف (٨) مرجوحة : هي ما كان في كل دينار منها عشر دنائير .

فداؤك ، والعرب وقاؤك ، والعجم حماؤك ، والحكماء جلساؤك ، والمدارِه^(١) شمَارك ،
والمقاوِل إخوانك والعقل شِعارك ، والحلم دِئارك ، والسكينة مِهادك ، والوقار غشاؤك !
والبرِّ وسادك ، والصدق رداؤك ، واليمين حذاؤك ، والسخاء ظهارتك ، والحِمية
بطانتك ، والعلاء غايتك وأكرمُ الأحياء أحياءك ، وأشرفُ الأجداد أجدادك ،
وخيرُ الآباء آباؤك ، وأفضلُ الأعمام أعمامك ، وأسرى الأحوال أخوالك ، وأعفُ
النساء حلالك ، وأفخرُ الشبان أبناؤك ، وأطهرُ الأمهات أمهاتك ، وأعلى البنيان
بنيانك ، وأعذب المياه أمواهك ، وأفتحُ الدارات^(٢) دارتُك ، وأنزهُ الحدائق
حدائقك ، وأرفعُ اللباس لباسك ، قد حالفَ الإضربِج^(٣) عاتقك ، ولاممُ المسك^(٤)
مسكك^(٥) ، وجاور العنبرُ تراثيك^(٦) ، وصاحبَ النعيمُ جسدك .

العسجد آيتك ، واللجين صحافك ، والعصب^(٧) مناديلك ، وألحواري^(٨)
طعامك ، والشهد إدامك ، وألخرطوم^(٩) شرابك ، والأشراف مفاصك^(١٠) ،
والخير بفنائك ، والشر بساحة أعدائك ، والنصر منوطُ بلوائك ، والخذلان مع
ألوية حسادك ، والبرِ فلك . قد طعطح^(١١) عدوك غضبُك ، وهزم مقابهم^(١٢)
مشهدك ، وسار في الناس عدلك ، وسكن قوارع الأعداء ظفرك .

الذهب عطاؤك ، والدواة رمزك ، والأوراق لحظك ، والغنى إطراقتك ، وألف
دينار مرجوحة إيمائك .

(١) المداره : جمع مدره ، وهو السيد الشريف ، والمقدم في اللسان واليد عند المحصومة
(٢) الدارة : المحل يجمع البناء (٣) الإضربج : الخنز (٤) المسك . الجلد (٥) الترائب : عظام
الصدر (٦) العصب : نوع من البرود (٧) الحواري : لباب الدقيق (٨) الخرطوم : أول ما يجرى
من العنب قبل أن يذاس (٩) جمع منصف وهو الخادم (١٠) طعطح : كسر وفرق وبدد لإهلاك .
(١١) القتب من الخليل : ما بين الثلاثين إلى الأربعين .

أيفأخرك المنذر اللخمى ! فوالله لققاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه
ولأخمصك خير من رأسه ، ولخبطوك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ،
ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه . فهب لى أسارى قوى ، واسترهن
بذلك شكرى ، فإنك من أشراف قحطان ، وأنا من سرّوات عدنان .

فرفع عمرو رأسه إلى جارية كانت قائمة على رأسه ، وقال : بمثل هذا فليئن على
الملوك ، ومثل ابن القريمة فليمدحهم . وأطلق له أسرى قومه .

٧٩ — عُتْبَةُ وَأَعْرَابِيٌّ *

حجَّ عتبة^(١) سنة إحدى وأربعين ، والناسُ قريبٌ عهدٌم بفتنة ، فصلى بمكة الجمعة ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنا قد ولينا هذا المقام الذي يُضَاعَفُ فيه للمُحْسِنِ الأجرُ ، وعلى المسيء فيه الوزرُ ، ونحن على طريق ما قَصَدْنَا ؛ فلا تَمُدُّوا الأَعْنَاقَ إلى غيرنا ؛ فإنها تنقطع دوننا ، وربُّ مَتَمَّنٍ حَتَفَهُ في أَمْنِيَّتِهِ ؛ فاقبلوا العافية ما قبلناها فيكم وقبلناها منكم ؛ وإياكم ولوا^(٢) فإنها أُنْعِمَتْ مَنْ كان قبلكم ، ولن تُرِيحَ مَنْ بَعَدَكُمْ ؛ وأنا أسألُ الله أن يعين كُلاً على كُـلِّ .

فصاح به أعرابيٌّ : أيها الخليفة ! فقال لستُ به ولم تُبْعِدْ^(٣) . فقال : يا أخاه . قال : سمعتُ قُفْل . قال : تالله إن تحسنوا - وقد أسأنا - خير من أن تسيئوا وقد أحسنَّا ؛ فإن كان الإحسانُ بكم دوننا فما أحقكم باستقامته ، وإن كان منافاؤلاكم بمكافأتنا ! رجل من بني عامر بن صعصعة يلقاكم بالعمومة ، ويقرب إليكم بالخلوة ، قد كثره العيال^(٤) ، ووطئه الزمان ، وبه فقر ، وفيه أجر ، وعنده شكر .

فقال عتبة : أستغفرُ الله منكم ، وأستعينه عليكم ، قد أمرنا لك بغناك ، فليت

إسْرَاعِنَا إِلَيْكَ يَقُومُ يَابِطَاتِنَا عِنْدَكَ !

* الأمالي : ١ - ٢٣٦ .

(١) هو عتبة بن أبي سفيان ، أخو معاوية بن أبي سفيان ، وولاه أخوه معاوية إمارة مصر سنة ٤٣ هـ وشهد يوم الدار مع عثمان ، ويوم الجمل مع عائشة ، وكان من خطباء بني أمية المدودين ، وتوفى سنة ٤٤ هـ (٢) اللو : قول انتنم على القاتت : لو كان كذا لقلت ولعلت ، ومنه الحديث « إياك واللو ؛ فإن اللو من الشيطان » (٣) ولم تبعد : أي أنا أخو الخليفة وهو معاوية بن أبي سفيان . (٤) كثره العيال : كانوا كثيرين فظبوه بكثرتهم .

٨٠- إن من البيان لَسِحْرًا *

وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبيران ^(١) بن بدر وعمرو ^(٢) بن الأهم ؛ فقال الزبيران : يا رسول الله ، أنا سيدُ تميم ، والمطاعُ فيهم ، والمجابُ منهم ، آخذ لم بحقهم ، وأمنهم من الظلم ؛ وهذا يعلمُ ذلك - يعني عمراً . فقال عمرو : أجل يا رسول الله ! إنه مانع لحوزتِه ^(٣) ، مطاعٌ في عشيرته ، شديدُ المعارضة ^(٤) فيهم .

فقال الزبيران : أما إنه والله قد علم أكثر مما قال ، ولكنه حسدني شرفي ! فقال عمرو : أما والله لئن قال ما قال ، فوالله ما علمته إلا ضيقُ العطن ^(٥) زَمِر ^(٦) الروءة ، أحق الأب ، لثيم الخلال ، حديث النغي !

فراى الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله ، فقال يا رسول الله ، رضيتُ قتلَ أحسن ما علمتُ ، وغضبتُ قتلَ أقيح ما علمتُ ، وما كذبتُ في الأولى ، ولقد صدقتُ في الثانية !

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لَسِحْرًا » .

* زهر الآداب : ١-٥ . مجع الأمثال : ١-٧

(١) الزبيرات : ١٣٤ حسين بن بدر ، وفد على رسول الله في قومه - وكان أحد ساداتهم ، فأسلموا في سنة تسع ، وولاه صفقات قومه . وأقره أبو بكر وعمر على ذلك ، والزبيران في الأصل : القمر ، ولقب به لحسنه . وتوفي نحو سنة ٤٥ هـ (٢) عمرو بن الأهم : هو عمرو بن سنان ، وسمى سنان الأهم ، لأن قيس بن عاصم النخري ضربه بقوس فهتم فاه . وبنو الأهم أهل بيت بلاغة في الجاهلية والإسلام (٣) حوزة الرجل : ما يحوزة ويملكه (٤) المعارضة : البديهة وقوة الكلام (٥) العطن : المناخ حول الورد ، وضيق العطن : كناية عن البخل . (٦) زمر الروءة : قليلها .

٨١ - عبد الله بن عباس والحطيئة *

بيننا ابن عباس جالسٌ في مجلسٍ ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بمد ما كُفَّ
بصره ، وحوله ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابي ^(٢) يَحْطِرُ ، وعليه مُطْرَفٌ ^(٣)
وجبةٌ وعمامة خبز ، حتى سَلَّم على القوم ، فردوا عليه السلام ، فقال : يا بن عم رسول
الله ؛ أَفْتِنِي ، قال : فِيمَ ؟ قال : أَخَافُ عَلَى جُنَاحِي أَنْ يَظْلِمَنِي رَجُلٌ فَظَلَمْتَهُ ، وَشَتَمَنِي
فَشَتَمْتَهُ ، وَقَصَّرَ بِي فَقَصَّرْتُ بِهِ ؟ فقال : العفو خيرٌ ، وَمَنْ اتَّصَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ .
فقال : يا بن عم رسول الله ؛ أَرَأَيْتَ امْرَأً أَتَانِي فَوَعَدَنِي وَغَرَّنِي وَمَنَانِي ، ثُمَّ أَخْلَفَنِي
وَاسْتَخَفَّ بِحُرْمَتِي ، أَيَسْنِي أَنْ أَهْجُوهُ ؟ قال : لَا يَصْلِحُ الْهَجَاءُ ؛ لِأَنَّهُ لَا بَدَأَ لَكَ مِنْ
أَنْ تَهْجُوَ غَيْرَهُ مِنْ عَشِيرَتِهِ ، فَتَظْلَمَ مَنْ لَمْ يَظْلَمَكَ ، وَتَشْتِمُ مَنْ لَمْ يَشْتِمَكَ ، وَتَبْغِي
عَلَى مَنْ لَمْ يَبْغِ عَلَيْكَ ، وَالْبَغْيُ مَرْتَةٌ وَخِيمٌ ، وَفِي الْعَفْوِ مَا قَدْ عَلِمْتَ مِنَ الْفَضْلِ ؛
قال : صَدَقْتَ وَبَرَرْتَ .

فلم يَنْشَبْ أَنْ أَقْبَلَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيْحَانَ الْمُحَارِبِيَّ حَلِيفُ قُرَيْشٍ ،
فَلَمَّا رَأَى الْأَعْرَابِيَّ أَجَلَّهُ وَأَعْظَمَهُ وَالطَّفَّ فِي مَسْأَلَتِهِ ، وَقَالَ : قَرَّبَ اللَّهُ دَارَكَ
يَا أَبَا مُلَيْكَةَ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَجْرَوْلُ ؟ قال : جَرَوْلُ ! فَإِذَا هُوَ الْحَطِيئَةُ ، فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : اللَّهُ أَنْتَ ! أَيُّ مِرْدَى ^(٤) قِذَافٍ ، وَذَائِدٍ عَنْ عَشِيرَةٍ ، وَمُتْنٍ بِعَارْفَةٍ تُوْتَاهَا

* الأغانى : ٢-١٩٢

(١) عُلْتُ رَسُولَ اللَّهِ . أَي الْمَكَانَ الَّذِي كَانَ يَجْلِسُ فِيهِ (٢) هُوَ جَرَوْلُ بْنُ أَوْسٍ مِنْ بَنِي
عَبْسٍ ؛ كَانَ مِنْ غَوْلِ الشُّعْرَاءِ وَمُقَدِّمِهِمْ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ ذَا شُرُوفِهِ شَدِيدَ الْهَجَاءِ يَخَافُ الْعَرَبَ
لِسَانَهُ وَيَسْتَرْضُونَهُ بِالْمَالِ خَوْفًا مِنْ شَرِّهِ وَمَاتَ سَنَةَ ٥٩ هـ (٣) الْمَطْرَفُ : رِذَاءٌ مِنْ خَزْر
(٤) الْمِرْدَى : فِي الْأَصْلِ حَجَرٌ يَرْمِي ، وَيَطْلُقُ عَلَى الرَّجُلِ الشَّجَاعَ فَيَقَالُ : مِرْدَى حُرُوبٍ .

أنت يا أبا مليكة ! والله لو كنت عركت^(١) يمينك بمض ما كرهت من أمر
الزبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتت من لم يشتك ،
قال : إني والله بهم يا أبا العباس^(٢) لعالم ؛ قال : ما أنت بأعلم بهم من غيرك ، قال :
بلى والله ! يرحمك الله ! ثم أنشأ يقول :

أنا ابنُ بجدتهم^(٣) علماً وتجربةً فسئل بسعدٍ تجدني أعلم الناس
سعدُ بن زبيرٍ كثيرٌ إن عددتهمُ ورأسُ سعد بن زيد آل شماس
والزبرقانُ ذنابهم^(٤) وشرهمُ ليس الذنابي أبا العباس كالرأسِ

فقال ابن عباس : أقسمت عليك ألا تقول إلا خيراً ، قال : أفعل .

ثم قال ابن عباس : يا أبا مليكة ؛ من أشعرُ الناس ؟ قال : أمن الماضين أم
من الباقين ؟ قال : من الماضين ، قال : الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتقى الشر يُشتم
وما بدونه الذي يقول :

ولست بمستيقٍ أخاً لا تلمسه على شمت ، أي الرجال المهذب !
ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرّولا - يعنى نفسه - والله يابن عم
رسول الله لولا الطمع والجشع لكنت أشعر الماضين ، فأما الباقون فلا تشك أنى
أشعرهم وأضردهم^(٥) سهما إذا رميت !

(١) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله
(٢) كنية عبد الله بن العباس (٣) البجدة :
(٤) ذنابهم : ذنبيهم (٥) أفضم .
دخله الأمر وباطنه ، والمراد : أنا العالم بالشيء

٨٢ - طريد لسانه *

لما ولى سعيد بن عثمان بن عفان خراسان أراد أن يستصحب يزيد^(١) بن ربيعة بن مفرغ ، فأبى عليه ، وصحب عبادة بن زياد ، فقال لسعيد : أما إذ أبيت أن تصحبني وآتت عبادة فاحفظ ما أوصيك به : إن عبادة رجلٌ لثيمٌ ، فأياك والدالة عليه ، وإن دعاك إليها من نفسه ، فإنها خدعة منه لك عن نفسك ، وأقلل زيارته ، فإنه طرف^(٢) ملولٌ ، ولا تُفآخره وإن فآخرك ، فإنه لا يحتمل لك ما كنت أحتمله .

ثم دعا سعيد بمسال فدفعه إلى ابن مفرغ وقال : استعين به على سفرك ؛ فإن صحَّ لك مكانك من عبادة ، وإلا فمكانك عندي مُمهَّد فأتني .

ثم سار سعيد إلى خراسان وتخلَّف ابن مفرغ عنه ، وخرج مع عبادة ابن زياد .

قال الراوى : فلما بلغ عبيد الله^(٣) بن زياد صحبة ابن مفرغ أخاه عبادة شقَّ عليه ، ولما عزم عبادة على السير إلى سجستان ، جاء عبد الله يودعه ، فدعا ابن مفرغ وقال له : إنك سألت عبادة أن تصحبه وأجابك إلى ذلك وقد شقَّ على .

فقال له ابن مفرغ : ولم أصلحك الله ؟ فقال : لأنَّ الشاعر لا يُقنعه من

* تاريخ الطبرى : ٦ - ١٧٧ ، الأغانى : ١٧ - ٥٥ (طبعة الساسى) .

(١) يزيد بن ربيعة بن مفرغ : شاعر محسن غزل من شعراء الحماسة ، توفى سنة ٦٩ هـ .

(٢) الطرف : من لا يثبت على صاحب (٣) كان عبيد الله والى البصرة على عهد معاوية .

الناس ما يُقْنِعُ بعضهم من بعض ؛ لأنه يظنُّ فيجعل الظنَّ يقيناً ، ولا يعذر في موضع ؛ وإن عبّاداً يقدم على أرض حرب فيشتغلُ بحروبه وخِراجِه عنك ، فلا تعذِّره أنت وتكسبنا شرّاً وعاراً .

فقال له : لستُ كما ظنَّ الأمير ، وإن لمعروفه عندي لشكراً كثيراً ، وإن له عندي - إن أغفلَ أمرى - عذراً مُمهّداً .

قال عبيد الله : لا ، ولكنّ تضمن لي إن أبطأ عنك ما تحبّه ألا تعجلَ عليه حتى تكتبَ إليّ ! قال : نعم ، قال : امض على الطائر الميمون .

قال الراوى : فلما قدم عبّادٌ سيجِسْتَاك ، واشتغلَ بحروبه مع التّركِ وخِراجِه استبطّاه ابن مفرغ ، ولم يكتبَ إليّ عبيد الله بن زياد يشكوه كما ضمن له ، ولكن بسطَ لسانه ، فذمّه وهجاه ؛ وكان عبّادٌ عظيم اللحية كأنها جُوالق^(١) ، فدخلت الريح فنفتشتها ، فضحك ابن مفرغ وقال لرجل كان إلى جنبه :

ألا ليت اللحيّ كانت حشيشاً فنعلفها خيولَ السليفا !^(٢)

فسعى به الرجل إلى عبّاد ، فغضب من ذلك غضباً شديداً وقال : لا يحملُ بي عقوبته في هذه السرعة مع الصحبة لي ، وما أوخرُها إلا لأشفيَ نفسي منه .

وبلغ الخبيرُ ابن مفرغ فقال : إني لأجدُ ريحَ الموت من عبّاد ؛ ثم دخل عليه فقال : أيها الأمير ؛ إني كنت مع سعيد بن عثمان ، وقد بلغك رأيه فيّ ، وجميلُ أثره عليّ ، وإني اخترتُك عليه فلم أظفرَ منك بطائل ؛ وأريد أن تأذنَ لي في الرجوع ؛ فلا حاجةَ لي في صحبتك .

(١) الجوالق : الوطاء . (٢) كان قد أصاب الجند مع عبّاد ضيق في أعلاف دوابهم . (١٤ - قصص العرب ٢)

قال له : أما اختيارك إياي فإني اخترتك كما اخترتني ، واستصحبتك حين سألتني ، وقد أعجلتني عن بلوغ محبتي فيك ؛ وطلبت الآن أن ترجع إلى قومك فتفضحنى فيهم ، وأنت على الإذن قادرٌ بعد أن أفضى حَقك . فسكت ابنُ مفرغ .

ثم أجرى عباد الخليلَ يوماً ، فجاء سابقاً ، فقال ابن مفرغ يهزأ به : سبق عباد وصلت^(١) لحيته . فبلغ ذلك عبّاداً ، وبلته أنه لا يزال يسبه ويدكره ، فطلب عليه العلل ، ودس إلى قوم كان لهم عليه دين ، فأمرهم أن يقدموه إليه ، ففعلوا فحبسه وأصرَّ به .

ثم بعث إليه : أن يعني الأراكة^(٢) ويرُدّا ، فبعث إليه ابن مفرغ مع الرسول : أبيعُ المرء نفسه أو ولده ! ثم شرَّ به عبّاد حتى باعها لرجل من أهل خراسان ، فقال ابن مفرغ :

شريت برداً ولو ملكت صفقتهُ	لما تطلبتُ في بيعٍ له رَشداً
لولا الدعوى ولولا ما تعرضَ لي	من الحوادث ما فارقته أبداً
أما الأراكُ فكانت من تحارينا	عيشاً لذيذاً وكانت جنةً رغداً
كانت لنا جنةً كنا نعيشُ بها	ننقى بها إن خشينا الأزل والنكد ^(٣)
ياليتني قبلَ ما ناب الزمانُ به	أهلى لقيتُ على عدوانه الأسدَا
قد خاننا عيشُ من لم نخشَ عثرته	من يامن اليوم أَمِنَ ذا بعيش غداً !
لامتنى النفس في برِّدٍ قفلت لها :	لا تهلكي إثر برِّد هكذا كمدَا

(١) المصل في الخيل : هو الذي يتلو السابق . (٢) كانت الأراكة قينة لابن مفرغ ، ويرد غلامه ، رباها ، وكان شديد الضن بها . (٣) الأزل : الضيق والشدة .

كم من نعيم أصبنا من لذاته قلنا له إذ تولى : ليته خَلداً^(١) !
ثم قال عباد لحاجبه : ما أرى هذا يبالي بالمقام في الحبس ، فبيع فرسه وسلاحه
وأثاثه ، واقسم ثمنها بين غرَمائه . ففعل ذلك وقسم الثمن بينهم ، وبقيت عليه
بقية حبسه بها .

وعلم ابن مفرغ أنه إن أقام على ذم عباد وهجائه ، وهو في محبسه ، زاد نفسه
شراً ، فكان يقول للناس - إذا سألوه عن حبسه ما سببه - رجلٌ أدبه أميره ليُقوم
من أوده ، أو يكف من غرَبه ، وهذا لعمري خيرٌ من جرُّ الأمير ذيله على
مُداهنة صاحبه .

فلما بلغ ذلك عباداً من قوله رِق له ، وأخرجه من السجن ، فهرب حتى أتى
البصرة ، ثم خرج منها إلى الشام ، وجعل ينتقل في مدنها هارباً ، ويهجو زياداً
وولده ، وأشعاره فيهم ترد البصرة وتنتشر وتبلغهم ، ثم تمدى ذلك إلى أبي سفيان
فقدفه وسبّ ولده .

ولما تمادى في ذلك جاء عباد إلى أخيه عبيد الله بالبصرة ، فوجده وافداً على
معاوية ، فكتب إليه ببعض ما هجا به آل زياد وأبا سفيان .

(١) ذكروا أن الأراكا ويرداً حينما دخلا منزل الحراساني قال له برد - وكان داهية أربياً - :
أتدري ما اشتريت ؟ قال : نعم ، اشتريت وهذه الجارية ، فقال : لا والله ما اشتريت إلا العار والعمار
والفضيحة أبداً ما حيت ! فجزع الرجل ، وقال له : كيف ذلك ؟ وبالك ! قال : نحن ليزيد بن
مفرغ ، واقه ما أصاره إلى هذه الحال إلا لسانه وشعره ، أفتراه يهجو ابن زياد وهو أمير خراسان
وأخوه أمير المراقين وعمه الخليفة في أن استبطأه ، ويمسك عنك وقد ابتمتني وابتعت هذه الجارية ،
وهي نفس التي بين جنبيه ! والله ما أرى أحداً أدخل بيته أشأم على نفسه وأهله مما أدخلته على
منزلك ! فقال : فاشهد أنك وإياها له ؟ فإن شئتما أن تمضيا إليه فامضيا ، وإن شئتما أن تكونا عندي
فانصرا ! قال : فاكتب إليه بذلك ، فكتب الرجل إلى ابن مفرغ في الحبس بما فعله ، فكتب إليه
يشكر فعله وسأله أن يكونا عنده حتى يفرج الله عنه .

فلما قرأ عبيد الله الشعر دخل على معاوية ، ثم استأذنه في قتل ابن مفرغ ، فأبى عليه أن يقتله وقال : أذبه ولا تبلغ به القتل .

ثم جعل ابن مفرغ ينتقل من بلد إلى بلد ، فإذا شاع خبره انتقل حتى لفظته الشام ؛ فأتى البصرة ، ونزل على الأحنف بن قيس فالتجأ واستجار به ، فقال له الأحنف : إني لا أجبر على ابن مُمَيَّة ^(١) ، إنما يجير الرجل على عشيرته ، فأما على سلطانه فلا .

ثم أتى خالد بن عبد الله فاستجار به ، فأبى أن يجيره ، فأتى عمر بن عبيد الله فوعده ، وأتى طلحة الطلحات فوعده ، ثم أتى المنذر العبدى فأجاره ، وكان عبيد الله بن زياد زوجاً لبنته ، وكان من أكرم الناس عليه ، فاغتر بذلك ، وأدل بموضعه منه وطلبه عبيد الله فقتل له : قد أجاره المنذر .

فبعث عبيد الله إلى المنذر فأتاه ، فلما دخل عليه بعث بالشرط ، فكبسوا دار المنذر وأتوه بابن مفرغ ، فلم يشعر المنذر إلا بابن مفرغ قد أقيم على رأسه . فقام إلى عبيد الله فكلّمه فيه وقال : أذكرك الله أيها الأمير ، لا تخفّر جوارى فإني قد أجرته .

فقال عبيد الله : يا منذر ، ليمدحن أباك وليمدحنك ، ولقد هجانى وهجانى أبي ثم تجيره على ! والله لا يكون ذلك أبداً ، ولا أغفرها له . فغضب المنذر ، فقال له عبيد الله : لملك تدل بكريمتك عندي ، إن شئت والله لأينبها بتطبيق البتة ^(٢) .

فخرج المنذر من عنده ، وأقبل عبيد الله على ابن مفرغ ، وقال له : بئسما

(١) سمية : أم زياد (٢) منصوب على المصدر ، يقال : لأفعله البتة . لكل أمر لارجمة فيه .

صحبت به عبّاداً ! فقال : بئسما صحبني به عبّاد ! اخترته على سعيد بن عثمان ،
 وأنفقتُ على صحبته كلَّ ما أفدته وكلَّ ما أملكه ، ثم عاملني بكلِّ قبيح ،
 وتناولني بكلِّ مكروه ، من حبس وغُرم ، وشتم وضرب ، فكنت كمن شامَّ برقاً
 خلباً في سحاب جهام ، فأراق ماءه طمعاً فيه فمات عطشاً ، وما هربت من أخيك
 إلّا لما خفت أن يُجرى فيّ ما يندم عليه ، وقد صرتُ الآن في يدك ، فشانك
 فاصنع بي ما أحببت .

فأخذ عبيدُ الله في تعذيبه ، وأمر أن يُطاف به ، بحالة سيئة ، وقرن بهرة
 وخنزيرة ، والصبيان حوله يصيحون به ويلحون عليه ، ثم رُدَّ إلى السجن ، وسُقي
 فيه من ألوان العذاب والنكال . فقال يذكر ما فعل به وإهمال قريش إياه :

دَارَسَلَمَى بِالْحُبْتِ ذِي الْأَطْلَالِ	كيف نومُ الأسيرِ في الأغلالِ !
أَيْنَ مِنِّي السَّلَامُ مِنْ بَعْدِ نَائِي	فارجمي لي تحيّي وسؤالي !
أَيْنَ مِنِّي نَجَائِي وَجِيَادِي	وغزالي ، سقى الإله غزالي !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ جُنَّتِي وَسِلَاحِي	ومطايا سيرتها لا زنجالي !
هَدَمَ الدَّهْرُ عَرْشَنَا فَتَدَاعَى	قبلينا إذ كلُّ عيشٍ بال
إِذْ دَعَانَا زَوَالُهُ فَاجْتَبَانَا	كلُّ دنيا ونعمةٍ لزوال
أَمْ قَضِينَا حَاجَاتِنَا إِلَى الْمَوْتِ	تِ مَصِيرُ الْمَلُوكِ وَالْأَقْيَالِ
لَا وَصَوْمِي لِرَبِّنَا وَزَكَاتِي	وصلاتي أدعو بها وابتهالي
مَا أَنْتِ الْعُدَاةُ أَمْراً دَنِيّاً	ولدى اللهِ كابرُ الأعمالِ
أَيْهَا الْمَلِكِ الْمَرْهَبِ بِالْقَتَّةِ	لِ بَلْفَتِ النَّكَالِ كُلِّ النَّكَالِ
فَاخْشِ نَارَ أَتَقْدِفِ الْوَجْوهَ وَيَوْمَ مَا	يقذف الناس بالدهاهي الثقالِ

قد تمديت في القصاص وأدرك
وكسرت السن الصحيحة مني
وقرتتم مع الخنازير هراً
وأطلمت مع العقوبة سجننا
يفسل الماء ماصنعت ، وقولي
لو قبلت الفداء أورمت مالى
لو بغيرى من معشر لعيب الده
كم بكاني من صاحب و خليل
ت ذُحولا^(١) لمعشر أقتال
لا تذلنى فمُنكره إذلالى
ويعينى مغلوله وشمالى
فكم السجن؟ أو متى إرسالى
راسخ منك فى العظام البوالى
قلت : خذه ، فداء نفسى مالى
رُ لما ذم نصرتى واحتىالى
حافظ الغيب حامد للخصال

ليت أنى كنت الحليف للخم
بدلاً من عصابة من قريش
خذلوني وهم لذلك دعوني
لا تدعنى ، فذاك أهلى ومالى
حسرتا إذ أطلت أمر غواتى
وجُذامٍ أو طيء الأجبالي
أسلموني للخصم عند النضال
ليس حامى الذمار بالخذال
إن حَبليكَ من متين الجبال
وعصيت النصيح ، ضل ضلالي!

ولكن عبيد الله أرسله إلى أخيه عباد بسجستان ، فكلمت اليمانية فيه
بالشام معاوية ؛ فأرسل رسولا إلى عباد أن يحمل إليه ابن مفرغ ، فحمل من
عنده ، وقال في طريقه :

عَدَمَنْ مَا لَعْبَادٍ عَلَيْكَ إِيمَارَةٌ نَجْوَتِ، وَهَذَا تَحْمِيلِينَ طَلِيقٌ^(١)

لِعَمْرَى لَقَدْ نَجَّيَاكَ مِنْ هُوَّةِ الرَّادِي إِمَامٌ وَحَبْلٌ لِلْأَنَامِ وَثِيقٌ

سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ نِعْمَةٍ وَمِثْلِي بِشُكْرِ الْمُتَعَمِّينَ حَقِيقٌ

فلما دخل على معاوية بكى وقال : ركب منى ما لم يركب من مسلم ، على غير

حدّث ولا جريرة اقال أولست القائل :

ألا أبلغ معاوية بن حرب

أفلم تقل :

فأشهد

في أشعار كثيرة هجوت بها زيادا ! اذهب فقد عفونا عن جرّمك ، أمالو إيانا

تعامل لم يكن مما كان شيء ؛ انطلق ، وفي أى أرض شئت فانزل . فنزل الموصيل .

٨٣ — عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب*

قال شيخ من أهل مكة :

لما أتى عبد الله^(١) بن الزبير قتلُ مصعب^(٢) أخيه أضرب عن ذكره أياما حتى تحدّثت به إمامه مكة في الطرق ، ثم صعد المنبر ، فجلس عليه مليا لا يتكلم ، فنظرتُ إليه والكآبة على وجهه ، وجبينه يرشحُ عرقا ، فقلت لآخر إلى جنبي : ماله لا يتكلم ؟ أترأه يهاب المنطق ! فوالله إنه لخطيب ، فما تراه يهاب ! قال : أراه يذكر قتل مصعب سيّد العرب ، وهو بفضّيح تذكّره غيرُ معلوم . فقال : « الحمد لله الذي له الخلقُ والأمرُ وملئُ الدنيا والآخرة ، يُعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء ؛ ألا إنه لم يذلّ - والله - من كان الحقّ معه وإن كان مُفردا ضعيفا ، ولم يعزّ من كان الباطل معه ، وإن كان في العدة والعدد والكثرة » .

ثم قال : « إنه قد أتانا خبرٌ من العراق ، بلدِ الغدرِ والشقاق ، فساءنا وسرّنا ؛ أتانا أن مصعبا قُتل - رحمة الله عليه ومغفرته ! فأما الذي أحزننا من ذلك فإنّ لفرّاقِ الحميمِ لذعةً يمجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى من بعد ذو الرأى والدين إلى جميل الصبر ، وأما الذي سرّنا منه ، فإننا قد علمنا أن قتله شهادةٌ له ، وأنه

* الأغاني : ١٧ - ١٦٦

(١) انظر صفحة ١٢٦ (٢) كان من أجواد العرب ، وولاه أخوه عبد الله بن الزبير المراقين فسار إليه عبد الملك بن مروان بجيش ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدمته فلقبه مصعب فقاتله ، فقتل مصعب . ودخل عبد الملك الكوفة ، وبايع له أهلها .

عز وجل جاعل ذلك لنا خيرةً إن شاء الله تعالى .

إن أهل العراق أسلموه وباعوه بأقل ثمن ، لقد قُتِل أبوه وعمه وأخوه وكانوا خيارَ الصالحين ؛ إنا والله مائتوتُ حتف أنوفنا ؛ مائتوتُ إلا قتلا قمصاً^(١) بالرماح ، وتحت ظلال السيوف ، وليس كما يموت بنو مرّوان ؛ والله ما قُتِل منهم رجلٌ في جاهلية ولا إسلام قط ؛ وإنما الدنيا عارية من الملك القهار ، الذي لا يزول سلطانه ، ولا يبديد ملكه ، فإن تقبل الدنيا على لا آخذها أخذ الأثير البطر ، وإن تُدبر عني لا أبكي بكاء المهتر^(٢) . ثم نزل !

(١) قمصه : قتله مكانه (٢) المهتر : الذى فقد عقله من الكبر أو المرض أو الخزن .

٨٤ - صمر بن أبي ربيعة وجميل *

اجتمع صمر بن أبي ربيعة ، وجميل ^(١) بن عبد الله العذري ، فأنشد جميل قصيدته التي يقول فيها :

لقد فرح الواشون أن صرمت ^(٢) حبلى
يقولون : مهلاً باجميل ، وإنتى
خيلى فيما عشتما هل رأيتما
أيت مع الهلاك ^(٣) ضيقاً لأهلها
أفقت أيتها القلب اللجوج عن الجمل
فلو تركت عقلى معى ما طلبتها
حتى أتى على آخرها . ثم قال لعمري : يا أبا الخطاب ، هل قلت فى هذا الروى شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : فأنشده ، فأنشده :

جرى ناصح بالود بينى وبينها
فلما تواقفنا عرفت الذى بها
قلن لها : هذا عشاها وأهلنا
قالت : فاشتتن ؟ قلن لها : انزلى
قررتى يوم الحصاب إلى قتلى
قررتى يوم الحصاب ^(٤) إلى قتلى
قريب الما تسمى مركب البغل !
فلأرض خير من وقوف على رخل

* الأغاني : ١ - ١١٥ (طبعة دار الكتب) ، زهر الآداب : ٢ - ٢٤٠

- (١) بعد جميل بن ممر مثال النزول البدوى العفيف ، نشأ فى البادية ، وأحب ابنة عمه بئينة وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا وقد لقي فى سبيل حبه العنت والعذاب ، مات سنة ٢٨ هـ
(٢) صرمت حبلى : قطعت الصلة بين (٣) الهلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس ابتغاء معروفهم
(٤) جل : علم على امرأة ، وهو يقصد بها بئينة . (٥) طلايها : طلبى لإياها .
(٦) الحصاب كالخصب : موضع رى الجمار .

نُجُومٌ دَرَارِيٌّ تَكْتَفِنُ صُورَةَ
فَسَلَّمْتُ وَاسْتَأْنَسْتُ خَيْفَةَ أَنْ يَرَى
قَالَتْ - وَأَرَخْتُ جَانِبَ الشَّرِّ : إِنَّمَا
قَلَّتْ لَهَا : مَا بِي لِمَ مِنْ تَرَقُّبٍ
فَلَمَّا اقْتَصَرْنَا دُونَهُنَّ حَدِيثُنَا
عَرَفْنَا الَّذِي تَهْوَى قَلْبُنَا إِذْ ذِي لَنَا
قَالَتْ : فَلَا تَلْبِثِينَ قَلْبِي : تَحَدَّثِي
فَقَمْنِي وَقَدَّافِهْمَنِي ذَا اللَّبِّ أَنْتُمَا
قَالَ جَمِيلٌ : هِيَ بَاتِئَةٌ يَا أَبَا الْخَطَّابِ ! لَا أَقُولُ وَاللَّهِ مِثْلَ هَذَا سَجِيسَ اللَّيَالِي (٢) ،
وَاللَّهِ مَا يَخَاطَبُ النِّسَاءَ مَخَاطَبَتِكَ أَحَدٌ ، وَقَامَ مَشْرُوعًا .

(١) هوج : جمع هوجاء ، وهي المتعجلة في السير كأن بها هوجاً وحفاً (٢) الشكل : دل المرأة وغزلها (٣) أي لا أقول مثل هذا أبداً ، وهي كلمة تستعمل للتأيد .

٨٥ — لشعر عمر بن أبي ربيعة نَوَطة بالقلب *

ذُكِرَ شِعْرُ الْحَارِثِ ^(١) بِنِ خَالِدٍ وَشِعْرُ عَمْرٍ بِنِ ^(٢) أَبِي رَيْبِعَةَ عِنْدَ أَبِي عَتِيقٍ فِي مَجْلِسِ رَجُلٍ مِنْ وَلَدِ خَالِدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ هِشَامٍ ، فَقَالَ : صَاحِبُنَا - بِعِنَى الْحَارِثِ ابْنِ خَالِدٍ - أَشْعَرُهُمَا .

فَقَالَ لَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ . بَعْضَ قَوْلِكَ يَا بْنَ أَخِي ! لِشِعْرِ عَمْرٍ بِنِ أَبِي رَيْبِعَةَ نَوَطَةٌ ^(٣) فِي الْقَلْبِ ، وَعُلُوقٌ بِالنَّفْسِ ، وَدَرَكٌ لِلْحَاجَةِ لَيْسَتْ لِشِعْرِ الْحَارِثِ ، وَمَا عُصِيَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشِعْرِ أَكْثَرِ مَا عُصِيَ بِشِعْرِ عَمْرٍ بِنِ أَبِي رَيْبِعَةَ ، فَخَذَ عَنِّي مَا أَصْفَلُكَ : أَشْعَرُ قَرِيشٍ مِنْ دَقِّ مَعْنَاهُ ، وَلَطْفَ مَدْخَلِهِ ، وَسَهْلَ تَخْرُجِهِ ، وَمَتْنَ حَشْوِهِ ، وَتَمَطَّقَتْ حَوَاشِيهِ ، وَأَنَارَتْ مَعَانِيهِ ، وَأَعْرَبَ عَن حَاجَتِهِ !

فَقَالَ الْمَفْضَلُ لِلْحَارِثِ : أَلَيْسَ صَاحِبُنَا الَّذِي يَقُولُ :

إِنِّي وَمَا نَحَرُوا غَدَاةَ مِنِّي عِنْدَ الْجِمَارِ يَثُودُهَا الْعَقْلُ ^(٤)
لَوْ بُدِّدَتْ أَعْلَى مَسَاكِينِهَا سُقْلًا ، وَأَصْبَحَ سُقْلُهَا يَمْلَأُ
فِيكَادَ يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِهَا فَيَرُدُّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْمَحَلُّ ^(٥)
لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا بِمَا احْتَمَلْتُ مَنِي الصَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ

* الأغانى : ١ - ١٠٨ (طبعة دار الكتب) ، الأمالى : ٢ - ١٧

(١) الفخر ص ١٥٣ .

(٢) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي ، اختص شعره بوصف النساء ، وعد أنسب الشعراء وأوصفهم لربات الرجال ، وكان يقيم مكة ويعرض للحجاج ، وله في ذلك أخبار كثيرة توفى سنة ٥٩٣ هـ
(٣) النوطة : التطق (٤) يثودها : يتقلها ، والمحل : الحبس (٥) أقوت الدار : أقفرت وختت من أهلها ، والمحل : الجذب .

فقال له ابنُ أبي عتيق : يا ابنَ أخي ؛ استرَّ على نفسك ، واكتمْ على صاحبك ،
ولا تشاهدِ المحافلِ بمثلِ هذا ؛ أما تطيرُ الحارثُ عليها حينَ قلبَ ربِّها ، فجعلَ عاليه
سافله ، ما بقى إلا أن يسألَ اللهَ تباركُ وتعالى لها حجارةً من سَجِّيلٍ ^(١) ؛ ابنُ أبي
ربيعة كان أحسنَ صُحْبَةً للرَّبيعِ من صاحبك ، وأجملَ مخاطبةً حيث يقول :

سائلاً الرِّبيعَ بالبلي ^(٢) وقولاً هجتَ شوقاً لي الغداة طويلاً
أين حى حلوك إذ أنت محفو ف بهم أهلٌ أراك جميلاً
قال : ساروا فامنعوا واستقلوا ^(٣) وبرغى لو استطعتُ سبيلاً
سئموننا وما سئمننا مقاماً وأحبوا دمانةً وسهولاً
فانصرف الرجلُ خجلاً مذعناً .

(١) السجِّل : الطين المتحجر

(٢) البلي : تل قصير

(٣) استقلوا : واصلوا السير

وجدوا في الارتمال .

٨٦- ابن المسيب يفخر بصاحبه*

قال بعض الرواة :

دخلتُ مسجدَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم مع نَوْفَلِ بْنِ مُسَاحِقٍ ؛ وإِنتَه
لمعتَمِدِ عَلَى يَدِي إِذَا مَرَرْنَا بِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيْبِ (١) فِي مَجْلِسِهِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَرَدَّ
سَلَامَنَا ثُمَّ قَالَ لِنَوْفَلٍ : يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ مَنْ أَشْعَرُ ؟ أَصَاحِبُنَا أَمْ صَاحِبُكُمْ ؟ يَعْنِي عِبِيدَ اللَّهِ
ابْنَ قَيْسِ الرَّقِيَّاتِ أَوْ عَمْرَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ - فَقَالَ نَوْفَلٌ : حِينَ يَقُولَانِ مَاذَا ؟ فَقَالَ :
حِينَ يَقُولُ صَاحِبُنَا :

خَلِيلٌ مَا بَالُ الْمَطِيِّ كَأَمَّا نَرَاهَا عَلَى الْأُدْبَارِ بِالْقَوْمِ تَنْكُصُ (٣)
وَقَدْ أَبْتَدَى الْخَادِي سُرَّاهُنَّ وَاتَّحَى بَيْنَ فَا يَا لَوْ عَجُولٌ مَقْلَصٌ (٤)
وَقَدْ قَطِيعَتْ أَعْنَاقَهُنَّ صَبَابَةٌ فَأَقْسُنَا مِمَّا تَكَلَّفُ شُخْصُ
يَزِدْنَ بِنَا قُرْبًا فَيَزِدَادُ شَوْقُنَا إِذَا زَادَ طَوْلُ الْعَهْدِ ، وَالْبَعْدُ يُنْقِصُ

وَيَقُولُ صَاحِبُكُمْ مَا شِئْتَ أَقَالَ لَهُ نَوْفَلٌ : صَاحِبُكُمْ أَشْهَرُ بِالْقَوْلِ فِي النَّزْلِ -
أَمْتَعِ اللَّهُ بَكَ - وَصَاحِبُنَا أَكْثَرُ أَفَانِينَ شَعْرًا .

قال : صدقت ؛ فلما انقضى ما بينهما من ذِكْرِ الشَّعْرِ ، جَمَلَ سَعِيدٌ بِسْتِغْفَرِ اللَّهِ
وَيَعْقِدُ بِيَدِهِ ، وَيُعِدُّهُ بِالْخَمْسِ كُلِّهَا ، حَتَّى وَفَى مِائَةَ .

* الأغانى : ٥ - ٩٢ (طبعة دار الكتب)

- (١) كان سعيد بن المسيب سيده التابعين من الطراز الأول ، جمع بين الحديث والفقه والزهد
والورع والعبادة ، وله في كل ذلك أخبار مأنورة ، توفي سنة ١٠١ هـ (٢) المطي : جمع مطية
(٣) تنكص : تراجع وتولى وتجمع (٤) مقلص : مشر جاد في السير .

قال الراوى : فلما فارقناه قلت لنوفل : أترأه استغفر الله من إنشاده الشعر في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كلا ! هو كثير الإنشاد والاستشهاد
للشعر ، ولكنى أحسبه للفخر بصاحبه !

٨٧ — أعشى همدان يهجو ويمدح *

كان أعشى ^(١) همدان شاعر أهل اليمن بالكوفة وقارسمهم ، وكان مع خالد
ابن عتاب بن وزيقاه الرياحي بالرمي ، فلما قدم خالد من مغازاه خرج جواريه
يتلقينه ، وفيهن أمٌ ولدٍ له كانت رفيعة القدر عنده ؛ فجعل الناس يمرُّون عليها
إلى أن جازَ بها الأعشى ، وهو على فرسه يميل يمينا ويساراً من الثَّماس ، فقالت
أم ولد خالد لجواريها : إن امرأة خالد لتفأخرني بأبيها وعمِّها وأخيها ، وهل يزيدون
على أن يكونوا مثل هذا الشيخ المرَّيش ^(٢) !

وسمى الأعشى فقال : من هذه ؟ فقال له بعضُ الناس : هذه جاريةُ خالد ،
فضحك وقال لها : إليك عنى بالكَماء ^(٣) ؛ ثم أنشأ يقول :

وما يُدريك ما فرسٌ جرورٌ ^(٤) وما يُدريك ما حملُ السلاح !
وما يدريك ما شيخٌ كبيرٌ عَدَاهُ الدهرُ عن سننِ المِراح ^(٥)
فأقسمُ لو ركبتِ الورْدَ ^(٦) يوماً وليلتَه إلى وَضَحِ الصِّباحِ

* الأغاني : ٦ - ٤٢

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله ، ويكنى أبا المصبح ، شاعر فصيح كوفي من شعراء الدولة
الأموية ، وكان أحد الفقهاء القراء ، ثم ترك ذلك وقال الشعر . ولقد كان سراً حين خرجوه
عليه مع ابن الأشعث سنة ٨٣ هـ (٢) تريد الأعشى (٣) الكماء : الكفة (٤) جرور :
جرور : لا ينفاد ولا يكاد يتبع صاحبه (٥) المِراح : الاختيار والتجسس (٦) ورد من
ما بين الكميت والأشقر .

إذن لنظرت
فأصبحت الجارية ، فدخلت إلى خالد فشكت إليه الأعشى ، وقالت : والله
ما تُكْرَم ، ولقد اجترى عليك أقوال لها : وما ذاك ؟ فأخبرته أنها مرت برجل
في وجه الصبح ، ووصفته له وأنه سبها ، فقال : ذلك أعشى همدان ، فأى شيء
قال لك ؟ فأنشدته الأبيات ، فبعث إلى الأعشى ، فلما دخل عليه قال له : ما تقول
هذه ؟ زعمت أنك هجوتها ، فقال : أساءت سمماً ؛ إنما قلت :

مهرت بنسوةٍ مُتَعَطَّرَاتٍ كضوءِ الصُّبْحِ أَوْ بَيْضِ الْأَدَاحِيِّ (١)
صَلَى شَقْرَ الْبَغَالِ فَصِدْنَ قَلْبِي بِحَسَنِ الدَّلِّ وَالْحَدَقِ لِلْمَلَّاحِ
فَقُلْتُ : مَنْ الطَّبَّاءُ ؟ فُقُلْنَ : سِرْبٌ بَدَا لَكَ مِنْ ظِبَاءِ بَنِي رِيَّاحِ
فَقَالَتْ : لا ، والله ، ما هكذا قال . . . وأعادت الأبيات .

فقال له خالد : أما لولا أنها قد ولدت منى لو هبتها لك ، ولكى أفتدى
جنايتها بمثل ثمنها ، فدفعه إليه وقال له : أقسمت عليك يا أبا اللصيح أن لا تعيد في
هذا المعنى شيئاً بعد ما قرط منك .

(١) الأداحي : جمع أدحية وهي مبيض النعام في الرمل .

٨٨ — أشجع الناس شعراً*

سأل يوماً عبدُ الملك^(١) بن مروان : مَنْ أشجعُ الناسِ شعراً ؟ فقيل عمرو بن
محمد يكرِب . فقال : كيف وهو الذى يقول :

فجاشت إلى النفسُ أوَّلَ مرةٍ فرُدَّتْ على مكرُوهيها فاستقرَّت^(٢)

قالوا : فعمرو بن الإطنابة . فقال : كيف وهو الذى يقول :

وقولى كلما جشأتُ وجاشتُ مكانك تُحمِّدى أوتستريحى^(٣)

قالوا : فعمار بن الطفيل . قال : كيف وهو الذى يقول :

أقولُ لنفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا : أَقَلِّ مِرَاحاً إِنِّى غَيْرُ مَدْبِرِ

قالوا : فمن أشجعهم عند أمير المؤمنين ؟ قال : أربعة ، عباس بن مرداس

السَّليّ ، وقيس بن الخطيم الأوسى ، وعنترة بن شداد العبسى ، ورجل من
بنى مزينة .

أما عباس فلقوله :

أشدُّ على الكتيبة لا أبالى أفيها كان حَتْفِي أم سواها

* بجمع الأمثال : ٢ - ٢٢ .

(١) كان عبد الملك بن مروان ليلاً عاقلاً جباراً ، قوى الهبة ، شديد السياسة حسن التدبير
تولى الخلافة سنة ٦٥ ، فوطد أركانها ، وقتل ابن الزبير وأخاه مصعباً ، وكافح حتى استقرت له
الأموار ، ومات سنة ٨٦ هـ (٢) جاشت النفس ؛ اضطربت من الفزع ، وأصل جاشت : غشت
هوافضت (٣) جشأت : ارتفعت من حزن أو فزع .

وأما قيس بن الخطيم فلقوله :

وإني لَدَى الحربِ العَوَانِ موَكَّلٌ بتقديمِ نفسٍ لا أريدُ بقاءها

وأما عنزة بن شداد فلقوله :

إذ تتقون بي الأسيئةَ لم أخم^(١) عنها ولكن قد تضايق مقدى^(٢)

وأما المزني فلقوله :

دعوتُ بني قحافة فاستجابوا قلت : ردُّوا فقد طابَ الورود

(١) أخم : أجب . (٢) تضايق مقدى : تضايق الموضع الذي هو قلبى من أن يدنوه أحد .

٨٩ — الحجاج على قبر ابنه *

لما هلك أبانُ بنُ الحجاج ، وأمه أم أبان بنت النعمان بن بشير ، ودفنه الحجاج ^(١)
قام على قبره ؛ فتمتل بقول زياد الأعمى :

الآن لما كنتَ أكلَ من مَشَى وافترَّ نابُك عن شِباةِ القارِح
وتكاملتَ فيك للروءة كُلُّها وأعنتَ ذلكَ بالفعالِ الصالحِ ا
فلما انصرف إلى منزله قال : أرسلوا خلف ثابت بن قيس الأنصاري ؛ فاتاه
فقال : أنشدني مرثيتك في ابنك الحسن ، فأنشده :

قد أكَذَّبَ اللهُ من نَعَى حَسَنًا ليس لتكذيبِ موتهِ ثَمَنُ
أَجُولُ في الدارِ لا أراكِ وفي الدارِ أناسِ جِوارِهمُ غَيبُ ^(٢)
بُدِّلَهمُ منك لَيْتَ أَنهمُ أَضْحُوا وَيَبِي وَيَبِيهِمُ عَدَنُ ا
فقال له الحجاج : ارثِ ابني أبان . فقال له : لا أجد به ما كنتُ أجدُ بحسن ،
قال : وما كنتُ تجده ؟ قال : ما رأيته قطُ فسيمت من رؤيته ، ولا غاب عنى قطُ
إلا اشتقتُ إليه .

فقال الحجاج : كذلك كنتُ أجدُ أبان ا

* ذيل الأمالى : ٧

(١) انظر صفحة ٣٧ (٢) ضف .

٩٠ — إن صدقناك أغضبتناك*

شكا الحجاج يوماً سوء طاعة أهل العراق وسقم مذهبهم ، وسخط طريقهم فقال له جامع المحاربي - وكان شيخاً صالحاً خطيباً لسنًا : أما إنهم لو أحبوك لأطاعوك ، على أنهم ما شنوك^(١) لنسبك ، ولا لبلدك ، ولا لذاتِ نفسك ، ولكنهم نَقَموا أفعالك ؛ فدع ما يُبْعدُهم عنك إلى ما يُدْنيهـم منك ، واتمس العافية ممن دونك تُعْطِها ممن فوقك ، وليكن إيقاعك ، بعد وعيدك ، ووعيدك^(٢) بعد وعدك .

فقال له الحجاج : والله ما أرى أن أردّ بنى الكعبة إلى طاعتي إلا بالسيف !
فقال جامع : أيها الأمير ، إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار !
فقال الحجاج : الخيارُ يومئذُ لله ! قال جامع : أجل ، ولكن لا تدرى لمن يجعله الله !

فغضب الحجاج وقال : يا هناه^(٣) ، إنك من محارب !

فقال جامع :

وللحربِ سُمِينَا وكان محارباً إذا ما ألقنا أمسى من الطمن أحمرًا
فقال له الحجاج : والله لقد هممتُ أن أخلَعَ لسانك ، وأضربَ به وجهك .

* زهر الآداب : ٤ - ٤٨ ، البيان والتبيين : ٢ - ٦٨ ، المقد الفريد : ٢ - ١٥١ ، عيون الأخبار : ٢ - ٢١٢

(١) شنوك : أبغضوك (٢) الوعيد في الذم ، والوعد في الخير (٣) ياهناه : يافلان .

قال جامع : إن صدقناك أغضبتك ، وإن كذبتناك أغضبتنا الله ، وغضب
الأمير أهون علينا من غضب الله .

قال الحجاج : أجل ! وسكن واشتغل بيمض الأمر ، فخرج جامع ، وانسل
من صفوف الناس .

٩١ - الحجاج يخطب *

دخل الحجاج الكوفة ؛ فصعد المنبر ، فانكسر تحت قدمه لوح ، فلم أهم
قد تطيروا له بذلك ؛ فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى ، وقال :

شاهت الوجوه^(١) ، وتبت^(٢) الأيدي ، وبؤتم بغضب من الله ! إذا انكسر
عودٌ جذع ضعيف تحت قدم أسدٍ شديد تفاءتم بالشؤم ! إني على أعداء الله تعالى
لأنكد^(٣) من الغراب الأبقع^(٣) ، وأشأم من يوم نحسٍ مستمر ، وإني لأعجب من
لوط وقوله : ﴿ أَوَ أَنْ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ؛ فأى ركن
أشد من الله تعالى !

أو ما علمت ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليت عليكم أخى
محمد بن يوسف ، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله معاذاً في أهل اليمن ! فإنه

* المستطرف : ٢ - ٨٥

(١) شاهت الوجوه : قبحت (٢) تبت يداه : خسرتنا (٣) الأبقع : الذى فيه سواد وبياض .

أمره أن يُحسِنَ إلى مُحْسِنِهِمْ ، ويتجاوزَ عن مُسِيئِهِمْ ؛ وقد أمرته أن يسيءَ إلى
مُحْسِنِكُمْ ، وألَّا يتجاوزَ عن مُسِيئِكُمْ .

وأنا أعلم أنكم تقولون بصدى : لا أحسن الله له الصحابة ! وأنا معجل
لكم الجواب ؛ لا أحسن الله عليكم الخلفاء ! أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم
لي ولكم .

٩٢ — جيل أشعر الناس*

حدث أحد الرواة فقال :

دخل علينا كثير^(١) يوماً وقد أخذ بطرف رِيْطَتِهِ^(٢) ، وألقى طرفها الآخر وهو يقول : هو والله أشعرُ الناس حيث يقول :

وخبرُ ثَمَانِي أَنْ تَيْمَاءَ^(٣) مَنْزِلٌ لِلَّيْلِ إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى الْمَرَامِيَاءَ
فَهَذِي شُهُورُ الصَّيْفِ عَنِّي قَدْ انْقَضَتْ فَسَا لِلنَّوَى تَرْمِي بَلِيلِي الْمَرَامِيَاءَ
وَيَجْرُ رِيْطَتُهُ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْنَا ، ثُمَّ يُوَلِّي عَنَّا وَيَجْرُهَا وَيَقُولُ : هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ
النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ :

وَأَنْتِ الَّتِي إِنْ شُنْتِ كَدَّرْتِ عَيْشَتِي وَإِنْ شُنْتِ بَعْدَ اللَّهِ أَنْعَمْتَ بِالْيَأِ
وَأَنْتِ الَّتِي مَأْمِنُ صَدِيقٍ وَلَا عِدَا يُرَى نَفْضُو مَا أَقْبَيْتِ إِلَّا رَثَى لِيَأِ
ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْنَا وَيَقُولُ : هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ النَّاسِ ؛ قَلْنَا : مَنْ تَعْنِي يَا أَبَا صَخْرَ ؟
فَقَالَ : وَمَنْ أَعْنِي سِوَى جَيْلِ ! هُوَ وَاللَّهِ أَشْعَرُ حَيْثُ يَقُولُ هَذَا .

* الأغانى : ٨ - ١٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) كثير بن عبد الرحمن : شاعر من أهل الحجاز ، أخباره معمرة كثيرة ، توفي سنة ١٠٥ .

(٢) الرِيْطَةُ : كل ملاءة غير ذات لفتين ؛ كلها نسج واحد وقطعة واحدة (٣) تِيَاءُ : منزل

لبو عنزة .

٩٣ — مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ؟*

قال عبد الملك بن مسلم : كتب عبدُ الملك بن مروان إلى الحجاج : إنه لم يبق شيء من لذة الدنيا إلا وقد أصبتُ منه ، ولم يَبْقَ لي إلا مُناقلةُ^(١) الإخوان الأحاديث ؛ وقَبَلَك عامرُ الشعبي^(٢) ، فابعث به إليّ بحدثنى .

فدعا الحجاج بالشعبيّ وجهّزه ، وبعث به إليه ، وأطراه في كتابه .

فخرج الشعبيّ ، حتى إذا كان بيابِ عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، فقال : ومن أنت ؟ قال : عامر الشعبيّ ، قال : حيّاك الله ! ثم نهض ، وأجلسه على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج إليه فقال : ادخل .

قال الشعبيّ : فدخلت فإذا عبد الملك جالس على كرسيّ ، وبين يديه رجل أبيضُ الرأس واللحية على كرسيّ ، فسلمتُ فردّ السلام ، ثم أوّماً إليّ ، فقعدتُ عن يساره ، ثم أقبل على الذي بين يديه فقال : ويحك ! من أشعر الناس ؟ قال : أنا يا أمير المؤمنين ! فأظلم علىّ ما بيني وبين عبد الملك ، ولم أصير أن قلت : ومنّ هذا يا أمير المؤمنين الذي يزعم أنه أشعر الناس ؟ فعجِب عبدُ الملك من عَجَلتي قبل أن يسألني عن حالّي ، ثم قال : هذا الأخطل ! فقلت : يا أخطل ، أشعرُ منك الذي يقول^(٣) :

* أمالي المرتضى : ٣ - ١٠١ ، خزانة الأدب : ٢ - ١١٨ (المطبعة السلفية) ، الأغاني : ٩ : ١٦٢ (طبعة الساسي) .

(١) المناقلة في المنطق : أن تحدّثه ويحدّثك (٢) هو عامر بن شراحيل . كوفي المنشأ ، تابعي جليل القدر وافر العلم ، يقال إنه أدرك خمسمائة من الصحابة . توفي سنة ١٠٣ هـ .
(٣) قال النابغة هذا الشعر حين نظر إلى النعمان بن الحارث أخى عمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن أبي شمر (مهذب الأغاني : ٢ - ٢٣٥) .

هَذَا غِلامٌ حَسَنٌ وَجِبه مَقْتَبِلُ الخَيْرِ مَرِيعُ التَّمَامِ
لِلحَارِثِ الأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الأَصَمِ نَمِرٌ وَالأَعْرَجُ خَيْرُ الأَنَامِ
ثُمَّ لِنَدِيٍّ وَلَمُنَدٍ ، فَقَدُ يَنْجَعُ فِي الرِّوَضَاتِ مَاءُ الغمامِ
خَسْبَةُ آباءِ هُمُ مَاهُمُ هُمُ خَيْرٌ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ المِدامِ

فقال عبد الملك : رددها على ، فرددها حتى حفظها ؛ فقال الأخطل : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال : هذا الشعبي ، قال : صدق والله ، النابغة أشعر مني ! قال الشعبي : ثم أقبل على عبد الملك فقال : كيف أنت يا شعبي ؟ قلت : بخير - قال : لا زلت به - ثم ذهبت لأصنع معاذيري لما كان من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمن بن محمد الأشعث .

فقال : مه ! فإننا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منا في قول ولا فعل حتى نفارقنا ، ثم أقبل على فقال : ماتقول في النابغة ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ، قد فصله عمر بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء ، وذلك أنه خرج يوماً وبيابه وقد غطفان ، فقال : يا معشر غطفان ، أي شعرائكم الذي يقول :

حَلَقْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِكَ رَيْبَةً وَليس وَرَاءَ اللهِ للرمءِ مَذْهَبُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أعطاك سَوْرَةَ تَرى كُلَّ مَلِكٍ دونها يَتَذَبذبُ
كَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذا طَلَعْتَ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكِبُ
لَنْ كُنْتَ قَدِ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيانَةَ لِمِبلِغِكَ الوائِئِ أَغْشِ وَأُكْذِبُ
وَلَسْتَ بِمَسْتَبِقٍ أَخًا لا تَلُهُ عَلى شِعْبٍ ؛ أَي الرِجالِ المَهْذَبِ !

قالوا : النابغة ؛ قال فأيتكم الذي يقول :

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المتأني عنك واسع
خطاطيف^(١) حجن في حبال متينة تمد بها أيدٍ إليك نوازعُ

قالوا : النابغة : قال أيتكم الذي يقول :

إلى ابن مُحَرَّرٍ أَعْمَلْتُ نَفْسِي وراحلتى وقد هدتِ العيون
أُتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظنونُ
فَأَلَيْتِ الأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لا يَخُونُ

قالوا : النابغة ، قال : هذا أشعر شعرائكم . ثم أقبل عبدُ الملك على الأخطل
فقال : أتحب أن لك قياضاً^(٢) بشعرك شعر أحد من العرب ، أو تحب أنك قلته ،
فقال : لا والله ، إلا أنى وددت أنى كنت قلت أحياناً قالها رجل منا ؛ كان والله
مُغْدِف^(٣) القناع ، قليل السماع ، قصير الذراع ، قال : وما قال ؟ فأنشده :

إنا محيوك فاسلم أيها الطللُ وإن بليت وإن طالت^(٤) بك الطولُ
ليس الجديدُ به تَبَيَّقَ بِشَاشَتُهُ إِلَّا قَلِيلاً وَلَا ذُو خَلَةٍ يَصُلُّ
والعيشُ لا عيشَ إِلَّا ماتقَرُّ به عينٌ ، ولا حالَ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
والناسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَاتِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهَى ؛ ولأَمِّ الخَطِيءِ الهَبْلُ
قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المُسْتَعْجِلِ الزَّلُّ

قال الشعبي : فقلت : قد قال القطامي أفضل من هذا ، قال : وما قال ؟

قلت : قال :

طَرَقَتْ جَنُوبُ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرِ قِيٍّ مَا كُنْتُ أَحْسَبُهُ قَرِيبَ اللَّفْنِ قِيٍّ

(١) الخطاف : حديدة جناء تغفل بها البكرة ، والحجن : الاعوجاج .
(٢) القياضة : المبادلة والمماوضة (٣) أغدق فناعه : أرسله على وجهه (٤) يقال : طال
طولك أى عمرك .

حتى أتيتُ على آخرها ، فقال عبد الملك : شكَّاتِ القَطاميُّ أمُّه ! هذا والله الشعر ، ثم قال : يا شعبي ، أي شعراء الجاهلية كان أشعر من النساء ؟ قلت : اتلنساء قال : ولم فضلتها على غيرها ؟ قلت : لقولها :

وقائله والنمشُ قد فاتَ خطوها لتدرَّكهُ : بالهفَ نفسى على صخرِا
الأشكيتُ أمّ النرين غَدَوَا به إلى القبر ، ماذا يحملون إلى القبرِ ا
فقال عبد الملك : أشعر والله منها ليلي الأخيلىة حيث تقول :

مَهْنَهفُ الكسحِ والسُّرْبُالُ مُنْفَرِقُ عه القميصُ لسيرِ اللَّيْلِ مُحْتَفِرُ
لا يَأْمَنُ الناسُ مُمَسَّاءَ ومُصْبَحَهُ في كلِّ حَيٍّ ، وإنَّ يَفْزُوه يُنْتَظَرُ

ثم قال : يا شعبي ، لعله شقَّ عليك ما سمعته ا فقلت : إى والله يا أمير المؤمنين أشدَّ المشقة ، إنى قد حدَّثتُك فلم أؤدِّك إلا أبيات النابتة في الغلام .

ثم قال عبد الملك : يا شعبي ، إنما أعلنك هذا ، لأنه بلغنى أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة ، فلنَّ يغلِبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعم أهل العراق . ثم ردَّدتُ على أبيات ليلي حتى حفظتها ، وأذن لى فأنصرفت ، فكنت أولَ داخلٍ وآخر خارج .

٩٤ — الشعبيّ عند عبد الملك بن مروان *

قال الشعبيّ: دخلت على عبد الملك بن مروان في عِلَّتِهِ التي مات فيها ، فقلتُ:
كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ فقال : يا شعبيّ ؛ أصبحت كما قال عمرو بن قبيثة ^(١) :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً خلعتُ بها عَنِّي عِنَانٌ ^(٢) لجامي
رمتني بناتُ الدهر من حيثُ لأرى فكيف بمن يُرْمَى وليس بِرِأَمِ !
فلو أنتي أرمي بنبلِ رميّتها ولكنني أزمي بغيرِ سِهَامِ
وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعد ذلك وعامِ
على الزاحتين تارة وعلى المصا أنوره ثلاثاً بعدهنّ قيامي

فقلت : ليس كذلك يا أمير المؤمنين ، ولكن كما قال كبيد ، وقد بلغ

سبعين حجة :

كأني وقد جاوزتُ سبعين حِجَّةً خلعتُ بها عن منكبِي رِدَائِيَا
فلما بلغ سبعاً وسبعين سنةً قال :
باتت تشكّي إلى النفسُ مَجْهَشَةً ^(٣)
فإن تَرَادَى ثلاثاً تَبْلُغِي أَملاً
فلما بلغ مائة سنة قال :

* الأغانى : ١٦ - ١٥٩ (طبعة الساسي) ، مهذب الأغانى : ٢ - ٦٢

(١) هو عمرو بن قبيثة : شاعر جاهلي مقدم ؛ أقام في الحيرة مدة ، وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر ، فات في الطريق (٢) عنان اللجام : السير الذي يشد به (٣) الجهش والإجهاش أن يفزع الإنسان إلى غيره ، وهو مع ذلك كأنه يريد البكاء .

ولقد سئمتُ من الحياةِ وطولها وسؤالِ هذا الخلقِ كيف ليبدأ
فلما بلغ مائة سنةٍ وعشراً قال :

أليس ورأى إن تراختَ مِنِّي لزومِ العصا تُحَتَّى عليها الأصابع
أخبر أخبار القرون التي خَلَّتْ أدبَ كَأني كَلَّمَا قمت راعم

فلما بلغ ثلاثين ومائة سنة ، وقد حضرتهُ الوفاةُ قال :

تمنى ابنتائى أن يعيشَ أبوما وهل أنا إلا من ربيعةٍ أو مُضَرَ !
فإن حان يوماً أن يموتَ أبوكا فلا تَخْمِشَا وَجْهًا ولا تَحْلَقَا الشَّعْرُ
وقولا : هو المرء الذى لا صَدِيقَه أضع ، ولا خَانَ الخليلَ ولا غَدَرَ
إلى الحوّل ثم اسمُ السلامِ عليكما ومن يَبْكِ حَوْلًا كاملاً فقد اعتَدَرَ^(١)

قال الشعبي : فتبسمَ عبد الملك وقال : لقد قويت من نفسى بقولك يا عامر ، وإنى لأجد خِفًا ومابى من بأس ، وأمرلى بصيلة . وقال لى : اجلس يا شعبي ؛ فحدثنى ما بينك وبين الليل . فجلست فحدثته حتى أُسيتُ وخرجت من عنده ، فما أصبحت حتى سمعت الواعية فى داره^(٢) .

(١) اعتذر : أتى بهذر (٢) الواعية : الصراخ والصوت .

٩٥ — تَلَطَّفَ عبد الله بن الحجاج *

كان عبد الله بن الحجاج شجاعا فاتكأ صُملوكا من صماليك العرب ، وكان متسرعا إلى الفتن ، فكان ممن خرج مع عمرو بن سميد على عبد الملك ابن مروان .

فلما ظفر به عبد الملك هرب إلى ابن الزبير ، فكان معه حتى قُتِل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا ، واحتال حتى دخل عليه ، وهو يطعم الناس ، وجلس حَجْرَةَ^(١) ، فقال له : مالك يا هذا لا تأكل ! قال : لأستحلُّ أن آكل حتى تأذن لي . قال : إني قد أذنت للناس جميعا ، قال : لم أعلم ، أفأكل بأمرك ؟ قال : كل . فأكل وعبد الملك ينظر إليه ويمتجب من فعله .

فلما أكل الناس جلس عبد الملك في مجلسه ، وجلس خواصه بين يديه ، وتفرق الناس ، فجاء عبدالله ووقف بين يديه ، واستأذنه في الإنشاد فأذن له ، فأنشد :

أبلغ أمير المؤمنين فإنني مما لقيت من الحوادث موجه
منع القرار فجت نحوك هاربا جيش يجر ، ومقنب يتلمع^(٢)

فقال عبد الملك : وما خوفك لا أم لك ! فقال عبد الله :

إن البلاد على وهي عريضة وعرت مذاهبها ، وسد للطلع

فقال عبد الملك : ذلك بما كسبت يدك ، وما الله بظلام للعبيد ، فقال

عبد الله :

* الأغاني : ١٢ - ٢٥ (طبعة الساسي)

(١) حجرة : منفردا في ناحية (٢) المقنب : جماعة الخيل تجتمع للنارة ، ويتلمع : يضيء .

إِنَّ الَّذِي يَمَصِّيكَ مِنَّا بَعْدَهَا مِنْ دِينِهِ وَحَيَاتِهِ مَتَوَدَعٌ
أَتَى رِضَاكَ وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا وَأَطِيعُ أَمْرَكَ مَا أَمَرْتَ وَأَسْمَعُ

قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : هَذَا لَا يَقْبَلُهُ مِنْكَ إِلَّا بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِكَ وَبذَنبِكَ ، فَإِذَا عَرَفْتَ
الْحَوْبَةَ ^(١) قَبِلْتَ التَّوْبَةَ ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

وَلَقَدْ وَطَّئْتَ بَنِي سَعِيدٍ وَطَاءَةً وَابْنَ الزَّيْرِ فَعَرَشُهُ مَتَضَعَعٌ
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : اللَّهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ عَلَى ذَلِكَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

مَا زِلْتَ تَضْرِبُ مَنكَبًا عَنِ مَنكَبِي تَعْلَوُ وَيَسْقُلُ غَيْرُكُمْ مَا يُرْفَعُ
لَا يَسْتَوِي خَاوِي نَجْمٍ آفِلٌ وَالْفَجْرُ مَنبَلِجًا إِذَا مَا يَطْلَعُ
وُضِعَتْ أَمِيَّةٌ وَاسْطِينُ لِقَوْمِهِمْ وَوُضِعَتْ وَسَطُهُمْ فَنَمَ الْمَوْضِعُ
يَدُ أَبُو الْعَاصِي بِنَاءَ بَرَبُورَةٍ عَلَى الْمَشَارِفِ عِزَّهُ مَا يُدْفَعُ

قَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : إِنْ تَوَرَّيْتِكَ عَنِ نَفْسِكَ لَتَرِيَنِي ، فَأَيُّ الْفَسَقَةِ أَنْتَ !
وَمَاذَا تُرِيدُ ؟ قَالَ :

حَرَبْتُ ^(٢) أَصَيْبِيَّتِي يَدُ أَرْسَلْتَهَا وَإِلَيْكَ بِمَدِّ مَعَادَهَا مَا تَرَجَعُ
وَأَرَى الَّذِي يَرْجُو تَرَاثَ مُحَمَّدٍ أَفَلَتَ نَجْمِهِمْ وَنَجْمُكَ يَسْنَعُ
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ذَلِكَ جِزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

فَارْحَمِ أَصَيْبِيَّتِي الَّذِينَ كَانَهُمْ حَجَلِي تَدْرَجُ بِالشَّرْبَةِ وَقَعٌ ^(٣)
قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : لَا أَنْشَهُمُ اللَّهَ ، وَأَجَاعُ أَكْبَادَهُمْ ، وَلَا أَبْقِي وَلِيدًا مِنْ نَسْلِهِمْ ،
فَإِنَّهُمْ نَسْلُ كَافِرٍ فَاجِرٍ لَا يَبَالِي مَا صَنَعَ ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ :

(١) الحوبة : الإثم (٣) حربته : سلب ماله ، وأصيبة : تصغير صبية (٣) الحجل : حيوان ،
والشربة : موضع بنجد .

مال لهم مما بضمن جمعته يوم القليب فخير عنهم أجمع
فقال له عبد الملك : لعلك أخذته من غير حله وأفقته في غير حقه ، وأرصدت
به لمشافة أولياء الله ، وأعددت له معاونة أعدائه ، فنزعه منك إذا استظهرت به على
معصية الله : فقال عبد الله :

أذنو لترحمني وتجر فاقتي فأراك تدفني ، فأين المدفع !
فتبسم عبد الملك وقال له : إلى النار ! فمن أنت ؟ قال : أنا عبد الله بن الحجاج ؛
وقد وطئت دارك ، وأكلت طعامك ، وأنشدتُك ، فإن قتلتني بعد ذلك فأنت
وما تراه ، وأنت بما عليك في هذا عارف ! ثم عاد إلى إنشاده فقال :

ضاق ثياب الملبسين وفضلهم عني ، فألبسني فتوبك أوسع
فنبذ عبد الملك إليه رداءً كان على كتفه ، وقال : البسه لا نبست ! فالتحف به ،
ثم قال له عبد الملك : أولى لك ! والله لقد طاولتك طمعا في أن يقوم بمض
هؤلاء فيقتلك . فأبى الله ذلك ، فلا تجاوزني في بلد ، وانصرف آمنًا ، وأقم
حيث شئت !

٩٦ — نُصَيْبٌ عِنْدَ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ *

قال نُصَيْبٌ ^(١) : قلت الشعر وأنا شاب فأعجبني قولي ؛ فجعلت آتى مَشِيخَةً من بني ضَمْرَةَ ، ومَشِيخَةً ^(٢) من خُرَاعَةَ ، فأُنشِدُهم القصيدةَ من شعري ، أنسُبُها إلى بعضِ شعرائهم الماضين فيقولون : أحسن والله ! هكذا يكونُ الكلامُ ! وهكذا يكونُ الشعرُ .

فلما سمعتُ ذلك منهم علمتُ أني مُحْسِنٌ ؛ فأزعموا وأزعمتُ الخروجَ إلى عبدالعزیز بنِ مروان ، وهو يومئذٍ بمصر ؛ فقلت لأختي أمانة - وكانت عاقلةً جَلْدَةً : أی أَخِيَّةٌ ؛ إني قد قلتُ شعراً ، وأنا أريدُ عبد العزیز بنَ مروان ، وأرجو أن يُعْتَقَكَ اللهُ به وأُمَّكَ ومن كان مَرَقُوقاً ^(٣) من أهل قَرَآبَتِي .

قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! يا بنِ أُمَّ ، أنتجمع عليك اتَّخَصُّلتان : السوادُ ، وأن تكونِ ضُحْكَةً ^(٤) للناس ! قلت : فاسمعي . فأنشدتها فسمعت ، فقالت : بأبي أنت ! أحسنت والله ! في هذا رجاءٌ عظيمٌ ، فاخرجْ على بركة الله .

فخرجتُ على قَعُودٍ لي حتى قَدِمْتُ المدينةَ فوجدتُ بها الفرزدقَ في مسجدِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فمرَّجتُ إليه فقلت : أنشِدْهُ وأَسْتَنْشِدْهُ ، وأعرضَ عليه شعري . فأنشدته ، فقال لي : ويلك ! أهذا شعرك الذي تطلبُ به الملوكُ اقلت :

* الأغانى : ١ - ٣٢٥ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو نصيب بن رباح : كان رقيقاً لبعض العرب ، ثم اشتراه عبد العزيز ، وكان شاعراً غلاماً مقدماً في النسب والمدح ، وكان عفيفاً كبير النفس يجيد مدائح الملوك ومراثيمهم : توفي سنة ١٠٠ هـ .
(٢) المشيخة : الشيخوخة (٣) مرقوقاً : صار في رق (٤) الضحكة بسكون الهاء : من يضحك الناس منه (١٦ - قصص العرب ٢)

نعم . قال : فإستطعت أن تكتم هذا على نفسك فافعل !
فأنفضختُ^(١) عرقاً !

فصحبني رجل من قريش كان قريباً من الفرزدق ، وقد سمع إنشادي ، وسمع
ما قال لي الفرزدق ؛ فأوماً إلي ؛ فقامت إليه ، فقال : ويحك ! أهذا شعرك الذي
أنشدته الفرزدق ؟ قلت : نعم . فقال : قد والله أصبت ، ولئن كان هذا الفرزدق
شاعراً لقد حسدك ، فإننا نعرف محاسن الشعر ؛ فامض لوجهك ، ولا يكسرنك .

فسرّني قوله ، وعلمت أنه قد صدقني فيما قال ، فاعتزمتُ على المضي ، فمضيت ا
فقدت مصرَ وبها عبد العزيز بن مروان ، فحضرتُ بابه مع الناس ، فنُحيتُ
عن مجلس الوجوه ، فكنتُ وراءهم ، ورأيتُ رجلاً جاء على بَغلة ، حسن الشارة ،
سهل المدخل ، يُؤذَن له إذا جاء . فلما انصرف إلى منزله انصرفت معه أماشي بملته ،
فلما رأيتُ قال : ألك حاجة ؟ قلت نعم ! أنا رجلٌ من أهل الحجاز ، شاعر ، وقد
مدحتُ الأمير ، وخرجتُ إليه راجياً معروفاً ، وقد ازدُرِيت فطردت من الباب ،
ونُحيتُ عن الوجوه . قال : فأُنشدني : فأُنشدته ، فأعجبه شعري ، فقال : ويحك !
أهذا شعرك ؟ فإياك أن تَنَحَّل ! فإن الأمير راويةٌ عالم بالشعر ، وعندهُ رِوَاةٌ ، فلا
تَفْضَحْني ونفسك ، فقلت : والله ما هو إلا شعري . فقال : ويحك ! فقل أبياتاً
تذكر فيها حَوف^(٢) مصر وفضلها على غيرها ، والأقنى بها غداً .

فعدوت عليه من غد فأُنشدته قولي :

سَرَى الهمُّ تَنِينِي إِلَيْكَ طَلَانِيهِ بِمِصْرَ وَبِالْحَوْفِ اعْتَرَتْنِي رِوَانِيهِ

(١) انفضخت عرقاً : تدفقت عرقاً (٢) الحوف : بمصر حوفان ؛ الشرق والغرب وهما متصلان .

وبات وسادى ساعدٌ قلّ لِمَه
عن العظم حتى كاد تَبْدُو أشاجِمُهُ (١)

قال : وذكرتُ فيها الغيث فقلت :

وكم دون ذاك العارض البارق الذى
له اشتقتُ من وجهِ أسيلٍ مدامعه

تمشى به أفناه (٢) بكر ومذحج

وأفناه عمرو، وهو خِصْبٌ مرابه

فكلُّ مسيلٍ من تهامة طيب
دميثُ الرِّبَا تَسْقَى البحارَ دَوَافِعُهُ (٣)

أعنى على برق أربك وميضه

إذا اكتحلت عينا محبِّ بضوته

تجافت به حتى الصباح مضاجعه

فقال : أنت والله شاعر ! احضُرْ بالباب حتى أذْكَرَكَ للأمير .

قال : فجلستُ على الباب ودخل ، فما ظننتُ أنه أمكنه أن يذكرني حتى دعا

بى ، فدخلت على عبد العزيز ، فسلمت ، فصعد فى بصره وصوب ، ثم قال : أنت

شاعر ، ويلىك ! قلت : نعم أيها الأمير ! قال : فأنشدنى فأنشدته فأعجبه شعرى .

وجاء الحاجب فقال : أيها الأمير ، هذا أيمن بن خُرَيم الأسدى بالباب . قال :

ائذنْ له ، فدخل فاطمان ، فقال له الأمير : يا أيمن ، كم ترى ثمن هذا العبد ؟ فنظر إلى

فقال : والله لنعم النادى فى أثرِ الخاض (٤) ، هذا أيها الأمير ؟ أرى ثمنه مائة دينار .

فقال : فإن له شعراً وفصاحة ! فقال لى أيمن : أتقول الشعر ؟ قلت : نعم . قال :

فيه ثلاثون ديناراً . قال : يا أيمن ، أرْفَعُهُ وتحفضه أنت ؟ قال : لكونه أحق أيها

الأمير ، مالهدا وللشعر ؟ مثل هذا يقول الشعر أو يحسن شعراً ؟ فقال : أنشده يانصيب ،

فأنشدته .

(١) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بمصب ظاهر الكف (٢) أفناه بكر ومذحج :
أخلاق الناس (٣) الدوافع : مسایل الماء (٤) الخاض : الحوامل من النوق ، وهو يريد : نعم
هذا العبد يعرى الإبل .

فقال له عبد العزيز : كيف تسمع يا أيمن ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . قال : هو والله أشعر منك . قال : أمي أيها الأمير ! قال : إني والله منك . قال : والله أيها الأمير إنك لَمَلُولٌ طَرِفٌ^(١) . قال : كذبت ، والله ما أنا كذلك ، ولو كنت كذلك ماصبرت عليك ، تنازعني التحية ، وتواكلني الطعام ، وتتسكىء على وسائدي وفرشي ، وبك ما بك ! وكان بأيمن بياض .

قال : ائذن لي أن أخرج إلى بشر بالعراق^(٢) ، واحلني على البريد . قال : قد أذنت لك ، وأمر به فعمل على البريد إلى بشر . فقال فيه يمدحه ويعرض بأخيه عبد العزيز :

ركبتُ من المقطم في جمادى	إلى بشر بن مروان البريداً
ولو أعطاك بشرٌ ألف ألفِ	رأى حقاً عليه أن يزيداً
أميرَ المؤمنين أقم ببشرٍ	عمودَ الحقِّ إنَّ له عموداً
ودعْ بشرأ يقومهم ويحدث	لأهل الزينغ إسلاماً جديداً
كان التاج تاج بني هرقلِ	جلوه لأعظم الأيام عيداً
على ديباج خدي وجه بشرٍ	إذا الألوان خالفت الحدودا ^(٣)
قال . فأعطاه بشر مائة ألف درهم .	

(١) يقال رجل طرف : إذا كان لا يثبت على عهد (٢) بشر بن مروان : أخو عبد العزيز

ابن مروان (٣) في قوله هذا يعرض بكلف كان بوجه عبد العزيز بن مروان .

٩٧ - سليمان بن عبد الملك وسميه *

أَقْبَلَ عَلَى سُلَيْمَانَ ^(١) بَنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَتَى مِنْ بَنِي عَبَسَ ، وَسَمِيَهُ : فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : سُلَيْمَانَ ، قَالَ : ابْنُ مَنْ ؟ قَالَ : ابْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ! فَأَعْرَضَ عَنْهُ ؛ وَجَعَلَ يُفَرِّضُ ^(٢) لِمَنْ دُونَهُ ، فَعَلِمَ الْفَتَى أَنَّهُ كَرِهَ مُوَافَقَةَ اسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ .
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا عَدَمْتَ اسْمَكَ ، وَلَا شَقِيَّ اسْمٍ يُوَافِقُ اسْمَكَ ، فَارْضَ ؛ فَإِنَّمَا أَنَا سَيْفٌ بِيَدِكَ ، إِنْ ضَرَبْتَهُ بِهَ قَطَعْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أُطَعْتُ ؛ وَسَمِعْتُهُ فِي كِنَانَتِكَ أَشْتَدُّ إِنْ أُرْسِلْتُ ، وَأَنْفُذُ حَيْثُ وَجَّهْتُ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانَ وَهُوَ يَخْتَبِرُهُ : مَا قَوْلُكَ يَا فَتَى لَوْ لَقِيتَ عَدُوًّا ؟ قَالَ : أَقُولُ : حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ! قَالَ سُلَيْمَانَ : أَكُنْتَ مَكْتَفِيًّا بِهَذَا لَوْ لَقِيتَ عَدُوًّا دُونَ ضَرْبٍ شَدِيدٍ ؟

قَالَ الْفَتَى : إِنَّمَا سَأَلْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : مَا أَنْتَ قَائِلٌ ؟ فَأَخْبَرْتُكَ ، وَلَوْ سَأَلْتَنِي : مَا أَنْتَ فَاعِلٌ ؛ لِأَنَّ بَنَاتِكَ ، إِنْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَضَرَبْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَتَّقَفَ ^(٣) ، وَلَطَعْتُ بِالرَّحِيقِ حَتَّى يَتَّقَفَ !

فَأَعْجَبَ بِهِ سُلَيْمَانَ وَأَلْحَقَهُ فِي الْعَطَاءِ بِالْأَشْرَافِ ، وَتَمَثَّلَ :
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهُ الْفَتَى ثُمَّ لَمْ يَكُنْ عَلَى قَوْمِهِ كَلًّا فَقَدْ كَمَلَ الْفَتَى

* ابن أبي الحديد : ١ - ٣٢٢

(١) كان سليمان ملكاً غيوراً ، نهماً يحب الطعام ، كما كان فصيحاً لساناً ، توفي سنة ٩٩ هـ .
(٢) يقال أفرض له : إذا جعل له فريضة ، والفريضة ، البعير المأخوذ في الزكاة ، ثم اسمح فيه حتى سمي البعير فريضة من غير الزكاة (٣) التعقيف : التعويج .

٩٨ — عقيد الندي*

قال الحارث بن سليمان : شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك ،
وأناه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أتيتك
مُسْتَعْدِيًّا . قال : وَمَنْ بك ؟ قال : موسى شَهَوَات^(١) . قال : وماله ؟ قال :
سَمِعَ^(٢) بي ، واستطال في عرضي .

فقال : يا غلام ؛ هل بموسى ، فأتيني به ، فأتيني به ، فقال : وملك ! أَسَمَّتَ به
وَأَسْتَطَلَّتْ في عِرْضِهِ ؟ قال : ما فعلتُ يا أمير المؤمنين ، ولكنني مدحتُ ابن عمه
ففضب هو .

قال : وكيف ذلك ؟ قال : أردتُ شراءَ جاريةٍ لم يبلغ ثمنها جِدَّتِي^(٣) ، فأتيتُه
وهو صديق ، فشكوتُ إليه ذلك ، فلم أصب عنده شيئاً ، فأتيتُ ابن عمه سعيدَ
ابن خالد ، فشكوتُ إليه ماشكوته إلى هذا . فقال : تَعُودُ إلى ؛ ففكرته ثلاثاً ثم
أتيتُه ، فَسَهَّلَ مِنِّي إِذْنِي ، فلما استقربني المجلس قال : يا غلام ؛ قل لقيمي : هاتِ
وَدِيْعِي .

فَفَتَحَ باباً بَيْنَ بَيْتَيْنِ ، وإذاجارية ، فقال لي : أهذه بُعَيْتُكَ ؟ قلت : نعم ، فدَاكَ

* الأغانى ٣ : ٣٥٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو موسى بن يسار مولى قريش ، ويكنى أبا محمد ، وشهوات لقب غلب عليه ، كان سؤولاً
ملحماً ، وكان كلما رأى مع أحد شيئاً يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس تباكي ، فإذا
قيل له : مالك ؟ قال : أشتهي هذا ، فلقب موسى شهوات (٢) سمع به في الناس : شهره وفضحه
(٣) الحدة : الفنى ، ويريد هنا ما عنده من مال .

أبي وأمي ! قال : اجلس . ثم قال : يا غلام ؟ قل لقيمتي : هاتي ظبيّة (١) نفقتي ،
فأتيت بظبيّة ، فنثرت بين يديه ، فإذا مائة دينار ، فرُدّت في الظبيّة . ثم قال :
عتيدة طيبي (٢) ، فأتيت بها ؛ ثم قال : ملحفّة (٣) فراشي ، فأتيت بها ؛ فصيّرت مافي الظبية
ومافي العتيدة في حواشي الملحفّة ، ثم قال : شأنك بالجارية واستعن بهذا .

فقال له سليمان بن عبد الملك : فذلك حين تقول ماذا ؟ قال : قلت :

أبا خالدٍ - أعني سعيد بن خالد أخا العُرف ، لأعني ابن بنت سعيدٍ
ولكنني أعني ابن عائشة الذي أبو أبويه خالد بن أسيدٍ
عقيد (٤) الندى معاش يرضى به الندى فإن مات لم يرض الندى بعقيد
دَعَوْهُ دَعْوَهُ إنكم قد رقدتم وما هو عن أحسابكم برقودٍ
فقلت أناساً هكذا في جلودهم من النيط لم تقتلهم بحديدٍ

فقال سليمان : عليّ يا غلام بسعيد بن خالد ، فأتيت به ، فقال : أحقّ ما وصفك
به موسى ؟ قال : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ فأعاد عليه . فقال : قد كان ذلك
يا أمير المؤمنين . قال : فما طوّقتك هذه الأفعال ؟ قال : دَين ثلاثين ألف دينار .
فقال له : قد أمرت لك بمثلها وبمثلها وبثلث مثلها ، فحملت إليه مائة ألف
دينار .

قال الحارث : فليقت سعيد بن خالد بعد ذلك فقامت له : ما فعل المال الذي
وصلك به سليمان ؟ قال : ما أصبحت والله أملك منه إلا خمسين ديناراً . قلتُ :
ما اغتاله ! قال : خلة (٥) من صديق ، أوفاقة من ذي رحم .

(١) الظبية هنا : جراب صغير من جلد ظبي (٢) العتيدة : الحقة يكون فيها طيب الرجل
أو العروس (٣) الملحفّة : اللامّة . (٤) عقيد الندى : حليف الكرم (٥) الحلة :
الحاجة والفقير .

٩٩ — خليفة يمطى الفقراء وينع الشعراء *

لما استخلف عمر^(١) بن عبد العزيز وفدت إليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء من قبله ، فأقاموا بيباه أيتاماً لا يأذن لهم بالدخول حتى قدم عدى بن أرطاة على عمر - وكانت له منه مكانة - فقال جرير :

يأيها الرجل المزجي مطيئه هذا زمانك إني قد مضى زمني
أبلغ خليفة إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمصفود^(٢) فى قرن
وحش المكانة من أهلى ومن ولدى نأى المحلة عن دارى وعن وطنى

قال : نعم أبا حرزة ونعمى عين ! فلما دخل على عمر قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الشعراء بيباك ، وأقوالهم باقية ، وسهامهم مسنونة .

قال : يا عدى ، مالى وللشعراء !

قال : يا أمير المؤمنين ، إن رسول الله قد مدح وأعطى ؛ وفيه أسوة لكل مسلم . قال : من مدحه ؟ قال : عباس بن مرداس ؛ فكساه حلة قطع بها لسانه .

* العقد الفريد : ١ - ١٠٨ ، ثمرات الأوراق : ١ - ٧١ .

(١) ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك سنة ٥٩٩ هـ ، وكان من خيار الخلفاء علماً ، زاهداً ، عابداً ، تقياً ، سار سيرة مرضية ، وسلك النثل الأعلى فى الحكم . توفى سنة ١٠١ هـ (٢) صحده : أوثقه .

قال : صدقت ، فمن بالباب منهم ؟ قال : ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي .
قال : لا قرب الله قرابته ، ولا حياً وجهه ؛ أليس هو القائل :

ألا ليت أنى يومَ تذنو منيَّتي شممت الذي ما بين عينيك والعم
وليت طهوري كان ريقك كله وليت حنوطي من مشانك^(١) والدم
ويا ليت سلمى في القبورِ ضجعتي هنالك أو في جنّةٍ أو جهنم
فليتة تمنى لقاءها في الدنيا ، ثم يعملُ عملاً صالحاً ، والله لا يدخل على أبدأ .
فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : جميل بن مَعمرِ المذريّ .

قال : أليس هو القائل :

ألا ليتنا نحياً جميعاً وإن نمتُ يوافق لدى الموتى ضريمي ضريمها
فأنا في طولِ الحياةِ براغبٍ إذا قيل قد سوى عليها صفيحها^(٢)
أظلمَ نهاري لا أراها وتلتقي مع الليل رُوحى في المنام وروحها
والله لا يدخل على أبدأ . فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال : كثير عزة ،
قال : أليس هو القائل :

رُهبانُ مدينَ والذين عهدتهم يبكون من حذرِ الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعتُ حديثها خرّوا لعزة ركاماً وسجودا
أبعده الله ! فوالله لا يدخلُ على أبدأ ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت ؟ قال :
الأحوص الأنصاري . قال : لا دخلَ على أبدأ ، أليس هو القائل - وقد أفسد
على رجلٍ من أهل المدينة جاريته حتى هربَ بها منه :

الله بيني وبين سيدها يفرُّ عني بها وأتبِعُ

(١) المشاش : رهوس العظام ؛ مثل الركبتين والرفقبتين والنكبتين . (٢) الصفاغ : الحجارة
العريضة ؛ واحدها صفيح وصفيحة .

فمن بالباب وغيره ممن ذكرت؟ قال: هام بن غالب الفرزدق! قال: أليس هو القائل:

هما دلتان من ثمانين قامَةً كما انقضَّ باز أقتمَ الریشِ كاسيرُهُ
فلما استوت رجلاي من قالتا: أحى يَرَجِّي أم قتيل نحاذِرُهُ؟
فقلت: ارفعا الأسباب لايشعروا بنا ووليت في أعقابِ تَيْلٍ أبادرُهُ
والله لا دخل على أبدأ، فمن بالباب غيره ممن ذكرت؟ قال: الأخطل التغلبي
قال: أليس القائل:

ولستُ بصائمَ رَمَضانَ عمري ولستُ بأكلِ لحمِ الأضاحي^(١)
ولستُ بزاجرِ عَنَساً^(٢) بكوراً إلى بطحاءِ مكة للنجاح
ولستُ بقاتمِ كالميرِ يدعو قبيل الصبحِ حى على الفلاح
ولكني سأشرها شمولاً^(٣) وأسجد عند مُنبليج الصباح^(٤)
أبعدهُ - أبعدهُ الله - عني ا فوالله لا دخلَ على أبدأ، ولا وطىء لي بساطاً،
فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت؟ قال: جرير، قال أليس هو القائل:
دُمَّ المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بمسد أولئك الأيام
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام
فإن كان ولا بد فهذا، فأذن له.

قال عدى بن أرطاة: فخرجتُ إليه، فقلت: ادخل يا جرير، فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمداً جمل الخلافة في إمامٍ عادلٍ

(١) الأضاحي: جمع أضحية وهي شاة يضحي بها. (٢) العنس: البازل الصلبة من الإبل.
(٣) الشمول: البارد من الخمر. (٤) انبليج الصبح: أضاء وأشرف.

وسع الخلائق عدله ووفاه حتى ارعوا وأقام ميل المائل
والله أنزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل
إني لأرجو منك خيراً عاجلاً والنفس مولعة بحب العاجل
فلمّا مثل بين يديه قال : يا جرير ، اتق الله ، ولا تقل إلا حقاً ،
فأنشأ يقول :

كم باليامة من شعناء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر !
من بمدك تكفي فقد والده كالفرخ في العش لم يدرج^(١) ولم يطير
أذكر الجهد والبلى التي نزلت أم قد كفاني ما بلغت من خبري
إننا لندجو - إذا ما القيث أخلفنا - من الخليفة ما نرجو من المطر
نال الخلافة أو كانت له قدراً كما أتى ربه موسى على قدر
هذي الأرامل قد قضيت حاجتها فمن حاجة هذا الأرملة الذكرا
الخير ما دمت حياً لا يفارقنا بوركت يا عمّر الخيرات من عمّر !

فقال : يا جرير ، ما أرى لك فيما هاهنا حقاً ! قال : يا أمير المؤمنين ، إني ابن
سبيل ومنقطع به ! فقال له : ويحك يا جرير ! قد ولّينا هذا الأمر ، ولا نملك إلا
ثلثمائة درهم فإتخذها عبد الله ، ومائة أخذتها أم عبد الله ، يا غلام ، أعطه
المائة الباقية .

فأخذها جرير ، وقال : والله يا أمير المؤمنين لمي أحب مال اكتسبته ، ثم
خرج ، فقال له الشعراء : ما وراءك ؟ قال : ما يسوءكم ! خرجت من عند حليفة يعطى
الفقراء ، ويمنع الشعراء ، وإني عنه لراض ، وأنشد :

رأيت رقي الشيطان لا تستغره وقد كان شيطاني من الجن راقيا

١٠٠ — الشعراء عند عمر بن عبد العزيز *

قال حماد الراوية :

دخلتُ المدينةَ التمس العلم ، فكان أولُ مَنْ لقيتُ كثيرٌ^(١) عزّة . فقلت :
يا أبا صخر ؛ ما عندك من بضاعتي ؟ قال : عندي ما عند الأحوص^(٢) ونصيب .
قلت : وما هو ؟ قال : هما أحقّ بإخبارك . فقلت له : إن لم نَحُثَّ المطى نحسوك
شهرًا نطلب ما عندكم إلا ليبقى لكم ذكرٌ ، وقلّ مَنْ يفعل ذلك ، فأخبرني عما
سألتك ليكون ما تخبرني به حديثًا آخذُه عنك .

قال : إنه لما كان من أمر عمر بن عبد العزيز ما كان ، قدِمْتُ أنا ونصيب
والأحوص ، وكلّ واحدٍ منا يَدُلُّ بسابقته عند عبد العزيز وإخائه لعمر . فكان
أولُ من لقيتُ مسلمةَ بن عبد الملك ، وهو يومئذ فتى العرب ، وكلُّ واحدٍ منا ينظر
في عِظْفَيْهِ لا يشكّ أنه شريك الخليفة في الخلافة ، فأحسن ضيافتنا وأكرم مَثوانا ،
ثم قال : أما علمتم أن إمامكم لا يُعطى الشعراء شيئًا ، قلنا : قد جئنا الآن ، فوجه
لنا في هذا الأمر وجهًا . فقال : إن كان ذو دين من آل مروان قد ولى الخلافة فقد
بقي من ذوى دنياهم من يقضى حوائجكم ، ويفعلُ بكم ما أنتم له أهل .

فأقننا على بابه أربعة أشهر لا نصلُ إليه ، وجعل مسلمةُ يستأذن لنا فلا
يؤذَن . فقلت : لو أتيتُ المسجدَ يوم الجمعة فتحفظتُ من كلام عمر شيئًا ! فأثبتَ

* الأغاني : ٩ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) ، المقدم الفريد : ١ - ٢١٣ .

(١) انظر صفحة ٢٢٥ (٢) انظر صفحة ١٤٨ .

المسجد فأننا أول مَنْ حَفِظَ كَلَامَهُ ، سمعته يقول في خطبة له : « لِكُلِّ سَفَرَزَادٍ لَا مَحَالَةَ ، فَتَزَوَّدُوا لِسَفَرِكُمْ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ بِالتَّقْوَى ، وَكُونُوا كَمَنْ عَايَنَ مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُ مِنْ ثَوَابِهِ وَعِقَابِهِ ، فَعَمِلَ طَلِبًا لِهَذَا وَخَوْفًا مِنْ هَذَا . وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمْ الْأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبَكُمْ ، وَتَنفَادُوا لَعْدُوَكُمْ » .

« وَاَعْلَمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَطْمَئِنُّ بِالدُّنْيَا مَنْ وَثِقَ بِالنَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ . فَأَمَّا مَنْ لَا يُدَاوِي جُرْحًا إِلَّا أَصَابَهُ جُرْحٌ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى فَكَيْفَ يَطْمَئِنُّ بِالدُّنْيَا ! أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَمُرَّكُمْ بِمَا أَنْهَى نَفْسِي عَنْهُ فَتَخْشَرَ صَفْقَتِي ، وَتَبْدُوَ عَيْلَتِي ، وَتُظْهِرَ مَسْكَنتِي يَوْمَ لَا يَنْفَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ وَالصَّدَقُ » .

فَارْتَبَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ ، وَبَكَى عَمْرٌ حَتَّى بُلَّ ثَوْبُهُ ، وَظَنْنَا أَنَّهُ قَاضٍ سَبِيحِهِ . فَبَلَغْتُ إِلَى صَاحِبِي فَقُلْتُ : جَدَّدَا لِعَمْرٍ مِنَ الشَّعْرِ غَيْرَ مَا أَعَدَّدْنَا ، فَلَيْسَ الرَّجُلُ بِدُنْيَوِي .

ثُمَّ إِذْ مَسَلَّمَةٌ اسْتَأْذَنَ لَنَا يَوْمَ جُمُعَةٍ بَعْدَ مَا أُذِنَ لِلْعَامَّةِ . فَدَخَلْنَا فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَدَّ عَلَيْنَا ؛ فَقُلْتُ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ طَالَ الشَّوَاءُ ^(١) ، وَقُلْتُ الْفَائِدَةَ ، وَتَحَدَّثْتُ بِمِفَائِكَ يَا نَا وَفُودُ الْعَرَبِ .

فَقَالَ : يَا كَثِيرٌ ؛ أَمَا سَمِعْتَ إِلَى قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ، أَمِنْ هَؤُلَاءِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ لَهُ - وَأَنَا ضَاحِكٌ : أَنَا ابْنُ سَبِيلٍ وَمُنْقَطَعٌ بِهِ ! قَالَ : أَوْلَسْتَ ضَيْفَ أَبِي سَعِيدٍ ! قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ . مَا أَحْسَبُ مَنْ كَانَ ضَيْفَهُ ابْنَ سَبِيلٍ ، وَلَا مُنْقَطَعًا بِهِ .

(١) الشَّوَاءُ : الْمَسْكُ وَالْإِيمَانَةُ .

ثم استأذنته في الإنشاد، فقال : قل ، ولا تقل إلا حقاً . فإن الله سائلك :
فقلت :

وَلَيْتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلَيَّا وَلَمْ تُخَفْ
وَقَلتَ فَصَدَقْتَ الَّذِي قَلتَ بِالَّذِي
لَقَدْ لَبِستُ لُبْسَ الْهَلُوكِ^(١) ثِيَابَهَا
وَتَوَمِضُ أحياناً بَعينِ مريضَةٍ
أَعرضتَ عَنْهَا مَشْمُزاً كَأَنَّمَا
وَقَد كُنْتَ مِنْ أَجْبَالِهَا فِي مُنْتَعِ
وَمَا زِلْتُ سَبَّاقاً إِلَى كُلِّ غَايَةٍ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمَلِكُ عَفْواً وَلَمْ يَكُنْ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُؤَنِقاً
فَأَضْرَبْتَ بِالْفَسَانِي وَشَمَّرْتَ لِلَّذِي
وَمَا لَكَ أَنْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ
سَمَّاكَ^(٢) هَمْ فِي الْفَوَادِ مُؤَرِّقٌ
فَمَا بَيْنَ شَرْقِ الْأَرْضِ وَالغَرْبِ كُلِّهَا
يَقُولُ : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ظَلَمْتَنِي
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمَسْلُومُونَ لَقَسَمُوا
قَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ اللَّهُ رَاكِبٌ

بَرِيئاً وَلَمْ تَتَّبِعْ مَقَالَةَ مُجْرِمٍ
فَعَلْتَ ، فَأُضْحَى رَاضِياً كُلُّ مُسْلِمٍ
وَأَبَدْتَ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفِّ وَمِعْصَمٍ
وَتَبَسَّمِ عَنْ مِثْلِ الْجَمَانِ الْمُنْظَمِ
سَقَتَكَ مَدُوقاً^(٣) مِنْ سِمَامٍ وَعَلَقَمٍ
وَمِنْ بَجْرِهَا فِي مُزِيدِ الْمَوْجِ مُقَمِّمٍ
صَعَدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمَقْدَمِ
لَطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمٍ
وَأَثَرَتْ مَا يَبْقَى بِرَأْيِ مَصْمَمٍ
أَمَامَكَ فِي يَوْمِ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلَمٍ
سَوَى اللَّهِ مِنْ مَالٍ رَعِيَتْ وَدِرْزَمٍ
صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسَلْمٍ
مُنَادٍ يُنَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
بِأَخْذِ لَدِينَارٍ وَلَا أَخْذِ دِرْزَمٍ
لَكَ الشُّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نُدْمٍ
مُغْذٍ مُطِيفٍ بِالْمَقَامِ وَزَمَمٍ

(١) الهلوك من النساء : الفاجرة المتساقطة على الرجال (٢) مدوفاً : مخلوطاً ، والسمام : السم
(٣) سما لك : ارتفع .

فَارْبِحْ بِهَا مِنْ صَفَقَةٍ لِمَبِيعٍ وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمَ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ !
فَقَالَ لِي يَا كَثِيرٌ ؛ إِنْ اللَّهُ سَأَلْتُكَ عَنْ كُلِّ مَا قُلْتَ . ثُمَّ تَقَدَّمُ إِلَيْهِ الْأَحْوَصُ
فَاسْتَأْذَنَهُ فَقَالَ : قُلْ ، وَلَا تَقُلْ إِلَّا حَقًّا ، فَإِنَّ اللَّهَ سَأَلْتُكَ . فَأَنْشَدَهُ :

وما الشعرُ إلا خُطْبَةٌ مِنْ مَوَافٍ بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلٍ
فَلَا تَقْبَلَنَّ إِلَّا الَّذِي وَافَقَ الرَّضَا وَلَا تَرْجِمَنَّ كَأَنَّسَاءِ الْأَرَامِلِ
رَأَيْتَكَ لَمْ تَعْدِلِ عَنِ الْحَقِّ يَمْنَةً وَلَا بِسْرَةً فَعَلَ الظُّلُومَ الْمَجَادِلِ
وَلَكِنْ أَخَذْتَ الْقَصْدَ جُهْدَكَ كُلَّهُ وَتَقَفُوا مِثَالِ الصَّالِحِينَ الْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَأَ لَنَا وَمَنْ ذَا يَرُدُّ السَّهْمَ بَعْدَ مُرُوقِهِ
وَلَوْلَا الَّذِي قَدْ عَوَّدْتَنَا خِلَافَهُ عَلَى فُوقِهِ إِنْ عَارَ^(١) مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
لَمَا وَخَدْتَ شَهْرًا بِرَحْلِي جَسْرَةً^(٢) غَطَارِيفُ كَانَتْ كَاللَّبِوْثِ الْبِوَاسِلِ
وَلَكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ الَّذِي بِهِ تَفْلَأُ مُتُونِ الْبَيْدِ بَيْنَ الرَّأْوِحِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشَّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ الْأَفَاضِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَمِيبُهُ وَإِنْ كَانَ مِثْلَ الدَّرِّ مِنْ قَوْلِ قَاتِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبِي وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ سَوَى أَنَّهُ يَبْنِي بِنَاءَ الْمَنَازِلِ
فَذَاوُوا عِدْوَ السَّلْمِ عَنْ عَقْرِ دَارِهِمْ وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِالْمَنَاصِلِ^(٣)
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى الْهَيْدَةَ جِلَّةً وَأَرْسَوْا عُمُودَ الدِّينِ بَعْدَ تَمَائِيلِ
عَلَى الشَّعْرِ كَعَمْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ^(٤)

(١) السهم العائر : الذي لا يدري من أين أتى (٢) الجسرة : الناقة العظيمة (٣) المناصل :
بني منصل وهو السيف الطامع (٤) هنيذة : اسم للعائنة من الإبل خاصة ، ويريد بكعب
كعب بن زهير ، والسديس : من الإبل ما دخل في الثامنة ، والبازل : ما بلغ التاسعة .

رسولُ الإله المصطفى بِنُبُوَّةٍ عليه سلامٌ بالضحَّا والأصائل
فكلُّ الذي عدَّدتُ يكفيك بمضهُ ونيلك خيرٌ من بحور السوائل
فقال له عمر: يا أحوص؛ إن الله سائلك عن كل ما قلت . ثم تقدم إليه
نصيب فأستأذن في الإنشاد ، فأبى أن يأذن له ، وغضب غضبا شديدا ، وأمره بالحقاق
بدايق^(١) ؛ وقال لنا : ما عندي ما أعطيكم ، فانتظروا حتى يخرج عطائي فأواسيكم
منه . فانتظرناه حتى خرج ، فأمر لي وللأحوص بثلاثمائة درهم ، وأمر لنصيب بمائة
وخمسين درهما . فما رأيت أعظم بركة من الثلاث المائة التي أعطاني ، ابتعتُ بها
وصيفةً فعلتُها بألف دينار .

(١) دابق : قرية قرب حلب .

١٠١ — إيجاز في المقال وبلاغة في البيان*

قال سُفيان القرشي :

كنا عند هشام^(١) بن عبد الملك ، وقد وفد عليه وفدُ أهل الحجاز - وكان شباب
الكتّاب إذا قدم الوفد حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم - فحضرتُ كلامهم .
وكان محمد بن أبي الجهم أعظم القوم قدراً ، وأكبرهم سناً ، وأفضلهم رأياً وحلماً ؛
فقال : أصلح الله أمير المؤمنين ! إن خطباء قريش قد قالت فيك ما قالت ،
وأكثرت وأطبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا أحصى خطيبهم فضلك ، وإن
أذنتَ في القول قلت . قال : تسكّم ، قال : أفأوجز أم أطنب ؟ قال : بل
أوجز .

قال : تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمّع لك خير
الآخرة والأولى ، إن لي حوائج أفأذكرها ؟ قال : هاتها ، قال : كبرتُ سني ،
ونال الدهرُ مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبرُ كسري ، وينفي فقري فعل !
قال : وما الذي ينفي فقرك ، ويجبرُ كسرك ! قال : ألف دينار ، وألف
دينار ، وألف دينار !

فأطرق هشام طويلاً ، ثم قال : هيات يا بن أبي الجهم ! بيت المال لا يَحتملُ
ما ذكرت ، فقال : إن الله آترك لمجلسك ، فإن تعطينا حقاً أدّيت ، وإن تمنعنا

* المقد الفريد : ٣ - ١٨٦ ، الأملی : ١ - ١٤٧ ، صبح الأعشى : ١ - ٢٦٤
(١) تولى الخلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ هـ ، وكان غزير العقل ، حلماً عفيفاً ، امتدت
أيامه ، وجرى فيها كثير من الوقائع . توفى سنة ١٢٥ هـ .

فَسأَلِ الَّذِي بِيَدِهِ مَاحُوِيَةٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . إِنَّ اللَّهَ جَمَلَ الْعَطَاءِ مَحَبَّةً ، وَالنَّمْعَ مَبْفَعَةً ؛ وَاللَّهُ لَأَنَّ أَحَبَّكَ أَحَبُّهُ إِلَى مَنْ أَنْ أُبْفِضَكَ !

قال : فألف دينار لماذا ؟ قال : أفضى بها ديناً فدَحَنِي ^(١) قضاؤه ، وقد عَنَّانِي حَمْلُهُ ، وَأَضْرَبَ بِي أَهْلُهُ . قال : فلا بأس ؛ تُنْفَسُ كُرْبَةٌ ، وَتَوْدَى أَمَانَةٌ . وألف دينار لماذا ؟ قال : أزَوِّجُ بِهَا مَنْ أَدْرَكَ مِنْ وَلَدِي . قال : نِعْمَ الْمَسْلُوكُ سَلَكْتَ ، أَغْضَضْتُ بَصْرًا ، وَأَعْقَفْتُ وَوَلَدًا ، وَرَفَعْتُ نَسْلًا . وألف دينار لماذا ؟ قال : أَشْتَرِي بِهَا أَرْضًا يَعْيشُ بِهَا وَلَدِي ، وَأَسْتَعِينُ بِفَضْلِهَا عَلَى نَوَائِبِ دَهْرِي ، وَتَكُونُ ذُخْرًا لِمَنْ بَقِيَ بَعْدِي .

قال : فَإِنَّا قَدْ أَسْرَنَّا لَكَ بِمَا سَأَلْتَ . قال : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَجِزَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّحْمَ خَيْرًا ! ثُمَّ خَرَجَ .

فَاتَّبَعَهُ هِشَامُ بَصْرَةَ ، وَقَالَ : تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَلْطَفَ فِي سَوْأَلٍ ، وَلَا أَرْفَقَ فِي مَقَالٍ مِنْ هَذَا ، هَكَذَا فَلْيَكُنِ الْقَرَشِيُّ . أما والله إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ إِذَا نَزَلَ ، وَنَكْرَهُ الْإِسْرَافَ وَالْبَخْلَ ، وَمَا نَعْطِي تَبْذِيرًا ، وَلَا نَمْنَعُ تَقْتِيرًا ، وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَّانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَمَانَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، فَإِذَا أُذِنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا ، وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصْدُقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحِقُّ ، مَا جِئْنَا ^(٢) قَائِلًا ، وَلَا رَدَدْنَا سَائِلًا ، وَنَسْأَلُ الَّذِي بِيَدِهِ مَا اسْتَحْفَظْنَا أَنْ يُجْرِبَهُ عَلَى أَيْدِينَا ، فَإِنَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ^(٣) ؛ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ! فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ ؛ قال : إِنَّهُ مَبْتَلَى ، وَابْتَلَى الْمَبْتَلَى كَالْمَعْتَلَى !

(١) فدحني : أتقلني (٢) جبهه : لقيه بما يكره (٣) يقدر : يقسم .

١٠٢ — سميت فأكدت ، ورجمت فرزقت *

وفد جرّوة^(١) بن أذينة الشاعر على هشام بن عبد الملك في جماعة من الشعراء ،
فلما دخلوا عليه عرف عروة ، فقال له : ألسنت القائل :

لقد علمتُ وما الإشراف^(٢) من خلقي أن الذى هو رزقي سوف يأتيني
أسعى له فيعنيني تطلبه ولو قدمت أتاني لا يعنيني

وأراك قد جئت من الحجاز إلى الشام في طلب الرزق ! فقال له : يا أمير المؤمنين ؛
زادك الله بسطةً في العلم والجسم ، ولا ردّ وافدك خائباً . والله لقد بالفت في الوعظ ،
وأذكرتني ما أنسانيه الدهر !

وخرج من فوره إلى رحلته ؛ فركبها وتبرجه راجعاً إلى الحجاز ، فلما كان الليل
ذكره هشام ، وهو في فراشه ، فقال : رجل من قريش قال حكمة ، ووفد إلى
فجبهته وردّ دثته عن حاجته ، وهو مع ذلك شاعر لا آمن ما يقول .
فلما أصبح سأل عنه ، فأخبر بانصرافه ، فقال : لا جرم ، ليعلم أن الرزق سيأتيه .

* الشعر والشعراء : ٢٢٥ ، المستطرف : ١ - ٧ ، ابن خلكان : ١ - ٢١٢
(١) عروة بن أذينة : كان من أعيان العلماء وكبار الصالحين ، وله شعر في الغزل عفيف رائق ؛
وقفت عليه سكينه بنت مرة فقالت له : أنت القائل :

إذا وجدت أوار الحب في كبدى ذهبت نحو سقاء القوم أبرد
هبنى بردت يبرد الماء ظاهره فمن نار على الأحشاء تنقد !
فقال لها : نعم . فقالت : وأنت القائل :
قالت : وأنتها سرى وبحت به قد كنت عندي تحب السرفاستر
ألسنت تبصر من حولي ؟ فقلت لها : غطى هواك وما ألتى على بصرى !
قال : نعم ، فالتفتت إلى جواربها وقالت : هن الحرائر إن كان خرج هذا من قلب سليم .
(٢) الإشراف : التطلع للأمر .

ثم دعا مولى له ، وأعطاه ألفي دينار ، وقال : الحق بهذه ابن أذينة ، وأعطه إياها ؛
فأذركه وقد دخل بيته ، فقرع الباب عليه ، فخرج إليه ، فأعطاه المال .
فقال : أبلغ أمير المؤمنين قولي : سمعت فأكدت ، ورجعت إلى بيتي
فأتانى رزقي .

١٠٣ — هذا الذي تعرف البطحاء وطأته *

حجج هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد أخيه ، ومعه رؤساء أهل الشام ،
فجهد أن يستلم الحجر ، فلم يقدر من ازدحام الناس ، فنصب له منبر فجلس عليه
ينظر إلى الناس ، وأقبل على بن الحسين - وهو أحسن الناس وجهاً ، وأنظفهم ثوباً ،
وأطيبهم رائحة - فطاف بالبيت ، فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم ، وأخلوا
له الحجر ليستلمه هيبةً وإجلالاً .

ففاظ ذلك هشاماً ، وبلغ منه ، فقال رجل لهشام : من هذا أصلح الله الأمير !
قال : لا أعرفه - وكان به عارفاً - ولكنه خاف أن يرغب فيه أهل الشام ،
ويسمعوا منه ، فقال الفرزدق - وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه ، فسألني ياشامي .
قال : ومن هو ؟ قال :

هذا الذي تعرف البطحاء ^(١) وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقي النقي الطاهر العلم

* الأغانى : ١٤ - ٧٥ (طبع السامى) ، المحاسن والمساوى : ٢٣١ (طبع ليزج) .
(١) البطحاء : مسيل واسع فيه دفاق الحصى .

إذا رأته قريشٌ قال قائلها : إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
يكادُ يُمنّكه عِرْفَانٌ (١) راحته
فليس قولك : من هذا بضائره
العُربُ تعرفُ من أنكرتَ والمعجمُ
فجسه هشام فقال في حبسه :

أتحبّسني بين المدينة والّتي إليها قلوب الناس يهوى منيها !
يقلّبُ رأساً لم يكن رأس سيّدٍ وعيناً له حواء بادٍ عيوبها
فبعث إليه هشام فأخرجه ، ووجه إليه عليُّ بن الحسين عشرة آلاف درهم ،
وقال : اعذر يا أبا فراس ، فلو كان عندنا في هذا الوقت أكثرُ من هذا لوصلناك به ،
فردّها ، وقال : ما قلتُ ما كان إلا لله ، وما كنتُ لأزراً (٢) عليه شيئاً ، فقال له
عليّ : نحن أهل بيت إذا أنفدنا شيئاً ما نرجع فيه .

(١) عرفان : منصوب على أنه مفعول له (٢) الحطيم : حجر الكعبة أو جدارها ، أو ما بين
الركن وزمزم والقام (٣) رزاه ماله : أصاب من ماله شيئاً .

١٠٤ - واعظ الملوك *

قال خالد بن صفوان بن الأهمم^(١) :

أوفدني يوسف بن عمر التقي إلى هشام بن عبد الملك في وفد أهل العراق
فقدِمْتُ عليه ، وقد خرج بقرابته وحشمه وغازيته^(٢) وجلسائه ، فنزل في أرض
قاع صحصح^(٣) ، تنائف أفيح^(٤) ، في عام قد بكر وشميه ، وتتابع وليه^(٥) ، وأخذت
الأرض فيه زيتها على اختلاف ألوان نبتها ؛ من نور ربيع موق^(٦) ، فهو في
أحسن منظر ونخب ، وأحسن مستمطر ، بصميد^(٧) كأن ترابه قطع الكافور .
وقد ضرب له سرادق من حبر^(٨) ، كان يوسف بن عمر صنمه له باليمن ، فيه فسقاط
فيه أربعة أفرشة من خز أحمر ، مثلها مرافقها ، وعليه دراعة^(٩) من خز أحمر
مثلها عاممها ، وقد أخذ الناس مجالسهم .

فأخرجت رأسي من ناحية السماط^(١٠) ، فنظر إلى شبه المستنطق لي !
فقلت : أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه ، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رُشداً ،
وعاقبة ما يتول إليه حمداً ؛ وأخلصه لك بالثقي ؛ وكثره لك بالناء ، ولا كدر عليك .

* الأغاني : ٢ - ١٥٣ (طبعة دار الكتب) . معجم الأدياب : ١١ - ٢٧ .

- (١) كان خالد خطيباً بليغاً ولسناً مبيهاً ، حسن السمر جيد النادرة ، مات سنة ١٣٣ هـ .
- (٢) غاشية الرجل : من يتنابه من زواره وأصدقائه (٣) القاع الصحصح : الأرض المرءاء
المستوية ، والتنائف : جمع تنوفة ، وهي أرض لا أنيس بها ولا ماء (٤) الأفيح : الواسع
(٥) الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذي يلي الوسمى (٦) موق : معجب
(٧) الصعيد : التراب أو وجه الأرض (٨) الحبر : جمع الحبرة ، وهي نوع منسوج من اليمن
فيه قط (٩) الدراعة : الثوب المشقوق من الأمام (١٠) السماط : جمع سمط ، وهو الصف
من الناس وغيرهم .

منه ماصفاً ، ولا خالطَ سروره بالردي . فقد أصبحت للمسلمين ثقة ، إليك يقصدون في أمورهم ، ويفزعون في مظالمهم ، وما أجد شيئاً - يا أمير المؤمنين - هو أبلغ في قضاء حَقِّك وتوقير مجلسك ، وما من الله على به من مجالستك ، من أن أذكركَ رِئَمَ الله عليك ، وأنبهك لشكرها ؛ وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديث من سأل قبلك من الملوك ؛ فإن أذن أمير المؤمنين أخبرته به .

فاستوى هشامٌ جالساً - وكان متكتأً - ثم قال : هات يا بن الأهم ! فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامك هذا إلى الخوزنق والسدير^(١) في عامٍ قد بكرَ وسميه ، وتتابع وليه ، فهو في أحسن منظر ، وأحسن مستمر ، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور ، وكان قد أُعطى فناءً^(٢) السن ، مع الكثرة والقلبة والقهر ؛ فنظرَ فأبعدَ النظر ؛ ثم قال جلسائه : لمن هذا ؟ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ؟ وهل أحدٌ أُعطى مثل ما أعطيت ؟

وكان عنده رجل من بقايا حَمَلَةِ الْحِجَّةِ^(٣) ، والمضى على أدب الحق ومناهجه - ولم تخلُ الأرض من قائمِ الله بالحجة في عباده - فقال : أيها الملك ؛ إنك سألت عن أمرٍ ، أفتأذن لي في الجواب عنه ؟ قال : نعم ، قال : رأيت^(٤) هذا الذي أنت فيه ، أشيء لم تزل فيه ، أم شيء صار إليك ميراثاً وهو زائلٌ عنك وصائرٌ إلى غيرك ، كما صار إليك من لدن غيرك ؟ قال : كذلك هو ! قال : فما أراك إلا أعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً ، ويغيبُ عنك طويلاً ، وتكون غداً بحسابه مُرتهنًا . قال : ويحك ! فأين المهربُ ؟ وأين المطلبُ ؟ فقال : إنا أن تقيم

(١) الخوزنق والسدير : قصران بالحيرة (٢) الفناء : الشباب (٣) الحجة : البرهان .
(٤) رأيت : أخبرني .

فِي مُلْكِكَ فَتَعْمَلْ بَطَاعَةَ اللَّهِ رَبِّكَ عَلَى مَسَاءِكَ وَسِرِّكَ، وَأَمْضُكَ^(١) وَأَرْمُضُكَ^(٢)،
وَمَا أَنْ تَضَعَ تَاجَكَ، وَتَخْلَعْ أَطْمَارَكَ^(٣)، وَتَلْبَسَ أَمْسَاحَكَ^(٤)، وَتَعْبُدَ رَبَّكَ، حَتَّى
يَأْتِيكَ أَجْلُكَ !

قال الملك : فإذا كان السحر فاقرع على بابي ؛ فإنني مُخْتَارٌ أَحَدَ الرَّايين ، فإن
اخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيراً لا يُعصى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرضِ وَقَفَرَتْ
البلادُ كنتَ رقيقاً لا يخالف .

فلما كان السحر قرع عليه بآبِهِ ، فإذا هو قد وضع تاجه ، وخلع أطماره ، ولبس
أمساحه ، وتمهياً للسياحة ، فلزما والله الجبل ، حتى أتاهما أمجلهما ، فذلك حيث يقول
عدى بن زيد ، أخو بني تميم :

أَيُّهَا الشامتُ المَعْدِرُ بالدَهْرِ أَنْتَ اللُّبِيرُ الموفورُ !
أَمْ لَدَيْكَ العهدُ الوثيقُ مِنَ الأَيَّامِ بَلْ أَنْتَ جاهلُ مفرورُ !
مَنْ رَأَيْتَ المَنونَ خَلَدْنَ أَمِنْ ذَا عَليهِ مِنْ أَنْ يُضَامَ خَفيِرُ !
أَيْنَ كَسْرِي ، كَسْرِي المَلوكُ أَنْوِشِرُ وَانْ ، أَمْ أَيْنَ قَبْلَهُ سَابُورُ !
وَبَنوِ الأَصْفَرَ الكَرَامُ مَلوكِ الرِّمِّ ، لَمْ يَبِقَ مِنْهُمُ مَذْكَورُ
وَأَخو الحَضْرِ^(٥) إِذَا بَنَاهُ وَإِذَا دَجَلَهُ تُجَبِّي إِلَيْهِ وَالخَابُورُ^(٦)
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَلَهُ كَلِّ سَا^(٧) فَللطيرِ فِي ذَرَاهِ وَكُورُ
لَمْ يَهْبَهُ رَبِيبُ المَنونِ فَبَادَ المَلِكُ عَنْهُ ، فَبَابَهُ مَهجورُ

(١) يقال أمضى : أحرقتي وشق على (٢) أرمضك : أوجمك (٣) الطمر : الثوب الخلق
(٤) المسح : الكساء من الشعر العليظ ويجمع على أمساح على قلة (٥) الحضرة : قصر مجبال
تكريت بين دجلة والفرات بناه الضيزن بن معاوية ، ملك الجزيرة (٦) الخابور : نهر بالجزيرة
(٧) الكلس : ما يدهن به التزل وغيرها .

وتذكر رب الخورنق إذ أشرف يوماً وللهدى^(١) تفكير
سره مائه وكثرة ما يملك والبحر مفرضاً^(٢) والسدير
فارعوى قلبه فقال : وما غبطة حتى إلى المات بصير !
ثم بعد الفلاح والملك والإمة^(٣) ورآتهم هنالك القبور
ثم صاروا كأنهم ورق جف فآلوت^(٤) به الصبا والدبور
فبكي هشام حتى اخضلت^(٥) لحيته ، وبلت عمامته ، وأمر بزعم أبيته ، ونقل
قرايته وحشيه وغاشيته وجلسائه ، ولزم قصره .

فأقبلت الموالي والحشم على فقالوا : ما أردت بأمر المؤمنين ! أفسدت عليه
لذته ، ونقصت عليه مأذنته . فقلت : إليكم عنى ، فإني عاهدت الله عز وجل ألا
أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل !

(١) يريد بهذه الجملة : أن التفكير طريق الهدى (٢) مفرضاً : متسماً (٣) الإمة : العممة
(٤) آلوت : ذهبت (٥) اخضلت : اجلت .

١٠٥ — إن خالداً أدلّ فأمل*

قال خالد بن صفوان : دخلتُ على هشام بن عبد الملك ، وذلك بعد عزله خالد بن عبد الله القسري ، فأنفيته جالساً على كرسى في برّكة ، ماؤها إلى الكعبين ، فدعا لي بكرسيّ فجلستُ عليه ، فقال : يا خالد ؛ ربّ خالدٍ جلسَ مجلسك ، كان الوطّ بقلبي ، وأحبّ إليّ !

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن حليمك لا يضيقُ عنه ، فلو صفحتَ عن جرّمه ! فقال : إن خالداً أدلّ فأمل ، وأوجفَ فأجحف ، ولم يدعَ لراجعٍ مرجعاً ، ولا لمودةٍ موضعاً ، ثم قال : ألا أخبرُك عنه يا ابنَ صفوان ؟ قلت : نعم ، قال : إنه ما بدّأني بسؤال حاجةٍ قطُّ مذ قدّم العراق حتى أكون أنا الذي أبدؤه بها . فقلت : فذاك أحرّمي أن ترّجعَ إليه ، فقال متمثلاً :

إذا انصرفتَ نفسى عن الشئ لم تنكدُ إليه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تقبلُ
قال خالد : ثم قال لى هشام : حاجتك ، فقلت : تزيدنى فى عطائى عشرة دنانير . فأطرق ثم قال : ولم ؟ وفيم ؟ العبادة أحدثتها فنعمينك عليها ، أم لبلاء حسن أبليته عند أمير المؤمنين ، أم لماذا يا ابن صفوان ! إذن يكتر السؤال ولا يحتملُ ذلك بيتُ المال ! فقلت : يا أمير المؤمنين ، وفقك الله وسدّدك ، أنت والله كما قال أخو خزاعة :

إذا المال لم يوجبْ عليك عطاءهُ قرابةٌ قرّبي أو صديقٌ توافقه

مَنَعْتَ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِكْ ^(١) الْمَالَ إِلَّا حَقَائِقَهُ
فَلَمَّا قَدِمَ خَالِدَ الْبَصْرَةَ ، قِيلَ لَهُ : مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى تَزْيِينِ الْإِمْسَاكِ لَهُ ؟ فَقَالَ :
أَحْبَبْتُ أَنْ يَمْنَعَ غَيْرِي فَيَكْتَدَ مِنْ يَلُومُهُ !

١٠٦ — أَبُو النَجْمِ عِنْدَ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ *

وَرَدَّ أَبُو النَجْمِ ^(٢) عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فِي الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ لَمْ هِشَامُ : صَفَوْا
لِي إِبِلًا فَقَطَّرُوهَا ^(٣) وَأَوْرَدُوهَا وَأَصْدِرُوهَا؛ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا ؛ فَأَنْشُدُوه ، وَأَنْشُدْهُ
أَبُو النَّحْمِ :

* الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّابِ الْمَجْزِلِ *

حَتَّى بَلَغَ إِلَى ذِكْرِ الشَّمْسِ فَقَالَ : « وَهِيَ عَلَى الْأَفْقِ كَعَيْنٍ » وَأَرَادَ أَنْ
يَقُولَ « الْأَحُولِ » ، ثُمَّ ذَكَرَ حَوَالَةَ هِشَامِ ؛ فَلَمْ يَتِمَّ الْبَيْتَ وَأَرْتَجَحَ عَلَيْهِ .

فَقَالَ هِشَامُ : أَجِزْ الْبَيْتَ ؛ فَقَالَ : « كَعَيْنِ الْأَحُولِ » وَأَتَمَّ الْقَصِيدَةَ ، فَأَسْرَ
هِشَامُ فَوَجَّهَ ^(٤) عَنقَهُ ، وَأَخْرَجَ مِنَ الرِّضَافَةِ ؛ وَقَالَ لِصَاحِبِ شَرْطَتِهِ : يَا رِبِيعُ ؛
إِيَّاكَ وَأَنْ أَرَى هَذَا ! فَكَلَّمَ وَجْهَهُ النَّاسَ صَاحِبَ الشَّرْطَةِ أَنْ يَقْرَأَ فَنَعَلَ .
قَالَ أَبُو النَجْمِ : وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بِالرِّضَافَةِ يُضِيفُ إِلَّا سَلِيمُ بْنُ كَيْسَانَ الْكَلْبِيِّ

(١) ائتلت الشيء : أخذته في سرعة ، وتمتد إلى مفعولين .
* الأغاني : ١٠ - ١٥٥ (طبعة دار الكتب) ، رغبة الأمل : ٦ - ٢٣٩ .
(٢) اسمه الفضل بن قدامة أحد رجال الإسلام الفحول المقدمين ، وفي الطبقة الأولى منهم .
(٣) قطر الإبل : قرب بعضها من بعض على نسق .
(٤) وجىء : وجأه باليد وبالسكين إذا ضرب به .

وعمر بن بسطام التغلبيّ، فكنتُ آتياً سليماً فأنفذتني عنده، وآتى عمراً فأتمشى عنده، وآتى المسجد فأبنت فيه .

قال: فاهتمّ هشام ليلةً، وأمسى لقيسَ النفس، وأراد محدثاً محدثه؛ فقال لخادم له: ابغني محدثاً أعرابياً شاعراً يروى الشعر .

فخرج الخادم إلى المسجد فإذا هو بأبي النجم، فضربه برجله، وقال له: قم أحب أمير المؤمنين . قال: إني رجل أعرابي غريب . قال: إياك أبني، فهل تروى الشعر؟ قال: نعم، وأقوله .

فأقبل به حتى أدخله القصر، وأغلق الباب، فأيقن بالشرّ، ثم مضى به، فأدخله على هشام في بيت صغير، والشّمع بين يديه يزهر^(١) .

فلما دخل قال له هشام: أبو النجم؛ قال: نعم يا أمير المؤمنين طريديك! قال: اجلس، فسأله وقال له: أين كنت تأوى؟ ومن كان يُنزلك؟ فأخبره الخبر . قال: وكيف اجتماعك؟ قال: كنت أنفذتني عند هذا، وأتمشى عند هذا . قال: وأين كنت تبيت؟ قال: في المسجد حيث وجدني رسولك . قال: ومالك من الولد والمال؟ قال: أمّا المال فلا مال لي، وأمّا الولد فلي ثلاث بنات وبُنتي يقال له شيبان .

فقال: هل زوجت من بناتك أحداً؟ قال: نعم؛ زوجت اثنتين، وبقيت واحدة تجمير^(٢) في أبياتنا كأنها نعامة .

قال: وما وصيت به الأولى؟ فقال:

(١) يزهر: يتلألأ (٢) تجمز: تعدو وتسرع .

أوصيتُ من برة^(١) قلباً حراً
بالكَلْبِ خيراً والحماةِ شراً
لا تنأى ضرباً لها وجراً
حتى ترى حُلوقَ الحياةِ مُراً
وإن كنتك ذهباً ودرّاً
والحى عُثمهم بشرَ طراً

فضحك هشام ، وقال : فما قلت للأخرى ؟ قال : قلت :

سبي الحماة وابتهي^(٢) عليها
وإن دنت فازدلفني إليها
وأوجى بالفهر^(٣) ركبتيها
ومرقتيها واضربي جنديها
وظاهري النذر لها عليها
لا تخبري الدهر به ابنتيها

قال : فضحك هشام حتى بدت نواجذُه ، وسقط على قفاه . فقال : ويحك !
ما هذه وصية يعقوب ولده ! فقال : وما أنا كيعقوب يأمر المؤمنين . قال : فما قلت
لثالثة ؟ قال : قلت :

أوصيكِ يا بنتي فإني ذاهبُ
أوصيكِ أن تحمدكِ القرائبُ
والجارُ والضيفُ الكريمُ الساغبُ
لا يرجعُ المسكينُ وهو خائبُ
ولا تني أظفاركِ السَّلاب^(٤)
منهن في وجه الحماة كاتبُ

والزوج إن الزوج بئس صاحبُ

قال : فكيف قلت لها هذا ولم تزوج ؟ وأي شيء قلت في تأخير تزويجها !

قال : قلت فيها :

(١) كان اسمها برة (٢) بهته : قذفه بالباطل ، وقال عليه ما لم يفعل (٣) الفهر : الحجر
يملاً الكف (٤) السلاب : الطويلة .

كأن ظلامه أخت شيبان ينيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان^(١) وليس في الرجلين إلا خيطان
فهى التى يُذعرُ منها الشيطان

فقال هشام لحاجبه : ما فعلتِ الدنانيرُ المختومةُ التى أمرتُك بقبضها ا قال :
هى عندى ، ووزنها خمسمائة ا قال : فادفعها إلى أبى النجم ؛ يجعلها فى رجلَى
ظلامه مكان الخيطين ا

(١) الصئبان : جمع الصؤابة وهى : بينة القمل ؛ جمه صئبان .

١٠٧ — لا يعرف الكلام إلا بنشره *

قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك ، قدمت العرب من أحياء القبائل ، فجلس هشام لرؤسائهم فدخلوا عليه ، وفيهم درؤاس بن حبيب وله أربع عشرة سنة ، عليه ثملتان وله ذؤابة . فأحجم القوم وهابوا هشاماً ، ووقمت عين هشام على درؤاس فاستصغره ، فقال لحاجبه : ما يشاء أحدٌ أن يصل إلى إلا وصل حتى الصبيان !

فلم درؤاس أنه يريد ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن دخولى لم يُجَل بك شيئاً ، ولقد شرقتى ، وإن هؤلاء القوم قدموا لأمر أحجموا دونه ، وإن الكلام نثر ، والسكوت طي ، ولا يعرف الكلام إلا بنشره . فقال هشام : فانشر لا أن لك ! وأعجبه كلامه .

فقال : أصابتنا ثلاث سنين ، فسنة أذابت الشحم . وسنة أكلت اللحم ، وسنة نقت العظم ، وفي أيديكم فضول أموال ؛ إن كانت لله ففرتوها على عباده المستحقين لها ، وإن كانت لم فعلام تحبسونها عنهم ؟ وإن كانت لكم ، فتصدقوا بها عليهم ، فإن الله يجرى المتصدقين ، ولا يُضيع أجر الحسنين . واعلم يا أمير المؤمنين أن الوالى من الرعية كالروح من الجسد ، لا حياة له إلا به .

فقال هشام : ما ترك الغلام في واحدة من الثلاث عذراً . وأمر أن يقسم في

* باب الآداب : ٣٥٣ .

(١) النقي : مع العظام وشحمها ، ونقي العظم : استخراج نقيه .

باديته مائة ألف درهم ، وأمر لدرواس بمائة ألف درهم . فقال : يا أمير المؤمنين ؛
اردها إلى أعطية أهل باديتي فإنني أكره أن يمجز ما أمر لهم به أمير المؤمنين عن
كفائتهم . قال : فما لك من حاجة تذكرها لنفسك ؟ قال : مالي من حاجة دون
عامة المسلمين !!

ولما عاد درواس إلى منزله بعث إليه هشام بمائة ألف درهم ، ففرقها في تسعة
أبطن من العرب ، لكل بطن عشرة آلاف ، وأخذ هو عشرة آلاف ، فقال
هشام : إن الصنعة عند درواس لتضعف على سائر الصنائع ^(١) .

(١) جمع صنعة ، وهي المعروف والإحسان .

١٠٨ - أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك *

وفد سعد بن مرة بن جبير - وكان شاعراً - على الوليد^(١) بن يزيد ، فعرض له في يوم من أيام الربيع ، وقد خرج إلى متنزّه له ، فصاح به : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَافِدُكَ وَزَائِرُكَ وَمُؤَمَّلُكَ ! فَتَبَادَرَ إِلَيْهِ الْحَرَسُ لِيَصِدَّوهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : دَعُوهُ ، اذْنُ إِلَى . فدنا إليه ، فقال : من أنت ؟ قال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز ، شاعر ، قال : تريد ماذا ؟ قال : تسمع مني أربع أبيات ، قال : هات ؛ فقال :

شَمْنٌ^(٢) الْمَخَالِيلِ نَحْوِ أَرْضِكَ بِالْحَيَا^(٣) وَتَقِينَ رَكبانًا بَعْرِفِكَ قُفْلًا
قال : ثم مه ؟ قال :

فَعَمَدُنْ نَحْوِكَ لَمْ يَنْخَنَ لِحَاجَةٍ إِلَّا وَقَوَعَ الطَّيْرَ حَتَّى تَرْحَلَا
قال : إن هذا السير حثيث ، ثم ماذا ؟ قال :

يَعْمِدُنْ نَحْوِ مَوْطِي حَجْرَاتِهِ كَرَمًا ، وَلَمْ تَعْدِلْ بِذَلِكَ مَعْدِلًا
قال : قد وصلت إليه فه ؟ قال :

لَا حَتَّ لَهَا نَيْرَانُ حَيِّ قَسْطَلٍ^(٤) فَاخْتَرَنَ نَارَكَ فِي الْمَنَازِلِ مَنزَلَا
قال : فهل غير هذا ؟ قال : لا ، قال : أنجحت وفادتك ، ووجبت ضيافتك ، أعطوه أربعة آلاف دينار ، فقبضها ورحل !

* الأغاني : ٧ - ٢٤ (طبعة دار الكتب) .

(١) كان الوليد قبل أن يبل الخلافة من فتيان بني أمية وظرفائهم وشعرائهم ، ولما ولي الخلافة انهمك في اللهو والشراب وسماع الفناء ، مات مقتولا سنة ١٢٦ هـ (٢) شمت مخايل الشيء : إذا تطلعت نحوه يبصرك منتظرا له (٣) الحيا : الحصب والمطر (٤) قسطل : اسم لموضعين أحدهما قرب البلقاء من أرض دمشق ، والثاني بين حمص ودمشق .

١٠٩ - شاعر بني هاشم *

لما قال الكُميت^(١) بن زيد الأسدي الهاشميات قدم البصرة ، فأتى الفرزدق ، فقال : يا أبا فراس ؛ إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك ! قال : ومن أنت ؟ فانتسب له . فقال : صدقت ، فما حاجتك ؟ قال : نِفثَ طَلِي لِسَانِي ، فقلتُ شعرا ، وأُحِبُّبْتُ أَنْ أَعْرَضَ عَلَيْكَ مَا قَلْتِ ، فَإِنْ كَانَ حَسَنًا أَمْرٌ تَنِي بِإِذَاعَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ أَمْرٌ تَنِي بَسْتَرْتَهُ ، وَسَتَرْتَهُ عَلَيَّ . فقال : يا ابن أخي ؛ أحسب شعرك على قَدْرِ عَقْلِكَ ، فَهَاتِ مَا قَلْتِ رَاشِدًا ، فَأَنْشُدْهُ :

طَرَبْتُ وَمَا شَوْقًا إِلَى الْبَيْضِ^(٢) أَطْرَبُ وَمَا لِعِبَا مَتَى ، وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ !
قال : بلي ؛ فإنك في أوان اللعب فالعب . فقال :

وَلَمْ يُبْهِنِي دَارٌ وَلَا رَسْمٌ^(٣) مَنَزِلٍ وَلَمْ يَتَطَّرَبْنِي بَنِي بَنِي مُحَضَّبُ
قال : فما يطر بك يا ابن أخي ؟ فقال :

وَمَا أَنَا مِمَّنْ يَزْجُرُ الطَّيْرَ كَهْمَهُ أَصَاحَ غَرَابٍ أُمَّ تَعْرِضُ تَعْلَبُ^(٤)
قال : فما أنت ؟ ويحك ! وإلى من تَسْمُو ؟ فقال :

* خزانة الأدب : ٤ - ٢٣٧ (الطبعة الأميرية) ، السعدي : ٢ - ١٩٠
(١) نشأ الكُميت في الكوفة وتأدب على علماءها ، وأخذ عن الأعراب ، وعالج الشعر حتى نبه شأنه . واتصل بالولادة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم ، وقد لقي في سبيل مذهبه الشيعي بلاء كبيرا ، وقد أثار الفتنة بين عدنان وقحطان ، وفتح للشيعية طريق مناظرة خصومهم بالشعر ، وتوفي سنة ١٣٦ (٢) البيض : جمع بيضاء ، يريد النساء (٣) رسم : أثر ، ويتطربني : يحملني على الطرب (٤) الزجر للطير : هو التيمن والتشاؤم بها ، والغراب أعظم ما كانت العرب تتطير به . وهو نوع من العيافة .

ولا السامحات^(١) البارحات عشيةً أمرَ سليمُ القرنِ أومرَ أعصبَ
قال : أمّا هذا فقد أحسنتَ فيه ، فقال :

ولكن إلى أهلِ الفضائلِ والنَّهى وخيرِ بنى حواءِ والخيرُ يُطلبُ
قال : مَنْ هم ! ويحك ! قال :

إلى النَّفَرِ البيضِ^(٢) الذينِ بجبهم إلى اللهِ فيما نابى أتقربُ
قال : أرخني ؛ ويحك ! مَنْ هؤلاء ؟ قال :

بنى هاشمٍ رَهطٍ^(٣) النَّبىَ فإنتى بهم ولم أرضى مراراً وأغضب
قال : لله درُّ بنى أبيك ! أصبتَ وأحسنتَ ؛ إذ عدلتَ عن الزعانف والأوباش ؛
إذن لا يضرَدُ^(٤) سهمك ، ولا يكذب قولك .

ثم مرَّ فيها ، فقال له : أظهر ثم أظهر ؛ فأنت واللهِ أشعر من مضى ، وأشعرُ
من بقى .

فقدم المدينة فأتى أبا جعفر محمد بن على بن الحسين ، فأذن له ليلاً ، وأنشده ،
فلما بلغ من الميمية قوله :

وقتيلٌ بالطفِ^(٥) غودرَ منهم بين غوغاءِ أمةٍ وطعامِ

بكى أبو جعفر ، ثم قال : يا كميته ! لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك ، ولكن
لك ما قال رسول الله لحسان بن ثابت : لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا
أهل البيت !

(١) السانح : ماولاك ميامنه ، والبارح : ماولاك مياسره ، وكان أهل نجد يتيمينون بالأول
ويتشاءمون بالثاني ، وأهل العالية على العكس . والأعصب . الثور المكسور القرن ، وكانوا
يتشاءمون به (٢) البيض هنا : المشهورين من الأشراف (٣) الرهط : القوم والقبيلة (٤) صرد
السهم : أخطأ (٥) الطف : موضع قرب الكوفة ، وقتيل الطف هو الحسين عليه السلام .

فخرج من عنده فأتى عبد الله بن الحسن بن علي فأنشده فقال له . إن لي ضيعةً
أعطيتُ فيها أربعة آلاف دينار ، وهذا كتابها ، وقد أشهدتُ لك بذلك شهوداً ،
وناوله إياها !

فقال : بأبي أنت وأمي ! إنني كنتُ أقولُ الشعر في غيركم أريد بذلك الدنيا
والمال ، ولكني - والله - ما قلتهُ فيكم إلا لله ، وما كنتُ لأخذَ على شيء جعلتهُ لله
مالاً ولا ثمناً ؛ فألحَّ عبدُ الله عليه ، وأبى من إعفائه .

فأخذ الكميت الكتاب ومضى ، فكث أياها ، ثم جاء إلى عبد الله فقال :
بأبي أنت وأمي ؛ يا بن رسول الله ! إن لي حاجة ؟ قال : وما هي ، وكل حاجة لك
مقضية ؟ قال : كائنة ما كانت ؟ قال : نعم ! قال : هذا الكتاب تقبله ، وترجعُ
الضيعة . ووضع الكتاب بين يديه ، فقبله عبد الله .

ونهب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، فأخذ ثوباً ، فدفعه إلى
أربعة من غلمانه ، ثم جعل يدخل دور بني هاشم ويقول : يا بني هاشم ، هذا
الكميت قال فيكم الشعر حين صمَّت الناسُ عن فضلكم ، وعرض دمه لبني أمية ،
فأثيبوه بما قدرتم ! فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دراهم ودنانير ؛ وأعلم
النساء بذلك ؛ فكانت المرأة تبعث ما أمسكتها ، حتى إنها لتخلع الحلي عن
جسدها . فاجتمع من الدنانير والدرهم ما قيمته مائة ألف درهم .

فجاء بها إلى الكميت فقال له : أتيناك بجهد المُقلِّ ، ونحن في دولة عدوِّنا ، وقد
جمعنا هذا المال ، وفيه حلَى النساء كما ترى ، فاستعين به على دهرِك . فقال . بأبي أنت
وأمي ! قد أكثرتم وأطيتتم ، وما أردت بمدحى إياكم إلا الله ورسوله ، ولم أكُ
لأخذ لذلك ثمناً من الدنيا ، فأرُدده إلى أهله ، فجهد به عبد الله أن يقبله بكل حيلة

فأبى ، فقال : إن آيتَ أن تقبل فإني رأيت أن تقول شيئاً يغضب منه بعض الناس؛
لعل فتنة تحدث فيخرج من بين أصابمها بعض ما يجب .
فابتدأ الكميت ، وقال قصيدته ^(١) التي يذكر فيها قومه مناقب من مضر ،
وربيعة ^(٢) وإياد وأعمار ، ويكثر فيها من تفضيلهم ، ويطنب في وصفهم ، وأنهم أفضل
من قحطان .
فثارت العصبية في البدو والحضر ، وانحرف أهل اليمن إلى الدعوة العباسية ،
وأعقب ذلك انتقال الدولة عن بني أمية إلى بني هاشم .

(١) من هذه القصيدة :

وجدت الله إذ سمى تزارا وأسكنهم بمكة قاطنينا
لنا جعل المكارم خالصات وللناس القفا ولنا الجينا
وقد قضى دعبل هذه القصيدة على الكميت ، وذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها كما فعل
الكميت ، وذلك في قصيدته التي منها :

أفيق من ملامك ياظعينا كفاك اللوم من الأربعينا
أم تحزنك أحداث الليالي يشين ادوائب والقروفا
(٢) كان الكميت من شعراء مضر وأستنها المتعصبين على القحطانية المقارعين بالثالب .

١١٠ — إِنَّ يَمِينِي يَغْلِبُ شَوْمَكَ *

لما توفى السفاح دخل أبو دلامة^(١) على المنصور ، والناسُ عنده يعزونه

فقال :

أَمْسَيْتَ بِالْأَنْبَارِ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ لَمْ تَسْتَطِعْ عَنْ عُقْرِهَا^(٢) تَحْوِيلاً
وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِ أَهْلِ كَلِّهِمْ وَوَيْلاً وَعَوَلاً فِي الْحَيَاةِ طَوِيلاً
فَلْتَبْكِينَ لَكَ السَّمَاءُ بِعَبْرَةٍ وَلْيَبْكِينَ لَكَ الرَّجَالُ عَوِيلاً
مَاتَ النَّدَى إِذْ مِتَّ يَا بْنَ مُحَمَّدٍ فَجَعَلْتَهُ لَكَ فِي التَّرَابِ عَدِيلاً
إِنِّي سَأَلْتُ النَّاسَ بِعَدِكَ كَأَمِّهِمْ فَوَجَدْتُ أَسْمَحَ مِنْ سَأَلْتِ بَحْيِيلاً
أَلْشَقَوْنِي أُخْرَتُ بِعَدِكَ لِلَّتِي تَدَعِ الْعَرِيزَ مِنَ الرَّجَالِ ذَلِيلاً ؟
فَلْأَحْلِفَنَّ يَمِينَ حَقِّ بَرَّةٍ تَاللَّهِ مَا أُعْطِيتُ بِعَدِكَ سُولاً^(٣)

فأبكى الناسَ قوله ؛ فغضب المنصور غضباً شديداً ، وقال : لئن سمعتك تنشُد
هذه القصيدة ، لأقطعنَّ لسانك ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن أبا العباس أمير المؤمنين
كان لي مُكرِماً ، وهو الذي جاء بي من البدو ، كما جاء الله ياخوة يوسف إليه ،
فقل كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ بِعَفْرِ اللَّهِ لَكُمْ ، وَهُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

* الأغاني ١٠ - ٢٤٠ (طبعة دار الكتب) ، معاهد التنصيص : ٢ - ٢١٠

(١) أبو دلامة : اسمه زند بن الجون ، كوفي المنشأ ، كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد ثم
أعتقه ، نبغ في الشعر ، واقطع إلى السفاح والمنصور والهدى ، وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيون
عاشته ونوادره توفي سنة ١٦٢ هـ (٢) عقر الدار : أصلها ووسطها (٣) السون : يهز ولا
يهز : مأسأته .

فسرّى عن المنصور ، وقال : قد أفلنك يا أبا دُلّامة ، فسأل حاجتك ! قال :
يا أمير المؤمنين ؛ قد كان أبو العباس أمرّ لي بعشرة آلاف درهم وخمسين ثوباً ، وهو
مريض ، ولم أقبضها ؛ فقال المنصور : ومن يَلمُّ ذلك ؟ قال : هؤلاء - وأشار إلى
جماعة ممن حضر .

فوثب سليمان بن مجالد ، وأبو الجهم ؛ فقالا : صدق أبو دُلّامة ، نحن نعلم ذلك .
قال المنصور لأبي أيوب الخازن - وهو مغيظ : ياسليان ، ادفنها إليه ، وسيّره إلى هذا
الطاغية - يعنى : عبد الله ^(١) بن علي ، وكان قد خرج بالشام ، وأظهر الخلاف -
فوثب أبو دُلّامة ، وقال : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن أخرج معهم ، والله
إني مشثوم !

قال المنصور : امض ، فإن يُمنى يعلبُ شوْمتك . فقال : يا أمير المؤمنين ، والله
ما أحبُّ أن يُجرب ذلك منى على مثل هذا العسكر ؛ فإنى لا أدري أيهما يعلب :
يُمنك أم شوْمي ؟ إلا أنى بنفسى أوثق وأعرف وأطولُ تجربة .

قال : دعنى وهذا ؛ فالك من الخروج بدّ . قال : فإنى أصدُك الآن ، شهدتُ
والله تسعة عشر عسكراً ، كلُّها هُزِمت ، وكنتُ سبها ، فإن شئت الآن - على
بصيرة - أن يكونَ عسكرك تمام العشرين فافعل .

فضحك المنصور ، وأمره أن يتخلف مع عيسى بن موسى بالكوفة .

(١) هو عبد الله بن علي ، عم الخليفة المنصور ، خرج عليه ودعا لفسه ، فوجه إليه المنصور
أبا مسلم .

١١١ — قَتَلَهُمُ الشَّعْرُ*

كان أبو العباس جالساً في مجلسه على سريره ، وبنو هاشم دونه على الكراسي ، وبنو أمية على الوسائد ، قد نُئِيتْ لهم — وكانوا في أيام دَوَلَّتْهم يجلسون هم والخلفاء منهم على السرير ، ويجلس بنو هاشم على الكراسي — فدخل الحاجب فقال : يا أمير المؤمنين ؛ بالباب رجلٌ حجازيٌّ أسود ركبٌ على نجيب ، مُتَعَلِّمٌ^(١) ، يستأذن ولا يُخْبِرُ باسمه ، ويحلف ألاّ يَحْسُرَ اللثامَ عن وجهه حتى يَرَاكَ ؛ قال : هذا مولاي سُدَيْفٌ ، يدخل ؛ فدخل ، فلما نظر إلى أبي العباس وبنو أمية حوله ، حَدَرَ^(٢) اللثامَ عن وجهه ثم سلم ، ودنا وقبل يده ، ثم انصرف إلى خلفه ، فقام مقام مثله ، وأنشأ يقول :

أصبح الملكُ ثابتَ الأساسِ بالبَهَائِلِ^(٣) من بنى العباسِ
بالصُّدُورِ المُقَدِّمِينَ قَدِيمًا والرُّءُوسِ القِمَامِ^(٤) الرُّؤُوسِ^(٥)
يا أميرَ المطَهِّرينَ من الذَّمِّ ويا رأسَ مُنْتَهَى كُلِّ راسِ
أنتَ مهدئُ هاشمٍ وهُدَاهَا كم أناسٍ رَجَوْكَ بعدَ إياسِ
لا تُقِيلَنَّ عبدَ شمسٍ عِثَارًا واقطَعَنَّ كُلَّ رَقَلَةٍ^(٦) وغراسِ
أنزِلُوهَا بحيثَ أنزَلَهَا اللهُ بدارِ الهوانِ والإِنعاسِ

* الأغاني ٤ — : ٣٤٥ (طبعة دار الكتب) ، المحاسن والساوي* : ٤١٠ ، (ليزج)
(١) تلثم الرجل : وضع اللثام ؛ وهو رد المهمة على الوجه (٢) حدر اللثام : حطه من علو إلى سفلى (٣) البهائل : جمع بهلول وهو العزيز الجامع لكل خير (٤) القمام : السيد الكثير الخير ، الواسع الفضل (٥) الرؤاس : الولاة والحكام (٦) الرقلة : النخلة الطويلة التي تقوت اليد .

خوفهم أظهر التوّدّد منهم وبهم منكم كحزّ المواسي
أقصمهم أيها الخليفة واحسيم عنك بالسيف شأفة^(١) الأرجاس
واذكرن مصرع الحسين وزيد^(٢) وقتيل^(٣) بجانب المهراس
والإمام^(٤) الذي بجران أمسي رهن قير في غربة وتناسي
فلقد ساءني وساء شوائي قربهم من نمارق وكراسي

فتغير لون أبي العباس ، وأخذه زمع^(٥) ورعدة ؛ فالتفت بعض ولد سليمان
ابن عبد الملك إلى رجلٍ منهم ، وكان إلى جنبه ، فقال : قتلنا والله العبد ، ثم أقبل
أبو العباس عليهم ، فقال : أرى قتلاكم من أهلي قد سلفوا وأتم أحياء تلتذذون
في الدنيا ، خذوهم ؛ فأخذتهم الخراسانية وضربوهم فأهدوا ؛ إلا ما كان من
عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز فإنه استجار بدادود بن علي ، وقال له : إن أبي لم
يكن كآبائهم ، وقد علمت صنيعته إليكم ؛ فأجاره واستوهبه من السفاح ، وقال
له : قد علمت يا أمير المؤمنين صنيع أبيه إلينا . فوهبه له ، وقال له : لا تريني وجهه ،
وليكن بحيث تأمنه ، وكتب إلى عماله في النواحي بقتل بني أمية .

(١) الأرجاس : جمع رجس ؛ وهو القذر (٢) هو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قتل في أيام هشام بن عبد الملك (٣) المهراس : ماء بأحد ، ويعني بالقتيل حزة بن عبد الطلب ، قتله يوم أحد غلام لجبير بن مطعم ؛ اسمه وحشي (٤) الإمام الذي بجران : هو إبراهيم الإمام ، رأس الدولة العباسية ؛ قتله مروان بن محمد صبراً وحبسا (٥) الزمع : شبه الرعدة تأخذ الإنسان .

١١٢ - المنصور أحق بشعر طريف *

قال أبو بكر الهذلي : سرتُ مع أمير المؤمنين المنصور ^(١) إلى مكة وسأرتُه يوماً ، فعرضَ لنا رجل على ناقةٍ حمراء تذهبُ في الأرض ، وعليه جبةٌ خزّ وعمامةٌ عدنية ، وفي يده سوط يكادُ يمسُّ الأرض ، سرى الهيئة .

فلما رآه أمرني أن أدعوه ، فدعوته فجاء ، فسأله عن نسبه وبلاده وبادية قومه وعن ولادة الصدقة ، فأحسنَ الجواب ؛ فأعجبته ما رأى منه ، فقال : أنشدني . فأنشده شعراً لأوس بن حَجْر وغيره من الشعراء ، وحدثته حتى أتى على شعر لطريف ابن تميم العنبري ؛ وهو قوله :

إِن قَنَاتِي لَنَبْعٍ ^(٢) لَا يُؤَيِّسُهَا ^(٣) عَمَزُ الثَّقَافِ ^(٤) وَلَا دُهْنٌ وَلَا نَارُ
مَتَى أُجْرِي خَائِفًا تَأْمَنُ مَسَارِحُهُ ^(٥) وَإِن أُخِفَ آمَنَّا تَقَلَّقُ بِهِ الدَّارُ
إِنَ الْأُمُورَ إِذَا أوردتها صَدَرَتْ إِنَ الْأُمُورَ لَهَا وِرْدٌ وَإِصْدَارُ

فقال : ويحك ! ما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟ قال : كان أثقلَ العرب على عدوه وطأةً ، وأدرگهم بثأراً ، وأيمَنهم نقيبةً ^(٦) ، وأصلبهم قناةً لمن رام

* الطبري : ٩ - ٢٩٨

(١) هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي ، ثاني خلفاء بني العباس وأعظمهم شدة وبأساً ويقظة ونباتاً . توفي سنة ١٥٨ هـ . (٢) النبع : شجر من أشجار الجبال ؛ تتخذ منه القسي
(٣) التأييس : التذليل والتأثير ؛ أي لا يؤثر فيها شيء . (٤) الثقاف : ما تقوم به الرياح
(٥) المسارح جمع مسرح : وهو الموضع الذي تسرح إليه الماشية بالغداة للرعى .
(٦) النقيبة : النفس ؛ وميمون النقيبة : مبارك النفس .

هَضْمَهُ ، وَأَقْرَامَ لُضَيْفِهِ وَأَحْوِطَهُمْ مِنْ وَرَاءِ جَارِهِ ؛ اجْتَمَعَتِ الْعَرَبُ بِعِكَازِ فَكْلَهُمْ
أَقْرَبَ لَهُ بِهَذِهِ الْخِلَالِ ، غَيْرَ أَنَّ امْرَأً أَرَادَ أَنْ يَقْصُرَ بِهِ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا أَنْتَ بِيَعِيدُ
النُّجْمَةَ^(١) وَلَا قَاصِدَ الرَّمِيَةِ^(٢) ؛ فِدَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ جَعَلَ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَأْكُلَ إِلَّا
لَحْمَ قَنْصٍ يَقْتَنِصُهُ ، وَلَا يَنْزِعَ كُلَّ عَامٍ عَنْ غَزْوَةِ يَبْعُدُ فِيهَا أَثْرَهُ .
قَالَ : يَا أَخَا تَمِيمَ ، لَقَدْ أَحْسَنْتَ إِذْ وَصَفْتَ صَاحِبِكَ ، وَلَكِنِّي أَحَقُّ بِبَيْتِهِ مِنْهُ ،
أَنَا الَّذِي وَصَفْتُ ، لَا هُوَ !

(١) النُّجْمَةُ : الْمُنْعَبُ فِي طَلَبِ الْكَلْبِ . (٢) قَصِدَ الرَّمِيَةِ : أَصَابَهَا .

١١٣ — الحبة مفتاح كل خير *

دعا المنصور بالربيع^(١) فقال : سألني ما تريد ! فقد سكت حتى نطقت ، وخفت حتى نَقَلت ، وأقلت حتى أَكثرت !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما أرهبُ بِخُلُك ، ولا أَسْتَصْفِرُ فَضْلَكَ ، ولا أَعْتَمُ مالكَ ، وإنَّ يومي بفضلِكَ علىَّ أحسنُ من أَمْسِي ، وغدكَ في تأميلي أحسنُ من يومي ! ولو جاز أن يَشْكرك مثلِي بغير الخدمة والمناصحة لما سبقني لذلك أحد .

قال : صدقت ، على بهذا منك أحلك هذا الحبل ، فَسَلَّني ماشئت !

قال : أسألك أن تقرَّبَ عبدك الفضل^(٢) ، وتؤثِّره وتُحِبِّه ! قال : يا ربيع ؛ إنَّ الحبَّ ليس بمال يوهب ، ولا رُتْبَةٌ تُبَدَّل ، وإنما تُؤكِّدُه الأسباب ! قال : فاجعلْ له طريقاً إليه بالتفضل عليه !

قال : صدقت ، وقد وصلته بألف درهم ! ولم أصِلْ بها أحداً غير عمومتي ؛ لتعلم ماله عندي ؛ فيكونَ منه ما يستدعي به محبتي .

ثم قال : فكيف سألتَ له الحبة يا ربيع ؟ قال : لأنها مفتاحُ كلِّ خير ، ومِفْلاقُ كلِّ شر ؛ تُسْتَرَّبُ بها عندك عيوبُه ، وتصير حسناتِ ذنوبُه !

قال : صدقت .

* زهر الآداب : ٢ - ٢٩٩ .

(١) هو الربيع بن يونس ، خدم المنصور ، ثم تدرج في المناصب عنده إلى أن استوزره ، وكان جليلاً نبيلاً عارفاً بخدمة الخلفاء ، مات سنة ١٧٠ هـ (٢) هو ابنه الفضل بن الربيع ، وقد وُزِرَ للرشييد بعد البرامكة ؛ ولابنه الأمين .

١١٤ — المنصور والشعراء*

قال الربيع بن يونس يوماً لأبي جعفر المنصور : يا أمير المؤمنين ؛ إن الشعراء
يبابك ، وهم كثير ، وقد طالت أيامهم ، ونفدت نفقاتهم ، فقال : اخرج إليهم ، وسلم
عابهم ، وقل لهم : مَنْ مَدَحَنَا مِنْكُمْ ؛ فلا يصف الأسد ؛ وإنما هو كلبٌ من الكلاب ،
ولا الحية ؛ وإنما هي دُوَيْبَةُ مُنْدِنَةَ تَأْكُلُ التُّرَابَ ؛ ولا الجبل ؛ فإنه حجر أصم ،
ولا البحر ؛ فإنه عَطِنٌ لِحَبِّ^(١) ؛ فمن ليس في شعره شيء من هذا فليدخل ،
ومن كان في شعره شيء منه فليصرف . فأبلغهم ؛ فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم^(٢) بن
هرمة ، فقال : أنا له ياربيع ، فأدخلني عليه .

فأدخله ، فلما مثل بين يديه ، قال له : ياربيع ؛ قد علمت أنه لا يجيبك غيره ،
فأنشده قصيدته التي منها :

له لَحَظَاتٌ عَنْ حِفَافِي^(٣) سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا^(٤) فِيهَا عُقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمْ الَّذِي أَمَّنْتَ آمِنَةَ الرَّدَى وَأَمْ الَّذِي خَوَّفْتَ بِالشُّكْلِ ثَا كُلُّ

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٦ ، العقد الفريد : ١ - ١٦٥ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ،
الفرر : ١٨٥ ، الأغاني : ٦ - ١٠٩ (طبعة دار الكتب) .

(١) لب : ذو لب ، وبحر ذو لب : إذا سمع اضطراب أوجه (٢) هو إبراهيم بن علي
ابن هرمة المنتسب إلى قریش ؛ نشأ بالمدينة ، وأخذ عن الرواة والتقدمين والتأديين كثيراً ، وقال
الشعر وأجاده . وتوفي سنة ١٥٠ هـ (٣) الحفانان : الجانبان (٤) كرها : أرجمها ،
والنائل : العطاء .

فقال له المنصور : أما لقد رأيتك في هذه الدار قائماً بين يدي عبد الواحد بن سليمان تُنشدُه قولك فيه :

وجدنا غالباً كانت جناحاً وكان أبوك قادمةً الجناح

فقطِعَ بابن هَرَمَةَ حتى ما قدر على الاعتذار ، فقال له المنصور : أنت رجل شاعر طالب خير ، وكل ذلك يقول الشاعر ، وقد أمر لك أمير المؤمنين بثلاثمائة دينار .

فقام إليه الحسن بن زيد فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن ابن هَرَمَةَ رجلٌ منفاقٌ متلاف لا يبقى شيئاً ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر له بها ، يُجرى عليه منها ما يكفيه ، ويكفي عياله ، ويكتب بذلك فعل .

فقال : افعلوا ذلك به .

١١٥ - المؤمل يمدح المهدي*

وفد المؤمل^(١) بن أميل على المهدي^(٢) بالكوفي فامتدحه ، فأمر له بعشرين ألف درهم ، فاتصل الخبر بالمنصور ، فكتب إليه أن يعدله ويقول: إنما كان سيديك أن تأمرَ للشاعر بعد أن يقوم ببابك سنة بأربعة آلاف درهم أو كُتِبَ إلى كاتب المهدي بإنفاذ الشاعر إليه . فسأل عنه . فقيل له : قد شَخَّصَ إلى مدينة السلام .

فكتب إلى المنصور بخبره ، فأنفذ المنصور قائداً من قواده إلى النهروان يتصفَّح وجوه الناس رجلاً رجلاً ممن يمرّ به حتى يظفر بالمؤمل .

وسار القائد حتى انتهى إلى القافلة التي فيها المؤمل ، فسأله من أنت ؟ قال : أنا المؤمل بن أميل الحاربي الشاعر ، أحدُ زوّار الأمير المهدي ، فقال : إياك طلبتُ .

قال المؤمل : فكاد قلبي يتصدع خوفاً من أبي جعفر ، وقبض عليّ؛ ثم أتى بي وأسلمني إلى الربيع ، فأدخلني إلى أبي جعفر ، فسلمتُ تسليمَ مروّع ، فردّ السلام ،

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٠٧ ، مهذب الأعاني : ٤ - ١٣٥ ، أمالي الزجاجي : ٢٦ ، ذيل زهر الآداب : ٨٤ ، الفرر : ١٨٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٧٠ ، معجم الأدباء : ٩ - ٢٠٣
(١) شاعر كوفي من مخضرمي الدولتين : الأموية والعباسية ، وانقطع إلى المهدي في حياة أبيه وبعده ، وكان في شعره لين ، وله طبع صالح (٢) المهدي هو ابن أبي جعفر للمنصور والخليفة بعده ، كان فظناً كريماً شديداً على أهل الإلحاد ، كثير الجلوس بنفسه للعظام . توفي سنة ١٦٩ هـ .

وقال : أتيتَ غلاماً غريباً كريماً فخدعته ، قال : يا أمير المؤمنين ، إنما أتيتُ ملكاً
جواداً كريماً فدحته فحملته أريحته على أن وصلني وبرني ؛ فكان ذلك أعجبه ،
فقال له : أنشدني ما قلتَ فيه ، فأنشده .

هو المهديُّ إلا أن فيه	مُشابهٌ ^(١) صورة القمر المنير
تشابهَ ذا وذا فهما إذا ما	أنا رأيا يشكّان على البصير
فهذا في الضياء سراجٌ عدلٌ	وهذا في الظلام سراجٌ نورٌ
ولكن فضلَ الرحمنُ هذا	على ذا بالمنابرِ والسريرِ
وبالملكِ العزيزِ فذا أميرٌ	وماذا بالأسيرِ ولا الوزيرِ
ونقصُ الشهرِ يُحمِدُ ذا ، وهذا	مُنيرٌ عندَ نقصانِ الشهرِ
فيا بنَ خليفة الله المصنّى	به تملّوا مفاخرةَ الفخورِ
لئن فتَّ الملوكَ وقد توافوا	إليك من الشهولةِ والوعورِ
لقد سبق الملوكَ أبوك حتى	ترآهم بينَ كآبِ أو حسيرِ
وجئتَ وراءه تجرى حثيثاً	وما بك حينَ تجزى من فتورِ
فقال الناس : ما هذان إلا	بمنزلةِ الخَلِيقِ من الجديرِ
فإن سبق الكبيرُ فأهلُ سبقِ	له فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مدى كبيرِ	فقد خلقَ الصغيرُ مع الكبيرِ

فقال : أحسنت ! ولكن هذا لا يساوي عشرين ألف درهم ، ثم قال له :

(١) مشابهة : جمع شبه على غير قياس .

أين المال؟ قال : هاهو ذا ! قال : ياربيعُ ؛ أعطِه منه أربعة آلاف درهم ،
وخذ الباقي .

قال المؤمن : فأخذ مني ستة عشر ألفاً ، فأليت على نفسي ألا أدخل العراق
وللمنصور بها ولاية .

فلما صارت الخلافةُ إلى المهدي رفعتُ إليه رقعة ذكرت فيها قصتي ، فلما قرأها
ضحك حتى استلقى ، وقال : هذه مظلمة أنا بها عارف ؛ ردُّوا عليه ماله ، وزيدوا
له عشرين ألفاً ، فأخذتها وانصرفت .

١١٦ — مدائح وعطايا*

أهديت جارية يمانية إلى أبي جعفر المنصور ، فأشدته شعرا المرّوان بن أبي حفصة^(١) يمدح به السريّ بن عبد الله ، ويذكر فيه وراثة العباس ، فسألها : لمن هذا الشعر ؟ فأخبرته ، فأمر بإحضار مروان ، فوافاه بالرّبذة^(٢) حاجباً ، فلقى الربيع بن يونس والمنصور عليل ؛ العلة التي مات فيها . فقال : كُنْ قريباً حتى ندعو بك ، فلم تزل العلة تشتد به حتى مات قبل أن يصل إليه مروان ، فقال له الربيع : الحقّ بالمهدى^(٣) ولا تتخلف عنه ؛ وانصرف مروان إلى اليمامة ، فجعلها طريقاً ، وعليها بشر بن المنذر واليا ، فأوفده بشرفين أوفده ، وأعطى كلّ رجل ألف درهم ، فقدم مروان على المهدي ؛ وقد مدحه بأربع قصائد . فأعطاه المهدي ثلاثين ألف درهم ، فانصرف إلى اليمامة .

ثم عاد بعد ذلك ، فطلب الوصول بيعقوب بن داود^(٤) ، فأقام نحواً من سنة ، وغضب المهدي على يعقوب بن داود .

قال مروان : بينا أنا واقف على باب المهدي إذ خرج خالد بن يزيد بن منصور فقال : يا بن أبي حفصة ؛ ذكرك أمير المؤمنين آنفاً ؛ وهو يراك أشعر الناس ، غير أنه يقول : لا حاجة لنا فيما قبلك ؛ فانصرف عن بابنا .

* المحاسن والمساوي : ٢٤٠ (طبع ليزج) ، الفرج بعد الشدة : ١ - ٧٣

(١) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . نشأ في أواخر الدولة الأموية ؛ ولم يشتهر إلا في دولة بني العباس ، مدح المهدي ومن بن زائدة والرشيدي ، ويمدح من فحول الشعراء ، مات سنة ١٨١ هـ (٢) الربذة : من قرى المدينة (٣) انظر صفحة ٢٨١ (٤) كان يعقوب وزير المهدي ، وكان عالم المنزلة عنده ، موضع ثقة منه ، ثم تغير عليه وحبسه ، وما زال في حبسه حتى تولى الرشيدي وأخرجه منه .

فانصرفت مغموماً؛ ثم تذكّرتُ رجلاً أحدثت عنده، وآنسُ لديه؛ فأتيت
يزيدَ بنَ مزَيدَ، فشكوتُ إليه ما قال لي خالد بن يزيد. فقال: أدلكُ على رجل
صدوقٍ، له رِقَّةٌ، لعله ينفَعُكَ! قلت: ومن هو؟ قال: الحسن الحاجب، فمدوتُ إلى
الحسن، فشكوتُ إليه ما حكاه خالد من رأَى أمير المؤمنين؛ فقال: بل ذلك من
يعقوب بن داود. فقلت: بأبي أنت وأمي! أنت ترجو أن يكون ذلك مفتاحاً لما أنا
فيه! قال: ذاك كما أقول لك، فانصرفتُ؛ وقلت:

أتانى من المهديِّ قولٌ كأنما
وقلتُ— وقد خِفْتُ التي لاشوى لها^(١)
وما لي إلى المهديِّ لو كنتُ مُذنباً
ولا هو— عند السُّخْطِ منه ولا الرِّضا—
عليه من التقوى رداً يَكُنُّهُ
يُفِضُ لَهُ طَرْفُ العيونِ وطَرْفُهُ
هل البابُ مُفِضٌ بي إليك ابن هاشمٍ
أتيتُ امرأً أطلقتهُ من وثاقِهِ
وَجَلَى ضيَابَ العُدمِ عنه وراشهُ
فقلت: وزيرٌ ناصحٌ قد تتابعتُ
وما كان لي إلا إليك ذريعةً
وإن كان مطويّاً على القَدْرِ كَشَحُهُ
به احتزاً أني مُدْمِنُ الصَّغْنِ جَادِعُ
بِلاَ حَدَثٍ: إني إلى الله راجعُ
سوى حِلْمِهِ الصَّافِي من الناسِ شافعُ
بغيرِ الذي يَرْضَى به اللهُ صانعُ
وللحقِّ نورٌ بينَ عينيهِ ساطعُ
على غيرِهِ من خَشْيَةِ اللهِ خاشعُ
فقد رى إن أفضى بي البابُ ناصعُ
وقد أنشبتُ في أخذِ عِيهِ الجوامعُ^(٢)
وأنهضهُ معروفاً المتتابعُ
عليه بإنعامِ الإمامِ الصنائعُ
وما ملكٌ إلا إليهِ الدرائعُ
فلم أدرِ منه ما تُجِنُّ الأضالعُ

(١) لاشوى لها: لا يبرء لها

(٢) الجوامع: جمع الجامعة: الغل.

وقلت في قصيدة أخرى :

سَيُحْتَرُّ بِعُقُوبِ بْنِ دَاوُدَ خَائِبًا يَلُوحُ كِتَابٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ
بَدَا مِنْكَ لِلْمَهْدِيِّ كَالصَّبْحِ سَاطِعًا مِنَ الْغَيْشِ مَا كَانَتْ تُجْنُ الضَّمِيرُ
وَهَلْ لِبَيَاضِ الصَّبْحِ إِنْ لَاحَ ضَوْؤُهُ فِجَابِ الدُّجَا مِنْ ظُلْمَةِ اللَّيْلِ سَائِرًا
أَمَزَلَةٌ فَوْقَ التِّي كُنْتَ نَلْتَهَا تَمَاطَيْتَ إِلَّا أَفْلَحْتَ مِمَّا تُحَاذِرُ

ثم أتيت الحسنَ بعد يومين ، فقال : ما صنعت ؟ فأنشدتها إياه ، فقال :
اكتبهما لي . فقلت : قد فعلت . فقال : هاتهما ، فتناولهما ، وقال : لست واضعها
من يدي حتى أضمهما في يد المهدي ، ثم مضى .

وأتيته من الغد ، فقال : ما وضعتها من يدي حتى وضعتها في يد المهدي !
فقرأها فرقاً لك وأمر بإدخالك عليه ؛ فاحضر يوم الاثنين .

فحضرت ، فخرج عليّ ؛ فقال : قد علم أمير المؤمنين بمكانك ، وقد أحب أن
يجعل لك يوماً يشرفك فيه ويبلغ بك ، قلت : فني ؟ بأبي أنت وأمي ! قال :
يوم الخميس .

فعدتُ إليه يوم الخميس ، فإذا وجوهُ بني العباس يدخلون على المهدي ، فلما
تتأَمَّ المجلس دعاني فدخلتُ فسلمتُ فردَّ السلام ، وقال : إنما حبسك عن الدخول
انقطاعك إلى يعقوب بن داود ، فافتتحت النشيد بما قلت في يعقوب ، فأنشدته ،
ثم أنشدته :

طَرَقَتْكَ^(١) زَائِرَةٌ فِي خِيَالِهَا بِيضَاءِ تَخْلِظُ بِالْجَمَالِ دَلَالِهَا

(١) طرق القوم : أتاهم ليلاً .

قَادَتْ فَوَادَكَ فَاسْتَقَادَ وَمِثْلَهَا قَادَ الْقُلُوبَ إِلَى الصَّبَا^(١) فَأَمَّا لَهَا
فَأَنْصَتَ النَّاسَ حَتَّى بَلَغْتَ إِلَى قَوْلِي :

هَلْ تَطْمِسُونَ مِنَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا بِأَكْفَمٍ أَوْ تَسْتُرُونَ هَلَالَهَا !
أَوْ تَجْحَدُونَ مَقَالََةَ عَنْ رَبِّكُمْ جَبْرِيلُ بَلَّغَهَا النَّبِيَّ فَقَالَهَا
شَهَدَتْ مِنَ الْأَنْفَالِ آخِرَ آيَةٍ بَتْرَاهِمِمْ^(٢) فَأَرَدْتُمْ إِبْطَالَهَا
فَأَعْجِبَ بِذَلِكَ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ! فَقُلْتُ : اشْهَدُوا ، هَذَا وَاللَّهِ الشَّرَفُ ،
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَجْزِيَنِي خَيْرًا ، ثُمَّ أَسْهَدْتَهُ :

* أَعَادَكَ مِنْ ذِكْرِ الْأَحِبَّةِ عَائِدُ *

حَتَّى صَرْتُ إِلَى قَوْلِي :

أَيَادِي بَنِي الْعَبَّاسِ بِيضٌ سَوَابِغُ عَلَى كُلِّ قَوْمٍ بَادِيَاتٌ عَوَائِدُ
فَهُمْ يَمْدِلُونَ السَّمَكُ مِنْ قُبَّةِ الْهُدَى كَمَا يَمْدِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْقَوَاعِدُ
سَوَاعِدُ عِزِّ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا يَنْوَهُ بِصَوَلَاتِ الْأَكْفِ السَّوَاعِدُ
يَزِينُ بَنِي سَاقِ الْحَجِيحِ^(٣) خَلِيفَةُ عَلَى وَجْهِهِ نُوْرٌ مِنَ الْحَقِّ شَاهِدُ
يَكُونُ غِرَارًا نَوْمُهُ مِنْ حِذَارِهِ عَلَى قُبَّةِ الْإِسْلَامِ وَأَخْلَقُ رَاقِدُ
كَأَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَمَّادًا لَرَأْفَتِهِ بِالنَّاسِ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ
عَلَى أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ مِنْهُمْ سَمَّتَهُ يَدُ الْمَوْتِ الْخُتُوفُ الرَّوَاصِدُ

(١) استقاد : اتقاد ، والصابا : الشوق (٢) التراث : ما يتركه الميت لورثته ، ويعني بأخر آية من سورة الأنفال قوله تعالى : « وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ » (٣) يشير إلى سقاية الحاج ، وهي ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء ، وكان يليها العباس ابن عبد المطلب ، جد الخلفاء العباسيين .

فأشار إلىّ ، فأمسكتُ . فقال : يا بنى العباس ، هذا شاعر كم المنقطع إليكم ،
المعادى فيكم ، فأعطوه مايسره . فقلت : ينبغي إذ سمعوا كلام أمير المؤمنين ،
وعرفوا رأيه أن يصلوني من أموالهم ، فقال : أنا فارضٌ عليهم لك مالا ، ففرضَ
على موسى ابنه خمسة آلاف درهم ، وعلى هارون خمسة آلاف ، ثم فرض على
القوم على قدرِ حالاتهم ، حتى فرض عليهم سبعة وثلاثين ألف درهم ، والربيعُ
يكتبُ كلَّ ما فرض على كل رجل منهم .

فقال واحد من حضر : يا أمير المؤمنين ؛ إنما نحن من أهلك ، فأذخِلنا فما
أدخَلْتَهُمْ فيه ؛ فجعل عليه ألفاً ، وعلى الربيع ألفين ؛ فتمت أربعين ألفاً .

فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ مَنْ لى بهذا المال ؟ قال : هذا - وأشار إلى الربيع .
ثم قال : إن أمير المؤمنين يمطيك من صلب ماله . فأمر لى بثلاثين ألف درهم
فى ثلاثِ بَدَرٍ^(١) فجى بهنّ ؛ فطَرِحْن قريبا ، فدعوتُ وشكرتُ ، فقال : يابن
أبى حفصة ؛ ستجيتك صِلاتى وبرّى ، ويأتيك منى ما يؤدّيك إلى النقى .

قلت : يا أمير المؤمنين ؛ قد رأيتُ من قبُولك وبشركِ وسرورك بما سمعت منى
ما سَأَزِدُ به شعراً ، وستسمعُ ويبلغك ، وقلت : يا أمير المؤمنين ؛ لا يبلغ ما أعطيتنى
لشاعري بمدى ، قال : أجل ! قلت : وآذِنِي فى زيارتك ؛ قال : نعم .

قلت : يا أمير المؤمنين ، لى عدوٌّ فيك ، وفى أهل بيتك ، فإن رأى أمير المؤمنين
الأبَجَمَلَ لأحدٍ على سلطانِ دونه ! قال : لا سلطان عليك دون أمير المؤمنين ،
قلت : اكتبْ إلىّ بذلك كتاباً ، فأمر بالكتاب بذلك ! فانصرفت .

فلما صرتُ خَلْفَ السِّتْرِ خرج إلىّ خادمٌ بمنديل فيه أربعة أثواب وشئ وثوب

(١) البدره : كيس فيه عشرة آلاف .

خَزَّ (١) وَجَبَّةٌ وَقَمِيصٌ. قَالَ : أَلْبَسُوهُ وَأَعِيدُوهُ إِلَيَّ ؛ فَلَبِستُ الخَزَّ وَالرَّشِيَّ عَلَى الثِّيَابِ
الَّتِي كَانَتْ عَلَىَّ ، وَأَلْقَيْتُ القَمِيصَ عَلَى أَحَدِ مَنْكِبَيْيَ وَالجَبَّةَ عَلَى المَنْكَبِ الأُخْرَى .
قَالَ لِي : يَا بَنَ أُمِّ حَفْصَةَ ؛ أَدْخُلْ عَلَى أميرِ المُؤْمِنِينَ هَكَذَا ، وَقَدْ مَثَلْتَ بِنَفْسِكَ !
فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ كِرَامَةٌ أميرِ المُؤْمِنِينَ أَحَدًا مَا خَلَعْتُ مِنْهَا شَيْئًا أُطِيقُ حَمْلَهُ .

ثم دخلت فلما رأني تبسم ، ثم قال : مُطَرِّفٌ (٢) ، فَأَبْطَلُوا بِهِ ، فَقَالَ : المُطَرِّفُ -
وَأَنَا قَائِمٌ - ، ثم قال الثالثة : المُطَرِّفُ . فلما أبطلوا انصرفت ، وقعدت خلف الستر ،
فلم ألبث أن رُفِعَ السُّتْرُ ، وخرج أميرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى دَابَّةٍ فَمَتُّ إِلَيْهِ فَلَمَّا رَأَيْتُ قَالَ :
المُطَرِّفُ ، فَمَا بَرِحَ حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ ؛ فَتَنَشَّرَ عَلَى بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَأَمَرَ لِي بِعَشْرَةٍ مِنْ خَدَمِ
الرُّومِ ، وَجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ ، وَبِرِذْوَنٍ (٣) بِسَرِّجِهِ وَجِلَامِهِ .

(١) الخز : الحرير (٢) المطرف : ثوب في طرفه علان (٣) البرذون : الدابة .

١١٧ - فصاحة نصيب *

وجّه المهدي نصيباً^(١) الشاعرَ مولاه إلى اليمن في شراء إبل مَهْرِيَّة^(٢) ، ووجه معه رجلاً من الشيعة ، وكتب معه إلى عامل اليمن بعشرين ألف دينار ، فذَّاه في الدنانيرِ ينفقها في الأكل والشرب ، وشراء الجوارى والتزويج ، فكتب الشيعيَّ بخبره إلى المهدي ، فكتب في حمله موثقاً في الحديد ، فلما دخل على المهدي أنشده شعراً ، قال :

تَأْوِبِي ثِقْلٌ مِنْ الْمَهْمِ مُوجِعٌ	فَارَّقَ عَيْنِي ؛ وَالخَلِيُونَ هُجِعُ
هَمُّومٌ تَوَالَتْ لَوْ أَطَافَ يَسِيرُهَا	بَسَمَى لَظَلَّتْ صُفْهُ تَتَصَدَّعُ ^(٣)
وَعَادَتْ بِلَادُ اللَّهِ ظِلْمَاءَ حِنْدِسَا	فَخَلَّتْ دُجَا ظِلْمَائِهَا لَا تَقْشَعُ
إِلَيْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ أَجِدْ	سِوَاكَ مُجِيراً مِنْكَ يُدْنِي وَيَمْنَعُ
تَلَسَّتْ : هَلْ مِنْ شَافِعٍ لِي ؟ فَلَمْ أَجِدْ	سِوَى رَحْمَةٍ أَعْطَاكَهَا اللَّهُ تَشْفَعُ
لَنْ جَلَّتِ الْأَجْرَامُ ^(٤) مِنْي وَأَقْطَعْتُ	أَمْفُوكَ عَنْ جَرْمِي أَجَلٌ وَأَوْسَعُ
لَنْ لَمْ تَسْعِنِي يَا بَنَ عَمِّ عَمْدٍ	فَمَا عَجَزْتُ عَنْيَ وَسَائِلَ أَرْبَعُ
طُبِعَتْ عَلَيْهَا صِبْغَةٌ ثُمَّ لَمْ تَزَلْ	عَلَى صَالِحِ الْأَخْلَاقِ وَالِدِينَ تُطْبَعُ

* الأغانى : ٢٠ - ٢٦ (طبعة الساسى) .

- (١) هو عبد نشأ باليمامة ، واشترى للمهدي في حياة المنصور ، فلما سمع شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان ، فأعتقه وزوجه ، وأقطعه ضيعة بالسوداء ، توفي سنة ١٧٥ هـ .
(٢) مهرة بن جيدان : أبو حمى في اليمن ، والإبل المهربية منسوبة إليه (٣) سلمى هنا : جبل
(٤) الأجرام : الذنوب .

تَعَابِيكَ عَنْ ذِي الذَّنْبِ تَرْجُو صِلَا حَهُ
وَعَفْوُكَ عَمَّنْ لَوْ تَكُونُ جَزِيَّتَهُ
وَأَنَّكَ لَا تَنْفَكُ تَنْعَشُ عَائِراً
وَحَدِّكَ عَنْ ذِي الْجَهْلِ مِنْ بَعْدِ مَا جَرَى
وَأِنِّي لَوْلَاكَ الَّذِي إِنْ جَفَوْتَهُ
وَأِنِّي لَمَوْلَاكَ الضَّعِيفِ فَأَعْنِي
ثم تشفع له الهادي وأعتقه ، وأمضى المهدي ذلك له ، وأمر بحديده ففك عنه ،
وخلع عليه عدة من الخلع ، ووصله بألني دينار ، وأمر له بجارية يقال لها جعفره ،
جميلة فائقة ، فقال له سالم قيم الرقيق : لا أدمعها إليك أو تعطيني ألف درهم ، فماد
إلى المهدي وأنشده :

مَازَلْتَ تَبْذُلُ لِي الْأَمْوَالَ مَجْتَهِدَاً
زَوَّجْتَنِي يَا بِنَ خَيْرِ النَّاسِ جَارِيَةً
زَوَّجْتَنِي بَضَّةً بِيضَاءَ نَاعِمَةً
حَتَّى تَوَهَّمْتُ أَنَّ اللَّهَ عَجَّلَهَا
فَسَأَلَنِي (٤) سَالِمٌ أَلْفًا فَقُلْتُ لَهُ :
هِيَ بَاتُ أَلْفِكَ إِلَّا أَنَّ أَجْبَىءَ بِهَا
حَتَّى لِأَصْبَحْتُ ذَا أَهْلٍ وَذَا مَالٍ
مَا كَانَ أَمْثَالَهَا يُهْدَى لِأَمْثَالِي
كَأَنَّهَا دُرَّةٌ فِي كَفِّ لَالٍ (٣)
يَا بِنَ الْخِلَافِ - لِي مِنْ خَيْرِ أَعْمَالِي
أَنِّي لِي الْأَلْفُ ؛ يَا قَبِّحْتَ مِنْ سَأَلِ !
مِنْ فَضْلِ مَوْلَى لَطِيفِ الْمَنِّ مِفضَالِ
فَأَمَرَ لَهُ الْمَهْدِيُّ بِأَلْفِ دِينَارٍ ، وَلسَالِمٍ بِأَلْفِ دَرَاهِمٍ .

(١) الخم : الطالع (٢) العنق في الاصل : نوع من السيد (٣) اللال : بالهمزة المؤنثة .
(٤) سألني : سألني .

١١٨ - أئته الخلفة منقادة*

جلس المهدي للشعراء يوماً فأذن لهم ، وفيهم بشار^(١) وأشجع ؛ وكان أشجعُ
ياخذُ عن بشارٍ ويُعظِّمه ، وكان في القوم غيرَ هذين أبو العتاهية^(٢) ، قال أشجعُ :
فلما سمع بشارُ كلامَ أبي العتاهية قال : يا أخا سليم ! أهذا ذلك الكوفيّ الملقب ؟
قلت : نعم ا قال : لا جزى الله خيراً من جمَعنا معه . ثم قال له المهديّ : أنشد ،
فقال : ويحك ! أو يُستنشد أيضاً قبلنا ! فقلتُ : قد ترى ، فأنشد :

ألا مالسيدي مالها أدلاً فأحيلَ إذلالها
وإلا فقيم تجنّت وما جنيتُ سقى الله أطلالها
ألا إن جاريةً للإمام م قد أسكن الحسن سيربأها
مشت بين حورٍ قصار الخطا تُجاذبُ في المشى أكفأها
وقد أنعبَ اللهُ نفسى بها وأنعبَ باللوم عذالها

قال أشجعُ : فقال لي بشار : ويحك يا أخا سليم ! ما أدرى من أي أمرينه
أعجب : أمن ضعف شعره ، أم من تشبيهه بجارية الخليفة ، وهو يسمع ذلك بأذنه !
حتى أتى على قوله :

* الأغاني : ٤ - ٣٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) هو فارسي الأصل ، أخذ أبوه في سبي للمهلب بن أبي صفرة ، ثم ولد بشاراً ، وأعتق .
ولد أعمى قبيح النظر ، ونبغ في الشعر ، فكان رئيس شعراء العصر العباسي غير مدافع ، وتوفى
سنة ١٦٧ هـ . (٢) أبو العتاهية : اسمه إسماعيل بن القاسم ، نشأ بالكوفة ، وعالج الشعر صبيّاً
خليعاً ، ثم ألم بذهاب النكلمين والفلاسفة ، وظهر ذلك في شعره . مات سنة ٢١١ هـ .

أنته الخليفة منقاداً إليه تجرُّرُ أذيالها
فلم تك تصلحُ إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
ولوراثتها أحد غيره زلزِلتِ الأرضُ زلزَالَها
ولو لم تُطعمه بنات^(١) القلوب لبا قَبيلَ الله أعمالها
وإن الخليفة من بُغضٍ «لا» إليه كَيْبُغِضُ مَنْ قالها

قال أشجع : فقال لي بشار ، وقد اهتزَّ طرباً : ويحك يا أخا سليم ! أتري
الخليفة لم يطير عن فراشه طرباً لما يأتي به هذا الكوف .

١١٩ — صريع الغواني*

خرج مُسْلِمٌ^(١) بن الوليد ذات يوم ، فلقى يزيد بن منصور الحميريّ بباب الرّشيد ، فسلم فردّ عليه السلام ، ورحب به ، وسأله عن شأنه فخبّره ، وسأله أن يقربّه من الخليفة ، وأن يحمّله حتى يُعدّ في مَكْزِحِيهِ ، ومن يجرى عليه أرزاقه ! فقال له الحميريّ : سأتاني لوصولك إلى أمير المؤمنين .

فدخل الحميريّ ، فأصاب أمير المؤمنين لقس^(٢) النفس ، قد اشتمل عليه الفكرُ في سرعة تقصّي أمور الدنيا ، وأنه لا يتشبّثُ منها بشيء إلا كان كالظلمة الزائل ، والسراب الخادع ! فقال له جعفر بن يحيى : يا أمير المؤمنين ؛ أفتظنّ أن هذا الفكر يحبسُ عليك الأيام ، ويمنعك مما لا يستمتع به ؛ إنما هذا الذي أنت فيه عارض عرض لك ، وقد كان ملك من الملوك حكيماً يقول : ألمٌ مفسدة للنفس ، ومضلة للفهم ، ومشدّهة للقلب ، ومن أعظم الخطأ التشاغلُ بما لا يمكن دفعه .

وقال له سليمان بن أبي جعفر : يا أمير المؤمنين ؛ قد قال لقمان الحكيم : من يملك يستأثر ، ومن لا يستأثر يندم ، والممّ نصف الهرم ، والفقر الموت الأكبر .

* المحاسن والمساوي : ٢٥٣ (طبع لبيزج) .

(١) مسلم بن الوليد : من أبناء الأنصار ، كان مداحاً حسناً ، لطيف المعنى رقيق القول ، مدح يزيد ابن مزيد والبرامكة والرّشيد ، وولاه الأمانون بريد جرجان ، ولم يزل بها إلى أن مات سنة ٥٢٠ هـ .

(٢) يقال : لقتت نفسه من الشيء : انصرفت .

فكان الرشيد نشيط ، واندفع عنه ما اعتراه من ذلك الفكر ، فقدم إليه الحميري ، وقال : يا أمير المؤمنين ؛ خلقتُ بالباب أنفًا رجلاً من أخوالك الأنصار ، متقدما في شعره وأدبه وظرفه ؛ أنشدني قصيدة يذكر فيها أنسه ولهوه ولعبه ومحدثه إخوانه ، ويذكر مجالس اتصلت له بأبلغ قولٍ وأحسن وصفٍ وأقرب رصفٍ ، يبعثُ والله على الصبابة والفرح ، ويباعد عن الهم والتّرح ، وكأنه قد وفق - يمين أمير المؤمنين ، وسعادة جدّه - لأن يكون مُبرِّئاً من هذه الشكوى ، زائداً في سرور أمير المؤمنين ، مستدعيّاً له صلّة رَجِّه ، والتشرف بخدمته .

فاستفرّج السرور والقلق إلى دخوله ، واستماع قصيدته ، وجعل يتابع الرسل بعضهم في أثر بعض ، حتى دخل ، وكان حلو الشائل ، فوصل إليه في وقتٍ قد كان خرج فيه من رسم الشباب وشرّته ، ولم يكن في عداد من اضطرب سنّاً ، وكان - ناهيك من رجلٍ معه فهمٌ وتجربة وتمييز ومعرفة ، فأهمل حتى سكن ، ثم أذن له في الجلوس ، فأنبرى مسلم ينشد قصيدته التي يقول فيها :

أدير أعلّى الكأس لا تشرباً قبلي	ولا تطلباً من عند قاتلي ذحلي ^(١)
فما جزعى أنى أموتُ صبابةً	ولكن على من لا يحيلُ لها قتلي
أحبُّ التي صدّتْ وقالت لتربيها :	دعيه ؛ الثرياً منه أقربُ من وصلي !
بلى ربّما وكّلتُ عيني بنظرةٍ	إليها تزيدُ القلبَ خبلاً على خبيلِ
كتمتُ تباريحَ الصبابةِ عاذلي	فلم يدرِ ما بي ، واسترحتُ من العذلِ

إلى أن قال :

(١) الذحل : الثأر .

إذا ما عَلَتْ منَا ذُؤَابَةٌ وَاحِدٍ تَمَشَّتْ بِهِ مَشَى المَقِيدِ فِي الوَحْلِ
فلا نَحْنُ مِتْنَا مَوْتَةَ الدهرِ بِنَفْسَةٍ وَلَا هِيَ عَادَتْ بِمَدْعَلٍ وَلَا نَهْلِ
سَأَقَادِ لِلذَّاتِ مُتَبِعِ الهَوَى لِأَمْضَى هَمًّا أَوْ أُصِيبَ فَتَى مِثْلِي
هل المِيشُ إِلَّا أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصَّبَا وَتَقْدُوصِ رِيحِ الكَأْسِ وَالْأَعْيُنِ التَّجْلِ!

فجعل الرشيدُ يتطاول لها ، ويستحسن ما حكاه من وصف شرابٍ ولهو
وَعَزَلَ ومسهولة ألقاظ ؛ فأمر له بجال ، وأمر أن يتخذ له مجلس يتحول إليه ، وجعل
الرشيد وأحبابه يتناشدون قصيدته ، فسامه يومئذ - بأخر بيت من شعره : صريع
الغواني !

١٢٠ — الرشيد وابن منذر *

قال ابن منذر^(١) : حج الرشيدُ بعد إيقاعه بالبرامكة ، وحجَّ معه الفضلُ بن الربيع ، فبيأتُ فيه قولاً أجدتُ تميمه ، وتَنَوَّقتُ^(٢) فيه ، فدخلتُ إليه في يوم التروية^(٣) ، وإذا هو يسألُ عني ويطلبني ؛ فبدرني الفضلُ بن الربيع قبل أن أتكلم فقال : يا أمير المؤمنين ؛ هذا شاعر البرامكة ومداحهم — وكان البشْرُ ظهر لي في وجهه لما دخلتُ — فتنكرَ وعبس في وجهي ، فقال الفضل : مره يا أمير المؤمنين أن يُنشدك قوله فيهم :

* أتانا بنو الأملاك من آل برمك *

قال : أنشدني ، فأبيت ، فتوعدني وأكرهني فأنشدته :

أتانا بنو الأملاك ^(٤) من آل برمك	فياطيب أخبارٍ وياحسنَ منظرٍ !
إذا وردوا بطحاءَ مكة أشرفت	يبحي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فتظلم بنفداد ويجولنا الدجى	بمكة — ما حجوا — ثلاثة أقمُرٍ
فاصلحت إلا لجلود أكفهم	وأرجلهم إلا لأعوادٍ منبرٍ
إذا راض يحيى الأمر ذلت ^(٥) صعابُه	وحسبك من راعٍ له ومدبرٍ

* الأغاني : ١٧ — ٢٥ (طبعة السامى)

(١) هو محمد بن منذر ، شاعر فصيح مقدم في العلم بال لغة ، كان في أول أمره ناسكاً متألهاً ، ثم عدل عن ذلك فهجا الناس ، وتهتك وخلع وقذف أعراض أهل البصرة ، ومدح المهدي ، ومات في أيام المأمون (٢) تنوقت فيه : بالفت في تجويده (٣) التروية : يوم قبيل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذى الحجة (٤) الأملاك : الملوك (٥) سهلت .

ترى الناس إجلالا له وكأنهم غرائيق^(١) ماء تحت بازٍ مصرصر^(٢)
ثم أتبعْتُ ذلك بأن قلت : كانوا أولياءك يا أمير المؤمنين أيام مدحتهم ، وكانوا
في طاعتك ، لم يلحقهم سَخَطُكَ ، ولم تخلُ بهم نِقْمَتُكَ ، ولم أكن في ذلك مبتدِعًا ،
ولا خلا أحدٌ من نظرائي من مدحهم ، وكانوا قوماً قد أطلتني فضلهم ، وأغناي
رِفْدُهم ، فأثبتت بما أولوا .

فقال : يا غلام ؛ العظم وَجْههُ ، فلطِمت والله حتى سَدِرْتُ^(٣) وأظلم ما كان بيني
وبين أهل المجلس . ثم قال : اسحبوه على وجهه ، والله لأحرمنك ، ولا تركتُ
أحدًا يعطيك شيئًا في هذا العام ا فسُحِبْتُ حتى أُخرجت .

وانصرفت وأنا أسوأ الناس حالًا في نفسى وحالى ، وما جرى على ؛ لا والله
ما عندى ما يكتفى عيالى لعيدهم ، فإذا بشاب قد وقف على ؛ ثم قال : أعزِزْ على والله
يا كبيرنا بما جرى عليك ، ودفع إلى صُرَّة ، وقال : تَبَلِّغْ بما في هذه ا فظننتها
دراهم ، فإذا هي ثلثمائة دينار ؛ فقلت : من أنت ؟ جعلنى الله فداك ! قال : أنا أخوك
أبو نواس ، فاستمنْ بهذه الدنانير واعذرنى ، فقبلتها وقلت : وصَلِّك الله يا أخى ،
وأحسن جزاءك !

(١) الغرائيق : جمع غرنوق ؛ وهو طائر أبيض من سيور الماء (٢) المصرصر : من برج الصوت (٣) سدر بصره : أظلم ولم يبصر .

١٢١ - ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب *

امتدح ربيعة الرقي^(١) العباس بن محمد بن علي ؛ بقصيدة لم يسبق إليها ،
يقول فيها :

لو قيل للعباس : يا بن عمدي ؛ قل : « لا » وأنت مُخَلَّدٌ ما قالها
ما إن أَعُدُّ من المكارم خَصْلَةً إلا وجدتكَ عَمَّهَا أو خَالَها
وإذا الملوكُ تساورت في بَلَدَةٍ كانوا كواكبها وكنْتَ هِلاها
إن المكارم لم تَزَلْ مَعْقُولَةً^(٢) حتى حَلَّتْ بِرَاحَتِكَ عِفَالها

فبعث إليه العباس بدينارين ، وكان يقدر فيه ألفين ، فلما نظر إلى الدينارين
كاد أن يُجَنَّ غضباً ، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن ترد إلى الرقعة
من حيث لا يدري العباس ، ففعل الرسول ذلك ، فأخذها ربيعة وأمر من كتب
في ظهرها .

مدحتك مدحة السيف المحلّي لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحة ذهب ضياعاً كذبت عليك فيها وانفريت

* الأغاني : ١٥ - ٣٨ (طبعة الساسي) ، نهاية الأرب : ٣ - ٢١٥ ، معجم الأدياء : ١١ - ١٣٤
(١) اسمه ربيعة بن ثابت ، وكان ينزل الرقة ، وبها مولده ومنشؤه . وكان من الشعراء الكثيرين
المجيدين ، ولكن خل ذكره عن طبقته لبعده عن العراق وتركه خدمة الخلفاء ومخالطة الشعراء ،
ومع ذلك فما عدم مفضلاً مقدماً له . ومات سنة ١٩٨ هـ (٢) عقل البعير : شد وظيفه إلى
فراعه ، وهو استعارة من هذا .

ثم دفعها إلى الرسول ، وقال : ضَمَّها في الموضع الذي أخذتها منه ، ففعل .
فلما كان من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات ، غَضِبَ ، وقام
من فَوْرِهِ ، فركب إلى الرشيد - وكان أُثِيرًا^(١) عنده يبجله ويقدمه ، وكان قد همَّ
أن يخطبَ إليه ابنته - فرأى الرشيد الكراهةَ في وجهه ، فقال : ماشأناك ؟ قال :
هجانى ربيعةُ الرِّقَى .

فأحضره الرشيد ، وقال له : أتتهجوعى وآثرَ خلقِ الله عندي ! لقد هممتُ أن
أضربَ عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ والله لقد امتدحتَه بقصيدةٍ ماقال أحدٌ مثلها
من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء ، ولقد بالغتُ في الثناء ، وأكثرتُ من الوصف ؛
فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرَ بإحضارها فعل .

فلما سمع الرشيد ذلك سَكَنَ غضبه ، وأحبَّ أن ينظر في القصيدة ، فأمر العباس
بإحضارها ، فتلكأ عليه ، فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين إلا أمرتَ
بإحضارها . فأحضرت ، فإذا فيها القصيدةُ بعينها ؛ فاستحسنها واستجادها ، وأعجب
بها ، وقال : والله ماقال أحدٌ من الشعراء في أحدٍ من الخلفاء مثلها ، ولقد صدق
ربيعةُ فبرت .

ثم قال للعباس : كم أثبتتهُ عليها ؟ فسكتَ العباس ، وتغيَّرَ لونه ، وغَضِبَ بريقه ،
فقال ربيعةُ : أثنابنى عليها بدينارين يا أمير المؤمنين ! فتوهمَّ الرشيد أنه قال ذلك من
اللوحدَةِ^(٢) عليه ، فقال : بحياتى يارِقى كم أثنابك ؟ فقال : وحياتى يا أمير المؤمنين
ما أثنابنى إلا بدينارين .

فغضب الرشيد غضباً شديداً ، ونظر في وَجْه العباس ، وقال : سوءة لك ! آية

(١) أثيرا : مكرما (٢) الموجدة : الغضب .

حال قعدت بك عن إتابته؟ أقله مال؟ فوالله لقد مَوَّلْتُكَ جهدي^(١) ، أم انقطاع
المادة عنك؟ فوالله ما انقطعت ، أم أصلك؟ فهو الأصل الذي لا يُدانيه شيء ، أم
نفسك؟ لا ذنبَ لي ! بل نفسك والله فعلتُ بك ذلك حتى فضحتَ أجدادك
وفضحتني وفضحتَ نفسك ، فنكسَ العباس رأسه ، ولم ينطق .

فقال الرشيد : يا غلامُ ؛ أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألفَ درهمٍ وخِلمَةً ، واحمله

على بغلة .

ثم قال له : بحياتي لا تذكره في شيء من شعرك تعريضاً ولا تصريحاً ، وقتَر

الرشيد عما كان قد همَّ به من أن يتزوج إليه ، وأظهر له بعد ذلك جفَاءً واطراحاً .

(١) موله : أعطاه مالا كثيراً ، والجهد : الطاقة .

١٢٢ — شاعر بين يَدَيِ الرشيد*

قال أحمد بن سعيد الباهلي : كنتُ عند الرشيد ، فدخل عليه أشجع^(١) السلمي
وَمَنْصُور التَّمْرِي^(٢) ، فَأَنْشَدَهُ أَشْجَعُ :

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ أَلْقَتْ عَلَيْهِ جَمَالَهَا الْأَيَّامُ
قَصْرٌ سَقُوفُ الْمَزْنِ دُونَ سَقُوفِهِ فِيهِ لِأَعْلَامِ الْهَدْيِ أَعْلَامُ
فِيهِ اجْتَلَى الدُّنْيَا الْخَلِيفَةُ وَالتَّقَتْ لِلْمَلِكِ فِيهِ سَلَامَةٌ وَسَلَامُ
نَشَرَتْ عَلَيْهِ الْأَرْضَ كَسَوْتِهَا الَّتِي نَسَجَ الرَّبِيعُ وَزَخَّرَفَ الْإِرْهَامُ^(٣)
أَدْنَتْكَ مِنْ ظِلِّ النَّبِيِّ وَصِيَّةٌ وَقَرَّابَةٌ وَشَجَتْ^(٤) بِهَا الْأَرْحَامُ
بَرَقَتْ سَمَاوُكَ فِي الْعَدُوِّ وَأَمْطَرَتْ هَامًا لَهَا ظِلُّ السِّيُوفِ غَمَامُ
وَإِذَا سِيُوفُكَ صَافَحَتْ هَامَ الْعَدَا طَارَتْ لَهْنٌ عَنِ الرَّيْوسِ الْهَامُ
نَثْنَى عَلَى أَيَّامِكَ الْأَيَّامُ وَالشَّاهِدَاتُ : الْحَلُّ وَالْإِحْرَامُ

ولما بلغ قوله :

وعلى عدوك يا بن عم محمدٍ رَصْدَانِ ضَوْؤِهِ الصُّبْحِ وَالْإِظْلَامُ

* أمالي المرتضى : ٤ - ١٧٨ ، الأغاني : ١٢ - ١٩ ، ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسي) .

(١) هو أشجع بن عمرو السلمي ، نشأ بالبصرة وقال الشعر وأجاده ، وعد من الفحول ، ثم اتصل بالبرامكة ، واختص بجعفر بن يحيى فأعجب به وأوصله إلى الرشيد (٢) منصور التمرى : نشأ في الجزيرة بين النهريين ، أخذ عن كلثوم العنابي ، ثم قصد إلى البرامكة ، ومدحهم ، ثم قال الشعر السياسي ووصل به إلى الرشيد (٣) الرهمة : الطر الضعيف الدائم ، والجمع رهم (كُتِبَ) ، وأرهمت السماء : أنت بالرم (٤) وشجت : علفت .

فإذا تنبه رُعْتَه وإذا غَفَا سَأَتْ عَلَيْهِ سِيوفُكَ الْأَحْلَامُ
فاستحسن ذلك الرشيد؛ وأوماتُ إلى أشجع أن يَقَطَعَ الشَّعْرَ؛ إذ علمتُ أنه
لا يأتي بمثلها فلم يفعل. ولما أنشده ما بعدها فتر الرشيد وضرب بِمُخَصَّرَةٍ (١)
كانت بيده الأرض، واستنشد منصوراً النمرى، فمرَّ والله في قصيدةٍ قلماً تقولُ
العربُ مثلها، ومطلعها:

ما تنفضي حَسْرَةً مَنِي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَاباً لَيْسَ يُرْتَجَعُ
بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِلَذَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامُ لَهَا خُدَعُ
ولما بلغ إلى قوله:

ما كنتُ أوفى شَبَابِي كُنْهَ غِرَّتِهِ حَتَّى انْقَضَى إِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ

قال الرشيد: أحسن والله! لا يتهنى أحدٌ يعيش حتى يخطر في رداء الشَّباب.
ولما بلغ إلى قوله:

أى امرئٍ بات من هارون في سَخَطِ فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِن الْمَكَارِمُ وَالْمَعْرُوفُ أَوْدِيَةٌ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَنْتَجِعُ
إِذَا رَفَعْتَ امْرَأً فَاللَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ مُتَّعِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ وَالْأَبْطَالُ مُعَلِّمَةٌ يَوْمَ الْوَعْدِ وَالْمَنَائِيَا بَيْنَهُمْ قُرْعُ

رمى الرشيد بالخِوان بين يديه، وصاح وقال: هذا والله أطيبُ من كل طعام؛
وأعطاه سبعة آلاف دينار.

(١) الخُمرة: ما يتوكأ عليه: كالعصا ونحوها، وما يأخذه الملك يشير به إذا خاطب والحطاب إذا خطب.

قال أحمد بن سعيد : فلما خرجنا قلت لأشجع : غزرتك أن تقطع فلم تفعل ،
ويلك ! ولم تأت بشيء ، فهلا مت بعد البيتين أو خرست ، فكنت تكون
أشعر الناس !

١٢٣ — يبابك أنزلت حاجتي *

قصده أعرابي مالك بن طوق التغلبي^(١) صاحب الرحبة^(٢) ، وكان رث الهيئة ،
زرى الحال ، فمنع من الدخول عليه مدة ، إلى أن خرج مالك ذات يوم يريد الزهة
حول مدينته ؛ فاعترض له الأعرابي ، فردّه رجاله ازدراء به ، فلم يثن ؛ بل اقترب
منه حتى أخذ بعنان فرسه ، ثم قال : أيها الأمير ؛ أنا عائد بك^(٣) من شر حرّسك ا
فَنَنَّهُمْ^(٤) عنه ، وقال له : ما حاجتك ؟ قال : أن تُصغى إلى كلامي بسمعك ،
وتنظر إلى بطرفك ، وتُقيل على بوجهك ، ثم أنشد :

يبابك دون الناس أنزلت حاجتي وأقبلت أسمى نحوه وأطوف
ويمنعني الحجاب والليل مُسِيل وأنت بعيد الرجال صفوف
يطوفون حولي عابسين كأنهم ذئابٌ جياعٌ بينهنّ خروف
فكيف وقد أبصرت وجهك مقبلا تردّ امرأ وذاك وهو لهيف
ومالي في الدنيا سواك وما لمن تركتُ ورأى مَرَبَع^(٥) ومنصيف

* غرر الحقائق : ١٦٨

(١) مالك بن طوق : أحد ندماء الرشيد ، أقطعه أرضاً بناها ونسبت إليه ثم خرج على الرشيد
فأخذ إليه الجيوش حتى ظفروا به ، وحبس ، ثم عفا عنه (٧) مدينة جميلة بين بغداد والرقّة ،
بناها مالك على الفرات ، وساعده الرشيد على بنائها بالأموال والرجال (٣) عاذ به : لجأ إليه
(٤) نَنَّهُمْ : زجرهم وكفهم (٥) المربع : منزل التوم في الربيع خاصة .

فَجُنْتُكَ أَبْنَى الْخَيْرِ مِنْكَ فِرَاعِي يَا بَابِكَ مِنْ ضَرْبِ الْعَبِيدِ صُنُوفُ
فَلَا تَجْعَلَنِي لِي نَحْوَ بَابِكَ عَوْدَةً قَلْبِي مِنْ صُنْعِ الْقِسَاءِ مَخُوفُ
فَضَحَكَ مَالِكٌ ، ثُمَّ قَالَ لِحِرَاسِهِ : مَنْ يَعْطِيهِ دِرْهَمًا بِدِرْهَمَيْنِ ؟ فَمَا أْتَمَّ كَلِمَتَهُ حَتَّى
نُثِرَتْ الدِّرَاهِمُ عَلَى الْأَعْرَابِيِّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى تَحْمِرَ ، وَاخْتَلَطَ لَدَيْهِ الْحَابِلُ بِالنَّائِلِ ؛
لِكَثْرَةِ مَا أُعْطِيَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ التَّفَتَّ إِلَى مَالِكٍ ، وَقَالَ لَهُ : هَلْ بَقِيَتْ لَكَ حَاجَةٌ يَا أَخَا الْعَرَبِ ؟
قَالَ : أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا . فَقَالَ : وَإِلَى مَنْ ؟ قَالَ . إِلَى اللَّهِ أَنْ يَبْقِيَكَ لِلْعَرَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ
لَنْ يَزَالُوا يَنْجِرُ مَا بَقِيَْتَ لَهُمْ !

١٢٤ - النكث في البيع خير من خيانة الشريك *

جلس مالك بن طوق في قصره ، في شُبَّاک مطل على رَحْبَتِهِ ، ومعه جساؤه ؛
فأقبل أعرابي تَخْبُءُ^(١) به ناقته . فقال : إِيَّايَ أَرَادَ ، ونَحْوِي قَصْدَ ، ولعل منه أدبا
يَنْتَفِعُ بِهِ . ثم أمر بِإِدْخَالِهِ .

فلما مَثَلَ بين يديه قال : ما أقدمك يا أعرابي ؟ قال : سَيْبُ^(٢) الأمير ، ورجاء
نائله ؛ قال : هل قدّمتَ أمامَ رَغْبَتِكَ وسيلة ؟ قال : نعم ! أربعة آياتٍ قَلَّمْتُ بِظَهْرِ
البرية ، فلما رأيت ما يبب الأمير من الهَيْبَةِ والجلال استحققتها واستصغرتُها .
قال : فهل لك أن تُنْشِدَنا آياتَكَ على أن نَجِيزَكَ عليها ألفَ درهمٍ ؛ فإن كنت ممن
أَحْسَنَ رَجْحَنَا ، وإلا فقد نِلْتَ مُرَادَكَ ، وربحتَ ! قال : رضيتُ ، وأنشده :

وما زلتُ أَخْشَى الدهرَ حَتَّى تَمَلَّقْتُ يداي بمن لا يَتَّقِي الدهرَ صاحِبُهُ
فلما رَأَيْتُ الدهرُ نَحْتِ جَنَاحِهِ رأى مرتقى صعباً مَنِيحاً مَطَالِبُهُ
رَأَيْتُ بِحَيْثُ النجمِ في رَأْسِ بَاذِخٍ^(٣) تَظَلُّ الورى أَكْنَافُهُ وجوانِبُهُ
فَتِي كَسَاءِ الفَيْثِ والنَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا قُحِطُوا^(٤) جادت عليهم سَحَابُهُ

فقال : والله ظَفَرْنَا يا أعرابي ، وَرُزِقْنَا الفَلَجَ^(٥) عليك ، والله ما قِيمَتُهَا إِلا
عَشْرَةُ آلافِ درهمٍ . قال : فإن لي صاحباً شارَكْتُهُ فيها ، وما أراه يَرْضَى بِيَعِي . قال :

* ذيل زهر الآداب : ٢٨٢ .

(١) الخب : نوع من السير (٢) السيب : العطاء والمعروف (٣) باذخ : عال (٤) قحطوا :
أصابهم القحط ، وهو الجدب (٥) الفلاج : الفوز والظفر .

أتراك حدثتكَ نفسك بالتَّكْثِ (١)؟ قال : نعم ! وجدت النَّكثَ في البيعِ خيراً
من خيانة الشريك ، فأمر له بمشرة آلاف دينار .

١٢٥ - باتت تميرني الإقتار والمدما *

قال الأضمعي : لقيت أعرابياً بالبادية فاسترشدته إلى مكان ، فأرشدني
وأُشدني :

ليس العمى طولَ السؤال وإتماً تمام العمى طولُ السكوتِ على الجمل
فكن سائلاً عما عناك فإتما خلقت أخوا عقل لتسأل بالعقل
ثم رجعتُ إلى البصرة فكتبتُ بها حيناً ؛ ثم قدمتُ البادية ، فإذا بالأعرابي
جالس بين ظَهْرَاني قوم ، وهو يقضي بينهم ، فارأيتُ قضيةَ أخطأتُ قضيةَ الصالحين
من أفضيته ، ثم جلستُ إليه وقلت : يرحمك الله ، أما من رشوة ! أما من هدية !
أما من صِلَة ! فقال : إذا جاء هذا ذهب التوفيق . فشكوتُ إليه ما ألقى من
عَدْلِ حليّةٍ لي إياي في طلب المعيشة ، فقال : لستَ فيها بأوحد ، وإني لشريكك ،
ولقد قلت في ذلك شعراً ، قلت : أنشدني ، فأنشدني :

باتتُ تميرني الإقتار والمدماً لما رأت لأخيها المال وانخدماً
عُنفُ رأيك ما الأرزاق من جلدٍ ولا من العجزِ بل مقسومة قسماً
بأمة الله إني لم أدعُ طلباً للرزق - قد تعلمين - الشرقة والشاماً

* أمالي المرتضى : ٢ - ١٤٠

(١) بنقض المهد .

لو كان من جلد ذالمال أو أدب
أرضى من العيش ما لم تحوجي معه
واستشعري الصبر على الله خالقنا
لا تحوجيني إلى ما لو بذلت له
بالله سرّك أب الله خولني
ماسرني أنني خولت ذاك ولا
وأنتي لم أفد عقلاً ولا أدباً
ففسرة المرء أخرى في معاشك من
قال : فوالله ما أنشدتها زوجي حتى حلفت ألا تعذّلي أبداً .

لكنت أكثر من نمل القرى نعا
أن تفتحي لسؤال الأغنياء فعا
يوماً سيكشف عفا الضر والعدما
نفسى لأغيبك التهام والنلما
ما كان خوله الأعراب والمعجا
ألا أقول لباغى حاجة نعا
ولا إرث والدى تجداً ولا كرمأ
أمر يجرء عليك المهم والألما

١٢٦ - سَكَنْتَ عَنِّي وَاللَّهِ الْحَمِي *
—

قال الأصمعي : نزلت ليلةً في وادي بني العنبر؛ وهو إذ ذاك فان^(١) بأهله ،
فإذا فتية يريدون البصرة ، فأحببت صُحبَتَهُم ، وأقتُ ليلى تلك ، وإني لَوَصِيبٌ^(٢)
محمومٌ ، أخاف ألا أستمسك على راحلتي ، فلما أقاموا ليرحلوا أيقظوني ، فلما رأوا
حالي حملوني ، وركبَ أحدهم ورائي يُمسكني ، فلما أمعنوا السير تنادوا : الأفتى
يحدو بنا أو يندشنا ؟ فإذا منشدٌ في سواد الليل يُنشد بصوتٍ ندرٍ حزين :

لعمرك إني يومَ بانوا فلم أمتُ خُفَاتًا^(٣) على آثارهم لصبور
غداة المنقى^(٤) إذ رميتُ بنظرةٍ ونحنُ على متنِ الطريقِ نسيرُ
فقلت لقلبي حينَ خفَ به الهوى وكاد من الوجد المبرِّ^(٥) يطير :
فهذا ولما تمض للبين ليلةٌ فكيف إذا مررتُ عليك شهورُ !
وأصبحَ أعلامُ الأحبة دُونها من الأرضِ غولٌ^(٦) نازحٌ ومسير
وأصبحتُ نجدى الهوى مُنهمِ الثوى أزيد اشتياقًا أن يحينَ بعيرُ
عسى الله بعد النأي أن يُسف الثوى ويُجمَع شملٌ بعدها وسرورُ

قال : فسكنتُ والله عني الحمي ما أحسَّ بها ؛ وقلت لرفيقي : انزل يرحمك الله
إلى راحلتك فإني ممَّا سَك ، وجزاك الله عن الصحبة خيرًا !

* أمال المرتضى ٢ - ١٤٢

(١) فان : أهل (٢) الوصب : المرض (٣) مات خفَاتًا ؛ أي فجأة (٤) المنقى : طريق
لغرب إلى الشام ؛ كان في الجاهلية يسكنه أهل تهامة (٥) المبر : الشديد (٦) الغول : بعد الشفة .

١٢٧ - عجوز تُنشد الأعمى شعرا*

قال الأعمى : إني لفي سوق ، وقد نزلتُ على رجلٍ من بني كلاب ، كان متزوجاً بالبصرة ؛ إذ أقبلت عجوز على ناقه لها ، حسنة البزة ، فيها باق جمال ، فأناخت وعقلتُ ناقها ، وأقبلت تنوكتاً على مخجن^(١) لها ، فجلست قريباً منّا ، وقالت : هل من مُنشد ؟ فقلت للكلابي : أيحضرك شيء ؟ قال : لا ، فأنشدتها شعرا لبشر بن عبد الرحمن الأنصاوي :

وقصيرة الأيام^(٢) ودَّ جليسها لو باع^(٣) مجلسها بفقد حميم
من مُخذيّات^(٤) أخى الهوى غصص الجوى بدلال غانية ومثلة ريم
صفراء من بقر الجواء^(٥) كأنما خفر الحياء بها رداعُ سقيم^(٦)
قال : فجتت على ركبتيها ، وأقبلت تحمرش^(٧) الأرض بمخجنها
وأنشأت تقول :

قفي يا أميم القلبِ نقرأ نحيمةً ونشكُ الهوى ثم افعلى ما بدا لكِ
فلو قلت : طأ في النار أعلمُ أنهُ هوى لك أو مُدني لنا من نوالكِ
لقدّمتُ رحلي محوها فوططتها هدى منك لي أو ضلّة من ضلالكِ
سلى البانة العلياء بالأجرع الذي به البانُ هل حييتُ أطلالَ داركِ ؟

* أمالي المرتضى ٢ : ١٣٨

(١) المخجن : العصا الموجهة (٢) يريد : أن أيام جليسها تقصر ، إذ أن أيام السرور موصوفة بالقصر (٣) باع : اشترى ، وهو من الأضداد (٤) يقال : أخذت الرجل ؛ أعطيته (٥) الجواء : موضع (٦) الرداع : الوجع في الجسد ، وكأنه أراد أنها منقبضة منكسرة من الحياء كما يتغير لون السقيم (٧) تحمرش الأرض : تحدها .

وهل قتُ في أطلالهن عشيّةً مقام أخى البأساء واخترتُ ذلكِ ؟
لهنّك إمساكي بكفى على الحشى ورفراق عيني خشيةً من زيالك^(١)

قال الأعمى : فأظلمت على - والله الدنيا بجلاوة منطقتها ، وفصاحة لهجتها ،
فدنوتُ منها وقلت : أنشدتكَ الله لما زدتنى من هذا ! فرأيت الضحك في عينها
وأنشدت :

ومستخفياتٍ ليس يُخفين زُرُننًا يسحّبن أذيال الصّباية والشّكل^(٢)
بجمّعن الهوى حتى إذا ما ملكنه نزعن وقد أكثرنَ فينا من القتل
مريضات رجع الطرف خرس عن الحنا بختل ذوى الألباب بالجدّ والهزل
يمتّفنّى العذال فيهن ، والهوى يحذرُنّى من أن أطيع ذوى العذل

(١) الزيال : المفارقة (٢) الشكل (بالفتح والكسر) : دل المرأة وغزها .

١٢٨ - الأعمى وبعض الأعراب *

قال بعض الرواة : كنا مع أبي نصر راوية الأعمى ، في رياض من المذاكرة ، نَجَّتِنِي ثَمَارَهَا ، وَنَجَّتِلِي أَنْوَارَهَا ، إلى أن أفضنا في ذكر أبي سعيد عبد الملك بن قريب الأعمى ، فقال : رحم الله الأعمى ! إنه لمعدنٌ حِكْمٌ ، وَبِحِرْمِ عِلْمٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ تَرَ قَطْ مِثْلَ أَعْرَابِي وَقَفَ بِنَا فَسَلَمْ ، فقال : أيكم الأعمى ؟ فقال : أنا ذاك ! فقال : أتأذنون بالجلوس ؟ فأذنا له ، وعجبنا من حُسن أدبه ، مع جفاء أدب الأعراب !

قال : يا أعمى ؛ أنت الذي يزعم هؤلاء النفر أنك أتقبهم معرفة بالشعر والعريسة ، وحكايات الأعراب ! قال الأعمى : منهم مَنْ هو أعلم مني ، وَمَنْ هو دوني !

قال : أفلا تشدني من بعض شعر أهل الحضرة حتى أقيسه على شعر أصحابنا !

فأنشده شعراً لرجل امتدح به مسلمة بن عبد الملك :

أَمْسَلَمَ أَنْتَ الْبَحْرَ إِنْ جَاءَ وَارِدٌ	وَلَيْثٌ إِذَا مَا الْحَرْبُ طَارَ عُنُقَابُهَا ^(١)
وَأَنْتَ كَسِيفَ الْهِنْدَوَانِي ^(٢) إِنْ غَدَتُ	حَوَادِثٌ مِنْ حَرْبٍ يَعْبُ عُنُقَابُهَا
وَمَا خُلِقْتَ أَكْرُومَةً ^(٣) فِي أَمْرِي لَهُ	وَلَا غَايَةَ إِلَّا إِلَيْكَ مَا بِيهَا
كَأَنَّكَ دِيَّانٌ عَلَيْهَا مُوَكَّلٌ	بِهَا ، وَعَلَى كَفَيْكَ يَجْرِي حِسَابُهَا
إِلَيْكَ رَحَلْنَا الْمَيْسَ ^(٤) إِذْ لَمْ نَجِدْ لَهَا	أَخَاتِقَةً يُرْجَى لَدَيْهِ ثَوَابُهَا

* زهر الآداب : ٢ - ١٠٠

(١) طار عنقابها : كناية عن اشتداد الحرب (٢) الهندواني : منسوب إلى رجال الهند (٣) الأكرومة : فعل الكرم (٤) الميس : الإبل يخالط يياضها شقرة .

فتبسم الأعرابي ، وهز رأسه ؛ فظننا أن ذلك لاستحسانه الشعر ، ثم قال :
يا أصمى ! هذا شعرٌ مهلهلٌ ، خلق النسيج ، خطؤه أكثرُ من صوابه ، يغطي
عيوبه حسنُ الرّوي ورواية النشد ! يشبهون الملك إذا امتدح بالأسد ، والأسد
أنخر شتم^(١) للنظر ، ووربما طرده شير ذمة من إماننا ، وتلاعب به صبياننا ويشبهونه
بالبحر ، والبحر مضعبٌ على من ركبهُ ، مُرٌّ على من شربه ! وبالسيف ، ووربما خان
في الحقيقة ، ونباعن الضريبة ! ألا أنشدتني كما قال صبيٌّ من حيننا !

قال الأصمى : وماذا قال صاحبكم ؟ فأنشده :

الموت يكره أن يلقى منيته في كرهه عند لف الخليل بالخليل
وراح الشمس أبقي الشمس كاسفة أوزاحم الصم الجأها إلى الليل
أمضى من النجم إن نابتة نابتة وعند أعدائه أجرى من السيل
لا يستريح إلى الدنيا وزينتها ولا تراه إليها صاحب القليل
يقصر الجدُّ عنه في مكارمه كما يقصر عن أماله قولي !

قال أبو نصر : فأبهتتنا والله ما سمعنا من قوله .

ثم قال الأعرابي : ألا تنشدني شعراً ترتاح إليه النفس ، ويسكن إليه القلب ؟

فأنشده لابن الرّفاع العاملي :

وناعمة تجلو بعود أراك مؤشرة^(٢) ينبي المعلق طيبها
أراك إلى نجدٍ تحينٌ وإنما مني كل نفسٍ حيث كان حبيبها

فتبسم الأعرابي ، وقال : يا أصمى ؛ ما هذا بدون الأول ، ولا فوقه ؛

(١) شتم : كربه (٢) تأشير الأسنان : تحزيمها .

ألا أنشدتني كما قلت؟ قال الأصمى : وما قلت جُمِلْتُ فذاك ! فأنشده :
تعلقتها بكرةً وعُلقتُ جبهًا قلبي عن كل الورى فارغٌ بكرُ
إذا احتجبت لم يكفك البدر ضوءها وتسكفيك ضوء البدر إن حُجِبَ البدر
وما الصبر عنها - إن صبرت - جدته جميلاً ، وهل في مثلها يحسن الصبرُ !
ولو أن جلد الذر^(١) لامسَ جلدها لكان لِمَسِّ الذرِّ في جلدها أثرُ

فقال لنا الأصمى : اكتبوا ما سمعتم ، ولو بأطراف المدى في رفاق الأكباد .
وأقام عندنا شهراً ؛ فجمع له الأصمى خمسمائة دينار ! وكان يتعاهدنا في الحين
بعد الحين ، حتى مات الأصمى وتفرق أصحابنا !

١٢٩ - شعرٌ مرّيجٌ*

جلس جعفر^(١) بن يحيى بالصَّالِحِيَّةِ^(٢) ، يشرب على مُسْتَشْرِفٍ له فجاهه
أعرابي من بني هلال ، فاشتكى واستباح^(٣) بكلام فصيح ، ولفظٍ مثله يعطف
المستول .

فقال له جعفر: أتقول الشعر ياهلالي؟ فقال: كنت أقوله وأناحدثُ أمّ لَحْ به،
ثم تركته لما صرتُ شيخاً ، قال: فأنشدنا لشاعرٍ كُمُّ حميد بن ثور ، فأنشده قوله:

بَيْنَ الدِّيارِ بِجانِبِ الخُمْسِ كحطّ ذى الحاجاتِ والنفسِ
حتى أتى على آخرها - وكان أشجعُ السُّلَميِّ حاضراً المجلس - فاندفع يُنشد
مديحاً في جعفر ، قاله لوقته على الوزن والقافية :

ذهبتْ مكارمُ جعفرٍ وفعاله في الناسِ مثلَ مذاهبِ الشمسِ
ملكِ تسوسُ له للمعالى نفسه والعقلِ خيرِ سياسةِ النَّفسِ
فإذا تراءتِه الملوكُ تراجموا جهر الكلامِ بمنطقِ همسِ
سادَ البرامكُ جعفرٌ وهمُ الألى بعد الخلائفِ سادةِ الإنسِ

فقال له جعفر: صِفْ موضعنا ، فقال:

* الأغانى ١٧ - ٣٢ (طبعة الساسي)

(١) جعفر بن يحيى : كان على القدر بعيد الهمة عظيم الكرم ، ذا منزلة قريبة عند الرشيد ،
كما كان سمح الأخلاق ، طلق الوجه ، ظاهر البشر ، فصيحاً لسناً ، قتله الرشيد سنة ١٨٧ هـ
(٢) الصالحية : محلة ببغداد (٣) استباح : طلب العطاء .

قُصُور الصَّالِحِيَّةِ كَالْعِدَارِيَّ لِبِسْنِ نِيَابِهِنَّ لِيَوْمِ عُرْسِ
مُطَلَّاتٌ عَلَى بَطْنِ كِسْتِهِ أَيَادِي الْمَاءِ وَشِيَا نَسِجِ غُرْسِ
إِذَا مَا الطَّلُّ أَثَرَ فِي ثَرَاهُ تَنَفَّسَ نَوْرُهُ مِنْ غَيْرِ نَفْسِ
فَتَمُتِقُهُ^(١) السَّمَاءُ بِصَبْغِ وَرْسِ وَتَصْبَحُهُ بِأَكْوَسِ عَيْنِ شَمْسِ

فقال جعفر للأعرابي: كيف ترى صاحبنا ياهلالي؟ فقال: أرى خاطره طوع
لسانه، وبيان الناس تحت ييانه، وقد جعلت له ما تصلني به؛ فقال: بل نصلك
يا أعرابي ونرضيه، وأمر للأعرابي بمائة دينار؛ ولأشجع بمائتين.

(١) الفيوق: شراب العشي، والصبح: شراب الصباح.

١٣٠ — هَوَّنتَ عَلَيَّ الْعَزَلَ*

ولَّى الرشيد جعفر بن يحيى خراسان^(١) ، فدخل عليه الناسُ يُهنئونه ،
ثم دخل عليه الشعراء ، فقام أشجع السلمي آخرهم ، واستأذن في الإنشاد ، فأذنَ
له فأنشد :

أَنْصَبُ لِلْبَيْنِ أَمْ تَجْزَعُ فَإِنَّ الدِّيَارَ غَدًا بَلَقَعُ
غَدًا يَتَفَرَّقُ أَهْلُ الْهَوَى وَيَكْثُرُ بَاكٍ وَمُسْتَرْجِعُ
وَتَفْنَى الطُّلُوعُ وَيَبْقَى الْهَوَى وَيَصْنَعُ ذُو الشُّوقِ مَا يَصْنَعُ

حتى انتهى إلى قوله :

وَدَوَّبَةٌ^(٢) بَيْنَ أَقْطَارِهَا مَقَاطِيعُ أَرْضِينَ لَا تَقْطَعُ
تَجَاوَزْتَهَا فَوْقَ رِبْعَانَةٍ^(٣) مِنْ الرِّيحِ فِي سَبْرِهَا أَسْرَعُ
إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً وَأَيُّ فِتْنَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ !
فَمَا دُونَهُ لِأَمْرِي مَطْمَعُ وَلَا لِأَمْرِي غَيْرُهُ مَقْنَعُ
وَلَا يَرْفَعُ النَّاسُ مِنْ حَطِّهِ وَلَا يَضَعُونَ الَّذِي يَرْفَعُ
يُرِيدُ الْمَلُوكُ مَدَى جَعْفَرٍ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
تَلُوذُ الْمَلُوكِ بِأَبْوَابِهِ إِذَا نَالَهَا الْخَدَثُ الْأَفْطَعُ
بِدَيْهَتِهِ مِثْلُ تَدْيِيرِهِ مَتَى رُمَّتْهُ فَهُوَ مُسْتَجْمَعُ

* الأغانى : ١٧ - ٧ (طبعة الساسى) .

(٢) الدوية : الفلاة

(١) خراسان : بلاد واسعة كانت حدودها أول ما يلي العراق

(٣) الربعانة : الناقة الكثيرة اللبن .

وكم قائلٍ إذ رأى ثروتي ، وما في فضول الغنى أضغُ
غداً في ظلال ندى جعفرٍ يجرُّ ثياب الغنى أشجعُ
قل لخراسان : تحياً فقد أناها ابن يحيى النقي الأروع^(١)

فأقبل عليه جعفرٌ ضاحكاً ، واستحسن شعره ، وجعل يخاطبه مخاطبة الأخ
أخاه ، ثم أمر له بألف دينار .

قال الراوى : ثم بدا للرشيدي في ذلك التدبير ، فعزل جعفرأ عن خراسان بعد
أن أعطاه العهد والكتاب . وعقد له العقد ، وأمر ونهى ، فوجم لذلك جعفر ،
فدخل عليه أشجع وقال :

أمنت خراسان تُمرى بما أخطأها من جعفر المرتجى
كان الرشيدُ المعتلى أمره ولى عليه المشرق الأبلجا
ثم أراه رأيه أنه أمسى إليه منهم أحوجا
فكم به الرحن من كربة في مدة تقصر قد فرجا

فضحك جعفر وقال : لقد هونت على العزل ، وقت لأمير المؤمنين بالعدر ؛
فسلني ماشئت ، فقال : قد كفاني جودك ذلة السؤال ، فأمر له بألف
دينار أخرى .

(١) الأروع : من يبجك بحسنه وجهارة منظره أو بشجاعته .

١٣١ — أرى الأيام لا تُدنى الذي أرتجى *

قال محمد بن أمية^(١) : كنت جالساً بين يدي إبراهيم بن المهدي ، فدخل إليه أبو العتاهية ، وقد تنسك ولبس الصوف ، وترك قول الشعر إلا في الزهد . فرفضه إبراهيم ، وسرَّ به ، وأقبل عليه بوجهه .

قله له أبو العتاهية : أيها الأمير ؛ بلغني خبرُ فتى في ناحيتك ومن مواليك يُعرف بابن أمية ، يقول الشعر ، وأنشدتُ له شعراً فأعجبني ، فما فعل ! فضحك إبراهيم ، ثم قال : لعله أقربُ الحاضرين مجلساً منك .

فالتفت إلى فقال : أنت هو فديتك ؟ قلت له : أنا محمد بن أمية جُمِلتُ فداءك ! وأما الشعر فإنما أنا شاب أعبثُ بالبيت والبيتين والثلاثة كما يعبثُ الشاب . فقال لي : فديتك ؛ ذاك والله زمانُ الشعر وإباته ، وما قيل فيه فهو غرزه وعبوته ، وما زال يُنشطني ويؤنسني حتى رأى أني قد أنستُ به .

ثم قال لإبراهيم بن المهدي : إن رأى الأمير - أكرمه الله - أن يأسره بإنشادي ما حضر من الشعر ! فقال لي إبراهيم : بحيان يا محمد أنشده ، فأنشدته :

رُبَّ وعدٍ منك لا أنساه لي أوجبَ الشكرَ وإن لم تفعلِ

* الأغاني : ١١ - ٣٠ (طبعة الساسي)
(١) محمد بن أمية كاتب شاعر ظريف ، كان ندباً لإبراهيم بن المهدي .

أقطعُ الدهرَ بظنِّ حسنٍ وأجلى غمراً ما تنجلي
كلما أملتُ يوماً صالحاً عرّضَ المكروهُ لي في أملي
وأرى الأيامَ لا تُدني الذي أرتجى منك وتدني أجلي

فبكى أبو القاهية حتى جرت دموعه على لحيته ، وجعل يردد البيت
الأخيرَ منها وينتحب ، وقام فخرج وهو يرددُه ويبكي ، حتى خرج إلى

الباب ا

١٣٢ — حديث عن دِعْبِل *
—

قال عمرو بن مَسْمَدَة : حضرتُ أبا دُلْف عند المأمون - وقد قال له : أى شيء تزوي لأخى خُرَاعَة ؟ فقال : وأى خُرَاعَة يا أمير المؤمنين ؟ قال : ومن تعرف فيهم شاعراً ؟ فقال : أمّا من أنفسهم ؛ فأبو الشَّيْص ودِعْبِل ^(١) وابن أبي الشَّيْص ، وداود ابن أبي رَزِين ؛ وأمّا من مواليتهم فظاهر وابنه عبد الله .

فقال : ومن عسى في هؤلاء أن يُسأل عن شعره سوى دعبيل ! هات ؛ أى شيء عندك فيه ؟ فقال : وأى شيء أقول في رجل لم يترك أهل بيته حتى هجّاهم ، فقرن إحسانهم بالإساءة ، وبذلهم بالمنع ، وجودهم بالبخل ، حتى جعل كل حسنة منهم يزاء سيئة ! قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول في المطلب بن عبد الله ابن مالك - وهو أصدق الناس له ، وأقربهم منه : وقد وفد إليه في مصر ، فأعطاه الجزيل ، وولاه ؛ ولم يمنعه ذلك أن قال فيه :

أضرب ندى طلحة ^(٢) الطلحات متبداً بلوم مُطلبٍ فينا وكن حكاماً

* الأغاني : ١٨ - ٤٤ (طبعة الساسي)

(١) هو دعبيل بن علي بن رزين ، من خُرَاعَة . شاعر مطبوع هجاء خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ، ولا ذى قباة ؛ أحسن إليه أو لم يحسن ، وتوفى سنة ٢٤٦ هـ . (٢) طلحة الطلحات : قيل اسمه طلحة بن عبد الله ، وإنه إنما سمي طلحة الطلحات بسبب أمه ، وهي صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة ، وإن أباها طلحة بن الحارث ، فقد تكلفه هؤلاء الطلحات كما ترى ، وقد مدحه سحبان بن وائل الباهلي ، فقال :

ياطلح أكرم من مثنى حسيباً وأعظام لئالذ
منك العطاء فأعطني وعلى مدحك في المشاهد

فقال له طلحة : احتكم ، فقال : برذونك الورد ، وغلارك الحجاز ، وقصرك الذي يمكن كذا ، وعشرة آلاف درهم . فقال طلحة : أف لك ! سألتني على قدرك ولم تسألني على قدرى ! لو سألتني كل عبد وكل دابة وكل قصر لي لأعطيتك !

تُخْرِجُ خُرَاعَةَ مِنْ لُؤْمٍ وَمِنْ كَرَمٍ فَلَا تَحْسِبْ لَهَا لُؤْمًا وَلَا كَرَمًا
 قَالَ الْمَأْمُونُ : قَاتِلَهُ اللَّهُ ! مَا أَغْوَصَهُ وَالطَّفَةَ وَأَذْهَاهُ ! وَجَعَلَ يَضْحَكُ .
 ثم دخل عبدُ الله بن طاهر ، فقال له : أى شيء تحفظ يا عبدَ الله لدِعبِلِ ؟
 قال : أحفظُ آياتنا له في أهل بيت أمير المؤمنين ، قال : هاتِها ، ويحك ! فأنشده
 عبد الله قوله :

سَقِيًّا وَرَعِيًّا لِأَيَّامِ الصَّبَابَاتِ أَيَّامَ أَرْزَلُ فِي أَنْوَابِ لَذَائِي
 أَيَّامَ غُصْنِي رَطِيبٌ مِنْ لِيَانَتِهِ أَصْبُو إِلَى غَيْرِ جَارَاتٍ وَكُنَّائِي ^(١)
 دَعَّ عَنْكَ ذَكَرَ زَمَانٍ فَاتَ مَطْلَبُهُ وَأَقْذِفْ بِرَحْلِكَ عَنْ مَتْنِ الْجَهْلَالِ
 وَأَقْصِدْ بِكُلِّ مَدِيحٍ أَنْتَ قَاتِلُهُ نَحْوِ الْمُدَاةِ بَنَى بَيْتَ الْكِرَامَاتِ
 فقال المأمون : إنه قد وجد والله مقالا قال ، ونال ببيعيد ذكرهم مالا ينفاله
 في وصف غيرهم .

ثم قال : لقد أحسنَ في وصف سفرٍ سافرَه ، فقال ذلك السفرُ عايه ، فقال فيه :
 أَلَمْ يَأْنِ ^(٢) لِلسَّفَرِ الَّذِينَ تَحَمَّلُوا إِلَى وَطَنِ قَبْلَ الْمَتِّ رَجُوعُ ؟
 فَقُلْتُ - وَلَمْ أَمْلِكْ سِوَابِقِ عِبْرَةٍ : نَطَقْنَ بِمَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ ضُلُوعُ ^(٣)
 تَبَيَّنَ أَمْ دَارُ تَفَرَّقَ شَمْلُهَا وَشَمَلِ ^(٤) شَتِيَّتِ عَادَ وَهُوَ جَمِيعُ
 كَذَلِكَ اللَّيَالِي صَرَفُنَّ ^(٥) كَمَا تَرَى لِكُلِّ إِنْسَانٍ جَذْبَةٌ وَرَبِيعُ ^(٦)

ثم قال : ما سافرت قط إلا كانت هذه الأبيات نصب عيني في سفرى وهجبراي
 ومسلتي حتى أعود !

(١) الكنة : امرأة الابن أو الأخ (٢) يأن : يقرب ويحضر . والسفر : المسافرون
 (٣) العبرة : الدمة ، وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق إلى الوطن والأهل (٤) الفصل :
 اجمع من أمر أو ما تفرق منه ، والشيتت : التفرق ، والجمع : المجتمع (٥) صرف الليالي :
 أحداثها . (٦) جذبة وربيع : حالنا خير وشر .

١٣٣ - دِعْبِلُ عِنْدَ وَالِيِ مِصْرَ *

قال دِعْبِلُ بن علي : حججتُ أنا وأخي رَزِينُ ، وأخذنا كتباً إلى المَطْلَبِ
ابن عبدِ الله بن مالك ، وهو بمِصرَ يتولّوها .

فَصِرْنَا من مكة إلى مصر ، فصحبنا رجلٌ يعرف بأحمد بن السراج ، فما زال
يحدِّثنا ويؤنسنا طولَ طريقنا ، ويتولّى خِدْمَتنا ، كما يتولّوها الرُققاء والأتباع ،
ورأيناه حَسَنَ الأدب - وكان شاعراً ولم نعلم - وكتَمْنَا نَفْسَهُ ، وقد علم ما قصدنا له ؛
فعرضنا عليه أن يقول في المطلب قصيدةً نَنَحِلُهُ إياها ، فقال : إن شئتم ، وأرانا
بذلك سروراً وتقبلاً له ، فعملنا قصيدةً ، وقلنا له تُنَشِّدُهَا المطلب ، وإنك تنتفع بها ،
قال : نعم .

ووردنا مِصْرَ به ، فدخلنا إلى المطلب ، وأوصلنا إليه كتباً كانت معنا ،
وأنشدناه ، فسرَّ بموضعنا ووصفنا له أحمد بن السراج هذا ، وذكرنا له أمره ،
فأذن له ، فدخل عليه ، ونحن نظنُّ أنه سَيُنشِدهُ القصيدة التي نَحْنَاهُ إياها ، فلما مَثَلَ
بين يديه عدلَ عنها وأنشده :

لم آت مُطَلِّباً إلا بمَطْلَبٍ وهمّةٍ بلغت بي غايةَ الرتب
أفردته برجاه أن تشاركه فيِّ الوسائل أو ألقاه في الكتب^(١)
رحلتُ عيسى إلى البيت الحرام على ما كان من وصبٍ فيها ومن نصبٍ

* الأغاني : ١٨ - ٤٧ (طبعة الساسي) .

(١) قال دِعْبِلُ : أشار بهذا إلى الكتب التي أوصلتها إليه وهي بين يديه ، فكان ذلك أشد

على من كل شيء مر بي .

ألقى بها وبوجهي كل هاجرة^(١) تكاد تفتح بين الجلد والعصب
حتى إذا ما قضت نسكي ثنيت لها عطف^(٢) الزمام فأمت سيد العرب
فأتممتك^(٣) وقد ذابت مفاصلها من طول مانع لاقت ومن نقب^(٤)

فصاح مُطلب : لبيك لبيك ا ثم قام إليه ، فأخذه بيده وأجلسه معه ، وقال :
يا غلام ؛ البدر^(٥) فأحضرت ، ثم قال : الخلع ، فنشرت ، ثم قال : الدواب ،
فقيدت ، فأمر له من ذلك بما ملأ عينه وأعيننا وصدورنا ، وحسدناه عليه ؛ وكان
حسدنا له بما اتفق له من القبول وجودة الشعر ، وغيطنا بكتمه إيانا نفسه واحتياله
علينا أكثر وأعظم ، فخرج بما أمر له ، وخرجنا صغراً .

قال الراوى : ومكث دعبل أياماً ، ثم ولّاه المطلب أسوان ، ولكن دعبلا
كان قد هجاه غيطاً منه فقال :

أطلب أنت مستعذب^(٦) حياً^(٧) الأفاعى ومستقل
ستأتيك إما وردت العراق صحائف يأتريها دعبل
منقّة بين أنثاهما مخازي مخطّ فلا ترحل
وضعت رجالاً فاضرهم وشرقت قوماً فلم ينبلوا^(٧)
إذا الحرب كنت أميراً لها فظهم منك أن يقتلوا
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا : مجلوا مجلوا !

(١) الهاجرة : وإنما تكون في القيظ نصف النهار
أمه وأمه بمعنى قصده (٤) قب البعير ؛ إذا حنى
عشرة آلاف (٦) الحميا من كل شيء : شدته
وعاديت قوماً فاضرهم
(٢) عطف الشيء : جانبه (٣) يقال :
(٥) البدر : جمع بدرة (فتح الباء) وهي
(٧) روى هذا البيت :
وقدمت قوماً فلم ينبلوا

هزائمك الغرّ مشهورة يُقرّطس^(١) فيهنّ من ينضّل
فأنت إذا ما التقوا آخره وأنت إذا انهزموا أول^(٢)

وبلغ المطلب هجاؤه إياه بعد أن ولّاه ؛ فمزله عن أسوان ، وأنفذ إليه كتاب
العزل مع مولى له ، وقال : انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة ، فإذا علاه فأوصل
الكتاب إليه ، وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر ، واصعد مكانه ؛ فلما أن علا
المنبر وتسمح ليخطب ناوله الكتاب ، فقال له دِعِيل : دعني أخطب فإذا نزلت
قرأته ، قال : لا ، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتى تقرأه . فقرأه ، وأنزله عن المنبر
معزولاً .

(١) قرطس : أصاب القرطاس ، أي الغرض (٢) قال دعيل : قال لي المطلب : ما تفكرت في
قولك قط :

إن كاترونا جئنا بأسرته أو واحدونا جئنا بمطلب
إلا كنت أحب إلي ، ولا تفكرت واقه في قولك لي :
وعاديت قوماً فسا حرمم وقدمت قوماً فلم ينبلوا
إلا كنت أبغض الناس لي .

١٣٤ — دَعْبِلُ وَعَلَى الرضا*

قال دَعْبِلُ بن علي : دخلتُ على علي بن موسى الرضا - عليه السلام فقال لي :
أُنشِدْنِي شيئاً مما أحدثتَ ، فأنشدته (١) :

مدارسُ آياتٍ خَلَّتْ من تلاوةٍ ومنزلٍ وَحْيٍ مُقْفِرِ العِصَاةِ (٢)
لآلِ رسولِ اللهِ بِالْحَيْفِ من مَنِي وبالرُّكْنِ والتَّعْرِيفِ ، والجَمَرَاتِ
ديارُ عليٍّ والحسينِ وجعفرِ وحمزةِ والسَّجَّادِ ذِي الثَّنَائَاتِ (٣)

حتى انتهيتُ إلى قولي :

بنفسِي أنتم من كهولٍ وفِيئةٍ لَفَكٌ عُنَاةٍ (٤) أو لِحْمَلِ دِيَاتِ
أحبَّتْ قِصَى الرَّحْمِ من أجلِ حُبِّكم وأهجرُ فيكم أنسرتي وبناتي
وأكنتمُ حُبِّيكمُ مَخَافَةَ كاشِحِ عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غيرِ مُؤَاتِ
لقدْ حَفَّتِ الأيَّامُ حولي بشرِّها وإني لأرجو الأمانَ بعد وفاتي
ألَمْ تَرَ أَنِّي من ثلاثينِ حِجَّةً أروحُ وأغدو دائمِ الحسراتِ
أرى فيهمُ في غيرِهمِ متقسِّما وأيديهمُ من قِيَّيْهمِ صَفِرَاتِ

* الأغاني : ١٨ - ٤٢ (طبعة الساسي) ، معجم الأدياء ١١ ، ١٠٨
(١) تعد هذه القصيدة من أحسن الشعر وفاخر المدائح (٢) المرصات : جمع عرصة : وسط
الدار ، والمعنى أنه لا أنيس بها (٣) يعدد أسماء آل البيت ، وذو الثنات علي بن الحسين بن
علي ، وسمي بذلك ، لأن طول السجود أثر في ثناته ، والفتنة من الإنسان : الركبة (٤) العناة :
جمع عان ، وهو الأسير .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ نَحَفٌ جَسُومُهُمْ وَأَلْ زِيَادُ حُفْلُ الْقَصْرَاتِ^(١)
إِذَا وَرَوَا^(٢) مَدُّوا إِلَى أَهْلِ وَتَرَهُمْ أَكْفًا عَنِ الْأَوْتَارِ مَنْقِبُضَاتٍ
فَبِكِي حَتَّى أَعْمَى عَلَيْهِ ، وَأَوْمَأَ إِلَى خَادِمٍ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ : أَنْ اسْكُتْ ، فَسَكْتُ
سَاعَةً . ثُمَّ قَالَ لِي : أَعِذْ ، فَأَعَدْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى آخِرِهَا ، فَقَالَ لِي : أَحْسَنْتَ ،
ثَلَاثَ سَرَاتٍ ، ثُمَّ أَمَرَ لِي بِبَشِيرَةِ آلَافِ دَرَاهِمٍ مِمَّا ضُرِبَ بِاسْمِهِ ، وَلَمْ تَكُنْ وَقَعْتُ
لِأَحَدٍ بَعْدَ ، وَأَسْرَى مَنْ فِي مَنْزِلِهِ بِحُلِيِّ كَثِيرٍ أَخْرَجَهُ الْخَادِمُ إِلَى .
فَقَدِمْتُ الْعِرَاقَ ، فَبِعْتُ كُلَّ دَرَاهِمٍ مِنْهَا بِبَشِيرَةِ دَرَاهِمٍ ، اشْتَرَاها مَنِي الشَّيْخَةِ ،
فَحَصَلْ لِي مِائَةٌ أَلْفِ دَرَاهِمٍ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَالٍ اعْتَقَدْتُهُ^(٣) .

قال حذيفة بن محمد : ثم استوهب دغبل من الرضا ثوباً قد لبسه ليجعله في
أكفانه ، فخلع جبّةً كانت عليه ، فأعطاه إياها ، وبلغ أهل قم خبرها ، فسألوه
أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم لم يفعل ، فخرجوا عليه في طريقه ، فأخذوها
منه غضباً ، وقالوا له إن شئت أن تأخذ المال فافعل ، وإلا فانت أعلم ، فقال لهم :
إني والله لا أعطيك إياها طوعاً ، ولا تنفمكم غضباً ، وأشكوكم إلى الرضا ؛ فصالحوه
على أن أعطوه ثلاثين ألف درهم ، وفردكم من بطانتها ، فرضى بذلك !

(١) القصرات : جمع قصرة (بالتحريك) وهي أصل الضيق ، وحفل : ممتلئة ، والمعنى أن أعناقهم
مملوءة غلظة من طول النعيم (٢) الوتر : الثأر ، أو الظلم فيه ، والمقصود : أنهم إذا اعتدى
عليهم لا يستطيعون رد الاعتداء (٣) اعتقدته : اقتنيتة .

١٣٥ - سَجَدُوا لِشِعْرِهِ!

حدث دِعْبِلُ الشاعر : أنه اجتمع هو ومُؤْسِلِمُ وأبو الشَّيْصِ (١) وأبو نُوَاسِ في مجلس ، فقال لهم أبو نواس : إن مجلسنا هذا قد شهر باجتماعنا فيه ، ولهذا اليوم مابعده ، فليأت كلُّ واحدٍ منكم بأحسن ما قال فليُنشِده ، فأنشد أبو الشَّيْصِ :

وَقَفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليس لى متأخراً عنه ولا متقدماً
أجد الملامَةَ فى هواكٍ لذيدة جباً لذكرك فليُلمني اللوم
وأهنتني فأهنتُ نفسى صاغراً ما من يهون عليك من يُكرِّم!
أشبهت أعدائى فصرْتُ أحبهم إذا كان حظى منك حظى منهم
فجمل أبو نواس يمجب من حسن الشعر حتى ما كاد ينقضى عجبهُ ، ثم أنشد مسلم أبياتاً من شعره الذى يقول فيه :

فأقسمتُ أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأتها العينُ والستر واقع
فغطتُ بأيديها نمارَ نهورها كأيدى الأسارى أقتلتها الجوامع (٢)
قال دِعْبِلُ : فقال لى أبو نواس : هات أبا على ، وكأنى بك قد جئتنا بأمر القلادة فأنشدته :

أين الشبابُ ؟ وأية (٣) سَكَا ؟ أم أين يطلب ؟ ضلَّ بلْ هلكا

* المقدم الفريد : ٤ - ٢ ، مهذب الأغاني : ٧ - ٢٢٤ ، ديوان مسلم : ٢٠٩ (طبعة أوروبا) .
(١) هو محمد بن رزين عم دعبيل ، كان من شعراء عصره ، متوسط المحل فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين شعراء كانوا أكثر منه شهرة . توفى سنة ١٩٦ هـ (٢) جمع جامعة : وهى النل ؛ لأنها تجمع اليدين إلى العنق (٣) أى أية سبيل .

لا تَعَجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الشَّيْبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَ
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ صَبْرُكَ يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي سَفِكَ
لا تَطْلُبَا بظُلَامَتِي (١) أَحَدًا قَلْبِي وَطَرْفِي فِي دَمِي اشْتَرَا

نم سألنا أبا نواس أن يُنشد، فأنشد:

لا تَبْكِ هِنْدًا وَلَا تَطْرُبِ إِلَى دَعْدٍ وَاشْرَبِ عَلَى الْوَرْدِ (٢) مِنْ حَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ
كَأَسَا إِذَا انْحَدَرْتُ فِي كَفِّ شَارِبِهَا أَخَذْتُ بِحَمْرَتِهَا فِي الْعَيْنِ وَالْخَدِّ
فَالْخَرُّ يَا قُوْتَةُ ، وَالكَأْسُ لَوْلَاؤُهُ فِي كَفِّ جَارِيَةِ مَمْشُوقَةِ الْقَدِّ
تَسْقِيكَ مِنْ عَيْنِهَا خَمْرًا وَمِنْ يَدِهَا خَمْرًا ، فَمَا لَكَ مِنْ سُكْرَيْنِ مِنْ بُدِّ
لِي نَشُوتَانِ وَلِلنَّدَمَانِ وَاحِدَةٌ شَيْءٌ خَصَصْتَ بِهِ مِنْ يَدَيْهِمْ وَحَدَى
فَقَامُوا كُلُّهُمْ ، فَسَجَدُوا ! فَقَالَ : أَفَعَلْتُمُوهَا أَعْجَبِيَّةٌ ؟ لَا كَلْتُمْ ثَلَاثًا .

(١) الظلامه : ما احتمله من الظلم ، والمراد هنا موته عشقاً من أثر النظر بينه والحب بقلبه
(٢) الورد : الماء الذي يورد .

١٣٦ — إنما الدنيا أبو دلف !*

قال المأمون يوماً لبعض جلسائه : أقسم على من حضرَ مِنِّي يحفظُ قصيدةَ عليّ ابنِ جبلة^(١) الأعمى في القاسم^(٢) بن عيسى إلا أنشدها ؛ فقال بعضُ الجلساء : قد أقسم أميرُ المؤمنين ، ولا بدَّ من إبرارِ قسه ، وما أحفظها ، ولكنها مكتوبة عندى . قال : قم فاجتني بها . فمضى وأتاه بها ، وأنشده :

ذادَ ورَدَ النىُّ عن صَدْرِهِ وازعَوَى واللَّهُوُ من وطَرِهِ
وأبَتَ إلا البـكـاءَ له ضحكاتُ الشيبِ في شعرِهِ
ندمى أن الشبابَ مَضَى لم أبلِغْهُ مَدَى أشرِهِ^(٣)
حَسَرَتْ^(٤) عَنِّي بِشاشْتُهُ ودَوَى المحمودُ من ثمرِهِ
ودمٍ أهدرتُ من رَشَاءٍ^(٥) لم يَرِدْ عَقْلًا^(٦) على هَدَرِهِ

دَعَجَدًا قحطانَ أو مُضِرِّ في يمانِيهِ ، وفي مُضِرِّهِ
وامتدَحُ من وائلِ رجلاً عَصُرُ الآفاقِ من عَصِرِهِ

* الأغاني : ٨ - ٢٥٩ (طبعة دار الكتب) .

- (١) عليّ بن جبلة ، ويلقب بالمعكوك : شاعر مطبوع عذب اللفظ ، لطيف المعاني ، مداح حسن التصرف ، استنفذ شعره في مدح أبي دلف المعجل وأبي عامر الطوسي ، وزاد في تفضيل أبي دلف ؛ حتى فضله على أهل مصر كلهم . أسخط المأمون وكان سبباً في تعذيبه . توفى سنة ٢١٣ هـ .
(٢) كنيته أبو دلف ، وكان عمله في الشجاعة وعلو المنزلة عند الخلفاء وعظم الفناء في المشاهد وحن الأدب وجودة الشعر محلاً لم يكن لأحد من نظرائه (٣) أشر (كفرح) : مرح
(٤) حسرت : انكفشت (٥) الرشأ : (في الأصل) ولد الظبي (٦) العقل : الدية .

النَّايَا فِي مَقَانِهِ (١) والعطايا في ذرًا حُجْرَهُ
مَلِكٌ تَنْدَى أَنَامِلَهُ كانبلاجِ النَّوْءِ عَنْ مَطْرَةٍ
مَسْتَهْلٌ عَنْ مَوَاهِبِهِ كابتسامِ الرَّوْضِ عَنْ زَهْرَةٍ
جَبَلٌ عَزَّتْ مَنَاكِبُهُ أَمِنَتْ عَدَنَانُ فِي نَفْرَةٍ
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ (٢) بَيْنَ مَبْدَاهُ وَمَحْتَضِرَةٍ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثْرَةٍ
كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرَةٍ
مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخِرَةٍ

فغضب المأمون، واغتاض، وقال: لست لأبي إن لم أقطع لسانه أو أسفك دمه.
ثم قال: اطلبوه حيث كان؛ فطلب فلم يقدر عليه. ولما اتصل به الخبر هرب إلى
الجزيرة، فكتب إلى الآفاق في طلبه، فهرب من الجزيرة إلى الشام، وظفروا به
هناك، وأخذ وحل إلى المأمون.

ولما وصل إليه سبه، وقال له: أنت القائل للقاسم بن عيسى:

كُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ بَيْنَ بَادِيهِ إِلَى حَضْرَةٍ
مَسْتَعِيرٌ مِنْهُ مَكْرَمَةٌ يَكْتَسِبُهَا يَوْمَ مُفْتَخِرَةٍ

جملتنا ممن يستعير المكارم منه ا فقال له: يا أمير المؤمنين؛ أتم أهل بيت

(١) المقاب: جمع مقب؛ وهو جماعة الخيل تنير، وهو جاعة الخيل تنير (٢) قيل: إنه بينا أبو دلف يسير مع
مقل مرا بقصر، فأشرفت منه جارتان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبو دلف الذي يقول فيه
الشاعر: «إنما الدنيا أبو دلف»، فقالت الأخرى: أو هذا؟ قد والله كنت أحب أن أراه منذ
سمت ما قيل فيه، فالتفت أبو دلف إلى مقل، فقال: ما أنصفنا علي بن جبلة ولا وفتناه حقه، وإن
ذلك لمن كبير همى، وكان قد أعطاه ألف درهم.

لا يُقاس بكم أحدٌ؛ لأن الله جلَّ وعزَّ فضلكم على خلقه، واختاركم لنفسه، وإنما عنيت بقولي في القاسم أشكال القاسم وأقرانه، فقال: والله ما استثنيت أحداً، ولست استحلّ دمك لذلك، ولكنني استحلّه بقولك وكفرك في شرك، حيث تقول القول الذي أشركت فيه:

أنت الذي تُنزل الأيام منزلها وتُنقلُ الدهر من حالٍ إلى حالٍ
وما مدتَ مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتَ بأرزاقٍ وآجالٍ
كذبت . . . ما يقدر على ذلك أحدٌ إلا الله عزَّ وجلَّ، الملك الواحد القهار،
ثم أمر بمقابلة!

١٣٧- مدحة شاعر وعطية أمير*

قال علي بن جبلة : زرت أبا دلف الجبل^(١) ، فكان يُظهر من إكرامِي
وبرِّي والتحنِّي^(٢) بي أمراً مفرطاً ، حتى تأخرت عنه حيناً حياً ؛ فبعث إلى معقل
ابن عيسى ، فقال : يقول لك الأمير : قد انقطعت عني ، وأحسبك استقلت برِّي
بك ، فلا يفضبتك ذلك فسأزيد فيه حتى ترضى . فقلت : والله ما قطعتني إلا
إفراطه في البر ، وكتبتُ إليه :

هجرتك لم أهجرك من كفرِ نعمةٍ وهل يُرتجى نيلُ الزيادةِ بالكفرِ !
ولكنني لما أتيتك زائراً فأفرطت في برِّي مجزت عن الشكرِ
فإلآن^(٣) لا آتيك إلا مسلماً أزورك في الشهرين يوماً أو الشهرِ
فإن زدتنى برّاً تزايدتُ جفوةً ولم تلقني طولَ الحياةِ إلى الحشرِ !
فلما قرأها معقل استحسناها ، وقال : أحسنت والله ! أما إن الأمير لتعجبهُ
هذه المعاني .

فلما أوصلها إلى أبي دلف قال : قاتله الله ! ما أشعره وأدق معانيه ! وأعجبته
وأجابني لوقته - وكان حسن البدية حاضر الجواب :

ألا ربّ ضيفٍ طارقٍ قد بسطته وآنسته قبل الضيافة بالبشرِ

* الأغاني : ٧ - ٢٥٦ (طبعة دار الكتب)

(١) بلاد الجبل : مدن بين أذربيجان والعراق

(٢) تحنى به : بالغ في إكرامه

(٣) يريد فن الآن .

أتانى يَرْجِيَنِ فَمَا حال دونه ودون القَرَى والمُرْف من نائلي سِتْرِي
وجدتُ له فضلاً علىَّ بقصدِه إلىَّ ، وبرًا زاد فيه على برِّي
فزودته مالاً يقل بقاؤه دزودني مدحاً يدوم على الدهرِ
وبعث إلىَّ بالأبيات مع وصيف له ، وبعث إلىَّ بألف دينار ؛ فقلت حينئذٍ :
إنما الدنيا أبو دُلف بين مبداه ومحتضره

١٣٨ - بين أبي تمام وعبد الله بن طاهر*

لما شَخَّصَ أبو تمام (١) إلى عبدِ الله بن طاهر (٢) وهو بِمُخْرَاسَانَ ، أقبل الشتاء وهو هناك : فاستثقل البلد ، وكان عبد الله وَجِدَ (٣) عليه ، وأبطأ بِمُخْرَاسَانَ ؛ لأنه نثر عليه ألف دينار ، فلم يَمَسَّهَا بيده ترفقاً عنها ، فقال : يحقر فعلى ، وبترفع على ! فكان يبعث إليه بالشىء بعد الشىء كالتقوت . فقال أبو تمام :

لم يبقَ للصَّيفِ رَمَمٌ ولا طَلَلٌ ولا قشيبٌ فَيَسْتَكْسَى ولا سَمَلٌ (٤)
عدلٌ من الدمع أن يبكي المصيفَ كما يُبكي الشابُ ويُبكي اللهُو والغزلُ
يمنى الزمانَ انقضى معروفها وغدتْ يُسراه وهى لنا من بعدها بَدَلٌ

فبلغت الأبيات أبا العميثل شاعر آل طاهر ، فأتى أبا تمام واعتذر إليه لعبد الله

ابن طاهر .

ثم دخل إلى عبد الله فقال : أيها الأمير ؛ أتهاون بمثل أبي تمام ، وتحفوه ! فوالله لو لم يكن له ماله من النباهة في قدره ، والإحسان في شعره ، والشائع من ذكره ، لكان الخوف من شره ، والتوقى لدمه يُوجبُ على مثلك رعايته ومراقبته ،

* الأغانى : ١٥ - ١٠٢ (طبعة الساسى)

(١) هو حبيب بن أوس ، ولد بالشام ثم انحدر إلى مصر ، فروى الأدب وأقن الشعر ، ثم سار

إلى بغداد فمدح الخليفة وغيره ، وارتفع ذكره وتقدم على شعراء عصره ومات سنة ٢٣١ هـ

(٢) عبد الله بن طاهر : ولد سنة ٢٨١ هـ في خلافة الرشيد ونشأ نشأة مجيدة ، ثم نشأ في كنف

للأمون حيث كان أبوه من أكبر قواده . ثم حل عند الأمون بعد وفاة أبيه عمله ، وكان كثير

الاعتدال عليه حسن الالتفات إليه . وكان عبد الله أيضاً ظريفاً شاعراً مترسلاً جيد الفناء . توفي

سنة ٢٣٨ هـ (٣) وجد عليه : غسب (٤) السمل : الثوب الخلق .

فكيف وله بنزوعه إليك من الوطن ، وفراقه السكن شفيح ! وقد قصدك عاقداً
بك أملاً ، مُعَمِّلاً إليك ركبته ، متعباً فيك فكره وجسمه ، وفي ذلك مايلزمك
قضاء حقه حتى ينصرف راضياً ، ولو لم يأت بفائدة ولا سُمِعَ فيك منه ما سُمِعَ
إلا قوله .

يَقُولُ فِي قَوْمِ سِ^(١) صَحْبِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا الشَّرِيَّ وَخَطَأَ الْمَهْرِيَّةَ^(٢) الْقَوْدِ^(٣)
أَمَطَعَ الشَّمْسَ تَبَعِي أَنْ تَوْمَّ بِنَا ؟ فَفَلْتِ : كَلًّا ! وَلَكِنْ مَطَعَ الْجَوْدِ
لَكِنِّي ! فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ نَبَّهْتَ فَأَحْسَنْتَ ، وَعَاثَبْتَ فَأَوْجَعْتَ ، وَلَكِ
وَأَبِي تَمَامِ الْعُتْبِيِّ^(٤) . ادعاه يا غلام فدعاه . فناداه يومه ، وأمر له بالفي دينار وما يحمله
من الظهر ، وخالع عليه خِلمة تامة من ثيابه ، وأمر ببذر رَقَتِهِ^(٥) إلى آخر عمله .

(١) قومس : إقليم في طبرستان (٢) الإبل المهرية : تنسب إلى مهرة : حى في العرب .
(٣) القود : جمع أفود وهو الطويل المنق (٤) أعتبه : سره بعد ما ساءه ، والاسم العتبي
(٥) البذرقة : الحفارة .

١٣٩ — لا يعجبنا من يَصُونُ ثيابه خَوْفَ التُّبَارِ وَعِرْضِهِ مَبْذُولٌ *

ارتاح محمد^(١) بن عبد الله بن طاهر يوماً للندامة ، وقد حضره ابنُ طلوت ، وكان وزيره وأخصَّ الناسِ به وأحضرهم لَخَلَّواته ، فأقبل عليه ، وقال : لا بد لنا اليومَ من ثالثٍ تَطِيبُ لنا به المعايشة ، وتلذُّ بمُنَادمته المُواساة ؛ فَمَنْ ترى أن يكون ؟ وأعفنا أن يكون شريرَ الأخلاق ، أو دَنِسَ الأعراق ، أو ظاهر الإملاق .

قال ابنُ طلوت : فأعملت الفِكرَ ، وقلت : أيها الأمير ؛ خطرُ بيالي رجلٌ ليس علينا من مجالسته مثونة ، وقد برى من إبرام^(٢) المجالسين ، وخلا من قتل المُواسين ، خفيفُ الوطأة إذا أذنبته ، سريعُ الوتبة إذا أمرته .

قال : ومن ذلك ؟ قلت : ماني^(٣) المَوْسوس . قال : أحسنت والله ! فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحبُ الشرطة ؛ فصار به إلى الأمير ، فأخذ ونظف وأدخل الحمام ، وألبس ثياباً نظافاً ، وأدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ، فقال محمد : وعليك السلام يا ماني . أما آن لك أن تزورنا على حين تَوَقَّانِ منا إليك ، ومنازعة قلوب منا نحوك ؟ فقال : الشوق شديد ، والحب عتيد ، والمزار بعيد ، والحجاب صعب ، والبواب فقط ؛ ولو سهَّل لنا في الإذن لسهَّلت علينا الزيارة !

* الأغانى : ٢٠ - ٨٥ (طبعة الساسى) للسعودى : ٢ - ٢٤٥

(٢) توفي سنة ٢٥٣ هـ وذلك في خلافة المعتز . وكان من الجود والكرم وغزارة الأدب ما لم يكن عليه أحد من نظرائه (٢) أبرمه : أملة (٣) ماني المَوْسوس : اسمه محمد بن القاسم ، شاعر لين الشعر رقيقه ، لم يقل شيئاً إلا في النزل ، وماني لقب غلب عليه .

فقال : أَلَطَّفْتَ فِي الاسْتِئْذَانِ ، فَلِيَلْطَفْ لَكَ فِي الْإِذْنِ ؛ لَا يَمْنَعُ مَانِي أَى وَقْتٍ
وَرَدَ مِنْ لَيْلِ أَوْ نَهَارٍ .

ثُمَّ أَدْنَى لَهُ فِي الْجُلُوسِ فَجَلَسَ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَأَكَلَ ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَيْهِ ، وَأَخَذَ
مَجْلِسَهُ . وَكَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ تَشَوَّقَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْ مَوْئِسَةٍ جَارِيَةٍ بِنْتِ الْمَهْدِيِّ فَأَحْضَرَتْ ،
فَكَانَ أَوَّلَ مَا غَنَتْ بِهِ :

وَلَسْتُ بِنَاسٍ - إِذْ غَدَوْنَا فَتَحْمَلُوا - دَمْعِي عَلَى الْخَلْدِينَ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ
وَقَوْلِي وَقَدْ زَالَتْ بَلِيلُ جَهْلِهِمْ بَوَاكِرُ تُحْدِي : لَا يَكُنْ آخِرَ الْعَهْدِ
فَقَالَ مَانِي : أَحْسَنْتِ ! وَبِحَقِّ الْأَمِيرِ إِلَّا مَا زِدْتِ فِيهِ :

وَقَدْ أَنَا جَى الْفِكْرَ وَالْدَمْعُ حَائِرٌ مَمْلَأَةٌ مَوْقُوفٌ عَلَى الضَّرِّ وَالْجَهْدِ (١)
وَلَمْ يُعِدِّنِي هَذَا الْأَمِيرُ بَعْدَهُ عَلَى ظَالِمٍ قَدْ لَجَّ فِي الْهَجْرِ وَالصَّدِّ
فَانْدَفَعَتْ تَعْنِيهِ ، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ : أَعَاشِقُ أَنْتِ ؟ فَاسْتَحْيَا ، وَغَمَزَهُ ابْنُ طَالُوتَ
الْأَبْيُوجِ لَهُ شَيْءٌ فَيَسْقُطُ مِنْ عَيْنَيْهِ ، وَقَالَ : مَبْلُغُ طَرْبٍ وَشَوْقٍ كَانَ كَامِنًا فَظَهَرَ ؛
وَهَلْ بَعْدَ الشَّيْبِ صَبُوءَةٌ !

ثُمَّ اقْتَرَحَ مُحَمَّدٌ عَلَى مَوْئِسَةَ هَذَا الصَّوْتِ :

حَجَّبُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ لِأَنِّي قُلْتُ : يَارِيحُ بَلْفِيهَا السَّلَامَا
لَوْ رَضُوا بِالْحِجَابِ هَانَ وَلَكِنْ مَنَعُوهَا عَنِ الرِّيَّاحِ الْكَلَامَا
فَفَتْنَتْهُ ؛ فَطَرَبَ مُحَمَّدٌ ، وَدَعَا بِرَطْلِ فُشْرَبِ ، فَقَالَ مَانِي : مَا عَلَى قَائِلِ هَذَا الشَّعْرِ
لَوْ زَادَ فِيهِ :

(١) الضَّرُّ : سُوءُ الْحَالِ ، وَالْجَهْدُ : الْمَشَقَّةُ .

فَتَنَفَّسْتُ ، ثُمَّ قَلْتُ لَطِيفِي : آهَ إِنْ زُرْتِ طَيْفَهَا إِلسَامَا
خُصَّهَ بِالسَّلَامِ مِنِّي فَأَخْشَى يَمْنُوهَا لِشِقْوَتِي أَنْ تَسَامَا
لَكَانَ أَثَقَبَ (١) لَزَنْدِ الصَّبَابَةِ بَيْنَ الْأَحْشَاءِ ، وَأَشَدَّ تَقَلُّعًا إِلَى الْكَبِدِ (٢)
الصادية من زلال الماء ، مع حسن تأليف نظمه ، والاتهاء بالمعنى إلى نهاية تمامه ؛
فقال محمد : أَحْسَنْتِ ! ثُمَّ أَمْرٌ مُؤَنَسَةٌ بِالْحَاقِمَا بِالْبَيْتَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ ، وَالغِنَاءُ بِهِمَا ،
فَفَعَلْتُ . ثُمَّ غَنَّتْ بِهَذِينَ الْبَيْتَيْنِ :

يَا خَلِيلِي سَاعَةً لَا تَرِي مَا (٣) وَعَلَى ذِي صِبَابَةٍ فَأَقْبِمَا
مَا مَرَّرْنَا بَدَارَ زَيْنَبٍ إِلَّا هَتَّكَ الدَّمْعُ سَرَّانَا الْمَكْتُومَا

فاستحسنه محمد ، فقال ماني : لولا رهبة التعمد لأضفت إلى هذين البيتين
بيتين لا يرِدَانِ عَلَى سَمْعِ ذِي بُبٍ فَيَصْدِرَانِ إِلَّا عَنِ اسْتِحْسَانٍ لِهَمَا ، فقال محمد :
يَا مَانِي ؛ الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة دون كل رهبة ، فهات ما عندك !
فقال :

ظَلِيَّةٌ كَالْمَلَالِ لَوْ تَلَحَّظَ الصَّخْرُ رَ بَطْرَفِي لِفَادَرْتُهُ هَشِيمَا
وَإِذَا مَا تَبَسَّمَتْ خِلْتِ إِيمَا ضَ بُرُوقٍ أَوْ لَوْلُؤًا مَنْظُومَا
فقال : أَحْسَنْتِ يَا مَانِي ! فَأَجِزِي (٤) هَذَا الشَّعْرُ :

لَمْ تَطْلُبِ اللَّذَاتِ إِلَّا بِمَنْ طَابَتْ بِهَا اللَّذَاتِ مَانُوسَه
غَنَّتْ بِصَوْتِ أَطْلَقَتْ عَابِرَةً كَانَتْ بِسَجْنِ الصَّبْرِ مَحْبُوسَه

فقال ماني :

وَكَيفَ صَبَرَ النَّفْسَ عَنِ غَادَةِ أَظْلَمِهَا إِنْ قَلْتُ : طَاوَسَه !

(١) ثقبت النار : اتقدت . والزند : العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى (٢) الكبد : مؤنثة
وقد تذكر (٣) لا تريما : لا تبرها (٤) الإجازة في الشعر : أن تم شعر غيرك .

وَجُرْتُ إِنْ شَبَّهْتُهَا بَانَةً^(١) فِي جِنَةِ الْفَرْدُوسِ مَقْرُوسَةً
وغيرُ عدلٍ إِنْ عدَلْنَا بِهَا جَوْهَرَةً فِي الْبَحْرِ مَقْمُوسَةً
ثم سكت ، فقال محمد : ما عدا في وصفه لها ، فقال ماني :

جَلَّتْ عَنِ الْوَصْفِ فَمَا فِكْرَةٌ تُلْحِقُهَا بِالنِّعَةِ مَحْسُوسَةٌ

فقال محمد : أحسنت ! فقالت مؤنسة : وجب شكرك يا ماني . نسأعدك
الدهر ، وعطف عليك إلفك ، وقارنك سرورك ، وفارقك محذورك ، والله يُديم
لنا ذلك ببقاء من به اجتمع شملنا ، فقال لها ماني - عند قولها : « وعطف عليك
إلفك » - مجيباً :

ليس لي إلفٌ فيعطفني فارقتَ نفسي الأباطيلُ
أنا موصول بنعمة من حبَّله بالمجدِ موصول
أنا مغبوط بنعمة من طبعه بالمجدِ مأمول
فأوما إليه ابن طالوت بالقيام فنهض ، وهو يقول :

ملك قلِّ النظر له زانه الفِرَّ البهاليل
طاهريُّ في مواكبه عرُفه في الناس مبدول

فقال محمد : وجب جزاؤك لشُكرك على غير نعمةٍ سبقت ، ثم أقبل على ابن
طالوت ، فقال : ليست خسارة المرء ، ولا اتضاع دهره ، ولا نبوءة العين عن الظاهر
بمذهبٍ ماركب فيه من الأدب ، وما أخطأ صالح بن عبد القدوس حين يقول :

لا يعجبنيك من يصبونُ ثيابه خوفَ الغبارِ وعرضه مبدول
فلربما افتقر الفتى فرأيتَه دَنِسَ الثيابِ وعرضه مَقْسُول

فلم يزل محمد مُجرباً عليه رزقه حتى توفي !

(١) البان : ضرب من الشجر .

١٤٠ — سِمْيَاءُ*

سُمِّيَ بِأَبِي الْحَسَنِ ^(١) هَلِي بن محمد العلويّ إلى المتوكل ، وقيل له : إن في منزله سلاحاً وكُتِبَا وغيرَها من شيعته ، فوجّه إليه ليلاً من هجم عليه في منزله على غفلةٍ يَمُنُّ في داره ، فوُجِدَ في بيتٍ وحده ، مغلقٍ عليه ، وعليه مِدْرَعَةٌ ^(٢) من شعر ، ولا بساط في البيت إلا الرمل والحصى ، وعلى رأسه مِأْحَفَةٌ ^(٣) من الصوف ، متوجهاً إلى ربه يترنم بآياتٍ من القرآن في الوَعْدِ والوَعِيدِ .

فَأَخَذَ هَلِي مَا وَجِدَ عَلَيْهِ ، وَحَمَلَ إِلَى التَّوَكُّلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ؛ فَمَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَالتَّوَكُّلُ يَشْرَبُ ، وَفِي يَدِهِ كَأْسٌ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ أَعْظَمَهُ وَأَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي مَنْزِلِهِ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِيهِ ، وَلَا حَالُهُ يُتَعَلَّلُ عَلَيْهِ بِهَا ؛ فَنَارَاهُ التَّوَكُّلُ الكَأْسَ الَّتِي فِي يَدِهِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ مَا خَاسَرَ لِحْيِي وَدُمِّي قَطُّ ! فَأَعْفَنِي مِنْهُ ، فَأَعْفَاهُ ، وَقَالَ : أَنْشَدَنِي شِعْرًا اسْتَحْسِنُهُ ، فَقَالَ : إِنِّي لَقَلِيلُ الرَّوَايَةِ لِلْأَشْعَارِ ؛ فَقَالَ : لَا بَدَانَ تَنْشَدَنِي فَأَنْشُدْهُ :

بَاتُوا عَلَى قُلَلِ الْأَجْبَالِ تَحْرُسُهُمْ عُلْبُ ^(٥) الرِّجَالِ فَمَا أَغْنَتْهُمُ الْقُلَلُ
وَاسْتَنْزَلُوا بَعْدَ عَزِيٍّ مِنْ مَعَاقِلِهِمْ فَأَوْدَعُوا حُفْرًا ، يَا بَنِيَّ مَا نَزَلُوا !

* ابن خلكان : ١ - ٣٢٢
(١) هو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية ، كان مولده بالمدينة ، وأقام بها ، ولما كثرت السُمَايَةُ بِهِ عِنْدَ التَّوَكُّلِ قَتَلَهُ إِلَى سَرٍّ مِنْ رَأْيِ فَأَقَامَ بِهَا ٢٠ سَنَةً . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٥٤ هـ .
(٢) المِدرعة : نَوْعٌ مِنَ الثِّيَابِ (٣) المِأْحَفَةُ : اللِّبَاسُ فَوْقَ سَائِرِ اللِّبَاسِ يَتَّقَى بِهِ الْبَرْدَ كَالصَّافِ
(٤) العُلبُ : جَمْعُ أَعْلَبٍ وَهُوَ النَّجَاعُ ، وَأَصْلُ الْأَعْلَبِ : الْأَسَدُ .

ناداهم صارخ من بعد ما قبروا : أين الأسرة والتيجان والحلل !
أين الوجوه التي كانت منعمه من دونها تضرب الأستار والكليل !
فأفصح القبر عنهم حين ساء لهم : تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرأ وما شبعوا فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا
وطالما عمروا دورأ لتحصنهم فسارقوا الدور والأهليين وانتقلوا
وطالما كنزوا الأموال وادّخروا فخلّفوها على الأعداء وارتحلوا
أضحت منازلهم قفراً معطلةً وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا
فأشفق من حضر على عليّ ، وظنّوا أن بادرةً تبدر منه إليه ، ولكن المتوكل
بكى بكاءً طويلاً ، حتى بلت دموعه لحيته وبكى من حصره ، ثم أمر برفع الشراب ،
وقال : يا أبا الحسن ؛ أعليك دين ؟ قال : نعم أربعة آلاف دينار فأمر بدفعها إليه ،
ورده إلى منزله من ساعته مكرّماً .

١٤١ --- أشعر من بالشام ومن بالعراق*

دخل أبو نصر المنذرى على أبي العلاء^(١) المرى في جماعة من أهل الأدب ؛
فأنشد كل واحد من شعره ما تيسر ، وأنشده أبو نصر :

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاء مضاعفُ الغيثِ العميمِ
نزلنا دَوْحَهُ^(٢) فحننا علينا حنوّ الوالِداتِ على الفطيمِ
وأرشفنا على ظمإٍ زُلالاتٍ^(٣) أذّ من المدامة^(٤) للنديمِ
يصدّ الشمسَ أنى واجهتنا فيحجبها ويأذنُ للنسيمِ
يروع^(٥) حصاهُ حاليّة^(٦) المذارى فتلس جانب العقـدِ النّظيمِ

فقال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام .

ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ، فدخل المنذرى عليه في جماعة من أهل الأدب
ببغداد ، وأبو العلاء لا يعرف منهم أحداً ، فأنشد كل واحد منهم ما حضره من شعره ،
حتى جاءت نوبة المنذرى فأنشده :

لقد عرض الحامُ لنا بسجّعٍ إذا أضغى له ركبٌ تلاحي^(٧)

* المستطرف : ١ - ٤٦ .

(١) أبو العلاء المرى : هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المرى الضرير الفيلسوف المؤلف
نشأ بالمرّة ، ودرس على أبيه وأهله صبياً ، ثم على علماء حلب وأعلى الشام حتى صار عالماً بالاشتهار ،
ثم ذهب إلى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها ، ومكث فيها فلم يطب له العيش فرجع إلى منزله ولم
يخرج منه . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ (٢) الدوح : جم دوحه : الشجرة العظيمة من أى
شجر كان (٣) ماء زلال : عذب (٤) المدامة : الخمر (٥) يروع : يفرغ (٦) حليت
للرأة : صارت ذات حلى ، فهى حلية وحالية (٧) تلاحي : تنازع .

شجى^(١) قلب الخلى فليل : غنى وبرح^(٢) بالشجى^(٣) فليل : نأحا
وكم للشوق فى أأشاء صبى إذا اندملت أجد لها جراحا
ضعيف الصبر عنك وإن تقاوى وسكران الفؤاد وإن نصاحى
بذاك بنو الهوى سكرى صحاة كأحداق منها مرضى صحاحا
فقال أبو العلاء : ومن بالعراق : (عطفأ على قواه : من بالشام^(٤)) !

(١) شجاه : أطربه (٢) برح به الأمر : جهده (٣) الشجى : الحزين .
(٤) المعروف أن الأبيات الأولى لمحدونه الأندلسية .

١٤٢ — ابن جاح ينشد المعتضد بن عباد شعره* ٤

ورد ابن جاح الشاعر على المعتضد بن عباد ، فدخل الدار المخصوصة بالشعراء فسألوه ، فقال : إني شاعر ! فقالوا : أنشدنا من شعرك ؛ فأشدهم شعراً ضحكوا منه وازدروه .

فقال بعض عقلائهم : دعوه ، فإن هذا شاعر ، وما يبعد أن يدخل مع الشعراء ويندرج في سلكهم ؛ فلم يبالوا كلام الرجل .

فبقى معهم ، وكان لهم في تلك الدولة يومٌ مخصوص ، لا يدخل فيه على الملك غيرهم ، فقال بعض لبعض : هذه شُنة^(١) بنا أن يكون مثل هذا البادى يُقدّم علينا ، ويجترئ على الدخـ

فاتفقوا على أن يكون هو أول متكلم في اليوم المخصوص بهم عند جلوس السلطان ، وقدروا أن يقول مثل ذلك الشعر المضحك فيطرده عنهم ، ويكون ذلك حسماً لعله إقدام مثله عليهم .

فلما كان اليوم المذكور ، وقعد السلطان في مجلسه ، ونُصِبَ الكرسي لهم ، رغبوا منه أن يكون هذا القادم أول متكلم في ذلك اليوم ، فأمر بذلك فصعد الكرسي ، وانتظروا أن ينشد مثل ذلك الشعر المضحك ، فقال :

قَطَّعْتَ يَا يَوْمَ النُّوَى أَكْبَادِي وَحَرَمْتَ عَن عَيْنِي لَدِيدَ رُقَادِي
وَتَرَكْتَنِي أَرعى النُّجُومَ مَسَّهَدًا وَالنَّارُ تُضْرَمُ فِي صَمِيمِ فُوَادِي

* فجع الطيب : ٢ - ٤٦٨
(١) الشاعة : الفطاعة ، والأسم الشنة .

فـ كما نـما آلى الظلامُ أليَّةً لا ينجلى إلا إلى ميعاد
ولرب خرق^(١) قد قطعت نياطه والليل يرفلُ في ثياب حداد
بشِمة^(٢) حَرَفٍ^(٣) كانَ ذَميلها سَرَحٌ^(٤) الرياح ، وكلُّ برق غادى
والنجمُ يحدوها وقد ناديتها : ياناقتى عُجى على عَبَّادِ
ملك إذا ما أُضِرِمَت نار الوغى وتلاقت الأجناد بالأجناد
فترى الجسوم بلا رموس تنثنى وترى الرموس لَتى^(٥) بلا أجساد
يأبها الملك المؤمِّلُ والذي قُدُماً سما شرفاً على الأنداد
إن القريض لكاسدٌ في أرضنا وله هنا سوقٌ بغير كساد
فجلبت من شعرى إليك قوافياً يَفَنَى الزمان وذِكْرُها متمادى
مِنَ شاعري لم يضطلع أدبياً ولا خَطَّتْ يداه صحيفةً بمداد
فقال له الملك : أنت ابن جاح ؟ فقال : نعم ، فقال : اجلس ، فقد وليتكَ رياسةَ
الشعراء ، وأحسن إليه ، ولم بأذن في الكلام في ذلك لأحدٍ بعده !

(١) الحرق : القفر والأرض الواسعة (٢) الشمة : السرمة (٣) الحرف : الناقة الضامرة
(٤) سرح الرياح : لإرسالها (٥) اللقى : ما طرح .

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملتحهم ، ورائع طرفهم ،
في جواباتهم المسكتة ، وتصرفاتهم الحكيمة ، وتخلصاتهم
اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن وسرعة البديهة ،
وشدة العارضة .

١٤٢ - حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَالنَّابِئَةُ *

قال حسان بن ثابت : قدمتُ على النعمانِ بنِ المنذرِ وقد امتدحتهُ ، فأتيتُ حاجبه عِصَّامَ بنَ شَهْبَرَ فجلستُ إليه ، فقال : إني لأرى عربياً ، أفن الحجاز أنت ؟ قلت : نعم قال : فكن قحطانياً ، قلت : فأنا قحطاني ، قال : فكن يثريباً ، قلت : فأنا يثربي ، قال : فكن خَزْرَجِيَّ ، قلت : فأنا خزرجي ، قال : فكن حسانَ ابنِ ثابت . قلت : فأنا هو !

قال : أَجِئْتَ بِمَدْحَةِ الْمَلِكِ ؟ قلت : نعم ، قال : فإني أُرشِدُكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُسَأَلُكَ عَنْ جَبَلَةِ بِنِ الْأَيْهَمِ وَيُسَبِّهُ ، فَإِيَّاكَ أَنْ تَسَاعِدَهُ عَلَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ أَمْرٌ ذِكْرُهُ إِسْرَارٌ لَا تَوَافِقُ فِيهِ وَلَا تَخَالَفُ ، وَقُلْ : مَا دَخَلُ مِثْلِي أُيُّهَا الْمَلِكُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ جَبَلَةَ وَهُوَ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ ! وَإِنْ دَعَاكَ إِلَى الطَّعَامِ فَلَا تَوَأَّكْهُ ، فَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْكَ فَأَصِْبْ مِنْهُ الْيَسِيرَ إِصَابَةَ بَارٍ قَسَمَهُ ، مَنْشَرَفٍ بِمَوَاكِلَتِهِ ، لَا أَكُلُ جَائِعٌ سَغْبٌ ^(١) ، وَلَا تُطِيلُ مُحَادَثَتَهُ ، وَلَا تَبْدُوهُ بِإِخْبَارٍ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ السَّائِلَ لَكَ ، وَلَا تُطِيلِ الْإِقَامَةَ فِي مَجْلِسِهِ .

فقلت : احسن الله رِفْدَكَ ! قد أَوْصَيْتَ وَاغْيَا . ودخل ، ثم خرجَ إليّ فقال لي : ادْخُلْ ، فدخلتُ فَسَلَّمْتُ وَحَيَّيتُ تَحِيَّةَ الْمَلُوكِ .

ثم جرى بيني وبينه في شأن جيلة ماقاله عصام كأنه كان حاضراً ، وأجبتُ بما أمرني ، ثم استأذنتُهُ في الإنشاد فأذن لي ؛ فأنشدته . ثم دعا بالطعام ، ففعلتُ ما أمرني عِصَّامُ بِهِ ، وبالشرابِ ففعلتُ مثل ذلك ، فأمر لي بمِجَازَةٍ سَنِيَّةٍ وخرجتُ .

* الأغانى : ٩ - ١٦٤ (طبعة الساسي)
(١) السغب : الجوع ؛ ولا يكون إلا مع تعب .

فقال لى عصام : بَقِيْتُ عَلَى وَاحِدَةٍ لَمْ أُوصِكَ بِهَا ، قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ النَّابِغَةَ ^(١) الذَّيْبَانِي قَدِمَ عَلَيْهِ ، وَإِذَا قَدِمَ فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْهُ جَطٌّ سِوَاهُ ، فَاسْتَأْذَنَ حِينَئِذٍ وَأَنْصَرَفَ مَكْرَمًا ؛ فَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَنْصَرِفَ مَجْفُورًا .

فَأَقَمْتُ بِيَابَهُ شَهْرًا ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ فَزَارِيَانُ كَانَا بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ النَّعْمَانِ دُخْلًا ^(٢) ، وَكَانَ مَعَهُمَا النَّابِغَةُ قَدْ اسْتَجَارَ بِهِمَا ، وَسَأَلَهُمَا مَسْأَلَةَ النَّعْمَانِ أَنْ يَرْضَى عَنْهُ ، فَضَرَبَ عَلَيْهِمَا قَبَّةً مِنْ أَدَمَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ أَنَّ النَّابِغَةَ مَعَهُمَا ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمَا بِطِيبٍ وَأَطْفَافٍ مَعَ قَيْنَةٍ مِنْ إِمَائِهِ ، فَكَانَا يَأْمُرَانِهَا أَنْ تَبْدَأَ بِالنَّابِغَةِ قَبْلَهُمَا ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّعْمَانِ ، فَعَلِمَ أَنَّهُ النَّابِغَةُ ، ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهَا شَعْرَهُ :

* يَادَارِمِيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسِّنْدِ *

وَسَأَلَهَا أَنْ تُغْنِيَهُ بِهِ إِذَا أَخَذَتْ فِيهِ الْخَمْرَ ، فَطَرَبْتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا شَعْرُ النَّابِغَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ فِي غَيْبٍ ^(٣) سَمَاءَ ، فَعَارَضَهُ الْفَزَارِيَانُ وَالنَّابِغَةُ بَيْنَهُمَا قَدْ خَضِبَ بِحَنَاءَ ، فَأَقْنَأُ ^(٤) خَضَابَهُ ، فَلَمَّا رَأَى النَّعْمَانُ قَالَ : هِيَ بِيَدِمَ كَانَتْ أُخْرَى أَنْ تُخْضِبَ ! فَقَالَ الْفَزَارِيَانُ : أَيُّدُ اللَّعْنِ ! لَا تُثْرِبَ ! قَدْ أَجْرَنَاهُ وَالْعَفْوُ أَجْلٌ ، فَأَمَنَهُ وَاسْتَنْشَدَهُ أَشْعَارَهُ .

قَالَ حَسَانٌ : فَخَسَدْتُهُ عَلَى ثَلَاثٍ لَا أُدْرِي عَلَى أَيِّتَيْنِ كُنْتُ لَهُ أَشَدَّ حَسَدًا ؛ عَلَى إِدْنَاءِ النَّعْمَانِ لَهُ بَعْدَ الْمُبَاعَدَةِ ، وَمَسَامَرَتِهِ لَهُ وَإِصْفَائِهِ إِلَيْهِ ؟ أَمْ عَلَى جَوْدَةِ شَعْرِهِ ؟ أَمْ عَلَى مَائَةِ بَعِيرٍ مِنْ عَصَافِيرِهِ ^(٥) أَمْرٌ لَهُ بِهَا ؟

(١) هو زياد بن معاوية ، من ذيبان من قيس ، وهو من الأشراف الذين غض الشعر منهم كما غض من امرئ القيس ، مدح النعمان صاحب الحيرة وعمرو بن الحارث ملك الفساسنة ، وكانت له منزلة كبرى عند شعراء عصره ، فإذا جاء عكاظ ضربوا له قبة من جلد وجاء انشعراء ينشدونه أشعارهم
(٢) دخخل : خاصة (٣) غب سماء : أى بعد أن أمطرت السماء (٤) أقنأ خضابه : سوده
(٥) العصافير : إبل كانت للندى تتخذ نجائب للملوك .

١٤٤ - أية أخلاق كانت للمرب في الجاهلية ! *

رَافِقَ أَبُو بَكْرٍ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سِيرِهِ ؛
نَمَّ اتَّبَعُوا جَمِيعًا إِلَى مَجْلِسٍ عَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ ، وَإِذَا مَشَاخِمْ لَهُمْ أَقْدَارٌ وَهَيْئَاتُ .
فَتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ مَقْدَمًا فِي كُلِّ خَيْرٍ - فَسَلَّمَ وَقَالَ : تَمَنَّيْتُ الْقَوْمَ ؟ قَالُوا : مِنْ
شَيْبَانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ ، فَالْتَفَتَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ ، يَا بَنِي
أَنْتَ وَقَوْمِي ! لَيْسَ بَعْدَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَزَّةٍ فِي قَوْمِهِمْ ، وَهَؤُلَاءِ غُرٌّ فِيهِمْ ، وَكَانَ فِيهِمْ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو ، وَهَانِيُّ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ ، وَالنَّعْمَانُ بْنُ شَرِيكَ ؛ وَكَانَ
مَفْرُوقُ بْنُ عَمْرٍو قَدْ غَلَبَهُمْ جَمَالًا وَلِسَانًا ، وَكَانَتْ لَهُ غَدِيرَتَانِ ^(١) تَسْقُطَانِ عَلَى صَدْرِهِ ،
فَكَانَ أَدْنَى الْقَوْمِ مَجْلِسًا مِنْ أَبِي بَكْرٍ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : كَيْفَ الْعَدَدُ فِيكُمْ ؟
فَقَالَ لَهُ : إِنَّا لَنَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ ، وَلَنْ نُغَلِّبَ أَلْفًا مِنْ قَلَّةٍ ؛ فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ الْمَنْعَةُ
فِيكُمْ ؟ فَقَالَ : عَلَيْنَا الْجَهْدُ وَلِكُلِّ قَوْمٍ جَدٌّ ^(٢) . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَكَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ
وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ ؟ فَقَالَ : إِنَّا أَشَدُّ مَا نَكُونُ لِقَاءِ حِينَ نَفْضَبُ ، وَإِنَّا لَنَوُثِّرُ الْجِيَادَ عَلَى
الْأَوْلَادِ ، وَالسَّلَاحَ عَلَى اللِّقَاحِ ^(٣) ، وَالنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُدِيلُنَا مَرَّةً ، وَيُدِيلُ عَلَيْنَا ^(٤)
مَرَّةً ، لَعَلَّكَ أَخُو قَرِيْشٍ ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : إِنْ كَانَ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولٌ فَهَاهُو ذَا .
فَقَالَ مَفْرُوقُ : قَدْ بَلَغْنَا أَنَّهُ يَذْكُرُ ذَلِكَ ؛ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَجَلَسَ ،

* ابن كثير : ٣ - ١٤٤ ، الروض الأثف : ١ - ٢٦٤

(١) الغديرة : الذؤابة (٢) الجد : الحظ (٣) اللقوح : الناقة الحلوب ، وجمعها لقاوح .

(٤) يريد ، تغلب مرة ، ويغلبنا العدو مرة .

وقام أبو بكر يُظَلِّه بثوبه ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : « أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنى رسول الله ، وأن تؤوؤنى وتنصرونى ، حتى أؤدبى عن الله الذى أمرنى به ، فإن قريشاً قد تظاهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغفنت بالباطل عن الحق ، والله هو الفنى الحميد . »

قال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (١) : « قُلْ تَمَالَوْا أَنْتُمْ مَآ حَرَّمَ رَبِّيَ كُفْرُكُمْ عَلَيْنِكُمْ أَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِبَائَهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا أَلْفَواحِشَ مَآ ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ؛ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَقَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . »

فقال مفروق : وإلام تدعو أيضاً يا أخا قريش ؟ فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى (٢) : « إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ . »

فقال مفروق : دعوتَ الله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، ولقد أفك (٣) قومٌ كذبوك وظاهروا عليك - وكأنه أحب أن يشرَكَه في الكلام هانى بن قبيصة - فقال : وهذا هانى بن قبيصة شيخنا .

(١) سورة الأنعام ١٥١ ، وما بعدها .

(٢) سورة النحل ٩٠ وما بعدها .

(٣) أفك : كذب .

فقال هاني : قد سمعتُ مقاتلتك يا أخا قريش ، وصدقتُ قولك ، وإني أرى أن تزكنا ديننا ، واتباعنا دينك لمَجْلِسِ جَلَسْتَهُ إِيْنَا لَيْسَ لَهُ أَوْلٌ وَلَا آخِرٌ - زَلَّةٌ فِي الرَّأْيِ ، وَطَيْشَةٌ فِي الْعَقْلِ ، وَقَلَّةٌ نَظْرٍ فِي الْعَاقِبَةِ ؛ وَإِنَّمَا تَكُونُ الزَّلَّةُ مَعَ الْمَجْلَةِ ، وَإِنْ مِنْ وَرَائِنَا قَوْمًا نَسَكَّرَهُ أَنْ نَعْقِدَ عَلَيْهِمْ عَقْدًا ، وَلَكِنْ تَرْجِعُ وَتَرْجِعُ ، وَتَنْظَرُ وَتَنْظَرُ - وَكَأَنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَشْرَكَهُ فِي الْكَلَامِ الْمُثْنِي بِنِ حَارِثَةَ - فَقَالَ : وَهَذَا الْمُثْنِي شَيْخُنَا وَصَاحِبُ حَرَبِنَا . .

فقال المثنى : قد سمعتُ مقاتلتك ، واستحسنْتُ قولك يا أخا قريش ، وأعجبني ما تكلمتَ به ؛ والجواب هو جواب هاني بن قبيصة ، فإننا إنما نزلنا الصريين^(١) : الإمامة والسَّيِّمَةَ . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما هذان الصريان ؟ فقال له : أما أحدهما فطفوف^(٢) البر وأرض العرب ، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى ، وإنما نزلنا على عهدٍ أخذهُ علينا كسرى ألا يُحدِّثَ حدنًا ، ولا تُؤوي حدنًا ، ولعلَّ هذا الأمر الذي تدعوننا إليه مما تكرهه الملوك ؛ فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنبُ صاحبه مَغْفُورٌ ، وعذره مقبول ، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنبُ صاحبه غير مغفور ، وعذره غير مقبول . فإن أردت أن ننصرَكَ ونمنعك مما يلي العرب فعلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أسأتمُ الرد إذ أفصحتُم بالصدق ؛ إنه لا يقومُ بدين الله إلا مَنْ حاظه من جميع جوانبه » .

(١) كل ماء مجتمع صرى ، وتثنيته صريان ، ويروى : « نزلنا بين صيرين فقال رسول الله : وما هذان الصريان ؟ قال : مياه العرب وأنهار كسرى » . والصير : الماء الذي يحضره الناس . لسان العرب - مادة صرى (٢) طفوف : جمع طف ؛ وهو ساحل البحر وجانب البر .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أرايتم إن لم تلبثوا إلا يسيراً حتى
يمنحك الله بلادهم وأموالهم أتسبّحون الله وتقدّسونه؟ » فقال له النعمان بن شريك:
اللهم وإنّ ذلك لك يا أبا قريش ! فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى :
« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا » .
ثم نهض قابضاً على يدي أبي بكر ، والتفت إلى علي وقال . يا علي ؛ أية أخلاق
للعرب كانت في الجاهلية ! ما أشرفها ! بها يتحاجزون في الحياة الدنيا .

١٤٥ - مسلم يَحْتَالُ عَلَى قُرَيْشٍ *

أسلم الحجاج ^(١) بن عِلاطِ السَّلَمِيِّ ، ولم تعلم قُرَيْشٌ بإسلامه ؛ فاستأذن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يوم خَيْبَرَ في أن يصيرَ إلى مكة ، فيأخذَ ما كان له من مال - وكانت له أموالٌ متفرقة هناك ، وهو رجل غريب بينهم - فأذن له النبي ، فقال : يا رسول الله ؛ إني أحتاجُ أن أقول ^(٢) . قال : فقل ؛ فصار إلى مكة .

فقال قريش : هذا لعمرُ الله عنده الخبر . قال : فقولوا . فقالوا : بلغنا أن القاطع ^(٣) قد خرج إلى أهل خَيْبَرَ . فقال الحجاج : نعم ؛ فقتلوا أصحابه قتلاً لم يُسمع بمثله ، وأخذوه أسيراً ، وقالوا : نرى أن نُكَارِمَ ^(٤) به قريشا ؛ فندفمه إليهم ؛ فلا تزالُ لنا هذه اليدُ في رقابهم ، وإنما بادرتُ لجمع مالي ؛ لعل أُصيبُ به من قَلِّ ^(٥) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني إليه التجار ، ويتصل بينهم الحديث .

فاجتهدوا في أن جمعوا إليه ماله أسرعَ جمع ، وسرُّوا أكثرَ السرور ، وقالوا بلا رُغْمٍ ^(٦) !

وأناه العباس بن عبد المطلب وهو كالمراة الواله ^(٧) ، فقال : وَتَحْك يا حجاج ا

* الكامل للبرد : ١ - ٢٠٧

(١) وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وهو بخيبر ، فأسلم (٢) يريد : أقول على جهة الاحتيال (٣) يريدون رسول الله صلى الله عليه وسلم البار الواصل رحمه ، وكانوا يرمونه - سقياً - بالقاطع ، أي القاطع رحمه (٤) كارهه : غلبه في الكرم (٥) يريد من غنم ذلك الفل (٦) وقالوا بلا رُغْمٍ : يريد وفعلوا ذلك بلا كره ، العرب تجعل القول عبارة عن الفعل ، وتطلقه على غير الكلام (٧) الواله : ذهاب العقل والتعير من شدة الوجد ، ويقال امرأة واله ورجل واله .

ما تقول؟ فقال: أكاثم على خبري؟ فقال: إى والله، فقال: فالبث^(١) على شيئا حتى يخف موضى.

ثم سار إليه، فقال له: الخبر والله على خلاف ما قلت لهم؛ خلفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد فتح خيبر، وخلفته والله مغررا بابنة ملكهم^(٢)، وما جئتك إلا مسلما؛ فاطو الخبر ثلاثا، حتى أعجز^(٣) القوم، ثم أشعه، فإنه والله الحق.

فقال العباس: ويحك! أحق ما تقول؟ قال: إى والله. فلما كان بعد ثلاثة تخلق^(٤) العباس وأخذ عصاه، وخرج يطوف بالبيت؟ فقالت قريش: يا أبا الفضل، هذا والله التجلد، فقال: كلا ومن حلقتم به، لقد فتح رسول الله خيبر، وأعرس ابنة ملكهم! فقالوا: من أتاك بها الحديث؟ فقال: الذى أناكم بخلافه، ولقد جاءنا مسلما.

ثم أتت الأخبار من النواحي بذلك! فقالوا: أفلتنا الخبيث، أولى له^(٥)!

(١) امكث، وهو يريد اصبر (٢) يريد صفة بنت حبي بن أخطب (٣) أعجز القوم: صيرهم عاجزين (٤) الملقوق: العايب، وتخلق: مالى ثوبه به (٥) أولى له: كلمة تهديد وتوعده

١٤٦ - إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه *

جاء أعرابي^١ إلى علي رضي الله عنه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن لي إليك حاجة رفعتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت والله وشكرتك . وإن أنت لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ؛ فقال له عليّ : خُطِّبْ في الأرض ؛ فإني أرى الضر عليك . فكتب : إني فقير . فقال : يا قنبر^(١) اكُفِّهِ حَتَّى !

فلما أخذها مَثَلَ بين يديه فقال :

كسوتني حُلَّةً تَبَلَى محاسنها فسوف أكسوك من حُسنِ الثنا حَلَلًا
إبه أبا حسنٍ قد نلت مَكْرُمَةً ولست تَبْغِي بما قدَّمتهُ بَدَلًا
إن الثناء لِيُحْيِي ذَكَرَ صاحبه كالنَيْثِ يَحْيِي نِداءَ السَّهْلِ والجَبَلَا
لا تزهد الدهرَ في عُرْفٍ بدأت به كلُّ امرئٍ سوف يُجْزَى بالذي فعلا

فقال عليّ : يا قنبر ؛ زده مائة دينار ! فقال : يا أمير المؤمنين ، لو فرقتها في المسلمين لأصلحت بها من شأنهم ! فقال عليّ : صه يا قنبر ؛ فإني سمعت النبي يقول : اشكروا لمن أثنى عليكم ، وإذا أتاكم كريم قوم فأكرموه !

* أدب السياسة : ١٧٦ ، المستطرف : ٢ - ٢٤٤

(١) قنبر : مولى علي رضي الله عنه .

١٤٧ — ما رأيتُهُ لَاحِي أَحَدًا إِلَّا غَلَبَهُ *

قال عبد الله بن عمر : كنتُ عند أبي يوماً ، وعنده نفرٌ من الناس ، فجرى ذكر الشعر ، فقال : مَنْ أَشْعَرُ العرب ؟ فقالوا : فلان وفلان . فطلع عبد الله بن عباس ، فسلم وجلس ، فقال عمر : قد جاءكم الخبير ؟ من أشعر الناس يا عبد الله ؟ قال : زهير بن أبي سلمى ، قال : فأنشِدني مما تستجيده له ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه مدح قوماً من غطفان ، يقال لهم بنو سنان فقال :

لو كان يَعمدُ فوقَ الشَّمسِ من كَرِيمٍ
قومٌ ، سنانٌ أبوم حين تَنسُبُهُمُ^(١)
قومٌ بأولهم أو تَجِدُهُم قَعَدُوا
طابوا وطاب من الأولاد ما وُلدوا
إنسٌ إذا أمِنوا ، حين إذا فَرِعُوا
مُرزءون^(٢) بهاليل^(٣) إذا جَهدُوا^(٤)
مُحَسَّدون^(٥) على ما كان من نعم
لا يَنزِعُ اللهُ منهم مَالَهُ حُسِدُوا

فقال عمر : والله لقد أحسن ! وما أرى هذا المدح يصلحُ إلا لهذا البيت من هاشم ؛ لقرابتهم من رسول الله .

فقال ابن عباس : وقلك الله يا أمير المؤمنين ، فلم تزل مَوْفِقًا .

فقال عمر : أتدرى يا ابن عباس ما منع الناس منكُم ؟ قال : لا ، يا أمير المؤمنين !

* ابن أبي الحديد : ٣ - ١٠٧ ، تاريخ الطبري : ٥ - ٣٠

(١) نسبة ينسبه : ذكر نسبه ، وسأله أن ينتسب (٢) المرزءون : الكرماء

(٣) البهلول : السيد الجامع لكل خير (٤) جهد - كمن : جد واجتهد (٥) حسده :

تخى أن تتحول إليه نعمته .

قال : لَكِنِّي أُدْرِي ، قال : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : كرهت قريش أن تجتمع
لكم النبوة والخلافة فتجحدنوا^(١) الناس جحفاً ؛ فنظرت قريش لأنفسها فاخترت ،
ووقفت فأصابت .

فقال ابن عباس : أَيْمِيطُ أمير المؤمنين عنى غَضَبَهُ فيسمع ؟ قال : قل ما تشاء .
قال : أما قولُ أمير المؤمنين : إن قريشا كرهت فإن الله تعالى قال لقوم :
« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ » . وما قولك : إنا كنا نجحف ،
فلو جحفنا بالخلافة جحفاً بالقرابة ، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ،
الذي قال الله فيه : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » . وقال له : « وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ
لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » .

وأما قولك : فإن قريشا اختارت ، فإن الله تعالى يقول : « وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ
وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ » .

وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار ، فلونظرت
قريش من حيث نظر الله لها لو وقفت وأصابت .

فقال عمر : على رسلك^(٢) يا بن عباس ! أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشا في أمر
قريش لا يزول ، وحقداً عليها لا يحول .

فقال ابن عباس : مهلاً يا أمير المؤمنين ، لا تنسب قلوب بني هاشم إلى النش ؛
فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه ، وهم أهل البيت الذين
قال الله لهم : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيراً » .

وأما الحقد ؛ فكيف لا يحقد من غصب شيؤهُ ، ويراها في يد غيره ؟ فقال عمر :

(١) أجبف به : ذهب (٢) على رسلك : على مملك .

ما أنت يا ابن عباس؟ فقد بلغني عنك كلامٌ أكره أن أخبرك به ، فنزول منزلتك عندي ! قال : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ أخبرني به فإنَّ يكُ باطلاً فثلى أماط الباطل عن نفسه ، وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به ! قال : بلغني أنك لا تزال تقول : أخذَ هذا الأمرَ حسداً وظلماً .

قال : أما قولك يا أمير المؤمنين : «حسداً» : فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة ، فنحن بنو آدم المحسود ، وأما قولك : «ظلماً» فأمر المؤمنين يعلمُ صاحب الحقِّ مَنْ هو !

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، ألم تحتجَّ العربُ على العجم بحق رسول الله ، واحتجَّت قريش على سائر العرب بحق رسول الله ، فنحن أحقُّ برسول الله من سائر قريش .

فقال له عمر : قم الآن فارْجِعْ إلى منزلك . فقام ، فلما ولى هتَفَ به (١) عمر : أيها المنصرف ؛ إنى على ما كان منك لراع حَقك . فالتفت ابن عباس فقال : إنلى عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله . فمن حفظه فحق نفسه حفظ ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ، ثم مضى .

فقال عمر جلسائه : واهاً لابن عباس ! ما رأيته لآحى (٢) أحداً قط إلا خصمه (٣) !

(١) هتف به : ناداه .

(٢) لآحاه : نازعه (٣) خاصمه فخصمه : غلبه .

١٤٨ — المغيرة بن شعبه وأحد الأعراب *

خرج المغيرة بن شعبه ، وهو على الكوفة يومئذ ، ومعه الهيثم بن الأسود النخعي بعد مطرٍ يسيرٍ بظهر الكوفة ؛ فلقى أعرابياً من بني تميم الله بن ثعلبة . وهو لا يعرف المغيرة ^(١) .

فقال له المغيرة : من أين أقبلت يا أعرابي ؟ قال : من السماوة ، قال : كيف تركت الأرض خلفك ؟ قال : عريضة ^(٢) أريضة ، قال : وكيف كان المطر ؟ قال : عني الأثر ، وملاً الحفر .

قال : ممن أنت ؟ قال : من بكر بن وائل ، قال : كيف علمك بهم ؟ قال : إن جهلتهم لم أعرف غيرهم ، قال : فما تقول في بني شيبان ؟ قال : سادتنا وسادة غيرنا ، قال : فما تقول في بني ذهل ؟ قال : سادة نوكي ^(٣) ، قال : فقيس بن ثعلبة ؟ قال : إن جاوزتهم سرقوك ، وإن ائتمنتهم خانوك . قال : فبنو تميم الله بن ثعلبة ؟ قال : رعاء ^(٤) البقر ، وعراقيب الكلاب ، قال : فما تقول في بني بشكر ؟ قال : صريح ^(٥) نحسبه موالي ، قال : فميجل ؟ قال : أحلاس الخليل ^(٦) ، قال : بخنيفة ؟ قال :

* الأغاني : ١٥ - ١٣٨ (طبعة الساسي) .

(١) المغيرة بن شعبه : صحابي جليل ، شهد في عهد رسول الله بعض المواقع ، وشهد كثيراً من الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين . وتوفي سنة ٥١ هـ (٢) يقال : أرض أريضة ؛ إذا كانت زكية مجيبة (٣) نوكي : جمع أنوك وهو الأحق (٤) رعاء : جمع راع (٥) الصريح : الخالص النسب (٦) المجلس (في الأصل) : كساء على ظهر البعير تحت البرذعة ، ويقال : هو جلس بيته ؛ إذا لم يبرح مكانه ، والمراد هنا أنهم يلازمون ركوب الخيل مغتربين أو محاربين .

يطعمون الطعام ، ويضربون المام ، قال : ففئزة ؟ قال : لا تلتقى بهم الشفتان لؤماً !
قال : فأخبرني عن النساء ، قال : النساء أربع : ربيع مريع ، وجميع يجمع ،
وشيطان سمم ، وعُل لا يخلع ، قال : فسّر ، قال : أما الربيع فالتى إذا نظرت
إليها سرتك ، وإذا أقست عليها برتك ؛ وأما التى هى جميع يجمع ، فالمرأة تزوجها
فتجمع نسبك إلى تشبها ؛ وأما الشيطان السمم : فالكلحة فى وجهك إذا دخلت ،
والمولوة فى إترك إذا خرجت ؛ وأما العُل الذى لا يخلع ، فبنت عمك السوداء ،
القصيرة الورهاء^(١) الذميمة التى قد نثرت لك بطنها ؛ إن طلقها ضاع ولدك ، وإن
أمسكتها فعلى جدّك أنفك . ثم قال له : ما تقول فى أميرك المغيرة ؟ قال : أعور زنّاء ،
فقال المهيم : فضّ الله فاك ا ويلك ! هذا الأمير المغيرة ، فقال : إنها كلمة والله تُقال ؛
فانطلق به المغيرة إلى منزله ، وعنده يومئذ أربع نسوة ، وستون أمة ، ثم قال له :
ويحك ! هل يقدم أحدٌ على هذه الكبيرة وعنده مثل هؤلاء ؟ ثم قال لمن المغيرة :
ارمين إليه بحلّيسكن ، فخرج الأعرابي بملء كسائه ذهباً وفضة !

(١) الورهاء : الحرقاء فى العمل أو الحفقاء .

١٤٩ - دَهَاءُ بَعْرُومِ بْنِ الْمَاصِ*

لما نزل على بن أبي طالب الكوفة بعد فراغه من أمر البصرة كتب إلى معاوية كتاباً يدعو إلى البيعة ، وأرسل جرير بن عبد الله البجلي ، قدم عليه به الشام ، فقرأه فاعتَمَ بما فيه وذهبت أفكاره كلَّ مذهب ؛ وطاول جريراً بالجواب عن الكتاب ، حتى كَلَّمَ قوماً من أهل الشام في الطلب بدم عثمان بن عفان فأجابوه ووثقوا له .

وأحب الزيادة في الاستظهار ، فاستعان بأخيه عتبة بن أبي سفيان ؛ فقال : استعن بعمر بن العاص ؛ فإنه من قد علمت في دهائه ورأيه ، وقد اعتزل عثمان ابن عفان في حياته ، وهو لأمرك أشدَّ اعتزالاً ، إلا أن يُثَمِّنَ له دينه ، فسبيحك ، فإنه صاحب دنيا .

فكتب إليه معاوية : أما بعد ، فإنه كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في نفر من أهل البصرة ، وقدِمَ علينا جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وقد حبستُ نفسي عليك ، فأقبل إذا كرك أموراً لا تعدم مَعَبَّتْهَا إن شاء الله .

فلما قدم الكتاب على عمرو استشار ابنه : عبد الله بن عمرو ، ومحمد بن عمرو ؛ فقال لهما : ما تريان ؟ فقال عبد الله : أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضَ وهو عنك راض ، والخليفتان بعده ، وقُتِلَ عثمان وأنت غائب عنه ؛ فقرر في منزلك

فلست بمجمولا خائفة ، ولا تزيدُ على أن تكون حاشيةً لمعاوية ، على دنيا أو شكمتان تهلكا وتفارقاها .

وقال محمدٌ : أرى أنك شيخُ قریش وصاحبُ أمرها ، وإن تصرّم هذا الأمرُ - وأنت فيه غافل - تصاغرُ أمرُك ؛ فاللحقُ بجماعة أهل الشام ، وكنْ يداً من أيديها ، طالباً بدمِ عثمان ، فإنه سيقومُ بذلك بنو أمية .

فقال عمرو : أنت يا عبد الله قد أمرتني بما هو خير لي في ديني ، وأما أنت يا محمد فأمرتني بما هو خير لي في دنياي ، وأنا أنظر .

ثم دعا عمرٌو غلامه وِردان - وكان داهيةً مارداً - فقال : ارحلْ يا وِردان ، ثم قال : احطط يا وِردان اثم قال : ارحل يا وِردان ، احطط يا وِردان . فقال له وردان : خالطت أبا عبد الله ، أما إنك إن شئت أنبأتك بما في قلبك ، قال : هات ، ويحك ! قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : على ما معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوضٌ عن الدنيا ومعاويةٌ معه الدنيا بغير آخرة ، وليس في الدنيا عوضٌ من الآخرة ، وأنت واقف بينهما .

قال : قاتلك الله ! ما أخطأت ما في قلبي ، فأتري يا وردان ؟ قال : أرى أن تقيم في بيتك ؛ فإن ظهر أهلُ الدين عشت في عفو دينهم ، وإن ظهر أهلُ الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن لما شهرت العرب سيرةً إلى معاوية !

ثم ارتحل حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجته إليه ، فباعده من نفسه ، وكأيد كل واحد منهما صاحبه .

فقال له معاوية يوم دخل عليه : أبا عبد الله ؛ طرقتنا في ليلتنا ثلاثة أخبار ليس فيها وِرد ولا صدر . قال : وما ذاك ؟ قال : منها أن محمد بن أبي حذيفة كسر

سَجَنَ مِصرَ ، فخرج هو وأصحابه ، وهو من آفات هذا الدين ؛ ومنها أن قيصر زحف
بجماعة الروم ليغلب على الشام ؛ ومنها أن عليا نزل الكوفة ، وتهيباً للمسير إلينا .
فقال عمرو : ليس كلُّ ما ذكرت عظماً ؛ أما ابنُ أبي حذيفة فما يتعاظمك^(١)
من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله ، أو يأتيك به ، وإن قاتل لم
يضرك ؛ وأما قيصر فأهد له الوصائف وآنية الذهب والمضة ، وسله الموادة فإنه
إليها سريع ؛ وأما علي ، فلا والله يامعاوية ، مايسوى العريُّ بينك وبينه في شيء
من الأشياء ، وإن له في العرب لحظاً ، ماهولاً أحد من قریش ، وإنه لصاحب ماهو
فيه إلا أن تظلمه .

قال معاوية : ياأبا عبد الله ؛ إنى أدعوك إلى جهادِ هذا الرجل الذى عصى الله
وشقَّ عصا المسلمين ، وقتل الخليفة وأظهر الفتنه ، وفرق الجماعة وقطع الرحم .
فقال عمرو : والله يامعاوية ، ما أنت وعلى عدلاً بعير ، ايس لك هجرته ولا
سابقته ، ولا صُحْبَتُهُ ولا جهاده ، ولا فقهه ، ولا علمه ؛ والله إن له مع ذلك لحظاً
في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكنى قد تعودت من الله تعالى إحساناً وبلاءً جميلاً ،
فما تجمل لى إن شابتك على حربيه ، وأنت تلم ما يهيه من الغرر والخطر ؟ قال :
حُكْمُك ، فقال : مصر طعمه ، فتلك معاوية وقال : ياأبا عبد الله ؛ إنى
أكره لك أن تتحدث العربُ عنك أنك إنما دخت فى هذا الأمر المرص
الدنيا ! قال عمرو : دغنى عنك ، فقال معاوية : إنى . شئت أن أميتك وأخذعك
لفعلت . قال عمرو : لعمرُ الله مامثل يُخدع ، لأنما كيدسُ من ذلك ، فقال معاوية :
ادنُ منى أسارك . فدنا منه عمرو ليساره ، فعضَّ معاوية أذنه ، وقال : هذه خدعة ،

(١) لا يعظم عليك .

هل ترى في البيت أحداً غيرى وغيرك ! ثم تَلَكَّأَ عليه وانصرف عمرو .
فلما حضر عتبة بن أبى سفيان قال لمعاوية : أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر ؟
فقال معاوية : يا عتبة ؛ بت عندنا الليلة . فلما جَنَّ الليل على عتبة رفع صوته ليسمع
معاوية وقال :

أيها المانع سيفاً لم يهزّ	إنما ملت على خزّ وقزّ
أعط عمراً إن عمراً تارك	دينه اليوم لدنيا لم تُحزّ
أعطه مصرَ وزدّه مثلها	إنما مصرٌ لمن عزّ فبزّ
واترك الحرص عليها ضلّة	واشعب النار لمقرور يُكزّ
إن مصر لعلّى أو لنا	يُغلب اليوم عليها من عجز

فلما سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصر ، وكتب له
كتاباً بها .

١٥٠ — بين معاوية وهاني بن عروة*

ولّى معاويةُ كثيرَ بنِ شهابِ الَّذِي حَجَّيَ خُرَّاسَانَ ؛ فَاخْتَسَانَ مَالًا كَثِيرًا ،
ثُمَّ هَرَبَ فَاسْتَرَعَ عِنْدَ هَانِيٍّ (١) بِنِ عُرْوَةَ الْمُرَادِيِّ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ مَعَاوِيَةَ ، فَنَذَرَ دَمَ هَانِيٍّ ؛
فَخَرَجَ هَذَا فَكَانَ فِي جَوَارِ مَعَاوِيَةَ .

ثُمَّ حَضَرَ مَجْلِسَهُ - وَمَعَاوِيَةُ لَا يَعْرِفُهُ - فَلَمَّا نَهَضَ النَّاسُ ثَبَتَ مَكَانَهُ ، فَسَأَلَهُ
مَعَاوِيَةُ عَنْ أَمْرِهِ ؛ فَقَالَ : أَنَا هَانِيُّ بْنُ عُرْوَةَ . فَقَالَ : إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ لَيْسَ بِيَوْمٍ يَقُولُ
فِيهِ أَبُوكَ :

أَرْجُلُ جُجِّيِّ (٢) وَأَجْرُ ذَيْبِي وَتَحْمَلُ شِكْتِي (٣) أَفْقُ (٤) كَمَيْتٌ (٥)
أَمْشَى فِي سَرَاةِ بَنِي غُطَيْفٍ إِذَا مَا سَأَمَنِي ضَمَّ أَبَيْتُ
فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ : أَنَا الْيَوْمَ أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ ! فَقَالَ لَهُ : بِمِ ذَاكَ ؛ فَقَالَ :
بِالْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ لَهُ : أَيْنَ كَثِيرُ بْنُ شَهَابٍ ؟ قَالَ : عِنْدِي فِي عَسْكَرِكَ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةُ : انظُرْ إِلَى مَا اخْتَنَانَهُ ؛ فَخَذَ مِنْهُ بَعْضًا ، وَسَوَّغَهُ
بَعْضًا .

* الكامل ١ : ٧٢

(١) هانيُّ بن عروة بن الفضاض : من قراء الكوفة ، وكان من خواص عليِّ بن أبي طالب ،
قتل مع مسلم بن عقيل رسول الحسين إلى الكوفة (٢) الجملة : مجتمع شعر الرأس (٣) الشكة :
السلاح (٤) فرس أفق : رالم (٥) الكيت : الذي خالط حرته قنوه .

١٥١ — إن هذا العبد غلبنى وغلبك *

دخل عمرو^(١) بن العاص يوماً على معاوية بعد ما كبر ودقّ ، ومعه مولاة
ورّدان ، فأخذا في الحديث ، وليس عندهما غير ورّدان ، فقال عمرو : يا أمير المؤمنين
ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : أما الثيابُ فقد لبستُ من لِيْنِها وجيّدَها حتى وهَى بها
جلدى ، فما أدري أيها ألين ؟ وأما الطعامُ فقد أكلتُ من لينه وطَيّبة حتى ما أدري
أيه ألدّ وأطيب ؟ أمّا الطيب فقد دَخَلَ خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب ؟
فأشياء ألدّة عندي من شراب بارد في يوم صائف ، ومن أن أنظر إلى بَنِيّ ، وبَنِيّ
بَنِيّ يدورون حولي !

فما بقي منك يا عمرو ؟ قال : مال أغرسه فأصيبُ من ثمرته ومن غلّته . فالتفت
معاوية إلى ورّدان فقال : ما بقي منك يا ورّدان ؟ قال : صنعة كريمة سنيّة أعلقها
في أعناق قوم ذوى فضل وأخطار ، لا يكافئون عليها حتى ألقى الله تعالى ، وتكون
لعقبى في أعقابهم بعدى . فقال معاوية : تَبّاً لِمَجْلِسِنَا سائرَ اليوم ! إن هذا العبد
غلبنى وغلبك !

* السعوى ١ : ٦٦

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل : أسلم سنة ثمان مع خالد بن الوليد ، وولاه معاوية مصر ثلاث سنين ، ثم حضرته الوفاة قبل الفطر بيوم ، سنة ٤٢ هـ .

١٥٢ — ما عليه لو عرض*

دخل عمرو بن العاص على معاوية يسأله حاجة ، وقد كان بلغ معاوية عنه ما كرهه ؛ فكره قضاءها وتشاغل .

فقال عمرو : يا معاوية ؛ إن السخاء فطنة ، واللؤم تغافل ، والجفاء ليس من أخلاق المؤمنين ! فقال معاوية : يا عمرو ؛ بماذا تستحق منا قضاء الحوائج العظام ؟ فغضب عمرو ، وقال : بأعظم حق وأوجب ؛ إذ كنت في بحر عجاج^(١) ؛ فلولا عمرو لفرقت في أقل مائة وأرقه ؛ ولكني دفعتك فيه دفعة فصرت في وسطه ، ثم دفعتك فيه أخرى ، فصرت في أعلى المواضع منه ؛ فمضى حكماً ، ونفذ أمرك وانطلق لسانك بعد تلجأججه ، وأضاء وجهك بعد ظلمته .

فتناوم معاوية ، وأطبق جفنيه ملياً ، فخرج عمرو ، فاستوى معاوية جالسا ، وقال لجلسائه : أرايتم ما خرج من فم ذلك الرجل ! ما عليه لو عرض ! ففى التعريض^(٢) ما يكفي ، ولكنه جبهني بكلامه ، ورماني بسموم سهامه .

فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ، إن الحوائج لتقتضى على ثلاث خصال : إما أن يكون السائل لقضاء الحاجة مستحقاً ، فتقتضى حاجته بحقه ، وإما أن يكون السائل لثيماً فيصون الشريف نفسه عن لسانه ، فيقتضى حاجته ، وإما أن يكون المسئول كريماً فيقتضيه لكرمه صغرت أو كبرت .

* ابن أبي الحديد ٢ : ٤٠١

(١) بحر عجاج : لثائه صوت (٢) التعريض : ضد التصريح .

فقال معاوية : لله أبوك ! ما أحسن ما نظقت به ! وبمث إلى عمرو فأخبره ،
وقضى حاجته ، ووصله بصلّةٍ جليّة .

فلما أخذها ولّى منصرفاً ، فقال معاوية : « فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا ، وَإِنْ لَمْ
يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » . فسمعها عمرو ، فالتفت إليه مُغْضَبًا ، وقال : والله
يا معاوية لا أزال آخذ منك قَهْرًا ، ولا أطيع لك أمرًا ، وأحفر لك بئرًا عميقة إذا
وقعت فيها لم تُدْرِك إلا رَمِيًّا^(١)

فضحك معاوية فقال : ما أردتك يا أبا عبد الله^(٢) بالسكّمة ، وإنما كانت آيةً
تلوّثها من كتاب الله عرّضت بقلبي ، فاصنع ما شئت !

(١) الرميم : البالي .

(٢) كنية عمرو بن العاص .

١٥٣ — لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل*

دخل عبدُ الله بن صفوان على عبدِ الله بن الزبير - وهو يومئذ بمكة - فقال :
أصبحت كما قال الشاعر :

فإن تُصِبِكَ من الأيامِ | جأحةٌ لا أبك منك على دنيا ولا دين

فقال : وما ذلك يا أعرج ؟ قال : هذا عبدُ الله بن عباس يفقه الناس ، وعبيدُ الله
أخوه يُطعم الناس ، فما أبقياً لك ؟ فأحفظه ذلك ، وأرسل صاحبُ شُرطته عبدَ الله
ابن مطيع وقال له : انطلق إلى ابني عباس ، فقل لها : أعمدتما إلى راية تَرابيةٍ قد
وضعها الله فنصبتهاها ! بدداً عني جَمعكما ، ومن ضوى^(١) إليكما من ضلال أهل
العراق وإفملتُ وفعلتُ . . .

فقال ابن عباس : قل لابن الزبير : يقول لك ابن عباس : شككتك أمك !
والله ما يأتينا من الناس غير رجلين : طالبُ فقه أو طالبُ فضل ، فأى هذين تمنع !
فقال أبو الطفيل^(٢) :

لا در در^٣ الليالى كيف تضحكننا منها خطوبٌ أعاجيبٌ وتبسكينا
ومثل ما تحدث الأيام من غيرِ يابنِ الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجي ابنَ عباس فيقبسنا^(٤) علماً ويكسبنا أجراً ويهدينا

* الأغاني ١٣ : ١٦١ (طبعة الساسي)

(١) ضوى : انضم (٢) هو طامر بن وائلة ، كانت له صحبة برسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمر بعده طويلاً ، وكان من شيعة علي بن أبي طالب ، وله منه عمل خاص (٣) يقبسنا : بطننا -

ولا يزال عُبيد الله مترعةً
قالبرُّ والدين والدنيا بدآريها
إن النبي هو النور الذي كُشِفَتْ
به عمآياتُ باقينآ ومآضينآ
ورهبه عصية في ديننآ ولم
فصل علينا وحقٌ واجب فينآ
ولست - فاعله - أولى منهم رحماً
بابن الزبير ولا أولى به دينآ
فقيم تمنهم عنآ وتمنعنا
منهم وتؤذيهم فينآ وتؤذينا؟
لن يؤتى الله من أخزى بيغضهم
في الدين عزاً ولا في الأرض تمكينآ
جفانه مُطعماً ضيفاً ومسكينآ
نقال منها الذي ننبغى إذا شينآ

١٥٤ — ابن أبي مخجن عند معاوية*

وفد ابنُ أبي مِجْنَعٍ علي معاوية ، فقام خطيباً ، فأحسن ، فغسده معاوية .
فقال له : أنت الذي أوصاكُ أبوك بقوله :
إذا متَّ فادفني إلى جنبِ كَرَمَةٍ
ولا تدفني في الفلاة فإنني
قال : بل أنا الذي يقول أبي :
لا تسألِ الناسَ مآلِي وكثرته
أعطِي الحُسامَ غداةَ الرَّوْعِ حصته
وأطعنُ الطَّعْنََةَ النجلاءَ^(٢) عن عَرَضِ
ويعلم الناسَ أني من سراتهم^(٣)
وسائلِ الناسِ ما جُودِي وما خُلِّي
وعاملُ الرمحِ أزوِيه من العَلَقِ^(١)
وأكتمُ السرَّ فيه ضَرْبَةُ العُنُقِ
إذا تطيشُ يدُ الرَعْدِيدةِ^(٤) الفرقِ^(٥)
فقال له معاوية : أحسنتَ والله يا ابنَ أبي مِجْنَعٍ ، وأمر له بصلته وجائزة .

* المستطرف ٢ : ٢٣٦ ، ذيل زهر الآداب ٦٨ .

(١) العلق : أدم الفليظ (٢) النجلاء : الواسعة (٣) سراة : جمع السرى : وهو الرئيس
(٤) الرعيدة : الجبان (٥) الفرق : شديد الفرع .

١٥٥ - ذكّر تني يوم النفخ في الصور *

قدم سعيد^(١) بن جبير على الحجاج فقال له : ما اسمك ؟ قال : سعيد ، قال : ابن من ؟ قال : ابن جبير ، قال الحجاج : بل أنت شق بن كسير . قال سعيد : أمي أعلم باسمي واسم أبي ، قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك . قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك ، قال الحجاج : لأوردنك حياض الموت ! قال سعيد : أصابت إذن أمي اسمي .

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً تلتظي ! قال سعيد : لو أعلم أن ذلك بيدك لا تتخذنك إلهاً .

قال الحجاج : فما قولك في محمد ؟ قال سعيد : نبي الرحمة ، وإمام الهدى . قال الحجاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لست عليهم بوكيل ، كل امرئ بما كسب رهين . قال الحجاج : أشتمهم أم أمدحهم ؟ قال سعيد : لا أقول ما لا أعلم . قال الحجاج : أيهم أعجب إليك ؟ قال : أَرْضَاهُمْ نَخَالِقِي ، قال : فأيهم أرضى للخالق ؟ فقال : علم ذلك عند الذي يعلم سرهم ونجواهم . قال الحجاج : صِف لي قولهم في علي ؛ أفي الجنة هو أم في النار ؟ قال سعيد : لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ، ولو رأيت

* ابن خلكان ٢ : ٢٠٥ ، المعارف لابن قتيبة ١٩٧
(١) أخذ سعيد بن جبير العلم عن ابن عباس وابن عمر ، وكان من أجمع التابعين لعلم الفقه والتفسير وكان ورعاً تقياً ، خرج مع عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الرحمن هرب سعيد فلحق بمكة ، ولكن واليها يومئذ خالد بن عبد الله القسري أخذه وأرسله إلى الحجاج ، فقتله سنة ٩٥ هـ .

من في النار علمت ؛ فما سؤالك عن غيبٍ قد حُفِظَ بالحجاب ! قال الحجاج : فأى رجل أنا يوم القيامة ؟ قال سعيد : أنا أهونُ على الله من أن يُطْلِعَنِي على الغيب . قال الحجاج : أبيتَ أن تصدقني . قال سعيد : بل لم أرد أن أكذبك .

قال الحجاج : دَعُ عنك هذا كله وأخبرني ؛ مالك لم تضحك قط ؟ قال : لم أر شيئاً يُضحكني ، وكيف يضحك مخلوقٌ من طين ، والطين تأكله النار ، ومُنْقَلَبُهُ إلى الجِزَاء ! قال الحجاج : فأنا أضحك ؛ قال سعيد : كذلك خلقنا الله أطواراً . قال الحجاج : هل رأيت شيئاً من اللهو ؟ قال : لا أعلم . فدعا الحجاج بالعود والناسي ، فلما ضَرِبَ بالعود ونُفِخَ في الناي بكى سعيد : قال الحجاج : ما يبكيك ؟ قال : هو الحزن ؛ ذكرتني أمراً عظيماً . أما هذه النفخة فذكرتني يوم النفخ في الصور ، وأما العود فشجرة قطعت في غير حق ، وأما الأوتار فمن الشاء تُبَعَثُ معها يوم القيامة ، فقال الحجاج : أنا أحبُّ إلى الله منك ؛ أنا مع إمام الجماعة ، وأنت مع إمام الفرقة . قال سعيد : ما أنا بخارج على الجماعة ولا أنا براضٍ عن الفتنة ، ولكن قضاء الرب نافذٌ لا مردَّ له .

قال الحجاج : كيف تَرَى ما نجمعُ لأُمير المؤمنين ؟ قال سعيد : لم أره . فدعا الحجاج بالذهب والنقضة والكِسْوَةَ والجوهر ، فوَضِعَ بين يديه . قال سعيد : هذا حسنٌ إن قمتَ بشرطه ، قال الحجاج : وما شرطه ! قال : أن تشتري له بما نجمعُ الأمانَ من الفرع الأكبر يوم القيامة ، قال الحجاج : أتحبُّ أن تنالَ منه شيئاً ؟ قال : لا أحبُّ ما لا يحبُّ الله .

قال الحجاج : وبيك ! قال سعيد : الويل لمن زُحِرَ عن الجنة فأَدْخَلَ

النار ، قال الحجاج : اذهبوا به فاقتلوه . فلما أدبرَ ضحكك؟ قال : ما يضحكك يا سعيد؟
قال : عجبت من جرأتك على الله وحلمِ الله عليك ، قال الحجاج : اضرَبوا عُنُقَه .
قال سعيد : دعني أصلُ ركعتين . فاستقبل القبلة وهو يقول : إني وجهتُ وجهي
للذي فطرَ السموات والأرضَ حَنِيفاً وما أنا من المشركين . قال الحجاج : اصرفوه
عن القبلة ، قال سعيد : فأينما تَوَلَّوْا فَمَّ وجه الله إن الله واسع عليم . قال الحجاج :
لم نُؤكِّلْ بالسراير ، وإنما وُكِّلْنَا بالظواهر . قال سعيد : اللهم لا تسلطه على أحد
يقتله بعدى .

ثم ضربت عنقه .

١٥٦ - أعرابي عند الحجاج *

قال زيد بن عمرو : سمعت طاوساً يقول : بينا أنا بمكة إذ دُفِعتُ إلى الحجاج ابن يوسف ، ففتى لي وساداً فجلست ، فبينما نحن نتحدثُ إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية^(١) ، فقال الحجاج : عليّ بالمأبى فأتيتُ به فقال : من الرجل ؟ قال : من أفناء^(٢) الناس . قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فعمّ سألتني !

قال : من أى البلدان أنت ؟ قال : من أهل اليمن . قال له الحجاج : فكيف خلفتَ محمد^(٣) بن يوسف ؟ - - - - - يعني أخاه - قال : خلفته عظيماً جسيماً خراجاً ولاجاً^(٤) ! قال : ليس عن هذا سألتك ! قال : فعمّ سألتني ؟ قال : كيف خلفتَ سيرته في الناس ؟ قال : خلفته ظلوماً غشوماً عاصياً للخالق ، مطيعاً للمخلوق !

فازورّ من ذلك الحجاج ، وقال : ما أقدمك على هذا وأنت تعلم مكانته مني !

فقال له الأعرابي : أفترأه بمكانة منك أعزّ مني بمكانتي من الله تبارك وتعالى وأنا وافدٌ بيته ، وقاضى دينه ، ومصدقُ نبيّه - صلى الله عليه وسلم !

فوجّه لها الحجاجُ ، ولم يُحرّجْ^(٥) له جواباً ، حتى خرج الرجلُ بلا إذن !

* العقد الفريد ٢ : ٢٦٧

(١) التلبية : أن يقول الرجل لييك ، ومعنى لييك : لزوماً اطاعتك

(٢) أفناء الناس : أخلاطهم ، وهو جمع فنو (٣) كان عامله باليمن (٤) الخراج الولاغ : العظيم

الاحتيال (٥) ما أحرار جواباً : مارد .

١٥٧ — دعائي مَنْ هو خير منك *

حجّ الحجاجُ فنزل ببعض المياه ، ودعا بالعداء ، فقال لحاجبه : انظر من يتقدّى معي وأسأله عن بعض الأمر ! فنظر الحاجب فإذا هو بأعرابي نائم بين شملتين^(١) من شعر فصرّ به برجله ، وقال : انت الأمير .

فأتاه ، فقال له الحجاج : اغسل يدك وتقدّ معي ؛ قال : إنه دعائي مَنْ هو خير منك فأجبتُه ، فقال الحجاج : من الذي دعاك ! قال : الله تعالى دعائي للصوم فصمت ؛ قال : في هذا اليوم الحارّ ! قال : نعم ، صمتُ ليومٍ أحرّ منه ؛ قال : فأفطر وتصوم غدًا ؛ قال : إن صممتَ لي البقاء إلى الغد ! قال : ليس ذلك إلى . قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل لا تقدرُ عليه ؟ قال : إنه طعام طيب . قال : إنك لم تطيبه ولا الخبز ، ولكن طيبته العافية !

* عيون الأخبار ٢ : ٣٦٦

(١) الشمة : كساء يشتمل به .

١٥٨ — أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو *

دخل أيوب^(١) ابن القريّة على الحجاج - وكان فيمن أسير من أصحاب
عبد الرحمن بن الأشعث ، فقال له : ما أعددت لهذا الموقف ؟ قال : ثلاثة صفوف ،
كأنها ركب وقوف ، دنيا وآخرة ومعروف !
فقال له الحجاج : بثما مئيتَ به نفسك يا ابن القريّة ! أتراني ممن تخدعه
بكلامك وخطبك ؟ والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نطى هذه ! قال :
أقلني عثرتي ، وأسفني ريتي ، فإنه لا بد للجواد من كبوّة ، ولل سيف من نبوّة ،
وللحليم من صبوّة ! قال : أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو ! ألسنت القائل -
وأنت محروض حزب الشيطان ، وعدو الرحمن : « نعدّوا بالحجاج قبل أن يتعشى
بكم » ! ثم قدمه فضرب عنقه !

* زهر الآداب ٤ : ٤٩

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقريّة أمه ، وهو من بني هلال بن ربيعة ، وكان لساناً خطيباً ،
قتله الحجاج لما بلغه من ميله مع ابن الأشعث .

١٥٩ — ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب *

قال الشعبي : لما انهزم ابن الأشعث ^(١) ضاقت ب الأرض ، وكرهت ترك عيالي وولدي ؛ فلقيت يزيد بن أبي مسلم ، وكان لي صديقاً ، وكانت الصداقة تنفع عنده - فقلت له : قد عرفت الحال بيني وبينك ، وقد صرنا إلى ماترى ! قال : يا أبا عمرو ؛ إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى ^(٢) ولا ينبج ، ولكن قم بين يديه ، وأقر بذنبك ، واستشهدني ما شئت .

فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا مائل بين يديه ، فقال : أعامر ؟ قلت : نعم أصلح الله الأمير ! قال : ألم أقدم العراق فأحسن إليك وأذنتك ، وأم فذنتك على أمير المؤمنين ، واستشرتك ! قلت : بلى أيها الأمير .

قال : فأين كنت من هذه الفتنة ؟ قلت : استشرنا الخوف ، واكتحلنا السهر ، وأحزن بنا المنزل ، وأوحش بنا الجناب ، وفقدنا صالح الإخوان ، وشملتنا فتنة لم نسكن فيها بررة أتقياء ، ولا جرة أقوياء ؛ وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف غدري ، وكنت أكتب إليه .

فقال : صدق ؛ أصلح الله الأمير ! قد كان يكتب إليّ بعذره ، ويخبرني بحاله . فقال الحجاج : فهذا الأحق ضربنا بسيفه ، ثم جاءنا بالأكاذيب ؛ كان وكان ؛ انصرف إلى أهلك راشداً .

* المقد الفريد : - ١٥٦ ، ذيل الأمل : ٢٢٠ (المطبعة الأميرية) ، مروج الذهب : ٢ - ٥٧٣
(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، خرج على الحجاج ، وخرج معه القراء والبلدء
(٢) يريد أنه لا يكلم بخير ولا شر . اللسان - نج .

١٦٠ — الحجاج وأنس بن مالك *

حدث سعيد بن جويرية قال :

خرجتُ خارجةً على الحجاج بن يوسف ، فأرسل إلى أنس بن مالك أن يخرج معي فأبى ؛ فكتب إليه يشتمه . . . فكتب أنس بن مالك إلى عبد الله ابن مروان يشكوه ، وأدرج كتاب الحجاج في جوف كتابه .

قال إسماعيل بن عبد الله : بعث إلى عبد الملك بن مروان في ساعة لم يكن يبعثُ إليّ في مثلها ، فدخلتُ عليه وهو أشدُّ ما كان حنقًا وغيظًا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشدَّ أن تقول الرعية : ضعُف أمير المؤمنين وضاق ذرّعه في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لا يقبل له حسنة ولا يتجاوز له عن سيئته ! فقلت : وما ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : أنس بن مالك ، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كتب إليّ يذكر أن الحجاج قد أضرَّ به وأساء جواره ، وقد كتبت في ذلك كتابين : كتاباً إلى أنس بن مالك والآخر إلى الحجاج ، فاقبضهما ، ثم أخرج عليّ البريد ؛ فإذا ورّدت العراق فابدأ بأنس بن مالك ، وادفع إليه كتابي ، وقل له : اشتدَّ عليّ أمير المؤمنين ما كان من الحجاج إليك ، ولن يأتي إليك أمر تكرهه إن شاء الله . ثم اتت الحجاج ، فادفع إليه كتابه وقل له : اغتررتَ بأمر المؤمنين غرّة لا أظنه يحطّئك شرّها . ثم افهم ما يتكلم به وما يكون منه حتى تفهمني إياه إذا قدمت عليّ إن شاء الله .

قال إسماعيل : قبضتُ الكتابين وحرجتُ على البريد حتى قدّمتُ العراق ، خدأتُ بِأنس بن مالك في منزله ؛ ودفعتُ إليه كتابَ أمير المؤمنين وأبلغتهُ رسالتهُ فدعا له وجزاه خيراً . فلما فرغ من قراءة الكتاب قلتُ له : يا أبا حمزة ؛ إن الحجاج عامل ، ويقدرُ أن يضركَ وينفَعَكَ ، فأنا أريدُ أن تُصالحه ، قال : ذلك إليك ؛ لا أخرج عن رأيك .

ثم أتيتُ الحجاج ، فلما رآني رحّب وقال : والله لقد كنتُ أحبُّ أن أراك في بلدي هذا ؛ قلتُ : وأنا والله كنتُ أحبُّ أن أراك ، وأقدم عليك بغير الذي أرسلتُ به إليك ؛ قال : وما ذاك ؟ قلتُ : فارقتُ الخليفة وهو أغضبُ الناس عليك ؛ قال : ولم ؟ فدفعتُ إليه الكتاب ؛ فجعل يقرؤه وحينه يَمَرِّقُ ، فسححه بيمينه ، ثم قال : اركب بنا إلى أنس ، قلتُ له : لا تفعل فإني سأتلطفُ به حتى يكون هو الذي يأتيك ، وذلك للذي أشرتُ عليه من مصالحتك .

وَأَلْتَقَى كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَإِذَا فِيهِ : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف ، أما بعد ، فإنك عبد طمّت^(١) بك الأمور فطغيت ، وعلوت فيها حتى جُزّتَ قدرك ، وعدوّتَ طورك ، وإيم الله ، لأغمرنك كبعض تمزات السيوف للثعالب ، ولأركضنك ركضةً تدخُلُ منها في وِجَارِك ! اذْ كُرْ مَنَاسِبَ آبَائِكَ بِالطَائِفِ ، إِذْ كَانُوا يَنْقَلُونَ الْحِجَارَةَ عَلَى أَكْتِفَائِهِمْ ، وَيَحْفِرُونَ الْآبَارَ فِي الْمَنَاهِلِ^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ ؛ وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةٌ مِنْكَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغُرَّةً بِمَعْرِفَةِ غَيْبِهِ وَنِقْمَاتِهِ وَسَطْوَانِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدًا إِلَى غَيْرِ مَحْجَتِهِ

(١) طمّت : علت . (٢) المناهل : جمع منهل وهو المشرب .

ونزل عند سخطته . وأظنك أردت أن تروزه^(١) بها ، لتعلم ما عنده من التفسير
والنكير فيها ، فإن سوغتها مضيت قدماً ، وإن غصصت وليت دبراً ، فعليك
لعنة الله ، من عهد أخيفش^(٢) العيين ، أصلك^(٣) الرجلين . وإيم الله ، لو أن أمير
المؤمنين علم أنك اجترمت منه جرماً ، واتهمت له عرضاً لبعث إليك من يسحبك
ظهراً لبطن ؛ حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك فيحكّم فيك بما أحب ، ولم يخف
على أمير المؤمنين تبوّؤك ، ولكل نبيّ مستقر ، وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس ، فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ،
فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ! عجبت باللائمة ، وأغضبت علينا
أمير المؤمنين ، ثم أخذ بيده فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعم
أنا الأشرار والله سمّانا الأنصار ، وقلت : إنا من أبجّل الناس والله يقول فينا :
وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ . وزعمت أنا أهل نفاق والله
تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِثُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا » . فكان المخرج والمشكّي في
ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولّى من ذلك ما ولاه الله ، وعرف من حقنا
ما جهلت ، وحفظ منا ما ضيعت ، وسيحكّم في ذلك ربّ هو أَرْضَى للَرْضَى ،
وأسخط للَسُخْطِ ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوب الحقّ عنده الباطل ، ولا النور
الظلمة ، ولا اهذى الضلال ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأته من خدم موسى بن
عمران أو عيسى بن مريم يوماً واحداً لرأت له ما لم تروا لي في رسول الله صلى الله
عليه وسلم عشر سنين !

(١) تروزه : تجرّبه (٢) الحفش : ضف البصر مع ضيق في العين (٣) الصكك : أن تضرب
إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أمراً .

فاعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبل عذره ورضى عنه ، وكتب برضاه وقبوله عذره إلى عبد الملك بن مروان .

وكتب الحجاج إلى عبد الملك : « إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان .
بسم الله الرحمن الرحيم ؛ أما بعد - أصلح الله أمير المؤمنين ، وأبقاه وسهل حظه
وأحاطه ، ولا أعد مناه - فإن إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعز
الله نصره - قدم عليّ بكتاب أمير المؤمنين أطل الله بقاءه ؛ وجعلني من كل
مكره فداءه - يذكر شيمتي وتوبيخني بأبائي وتعييري بما كان قبل نزول النعمة
بي من عند أمير المؤمنين - أتم الله نعمته عليه وإحسانه إليه ، ويذكرني أمير
المؤمنين - جعلني الله فداءه - استطالته مني على أنس بن مالك خادم رسول الله
صلى الله عليه وسلم » .

« وأمير المؤمنين - أصلحه الله في قرابته من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إمام الهدى وخاتم الأنبياء أحق من أقال عترتي ، وعفا عن ذنبي ، فأمهلتني ولم
يعجلني عند هفوتي ؛ للذي جيل عليه من كريم طبائعه ، وما قلده الله من
أمر عباده ، فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روعتي وإفراج
كربتي ، فقد ملئت رعباً وفرقاً من سطوته ، وفجأة نعمة . وأمير المؤمنين -
أقاله الله العثرات ، وتجاوز له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له
الدرجات - أحق من صفح وعفا وتمهد^(١) وتمهل وأبقي ، ولم يسمت في عدواً
مكبياً^(٢) ، ولا حسوداً مضياً^(٣) ، ولم يجرعني غصصاً ، والذي وصف أمير

(١) تمهد : ستر ما كان عنده (٢) أكب عليه : إذا أقبل ولزم (٣) أضف : حمل الغيظ
والهقد .

المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه لي بما أسند إلى من عمله ، وأوطأني من رقاب رعيته صادق فيه مجزئ بالشكر عليه ، والتوسل مني إليه بالولاية ، والتقرب له بالكفاية .

« وقد عين إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه نزولي عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعي عند كتاب أمير المؤمنين ، وإقلاذه إياي ، ودخوله بالمصيبة على ما سيعلمه أمير المؤمنين ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوفني الله بشكره ، وأعزني على تأدية حقه ، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته ، ومد لي في أجله - أن يامر لي بكتاب من رضاه وسلامة صدره ما يؤمنني به من سفك دمي ، ويرد ما شرد من نومي ، ويطمئن به قلبي ، فقد ورد على أمر جليل ، خطبه عظيم ، وأمره شديد . »

« أسأل الله ألا يسخط أمير المؤمنين ، وأن يثبتني في حزمه وعزمه ، وسياسته وفراسته ، ومواليه وحشمه ، وعماله وصنائه ، ما يحمد به حسن رأيه وبعد همته ، إنه ولي أمير المؤمنين ، والذاب عن سلطانه ، والضايع في أمره والسلام . »

قال إسماعيل : لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب قل : يا كاتب ؛ أفرخ روع أبي

محمد ، وكتب إليه بالرضا عنه !

١٦١ — الحجاج والفضبان بن القبعتري *

سأل الحجاج يوماً الفضبان^(١) بن القبعتري عن مسائل يمتحنه فيها ، قال له :
مَنْ أكرمُ الناس ؟ قال : أقمهم في الدين ، وأصدقهم لليمين ، وأبدلهم للمسلمين ،
وأكرمهم للمهانيين ، وأطعمهم للمساكين .

قال : فمن أأمُّ الناس ؟ قال : المعطي على الهوان ، المقتر على الإخوان ،
الكثير الألوان .

قال : فمن شرُّ الناس ؟ قال : أطولهم جفوةً ، وأدومهم صنوةً ، وأكثرم
خلوةً ، وأشدهم قسوةً .

قال : فمن أشجعُ الناس ؟ قال : أضرِبهم بالسيف ، وأقراهم للضيف ، وأنزكهم
للحيف^(٢)

قال : فمن أجبنُ الناس ؟ قال : المتأخر عن الصفوف ، المنقبض عن الزحوف ،
المرتعش عند الوقوف ، المحبُّ لظلال السقوف ، السكاره لضرب السيوف .

قال : فمن أثقلُ الناس ؟ قال : المتفنن في اللام ، الضنين بالسلام ، المهذاز^(٣)
في الكلام ، المُقبب^(٤) على الطعام .

* المستطرف : ١ - ٤٧

(١) الفضبان بن القبعتري من أشرف المراق ، وكان من دعاة الرواية أيام حرب عبد الملك
ابن مروان مع مصعب بن الزبير (٢) الحيف : الجور والظلم (٣) المهذار : كثير الهذيان ،
وأهذر في كلامه : أكثر (٤) قبب الرجل : حق .

قال : فَمَنْ خَيْرُ النَّاسِ ؟ قال : أَكْثَرُهُمْ إِحْسَانًا ، وَأَقْوَمُهُمْ مِيزَانًا ، وَأَدْوَمُهُمْ غُفْرَانًا ، وَأَوْسَطُهُمْ مِيدَانًا .

قال : لله أبوك ! فكيف يُعرف الرجلُ الغريبُ ؛ أحسبُ هو أم غير حسيبٍ ؟
قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إن الرجلَ الحسيبَ يبدلكُ أدبُهُ وعقلُهُ ، وشمائلُهُ وعزّةُ نفسه ، وكثرةُ احتماله ، وبشاشته ، وحسنُ مداراته على أصله ؛ فالعاقِلُ البصيرُ بالأحسابِ يعرفُ شمائلَهُ ، والنذلُ الجاهلُ يجهلُهُ ؛ فَمَثَلُهُ كمثلِ الدُّرَّةِ ، إذا وقعتْ عند من لا يعرفها ازدراها ، وإذا نظر إليها العقلاء عرفوها وأكرموها ؛ فهي عندهم لمعرفتهم بها حسنةٌ نفيسةٌ .

فقال الحجاج : لله أبوك ! فَمَنْ العاقِلُ ؟ وَمَنْ الجاهلُ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! العاقِلُ الذي لا يتكلمُ هذراً ، ولا ينظرُ شزراً ، ولا يضرُّ غدرًا ، ولا يطلبُ عذراً ؛ والجاهلُ هو المهدارُ في كلامه ، المتأنُّ بطعامه ، الضنينُ بسلامه ، المتطاولُ على إمامه ، الفاحشُ على غلامه .

قال : لله أبوك ! فَمَنْ الحازمُ الكيسُ ؟ قال : المقبلُ على شأنه ، التاركُ لما لا يعنيه .

قال : فَمَنْ العاجزُ ؟ قال : المعجبُ بآرائه ، الملتفتُ إلى ورائه .

قال : هل عندك من النساءِ خبرٌ ؟ قال : أصلحَ اللهُ الأميرُ ! إني بشأنهنَّ خيرٌ ، إن النساءَ من أمهاتِ الأولادِ بمنزلةِ الأضلاعِ ؛ إن عدَّتْها انكسرتْ ، ولهنَّ جوهرٌ لا يصلحُ إلا على المدارةِ ؛ فمن دارهنَّ انتفع بهن ، وقرتْ عينه . ومن شاورهن كدزن عيشه ، وتكدرت عليه حياته ، وتنفضت لذاته ؛ فأكرمهنَّ أعفهنَّ ، وأخبرُ أحسابهن العفة ؛ فإذا زلنَ عنها فهنَّ أنتن من الجيفة .

فقال له الحجاج : يا غضبان ؛ إني موجهك إلى ابن الأشعث وَاِفْدَأْ ؛ فإذا أنت قائل له ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أقول ما يُرَدِّيه ^(١) ويؤذيه ويضنيه ! فقال : إني أظنك لا تقول له ما قلت ، وكأني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ، قال : كلا ، أصلح الله الأمير ! سأحدث له لسانى ، وأجر به في ميدانى .

فعمد ذلك أمره بالمسير إلى كَرْمان ؛ فلما توجه إلى ابن الأشعث ، بعث الحجاج عَيْنًا عليه - وكان يفعل ذلك مع جميع رسله .

فلما قدم الغضبان على ابن الأشعث قال له : إن الحجاج قدم بمخلمك وعزلك ؛ فخذُ حذرَكَ ، وتعدَّ به قبل أن يتعمَّى بك ، فأخذ حذرَه عند ذلك . ثم أمر للغضبان بجائزة سنية ، وخِلْعَ فاخرة ؛ فأخذها وانصرف راجعًا .

فأتى إلى رملة كَرْمان في شدة الحر والقيظ - وهي رملةٌ شديدة الرَّمْضاء ^(٢) - فضرب قُبَّتَه فيها ، وخطَّ عن رواحله ، فبينما هو كذلك إذا بأعرابى من بنى بكر ابن وائل ، قد أقبل على بعير ، قاصداً نحوَه ، وقد اشتد الحر ، وحميت الغزاة ^(٣) وقت الظهيرة ، وقد ظمى ظمًا شديدًا ، فقال : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، فقال الغضبان : هذه سنةٌ وردَّها فريضة ، قد فاز قائلُها ، وخسرتارِكُها ؛ ما حاجتك يا أعرابى ؟ فقال : أصابتنى الرَّمْضاء ، وشدةُ الحر والظمًا ؛ فتيمنتُ قُبَّتَكَ ، وأرجو بركتها .

قال الغضبان : فهلا تيممت قبةً أكبر من هذه وأعظم ! قال : أيتها تعنى ؟ قال : قبة الأمير ابن الأشعث ! قال : تلك لا يُوصل إليها ! قال : إن هذه أمتعُ منها ! فقال الأعرابى : ما اسمك يا عبد الله ؟ قال :

(١) أرداه : أهلكه (٢) الرَّمْض : وقع الشمس على الرمل وغيره (٣) الغزاة هنا : الشمس .

أخذ ، فقال : وما تعطى ؟ قال : أكره أن يكون لى اسمان !
قال : بالله من أين أتيت ؟ قال : من الأرض ! قال : فأين تريد ؟ قال : أمشى
فى مَنَّا كَيْهَا^(١) ، فقال الأعرابى - وهو يرفع رجلا ، ويضع أخرى ، من شدة الحر -
أتقرض الشعر ؟ قال : إنما يقرض الفأر ؟ فقال : أفدَسَجَع ؟ قال : إنما تسَجَعُ
الحمامة ! فقال : يا هذا ، ائذن لى أن أدخل قُبَّتِكَ ! قال : خَلْفِكَ أوسعُ لك !
فقال : قد أحرقتى حرُّ الشمس ! قال : مالى عليها من سلطان ! فقال : إنى لا أريد
طعامك ولا شرابك ، قال : لاتعرض لما لاتصل إليه ، ولو تَلَفَتَ روحك !
فقال الأعرابى : سبحان الله ! قال : نعم من قبل أن تطلع أضرأسك ! فقال :
ما عندك غير هذا ؟ قال : بلى ، هراوة أضربُ بها رأسك ! فاستغاث الأعرابى :
يا جار بنى كعب !

قال الفضبان : بنس الشيخ أنت ! فوالله ما ظلمك أحدٌ فَنَسْتَفِيثُ !
فقال الأعرابى : مارأيتُ رجلاً أقسى منك ؛ أتيتك مستغنياً فحجبتنى وطردتنى ،
هلا أدخلتنى قُبَّتِكَ وطارحتنى القريض ؟ قال . مالى بمحادثتك من حاجة !
فقال الأعرابى : بالله ما اسمك ؟ ومن أنت ؟ فقال : أنا الفضبان بن القَبْمَثْرِى .
قال : اسمان منكرا ، خُلِقا من غضب ! قال : فِفْ متوكناً على باب قُبَّتِى
برجلك هذه العوجاء ! فقال : قطعها الله إن لم تكن خيراً من رجلك
هذه الشنعاء !

قال الفضبان : لو كنت حاكماً لجرت فى حكومتك ، لأن رجلى فى الظل
قاعدة ، ورجلك فى الرمضاء قائمة .

(١) النكب : ناحية كل شىء .

قال الأعرابي : إني لأظنُّ : جرك فاسداً . قال : ما أقدّرتني على إصلاحه !
قال الأعرابي : لا أرضاك الله ولا حيّاك ، ثم ولى وهو يقول :

لا بارك الله في قوم تسودهمُ إني أظنك - والرحمن - شيطاناً
أبيتُ قمتَه أرجو ضيافته فإظهر الشيخ ذو القرنين جرماناً

فلما قدم النضبان على الحجاج - وقد باغته الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن
الأشعث وبين الأعرابي - قال له الحجاج : يا غضبان ، كيف وجدت أرضَ
كِرْمان ؟ قال : أصلح الله الأمير ! أرض يابسة ، الناسُ بها ضفاف ؛ إن كثروا
جاعوا ، وإن قَلوا ضاعوا .

قال له الحجاج : ألسنت صاحبِ الكلمة التي بلغني أنك قلتها لابن الأشعث :
« نعدُّ بالحجاج قبل أن يتمشى بك » ؟ فوالله لأحسبَنَّك عن الرساد ، ولأنزلنك عن
الجياد ، ولأشهرنك في البلاد !

قال : الأمان أيها الأمير ! فوالله ما ضرتُ من قِيتٍ فيه ، ولا نعت من
قِيتٍ له !

قال له : ألم أقل لك : كآني بصوتك يجلجل في قصرى هذا ! اذهبوا به
إلى السجن .

فذهبوا به؛ قعيدَ وسجن ، فكث ماشاء الله .

ثم إن الحجاج ابْتَنَى الخَصْرَاءَ بِوِاسِطِ فَأَعْجَبَ بِهَا ، فقال لمن حوله : كيف
تَرَوْنَ قِيتِي هذه وبناءها ؟ فقالوا : أيها الأمير إنها حصينة مباركة ، منيعة نَصْرَة
بهجة ، قليلٌ عَيْبُهَا ، كثيرٌ خَيْرُهَا ، قال : لِمَ لَمْ تَخْبِرُونِي بِنَصْحِ؟ قالوا : لا يَصِفُهَا
لك إلا النضبان .

فبعث إلى النضبان فأحضره ، وقال له : كيف ترى قبتي هذه وبنائها ؟ قال :
أصلح الله الأمير ؛ بنيتها في غير بلدك ، لالك ولا لولدك ، لا تدوم لك ، ولا يسكنها
وارثك ، ولا تبقى لك ، وما أنت لها بيباق !

فقال الحجاج : قد صدق النضبان ، رُدّوه إلى السجن .

فلما حلوه قال : « سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١) » .

قال : أنزلوه ، فلما أنزلوه قال : « رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ

الْمُنزِلِينَ » . فقال : اضربوا به الأرض ، فلما ضربوا به الأرض قال :

« مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى » .

قال : جُرّوه ، فأقبلوا يجرّونه ، وهو يقول : « بِسْمِ اللَّهِ نَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا

إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » .

فقال الحجاج : ويلكم ! أتركوه فقد غلبني دهاء وخبيثا . ثم عفا عنه ، وأنتم

عليه ، وخلقى سبيله .

١٦٢ — حسن تخلص*

صَمَدَ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ الْمُنْبَرِّ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ ، وَهُوَ إِذْ ذَاكَ عَلَى مَكَّةَ ،
فَذَكَرَ الْحِجَابَ ، فَحَمِدَ طَاعَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ .

فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، يَأْمُرُهُ فِيهِ
بِشْتِمِ الْحِجَابِ وَنَشْرِ عِيُوبِهِ ، وَإِظْهَارِ الْبِرَاءَةِ مِنْهُ ؛ فَصَمَدَ الْمُنْبَرِّ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ
مَا كَانَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عَلِمَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ مَا خَفِيَ عَلَى
مَلَائِكَتِهِ ؛ فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ ، فَظَهَرَ لَهُمْ مَا كَانَتْ يَخْفِيهِ
عَنْهُمْ ، فَلَعَنُوهُ .

وَإِنَّ الْحِجَابَ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ
اللَّهُ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِّهِ وَخُبْنِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنْهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضِيحَتَهُ
أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعَنَهُ ؛ فَالْعَنُوهُ لَعْنَةَ اللَّهِ ! ثُمَّ نَزَلَ .

١٦٣ — بثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان *

دخلت بثينة وعزة عند عبد الملك بن مروان ، فانصرف إلى عزة ، وقال :
أنت عزة كثير؟ قالت : لست لكثير بعزة ؟ لكنني أمٌ بكر ، قال : أروين
قول كثير :

وقد زعمت أني تفتزت بعدها ومن ذا الذي ياعزُّ لا يتغير !

قالت : لست أروى هذا ، ولكنني أروى قوله :

كأنى أنادى أو أكلمُ صخرةً من الصمّ لو تمشى بها العصم ^(١) زلت

ثم انحرف إلى بثينة فقال : أنت بثينة جميل ؟ قالت : نعم يا أمير المؤمنين !

قال : ما الذي رأى فيك جميل حتى لهج بكرك من بين نساء العالمين ؟ قالت :

الذي رأى الناس فيك فجعلوك خليفتهم . فضحك حتى بدا له ضرس أسود لم ير

قبل ذلك ، وفضل بثينة على عزة في الجائزة .

وأمرها أن يدخلها على عاتكة ^(٢) فدخلتا عليها ، فقالت لعزة : أخبريني عن

قول كثير :

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممطولٌ معني غريمها

ما كان دينه ؟ وما كنت وعدته ؟ قالت : كنت وعدته صلة ثم تأثمت ^(٣) منها .

* المستطرف : ١ - ٦٩ ، الأولى : ١ - ٤٨ .

(١) الأعصم من الوعول : ما من ذراعيه أو في أحدهما يابس وسائرهما أسود أو أحمر .

(٢) عاتكة : امرأة عبد الملك (٣) تأثمت : تخرج .

١٦٤ - مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟

قال عبد الملك لجرير: من أشعرُ الناس؟ فقال: ابن العشرين^(١)، قال: فما رأيك في ابني^(٢) أبي سُلَيْمٍ؟ قال: كان شعرها نيراً يأمر المؤمنين. قال: فما تقول في امرئ القيس؟ قال: اتخذ الخميثُ اشعرَ نملين، وأقسمُ بالله لو أدركته لرفعتُ ذِلاذِلَه^(٣). قال: فما تقول في ذى الرّمة؟ قال: قدَرَ من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على ما لم يقدر عليه أحد. قال: فما تقول في الأخطل؟ قال: ما أخرج لسانُ ابن النَّصرانية ما في صدره من الشعر حتى مات. قال: فما تقول في الفرزدق؟ قال: في يده والله نَبْعَةٌ^(٤) من الشعر قد قبض عليها. قال: فما أراك أبقيت لنفسك شيئاً، قال: بلى والله يا أمير المؤمنين، إني لمدينَةُ الشعر التي منها يخرجُ وإليها يعود، نَسَبْتُ^(٥) فَأَطْرَبْتُ، وَهَجَوْتُ فَأَرْدَيْتُ^(٦)، ومدحتُ فَأَسْنَيْتُ، وأرملتُ^(٧) فأغزرتُ، وزجرتُ فأبحرتُ، فأنا قلتُ ضروبَ الشعرِ كلها، وكلُّ واحدٍ قال نوعاً منها. قال: صدقت!

* الأغانى : ٨ - ٥٣ (طبعة دار الكتب)

- (١) يعنى طرفه (٢) يعنى زهيراً وابنه كعباً (٣) دلادل القميص : مايلي الأرض من أسافله ، ويريد أنه كان يلزمه ويخدمه (٤) النبع : شجر تتخذ منه القسي . وتتخذ من أغصانه السهام ، الواحدة نبعه (٥) نسب بالمرأة شيب بها في الشعر (٦) أرديت : أهلكت .
(٧) الرمل في الشعر : غير القصيد والرجز .

١٦٥ — سليمان بن عبد الملك وأبي حازم *

دخل سليمان^(١) بن عبد الملك المدينة ، فأقام بها ثلاثاً ، ثم قال : أما هنا رجلٌ
من أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ؟ فقيل له : بلى ، ها هنا
رجل يقال له أبو حازم . فبعث إليه ، فجاءه .

فقال له سليمان بن عبد الملك : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ فقال له أبو حازم :
وأى جفاء رأيت منى ؟ قال له سليمان : أثنى وجوه أهل المدينة كلهم ، ولم تأتى !
فقال له : أعيدك بالله أن تقول ما لم يكن ، ماجرى بينى وبينك معرفة ، آتيتك
هكذا ؟ فقال سليمان : صدق الشيخ !

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، ما لنا نسكره الموت ؟ فقال أبو حازم : لأنكم
خرّبتم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ، فأنتم نسكرهون أن تُنقلوا من العُمران إلى
الخراب . قال : صدقت يا أبا حازم ، كيف القُدومُ على الله ؟ فقال : أما المُخسِن
فكأنفائب يقدم على أهله ، وأما المسىء فكالأبي^(٢) يقدم على مولاه . فسكى
سليمان ، وقال : ليت شعري ما لنا عند الله يا أبا حازم ! فقال أبو حازم : اعرض
نفسك على كتاب الله عز وجل تعلم ما لك عند الله ، فقال : يا أبا حازم ؛ أين نصيبُ
تلك المعرفة في كتاب الله عز وجل ؟ قال أبو حازم : عند قوله تعالى : « إِنَّ الْأَبْرَارَ

* مسامرات الأبرار : ٦ - ١٧٤ ، العفـ . الفريد : ٢ - ١٠٧ .

(١) انظر صفحة ٣٢٩ (٢) الآبق : الهارب .

لَقِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ» . فقال سليمان : يا أبا حازم ؛ فأين رحمةُ الله ؟ قال أبو حازم : قريبٌ من الحسنين .

قال سليمان : يا أبا حازم ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ ؟ قال أبو حازم : مَنْ بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ . فقال سليمان : مَا أَسْمَعُ دَعَاءَ النَّاسِ ؟ قال : دَعَاءُ الْخَبِيثِينَ ^(١) إِلَيْهِ . قال سليمان : مَا أَزْكَى الصَّدَقَةِ ؟ فقال أبو حازم : جَهْدُ الْمَقَلِّ . فقال سليمان : يَا أبا حازم : مَا تَقُولُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فقال أبو حازم : أَعْفَنَّا مِنْ هَذَا ؛ فقال سليمان : نَصِيحَةٌ بَلَّغْتَهَا . قال أبو حازم : إِنْ أَنَا سَأَلْتُ هَذَا الْأَمْرَ مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا إِجْمَاعٍ مِنْ رَأْيِهِمْ ، فَسَفَكُوا الدَّمَاءَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا ، ثُمَّ ارْتَحَلُوا عَنْهَا ، فَلَيْتَ شَعْرَى مَا قَالُوا ، وَمَا قِيلَ لَهُمْ ! فقال بعض جلسائه : بئس ما قلت يا شيخ ! فقال أبو حازم : كَذَبْتَ ، إِنْ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَخَذَ عَلَى الْعُلَمَاءِ لِيَبْتَلِيَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ ، فقال سليمان : يَا أبا حازم ؛ كَيْفَ الْأَخْذَ بِذَلِكَ ؟ قال أبو حازم : تَأْخُذُهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَتَضَعُهُ فِي أَهْلِهِ ، فقال له سليمان : اصْحَبْنَا يَا أبا حازم ، تَصِيبُ مَنْنَا وَنَصِيبُ مَنْكَ ، فقال : أَعِيدُكَ مِنْ ذَلِكَ ! قال سليمان : وَلَمْ ؟ قال : أَخَافُ أَنْ أُرَكِّنَ إِلَيْكُمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَيَذِيقَنِي اللَّهُ مِنْهَا ضَعْفَ ^(٢) الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ !

قال سليمان : يَا أبا حازم ، فَأَشِيرْ عَلَيَّ . فقال أبو حازم : اتَّقِ اللَّهَ أَنْ يِرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ ، أَوْ أَنْ يَفْقِدَكَ حَيْثُ أَمَرَكَ . قال سليمان : يَا أبا حازم ، ادْعُ لَنَا بِخَيْرٍ . فقال أبو حازم : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَلِيِّكَ فَبَشِّرْهُ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَدُوَّكَ فَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِهِ ، فقال سليمان : عِظْنِي يَا أبا حازم ، فَقَدْ أُوجِرْتُ ، فقال : إِنْ كُنْتَ وَلِيَّهُ فَحَسْبُكَ ، وَإِنْ كُنْتَ عَدُوَّهُ فَمَا يَنْفَعُكَ إِذَا رَمَى بِقَوْسٍ بَغِيرِ وَتَرٍ .

(١) الإخبات : الحشوع (٢) أى ضعف العذاب حياً وميتاً .

فقال سليمان : يا غلام ، إيت بمائة دينار ، ثم قال : خذها يا أبا حازم ، فقال أبو حازم : لا حاجة لي بها ، إني أخاف أن تكون قد أعطيتنيها لما سمعت من كلامي ، إن موسى عليه السلام لما هرب من فرعون ووَرَد ماء مَدْيَن ، وجد عليه جاريتين تذودان ، قال : ما خطبُكما ؟ قالتا : لا نسقى حتى يُصَدِّر الرَّعَاءُ (١) وأبونا شيخ كبير ، فسقى لهما ، ثم تولى إلى الظل ، فقال : ربّ إلى لما أنزلتَ إليّ من خير فقير : ولم يسأل على عَوْن الله أجرا على دينه ، فلما أنكر ذلك أبوها ، وقال : ما أمجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا فسقى لنا ، قال : فاسمعتاه يقول ؟ قالتا : سمعناه يقول : « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » . فقال : ينبغى أن يكون هذا جائما ؟ تنطلق إحداكما ، فتقول له : إن أبي يدعوك ليجزيك أجرَ ما سقيت لنا . فخرج من ذلك موسى - عليه السلام - وكان طريدا في فيافي الصّحراء ، فأقبل والجارية أمامه ، فهبت ريح ، فكشفتها له - وكان ذا خُلُق - فلما بلغ الباب ، دَخَلَ ، وإذا طعامٌ موضوع . قال شعيب : أصب يا فتى من هذا الطعام ، قال موسى - عليه السلام : أعوذ بالله . قال شعيب : ولم ؟ قال موسى : لأننا من بيت لا نبيع ديننا بملء الأرض ذهبا . قال شعيب - عليه السلام : لا والله ، لكنها عادتى وعادة آبائي ، نظم الطعام ، ونقرى الضيف . فجلس موسى فأكل .

فإن كانت هذه الدنانير عوضاً لما سمعت من كلامي ، فأنا أرى أكل الميتة والدم في حال الضرورة أحبّ إلى من أخذها .

فكان سليمان أعجب بأبي حازم ، فقال بعض جلسائه : يا أمير المؤمنين ؛ أيسرُّك أن يكون الناس كلهم مثه ! قال الزهري : إنه لجأرى منذ ثلاثين سنة

ما كلمته بكلمة قط ، قال له أبو حازم : صدقت ، إنك نسيت الله فنسيتني ، ولو
أحبت الله لأحبتني ، قال الزهري : أنتمني ؟ قال سليمان : أنت شمت نفسك ،
أما علمت أن الجار على جاره حقاً ! قال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على
الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء ، وكانت العلماء ترضى بدينها عن الأمراء ،
فاستغنت الأمراء عن العلماء ، واجتمع القوم على المعصية ، فشنلوا وانتكسوا ، ولو كان
علمائنا هؤلاء يصونون علمهم ، لها بهم الأمراء . قال الزهري : كأنك لي تريد ، وبني
تمرص ، قال : هو ما تسمع !

١٦٦ — ضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ *

لَمَّا وُلِيَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْخِلاَفَةَ ، أَتَى بِيَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ — مَوْلَى الْحِجَاكِجِ ، فِي جَامِعَةِ (١) ، وَكَانَ رِجَالًا دَمِيًّا قَبِيحًا تَفْتَحِيهِ (٢) الْعَيْنُ ، فَلَمَّا رَأَاهُ سُلَيْمَانُ قَالَ : لَعَنَ اللَّهُ امْرَأَةً أَجْرَكَ رَسَنَكَ (٣) ، وَوَلِيَّ مِثْلِكَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبِرٌ ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ عَلَيَّ مُقْبِلٌ لَا اسْتَعْظَمْتَ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَصْفَرْتَ ، وَلَا اسْتَجَلَّتْ مَا اسْتَحْقَرْتَ .

فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : أَيْنَ تَرَى الْحِجَاكِجَ ، أَيَهْوِي فِي النَّارِ أَمْ اسْتَقَرَّ فِي قَعْرِهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَقُلْ هَذَا ، إِنَّ الْحِجَاكِجَ قَمَعَ لَكُمْ الْأَعْدَاءَ ، وَوَطَّأَ لَكُمْ الْمَنَابِرَ ، وَزَرَعَ لَكُمْ الْهَيْبَةَ فِي قُلُوبِ النَّاسِ وَبَعْدَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ يَمِينِ أَبِيكَ عَبْدَ الْمَلِكِ ، وَشِمَالِ أَخِيكَ الْوَلِيدِ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حَيْثُ شَتَّتْ أ فَصَاحَ بِهِ سُلَيْمَانُ : أَخْرَجَ إِلَى لَعْنَةِ اللَّهِ أ ثُمَّ التَفَتَ إِلَى جُلُوسَاتِهِ فَقَالَ : قَبِيعَةُ اللَّهِ ، مَا كَانَ أَحْسَنَ تَرْثِيهِ لِنَفْسِهِ وَلِصَاحِبِيهِ !

* الْأَمَالِيُّ : ١ - ٢١٥ ، الْعَقْدُ الْفَرِيدُ : ١ - ١٥٠ ، مَرْوَجُ الذَّهَبِ : ٢ - ١٦٤ ، الْبَيَانُ وَالتَّبْيِينُ : ١ - ٢١٠ .
(١) الْجَامِعَةُ : الْقَيْدُ (٢) تَفْتَحِيهِ : تَزْدَرِيهِ (٣) أَجْرَهُ رَسَنَهُ : يَرِيدُ تَرْكَهُ بِضَعْنِ مَا يَشَاءُ .

١٦٧ — مناظرة مع الخوارج*

بعث عمر بن عبد العزيز إلى شوذب الجُرُورِي^(١) وأصحابه حين خرجوا بالجزيرة؛ فجاءوه برجلين منهم: أحدهما من بني شيبان، والآخر حبشي اسمه عاصم، وهو أشد الرجلين حجّةً ولسانا.

وصعدا إليه في غرفة معه فيها ابن عمه عبد الملك وكتابه مزاحم، وأعلموه مكانهما، فقال: ابحثوها ألا يكون مبهما جديدة، ثم أدخلوها، ففعلوا.

فلما دخلا قالا: السلام عليكم، ثم جلسا، فقال لهما عمر: أخبراني ما أخزجكما تُخَرَّجَكُما هذا؟ وأي شئ تَقَمِّمُ علينا؟ فقال عاصم: والله ما نَقَمْنَا عليك في سيرتك، فإنك لتَجْرِي العدلَ والإحسان، ولكن بيننا وبينك أمرٌ إن أعطيتناه فأنت منا ونحنُ منك، وإن مَنَعْتَنَاهُ فلست منا ولسنا منك! قال عمر: وما هو؟ قال: رأيتك خالفت أعمالَ أهل بيتك، وسلكتَ غير طريقهم، وسمَّيتَها مظالم؛ فإن زعمتَ أنك على هُدًى وهم على ضلال فابْرَأْ منهم والعَنهم، فهذا الذي يجمع بيننا وبينك أو يفرق.

فقال عمر: إني قد عرفت أنكم لم تخرجوا لطلب الدنيا ولكنكم أردتم الآخرة

* سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم: ١٣٠

(١) الحرورية: طائفة من الخوارج، ينسبوت إلى حروراء، وهو موضع بظاهر الكوفة، كان فيه أول اجتماعهم حين خالفوا علي بن أبي طالب. وشوذب: اسمه بسطام من بني يشكر.

فأخطأتم سبيلها ، وأنا سائلكم عن أمر ! فبالله لتصدقاني عنه فيما بلغه علمكما .
قالا : نفعل ، قال : رأيتم أبا بكر وعمر ؟ أليسا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون
لها بالنجاة ؟ قالا : بلى . فقال : هل تعلمون أن العرب ارتدت بعد رسول الله فقاتلهم
أبو بكر ؛ فسفك الدماء ، وسبى الذراري ، وأخذ الأموال ؟ قالا : قد كان ذلك .
قال : فهل تعلمون أن عمر لما قام بعده رد تلك السبايا إلى عشائرم ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل يرى أبو بكر من عمر ، أو عمر من أبي بكر ؟ قالا : لا ؟ قال :
فهل تبرأون من واحد منهما ؟ قالا : لا !

قال : أخبراني عن أهل التهرّوان ؛ أليسوا من أسلافكم ومن تتولون وتشهدون
لهم بالنجاة ؟ قالا : بلى ! قال : فهل تعلمون أن أهل الكوفة حين خرجوا إليهم
كفّوا أيديهم ، فلم يخيفوا آمننا ولم يسفكوا دما ، ولم يأخذوا مالا ؟ قالا : قد كان
ذلك . قال : فهل تعلمون أن أهل البصرة حين خرجوا إليهم مع عبد الله بن وهب
استعرضوا الناس فقتلهم ، وعرضوا لعبد الله بن خبّاب صاحب النبي صلى الله عليه
وسلم ؛ فقتلوه وقتلوا جاريته ، ثم صبّحوا حيّاً من العرب فاستعرضوهم فقتلوا الرجال
والنساء والولدان ، حتى جعلوا يلقون الأطفال في قدور الأقط^(١) وهي تفور بهم ؟
قالا : قد كان ذلك ! قال : فهل يرى أهل الكوفة من أهل البصرة ، أو أهل
البصرة من أهل الكوفة ؟ قالا : لا ! قال : فهل تبرأون من طائفة منهما ؟
قالا : لا !

قال عمر : أخبراني رأيتم الدين واحدا أم اثنين ؟ قالا : بل واحد ! قال :

(١) الأقط : شيء يستخرج من الخيض الضمى .

فهل يسمعكم فيه شيء يُعجزني؟ قالوا: لا! قال: فكيف وسمعكم أن توليتم أبا بكر وعمر، وتولّى كل واحدٍ منهما صاحبه، وقد اختلفت سيرتهما! أم كيف وسع أهل الكوفة أن تولوا أهل البصرة وأهل البصرة أهل الكوفة وقد اختلفوا، وكيف وسمعكم أن توليتهم جميعا وقد اختلفوا في أعظم الأشياء؛ في الدماء والأموال، ولا يسعني - بزعمكما - إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم! فإن كان لعن أهل الذنوب فریضة مفروضة لا بد منها، فأخبرني عنك أيها المتكلم متى عهدك بلعن فرعون! قال: ما أذكركم متى لعنته. قال: ويحك! فيسمعك ترك لعن فرعون، ولا يسعني بزعمك إلا لعن أهل بيتي والبراءة منهم! وإنكم قوم جهال، أردتم أمرا فأخطأتموه، فأنتم تقبلون من الناس مارد عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتردون عليهم ما قبل منهم، ويأمن عندكم من خاف عنده؛ ويخاف عندكم من آمن عنده. قالوا: مانحن كذلك. قال: بل تقرؤون بذلك الآن.

هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث إلى الناس وهم عبدة أوثان؛ فدعاهم إلى أن يخلعوا الأوثان؛ وأن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فمن فعل ذلك حقن دمه، وأمن عنده، وكان أسوة بين المسلمين، ومن أبى ذلك جاهده؟ قالوا: نعم، قال: أنلستم أتم اليوم تبرأون ممن يخلع الأوثان، وعن يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وتلعنونه وتقتلونه، وتستحلون دمه، وتلقون من يأبى ذلك من سائر الأمم من اليهود والنصارى؛ فتحرمون دمه ويأمن عندكم؟ فقال عاصم: ما رأيت حجة أبين ولا أقرب مأخذاً من حجتك؛ أما أنا فأشهد أنك على الحق وأنتى برىء ممن خالفك.

وقال للشيباني: فأنت ماتقول؟ قال: ما أحسن ماقلت؛ وأبين ماوصفت؛

ولكن أكره أن أفئات على المسلمين بأمرٍ لا أدرى ما حجتهم فيه ، حتى أرجع إليهم ، فلعلّ عندهم حجةٌ لا أعرفها . قال : فأنت أعلم ، ثم أمر لعاصم ببطائه ، وأقام عندهم خمس عشرة ليلة ثم مات ، ولحق الشيباني بقومه فقتل معهم .

١٦٨ — ليس الأمر بالسُن*

قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق ، فنظر إلى شاب منهم يتهمياً للكلام ، فقال : أكبروا أكبروا ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس بالسُن ، ولو كان الأمرُ كلُّه بالسُن لكان في المسلمين من هو أسن منك ، فقال عمر : صدقت ، رحمك الله ، تكلم !

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنا لم نأتك رغبةً ولا رهبةً ؛ أما الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا ، وقدمت علينا بلادنا ؛ وأما الرهبةُ فقد أمننا الله بعد ذلك من جورك ، قال : فمن أتم ؟ قال : وفد الشكر .

فنظر محمد بن كعب القرظي إلى وجه عمر يتهلل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لا يفلبن جهل القوم بك معرفتك بنفسك ! فإن ناساً خدعهم الثناء ، وغرهم شكر الناس فهلكوا . وأنا أعيذك بالله أن تكون منهم ؛ فألقى عمر رأسه على صدره !

١٦٩ — بنو أمية وعمر بن عبد العزيز *

لما أقبل عمر بن عبد العزيز على ردّ المظالم ، وقطع عن بني أمية جوائزهم وأرزاق أحرّاسهم ، وردّ ضياعهم إلى الخراج ، وأبطل قطائعهم فأفقرهم ، ضجّوا من ذلك ؛ فاجتمعوا إليه وقالوا : إنك قد أجلبت^(١) المال للمسلمين ، وأفقرت بني أيبك فيما تردّ من هذه المظالم ؛ وهذا أمرٌ قد وليه غيرك قبلك ، فدعهم وما كان منهم ، واشتغل أنت وشأنك ، واعمل بما رأيت .

قال لهم : هذا رأيكم ؟ قالوا : نعم ! قال : ولكني لا أرى ذلك ، والله لو دبتُ إلاّ تبقّى في الأرض مظلمةٌ إلاّ ردّتها !

فخرجوا من عنده ، ودخلوا على عمر بن الوليد بن عبد الملك - وكان كبيرهم وشيخهم - فسألوه أن يكتبَ إلى عمرَ يوجّهُ لعله أن يرده عن مساءتهم ، فكتب إليه :

« أما بعد فإنك أزريت^(٢) على من كان من قبلك من الخلفاء ، وعبت عليهم ، وسرتَ بغيرِ سيرتهم وسميتها المظالم ؛ نقصاً لهم ، وعبياً لأعمالهم ، وشناً لمن كان بعدهم من أولادهم ، ولم يكن ذلك لك ؛ ققطعتَ ما أمرَ الله به أن يوصلَ ، وعملتَ بغيرِ الحقِّ في قرابتك ، وعمدتَ إلى أموال قريش وموارئهم وحقوقهم ، فأذخلتها بيتَ مالكٍ ظلهماً وجوراً وعدواناً ، فاتقِ الله يا بنَ عبد العزيز وراقبه ؛ فإنك إن

* سيرة عمر بن عبد العزيز : ١٥٢ ، ابن أبي الحديد : ٤ - ٧ ، ٧ .

(١) أجلب : طلب (٢) أزرى عليه : طابه .

شعلت لم تطمن^١ على منبرك ، وإن خصصت ذوى قرابتك بالقطيعة والظلم ؛ فوالله الذى خص^٢ محمداً صلى الله عليه بما خصه به من الكرامة ، لقد ازدادت من الله بُعداً فى ولايتك هذه التى تزعم أنها بلاء عليك وهى كذلك ! فاقصد فى بعض مَنيلك وتحاملك . اللهم فاسأل سليمان^(١) بن عبد الملك بما صنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم !

فكتب عمر بن عبد العزيز إليه :

« من عمر أمير المؤمنين إلى عمر بن الوليد . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن أول أمرك يا فلان أن أمك بُنَّانة كانت أمةً تدخل دُورِ حِصص ، وتطوف فى جوانبها ، والله أعلم بها ، فاذترأها ذُبيان بن ذُبيان من قِء المسلمين ، فأهداها إلى أبيك فحملت بك ، فبئس الحامل وبئس المحمول ، ثم نشأت فكنت جباراً شقيماً . كتبت إلى تظلمنى^(٢) ، وزعمت أن حرمتك وأهل بيتك فى بيت مال المسلمين ، الذى فيه حق القرابة والضعيف والمسكين وابن السبيل ، وإنما أنت كأحدم ؛ لك مالهم ، وعليك ما عليهم . »

وإن أظلم منى ، وأترك لعهد الله ، الذى استعملك صبيّاً سفيهاً تحكّم فى دماء المسلمين وأمواهم برأيتك ، ولم يكن يحمله على ذلك إلا حبُّ الولد ، ولم يكن ذلك له ولا حق له فيه ، فويلك ثم ويل أهلك ! ما أكثر طلابكما وخصماء كما يوم القيامة ! وكيف النجاة لمن أكثر خصماؤه ؟

« وإن أظلم منى وأترك لعهد الله من جمل لفلانة البربرية سهماً فى قِء المسلمين

(١) سليمان بن عبد الملك هو الذى عهد إلى عمر بن عبد العزيز بالخلقة (٢) ظلمه : نسب الظلم إليه .

« وَصَدَقَاتِهِمْ . أَهَاجَرْتِ؟ نَبِّئِي كَلَّتْكَ أُمُّكَ أَمْ بَايَعْتَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ فَتَسْتَوْجِبُ
سَهَامَ الْمُقَاتِلِينَ ! »

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ اسْتِعْمَلِ قُرَّةَ بْنِ شَرِيكَ أَعْرَابِيًّا جَلْفًا
جَافِيًّا عَلَى مِصْرَ ، وَأُذِنَ لَهُ فِي الْمَعَازِفِ وَالْبِرَابِطِ ^(١) وَالْخَمْرِ .

« وَإِنْ أَظْلَمَ مِنِّي وَأَتْرَكَ لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ وَلى يَزِيدَ بْنِ أَبِي مَسْلَمٍ ^(٢) عَلَى جَمِيعِ الْمَغْرِبِ ،
يَجْبِي الْمَالَ الْحَرَامَ ، وَيَسْفِكُ الدَّمَ الْحَرَامَ . رَوَيْدُكَ ! لَوْ قَدِ التَّقْتُ عَلَيْكَ حَلَقْنَا
الْبَطَانَ ^(٣) ، وَطَالَتْ بِي حَيَاةٌ ، وَرَدَّ اللَّهُ الْحَقَّ إِلَى أَهْلِهِ ، تَفَرَّغْتُ لَكَ وَلِأَهْلِ بَيْتِكَ ،
فَأَقْتَكُمُ عَلَى الْحِجَّةِ ^(٤) الْبَيْضَاءِ ؛ فَطَلَمَّا تَرَكْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَكُمْ ، وَأَخَذْتُمْ فِي بَنِيَّاتِ
الطَّرِيقِ ^(٥) ؛ وَمِنْ وَرَاءِ هَذَا مَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَيْرَ رَأْيٍ رَأَيْتُهُ : بَيْعُ رَقَبَتِكَ ،
وَقِسْمُ ثَمَنِكَ بَيْنَ الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْأَرَامِلِ . فَإِنْ لَكُلِّ مُسْلِمٍ فِيكَ سَهْمَانِ فِي
كِتَابِ اللَّهِ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَلَا يَنَالُ سَلَامُ اللَّهِ الظَّالِمِينَ . »

(١) البرابط : جمع بربط وهو العود (٢) ولى الوليد يزيد بن أبي مسلم على ثلاثة أخماس المغرب ،
يقتل ويصلب ويقطع (٣) البطان : حزام الرجل ، له حلقتان في كل طرف حلقة يصعب التقاؤهما ،
وإذا التقتا بلغ الشد غايته ، وهو مثل يضرب حين بلوغ الشدة منهاها (٤) الحججة : جادة الطريق
(٥) بنيات الطريق : الطرق الصغار تنشعب من الجادة .

١٧٠ — في وفاة عمر بن العزيز *

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة دخل عليه مسلمة بن عبد الملك ، فقال :
يا أمير المؤمنين ؛ إنك قد ففرت أفواه ولدك من هذا المال ، فلو أوصيت بهم إلى
وإلى نظرائي من قومك فكفوك مئوتهم !

فلما سمع مقالته قال : أجلسوني . فأجلسوه فقال : قد سمعتُ مقالتك يا مسلمة .
أما قولك : إني قد ففرت أفواه ولدي من هذا المال فوالله ما ظلمتهم حقاً هو لهم ، ولم
أكن لأعطيهم شيئاً لغيرهم ، وأما ما قلت في الوصية فإن وصيتي فيهم : (الله الذي
نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) ، وإنما ولدُ عمر بين أحد رجلين : إما
رجل صالح فسُيغنيه الله ، وإما غير ذلك فلن أكون أول من أعانه بالمال على
معصية الله .

ادعُ لي بنيّ : فأتوه ؛ فلما رأهم ترقرت عيناه ، وقال : بنفسى فتية تركتُهم
عالة لا شيء لهم ! وبكى .

يا بنيّ ؛ إني تركت لكم خيراً كثيراً لا تمرّون بأحد من المسلمين وأهل ذمتهم
ألا رأوا لكم حقاً ؛ يا بنيّ ، إني قد ميّلت^(١) بين الأمرين : إما أن تستغفروا وأدخل
النار ، أو تفتقروا إلى آخر الأبد وأدخل الجنة . فأرى أن تفتقروا فذلك أحبُّ إليّ .
قوموا عصمكم الله ، قوموا رزقكم الله !

* سيرة عمر : ١١٧

(١) ميل بين الأمرين : تردد في أيهما يفعل .

١٧١ — رأى خالد بن صفوان في الشعراء *

قال هشام بن عبد الملك لِسَبَّةَ بنِ عِقَالٍ ، وعنده جريرٌ والفرزدقُ والأخطلُ ،
وهو يومئذ أميرٌ : ألا تُخَيِّرُنِي عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم ، وهتكوا
أستارهم ، وأغرّوا بين عشائرم في غير خيرٍ ولا ير ولا نفع ، أيهم أشعرُ ؟
فقال سبّة : أما جرير فيضرفُ من بحر ، وأما الفرزدقُ فينحتُ من صخر ،
وأما الأخطلُ فيجيدُ المدحَ والفخر .

فقال هشام : ما فسرتُ لنا شيئاً نحصله ! فقال : ما عندي غيرُ ما قلتُ !
فقال نخلد^(١) بن صفوان : صنيهم لنا يابن الأهمم ؛ فقال : أما أعظمهم فخراً ،
وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ، وأسيرهم مثلاً ، وأقلمهم غزلاً ، وأحلامهم عللاً ،
الطامي^(٢) إذا زخر ؛ والحامى إذا زأر ، والسامى إذا خطر ؛ الذي إن هدر^(٣) قال ،
وإن خطرَ صال ، الفصيحُ اللسان ، الطويلُ العنان . فالفرزدق .
وأما أحسنهم نعتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلمهم فؤتاً ، الذي إن هجا وُضع^(٤) ،
وإن مدح رقع ، فالأخطل .

وأما أغزرهم بحراً ، وأرقهم شعراً ، وأهتكمهم لعدوّه سترأ ؛ الأغرُّ الأبلقُ ،

* الأغاني : ٨ - ٨١ (طبعة دار الكتب) ، معجم الأدياء : ١١ - ٢٥
(١) أحد فصحاء العرب وخطبائهم ، وهو مشهور برواية الأخبار ، وكان يجالس هشام بن
عبد الملك ؛ ولكنه كان بخيلاً ، وتوفى سنة ١٣٥ هـ (٢) الطامي : من طمى الماء ؛ إذا ارتفع
وملأ النهر ، وزخر البحر : امتلأ (٣) هدر البير : ردد صوته في حجرتة ، وهدر الحمام .
كرر صوته (٤) خفض .

الذى إن طَلَبَ لم يُسَبِّقْ ، وإن طُلِبَ لم يُلْحَقْ ؛ فخرير ، وكلهم ذكئ النؤاد ، رفيعُ العِباد ، وآرى الزنَاد .

فقال له مَسَلَمَةُ بن عبد الملك . ماسمعنا بمثلك ياخالدُ فى الأولين ، ولا رأينا فى الآخرين ؛ وأشهدُ أنك أحسنهم وصفاً ، وألينهم عطفاً ، وأعفهم مَقالا ، وأكرمهم فصالا .

فقال خالد : أتمَّ الله عليكم نِعْمَةً ، وأجزل لديكم قِسْمَةً ^(١) وأنسَ بكم الفُرْبَةَ ، وفرَّجَ بكم الكُرْبَةَ . وأنت ، والله - ما علمتُ أيها الأمير - كريمُ الفِرَّاسِ ، عالمٌ بالناسِ ، جوادٌ فى المَحَلِّ ، بَسَّامٌ عند البَدَلِ ، حَلِيمٌ عند الطيشِ ، فى ذِرْوَةِ ^(٢) قريشِ ، وأبَابِ ^(٣) عهدِ شمسِ ، ويومك خيرٌ من أمسِ .

فضحك هشام وقال : ما رأيتُ كتخلصك يابن صفوان فى مدح هؤلاء ووصفهم ، حتى أرضيتهم جميعاً ، وسلمت منهم .

(١) القسمة : جمع قسمة ، وهى الرزق وما قسم - ذروة : أعلى (٢) لباب : خلاصة :

١٧٢ - المنصور وابن طاوس *

قال مالك بن أنس : بعث إلى أبو جعفر المنصور وإلى ابن طاوس ، فدخلنا عليه وهو جالس على فرش قد نضدت له ، وبين يديه أنطاع^(١) قد بسطت ، وجُلاذُ بأيديهم السيوفُ ؛ لضربِ رقاب الناس ، فأوماً إلينا بالجلوس ، وأطرق عنا طويلاً ، ثم التفت إلى ابن طاوس ، فقال له : حدثني عن أبيك .

قال : نعم ؛ سمعتُ أبي يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أشدَّ الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركهُ اللهُ في حكمه ، فأدخل عليه الجورَ في عدله » : ثم أمسك ساعة ، قال مالك : فضممتُ ثيابي مخافةً أن يملأني دمه .

ثم التفت إليه أبو جعفر ، فقال ، عِظني يا ابنَ طاوس ، قال : نعم ، أما سمعتَ الله يقول : « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِمَادِ . إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ . وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ^(٢) بِالْوَادِ . وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ؛ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ . فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ . فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ . إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » .

قال مالك : فضممتُ ثيابي أيضاً مخافةً أن يملأني دمه ؛ فأمسك المنصور ساعة حتى اسودَّ ما بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابنَ طاوس ؛ ناولني الدواة ، فأمسك ابن طاوس ، ولم يناوله إياها وهي في يده ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ قال :

* العقد الفريد للعلامة السعيد : ٥٦
(١) الأنطاع : جمع نطم وهو جلد يفرش (٢) جابوا : خرقوا الصخر فاتخذوه بيوتاً .

أخشى أن تكتبَ بها معصيةَ لله فأكونَ شريكك فيها . فلما سمع ذلك المنصور
قال : قوماً عني !

قال ابن طاووس : ذلك ما كنا نبغي ! قال مالك : فإزلتُ أعرافُ لابنِ
طاووس بعدها فضلُه .

١٧٣ - بديهة معن *

قدم معنُ بن زائدة من اليمن ودخل على أبي جعفر المنصور ، فقال له : قد بلغ
أمير المؤمنين عنك شيء ؛ ولولا مكأُنك عنده ورأيه فيك لفضب عليك ، قال :
وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إعطاؤك مروان بن أبي حفصة ألفَ دينار لقوله
فيك :

معن بن زائدة الذي زيدتُ به شرفاً على شرف بنو شيبان
أن أُعدَّ أيام القفال فأتما يوماً ندى وبوم طعان
فقال : والله يا أمير المؤمنين ما أعطيتُه ما بلغت لهذا الشعر ، وإنما أعطيتُه
لقوله :

مازات يومَ الهاشمية^(١) مُعلنًا بالسيف دون خليفة الرحمنِ
فتمت حوزتَه وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان
فاستحيا المنصور ، وقال : إنما أعطيتُه ما أعطيتُه لهذا القول ! قال : نعم ،

* الأغاني : ١٠ - ٨٦ (طبعة الساسي) .
(١) الهاشمية : مدينة بناها السفاح قريبا من الكوفة .

يا أمير المؤمنين ! والله لولا مخافة الشنعة لأمكنته من مفاتيح الأموال ، وأبجته
إياها ، فقال له المنصور : لله درك من أعرابي ! ما أهون عليك ما يميز على الرجال
وأهل الحزم !

١٧٤ — رسول معن *

أراد معنُ بن زائدة أن يوفدَ إلى أبي جعفر المنصور قوماً يسألون سخيمته ،
ويستمطفون قلبه عليه ، وقال : قد أفنيتُ عمري في طاعته ، وأنعبتُ نفسي ، وأفنيتُ
رجالي في حربِ اليمين ، ثم يسخطُ عليَّ أنْ أنفقتُ المالَ في طاعته !
فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، وكان فيمن اختارَ جماعة بن الأزهر ،
فجملَ يدعو الرجال واحداً واحداً ، ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا
وجهتُك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول . . . حتى جاءه جماعة بن الأزهر ، فقال : أعزَّ
الله الأمير ! تسألني عن مخاطبة رجل بالعراق وأنا باليمن ! أقصدُ لحاجتك حتى أتاني
لها كما يُمكن وينبغي ؛ فقال : أنتَ صاحبي .

ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزني وقال : شدَّ عليَّ عضدُ ابن عمِّك ،
وقدَّمه أمامك ، فإن سها عن شيء فتلافه . واختار من أصحابه ثمانية نفرٍ معهم ، حتى
تموا عشرة وودَّعهم ومضوا ، حتى صاروا إلى أبي جعفر .

فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ جماعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له

حتى ظنَّ القومُ أنه إنما قصدَ لهذا ؛ ثم كَرَّ على ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشَر من فضله حتى تعجَّب القومُ ؛ ثم كَرَّ على ذِكْر أمير المؤمنين المنصور ، وما شرفه الله به وما قلَّده ؛ ثم كَرَّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أمَّا ما وصفتَ من حمدِ الله ، فالله أجلُّ وأكبر من أن تبلغه الصفات ؛ وأما ما ذكرت من النبي صلى الله عليه وسلم فقد فضله الله بأكثر مما قلت ، وأما ما وصفتَ به أمير المؤمنين فقد فضله الله بذلك ، وهو مميَّنة على طاعته إن شاء الله ، وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولوئمت ؛ ثم أمر المنصور بإخراجهم . قال : صدق أمير المؤمنين ، ووالله ما كذبتُ في صاحبي .

فأخْرِجُوا ، فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمر برده مع أصحابه ، فقال ، أعِدْ ما ذكرت . فكرَّ عليه الكلام حتى كأنه في صحيفة يقرؤه ؛ فقال له مثل القول الأول ؛ فأخْرِجُوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى مَنْ حضره من مُضِر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ والله لقد تكلم حتى حسدته ، وما معنى أن أتم على رده إلا أن يقال : تعصَّب عليه لأنه رَبَّعَى ، وما رأيتُ كالأيوم رجلاً أربط جاشاً ولا أظهر بيانا ؛ رده يا غلام !

فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه ، فقال له المنصور : اقصد لحاجتك وحاجة صاحبك ، قال : يا أمير المؤمنين ، معنُ بن زائدة عبدك وسيقك وسهمك ، رميتَ به عدوك ف ضربَ وطعنَ ورمى ، حتى سهلَ ماحزُن ، وذل ما صعب ، واستوى ما كان معوجاً من اليمين ؛ فأصبحوا من حَوْل أمير المؤمنين - أطال الله

بقائه .. فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساعٍ أو واثٍ أو حاسدٍ فأمر المؤمنين
أولى بالتفضل على عبده ، ومن أفتى عمره في طاعته .

فقبل وفادتهم ، وقيل العذر من مَن ، وأمر بصرفهم إليه .
فما صاروا إلى مَن وقرأ الكتاب بالرضا قبل ما بين عينيه ، وشكر أصحابه ،
وخلع عليهم وأجازهم ، فقال مجاعة :

آليتُ في مجلسٍ من وائلٍ قَسماً ألا أيمك يا مَنُّ بأطاعِ
يا مَن إنك قد أوليتني نِعماً عمتُ لُجِماً وخصتُ آلَ تجاعِ
فلا أزالُ إليك الدهرَ منقطعاً حتى يُشيدَ بهلكي هتفةُ الناعِ

١٧٥ — كبير*

دخل عمارة^(١) بن حمزة على المهدي ، فلما استقرَّ به الجلوس ، قام رجل كان للمهدي قد أعدَّه ليتهمَّ به ، فقال : مظلوم يا أمير المؤمنين اقال : مَنْ ظلمك ؟ قال : عمارة غصَّبتني ضيقتي - وذكر ضيعة من أحسن ضياع عمارة ، وأكثرها خراجاً - فقال المهدي لعمارة : قم فاجلس مع خصمك ا فقال : يا أمير المؤمنين ؛ ما هو لي بخصم ؛ إن كانت الضيعة له فلست أنازعه فيها ، وإن كانت لي فقد وهبتها له ، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين .

فلما انصرف المجلس سأل عمارة عن صفة الرجل ، وما كان لباسه ، وأين كان موضع جلوسه !

* نهاية الأرب : ٣ - ٣٧٣ ، معجم الأدباء : ٥ - ٢٤٧

(١) مولى عبد الله بن العباس ، ثم مولى السفاح ، ثم مولى أبي جعفر المنصور ، وكان تياهاً محبباً نفسه ، جواداً كريماً معدوداً في سراة الناس ، وكان فصيحاً بليغاً وكان أعور دميماً . وكان المنصور والمهدي يقسمانه ويحتملان أخلاقه لفضله وبلاغته ووجوب حقه ، وولى لها أعمالاً كباراً .

١٧٦ — فَنَاعَةٌ *

قال أبو ذؤلف المَجْلِي :

حجبتُ فرأيتُ أبا العتاهية واقفاً على أعرابي في ظلِّ مِيلٍ^(١) ، وعليه شملة
إذا غطى بها رأسه بدتُ رجلاه ، وإذا غطى رجله بدا رأسه ؛ فقال أبو العتاهية :
يا هذا ؛ لولا أن الله أفتع بعض العبادِ بشر البلاد ، ما وسعَ خيرُ البلاد جميعَ
العباد ؛ ثم قال له : من أين معاشكم ؟ فقال : منكم معشرَ الحاجِّ ؟ تمرّون بنا
فننال من فضولكم^(٢) ، وتنصرفون فيكون ذلك ؛ فقال له : إنما تمرّ وتنصرف
في وقتٍ من السنة ، فمن أين معاشكم ؛ فأطرق الأعرابي ثم قال : لا والله لأدرى
ما أقول إلا أنا نرزق من حيث لا نَحْتَسِبُ^(٣) أكثر مما نرزق من حيث نَحْتَسِبُ ؛
فولى أبو العتاهية وهو يقول :

ألا يا طالبَ الدنيا دَعِ الدنيا لشائِكاً
وما تصنعُ بالدنيا وظلُّ المِيلِ يكفياً ؟

* الأغانى : ٤ - ٨٣ (طبعة دار الكتب) .

(١) المِيل : منار بيني للسافر (٢) فضول الغنم : ما فضل منها (٣) أى من حيث
لا تقدر .

١٧٧ — الرشيد وعبد الملك بن صالح*

رُفِعَ إلى الرشيد أن عبد الملك ^(١) بن صالح يطلبُ الاخلافة لنفسه ، ويطمحُ فيها ، وأن البرامكة كانوا له في ذلك عوناً ، وأيدَ هذه السعاية ابنه عبد الرحمن بن عبد الملك وخادمه قمامة . فأحضر إلى الرشيد ، فلما دخل عليه قال : أكفراً بالنعمة وجُوداً لجليل المنة والتكريمة ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لقد بُوتُ إذن بالندم ، وتمرضت لاستحلال النقم ، وما ذاك إلا بئى حاسدٍ نافسنى فيك المودة والقراية ، وتقديم الولاية ؛ إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسول الله في أمته ، وأمينه على عترته ^(٢) ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءه النصيحة ، ولها عليك التذللُ في حُكْمها والغفران لذنوبها .

فقال الرشيد : أتضعُ لى من لسانك ، وترفعُ لى من جَنَانِكَ ! هذا كاتبك قمامة يخبر بفلك وفساد نيتك ، فاسمع كلامه !

فقال عبد الملك : أعطاك ما ليس في عقده ، ولعله لا يقدر أن يمضيني ^(٣) أو يهتني بما لم يعرفه منى . وأحضر قمامة . فقال له الرشيد : تقدم غير هائب ولا خائف . قال قمامة : أقول : إنه عازم على التذربك والخلافِ عليك ! فقال عبد الملك :

* المحاسن والساوى : ٥٤٦ (طبع ليزج) ، تاريخ الطبرى : ١٠ - ٨٩ ، القصد الفريد : ١ - ١٤٣ ، الكامل لابن الأثير : ٦ - ٧٢ ، زهر الآداب : ٢ - ٢٨٣ .
(١) هو عبد الملك بن صالح بن على بن عبد الله بن عباس ، وهو فى العباسيين فى درجة السفاح والنصور نسباً . وولد الرشيد الحروب فى الثنور ؛ فقام بذلك خير قيام ، إلى أن مزله الرشيد ، وحبسه بعد نكبة البرامكة سنة ١٨٧ هـ (٢) العترة : نسل الرجل ورهطه وعشيرته الأولون ممن مضى وغيره . (٣) يقال : عضه فلاناً ؛ أى بهته وقال فيه ما لم يكن .

أهو كذلك يا قمامة؟ قال : نعم ، لقد أردت ختل^(١) أمير المؤمنين . فقال عبد الملك :
كيف لا يكذب عليّ من خلني ، وهو يبهتني في وجهي !

فقاله الرشيد : وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرني بعثوك ، وفساد نيتك ؛ ولو
أردت أن أحتج عليك بحجة لم أجد أعذل من هذين لك ، فبم تدفعهما عنك ؟
فقال عبد الملك : هو مأمور ، أو عاق مجبور ، فإز ، كان مأموراً فمعدور ، وإن كان
عاقاً ففاجر مكفور ، أخبر الله بمداوته وحذر منه بقوله : « إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ » . فنهض الرشيد وهو يقول : أمّا أمرك فقد
وضّح ، ولكنني لا أعجل حتى أعلم الذي يرضى الله فيك ، فإنه الحكم بيني
وبينك ، فقال عبد الملك : رضيتُ بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً ، فإني أعلم
أنه يؤنر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه .

فلما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، ودخل عبد الملك عليه فسلم ، فلم يردّ
عليه الرشيد ! فقال عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، فقال الرشيد : لِمَهْ ؟
فقال : لأن أوله جرى على غير السنّة فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال : لم
تردّ على السلام . أنصف نصفة العوام . فقال الرشيد : السلام عليكم اقتداء
بالسنّة ، وإيناراً للعهد ، واستهماً للتحية ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر وقال :

* أريدُ حياته ويريدُ قتلِي *

أمّا والله لكأنّي أنظر إلى شوّوبها^(٢) قد همع ، وعارضها^(٣) قد لَمع ، وكأني

(١) ختله : خدعه (٢) الشووب : الدفعة من المطر ، وهمع : سال (٣) العارض :
السحاب المعارض في الأفق .

بالوعيد قد أوزى ناراً تسطع فأقلع عن برّاجم^(١) بلا معاصم ؛ ورووس بلا
غلامم^(٢) . فهلا مهلا ، بي والله سهّل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدر ، وألقت
إليكم الأمور أزمّتها ، فنذار لكم نذارٍ اقبل حلول داهية ، خبوط باليد ، لبوط^(٣)
بالرجل !

فقال عبد الملك : اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولّك وفي رعيّتك التي
استرطاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع الثواب ؛ فقد
نحلت لك النصيحة ومحضت لك الطاعة ، وشدّدت أواخي^(٤) ملكك بأثقل
من ركني يلمّم^(٥) ، وتركتُ عدوك مُشتغلاً ؛ فالله الله في رحلك أن تقطعه
بعد أن بلّته^(٦) ، بظنّ أفصح الكتاب بمعضه^(٧) ، أو يبني باغٍ ينهش اللحم ،
ويبلغ في الدم ! فقد والله سهلتُ لك الوعر ، وذلتُ لك الأمور ، وجمتُ على
طاعتك القلوب في الصدور . فكم من ليل تمام فيك كأبدته ، ومقام ضيق لك
قمته ! كما قال أخو بني جعفر بن كلاب :

ومقام ضيق فرّجته بينان ولسان وجادل
لو يقوم الفيل أو فيّاله^(٨) زلّ عن مثل مقامي وزحل^(٩)

فقال له الرشيد : أمّا والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربتُ عنقك ؛ ثم أمر
بحبسه ، فحبس عند الفضل بن الربيع .

ثم بعث الرشيد إلى يحيى بن خالد وهو في السجن : « إن عبد الملك بن صالح

(١) البراجم : مفاصل الأصابع (٢) النلامم : جم غلصمة ، وهي اللحم بين الرأس والعنق
(٣) يقال : لبط به الأرض ؛ أي ضرب (٤) أواخي : جم آخية : عروة تربط إلى وتد مدقوق
وتشد فيه الدابة (٥) يللم : جبل من الطائف على ليلتين (٦) بلّته : لزمته (٧) المعضه :
الكذب والتمية (٨) الفيال : صاحب الفيل (٩) زحل : زال عن مكانه .

أراد الخروج علىّ ومنازعتي في الملك ، وقد علمت ذلك ، فأعلمني ما عندك فيه ، فإنك إن صدقتني أعدتُك إلى حالك .

قال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما اطلعتُ من عبد الملك على شيء من هذا ، ولو اطلعتُ عليه لكنتُ صاحبه دونك ؛ لأن ملكك كان ملكي ، وسلطانك سلطاني والخيرُ والشرُّ كانا فيه علىّ وليّ ؛ فكيف يجوزُ لعبد الملك أن يطعم في ذلك مني ! وهل كنتُ إذا فعلتُ ذلك به يفعل بي أكثر من فعلك ! أعيذك بالله أن تظنَّ بي هذا الظنَّ ؛ ولكن كان رجلاً محتملاً ، يسرني أن يكون في أهلك مثله ، فوليته لما أحمَدْتُ^(١) من مذهبه ، ومِلتُ إليه لأدبه واحتماله .

فلما أتى الرسولُ الرشيدُ بهذا أعاده عليه وقال : إن أنتَ لم تقرَّ على عبد الملك قتلتُ ابنك الفضل ؛ فقال له يحيى : أنت مسلط علينا فافعل ما شئت ، على أنه إذا كان من هذا الأمر شيءٌ قالدنبُ فيه لي ، فمِمَّ يدخلُ الفضل في ذلك ! فقال الرسولُ للفضل : قم ، فإنه لا بد لي من إنفاذ أمر أمير المؤمنين فيك ؛ فلم يشك في أنه قاتله ؛ فودَّعَ أباه وقال له : ألسنتَ راضياً عني؟ قال : بلى ، فرضى الله عنك ، وفرق بينهما ثلاثة أيام ؛ فلما لم يجد عندهما من ذلك شيئاً جمعهما كما كانا .

(١) يقال : أحمَدْتُ فلاناً ، أى رضيت مذهبه .

١٧٨ — هارون الرشيد ومسلم بن الوليد *

كان هارون الرشيد يقتلُ أولاد فاطمة وشيعتهم ، وكان مسلمُ بن الوليد - صريحُ
الغواني - قد رُمي عنده بالتشيعُ ؛ فأمر بطلبه ، فهرب منه ، ثم أمر بطلب أنس بن
أبي شيخ كاتبِ البرامكة ، فهرب منه .

ثم وُجِدَ هو ومسلمُ بن الوليد عند قَيْنَةَ ببغداد ؛ فلما أتَيَ بهما ، قيل له :
يا أميرَ المؤمنين ؛ قد أتَيَ بالرجلين ، قال : أي الرجلين ؟ قيل : أنس بن أبي شيخ ،
ومسلم بن الوليد . فقال : الحمد لله الذي أظفرني بهما . يا غلام ؛ أخصرهما .

فلما دَخَلَ عليه نظر إلى مُسلم وقد تغيَّر لونه ، فرقَّ له ، وقال : إيه يا مسلم !
أنت القائل :

أَنسَ الهوى بيني عليَّ في الخشا وأراه يَطْمَحُ عَن بني العباس
قال : بل أنا الذي أقولُ - يا أمير المؤمنين :

أَنسَ الهوى بيني العمومة في الخشا مستوحشًا من سائر الأناس ^(١)
وإذا تكاملتِ الفضائلُ كنتمُ أولى بذلك يا بني العباس

فعجِبَ هارون الرشيد من سُرعة بديهته ، وقال له بعض جلسائه : استَبَيِّقه
يا أميرَ المؤمنين ، فإنه من أشعرِ النَّاسِ ، وامتحنه فسترى منه عجبًا ! فقال له : قلْ
شيئًا في أنس . فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أفرخ ^(٢) روعي أفرخ الله روعك

* المقدم الفريد : ١ - ٤٢٩ ، ديوان مسلم ٣٠١ (طبعة أوربا)

(١) الأناس : الناس (٢) أذهب روعي وفرعي .

يوْمَ الحاجة إلى ذلك ؛ فإنني لم أدخل على خليفة قط ، ثم أنشأ يقول :

تَلَفْظُ ^(١) السيف من شوقٍ إلى أنس فالموتُ يلحظُ والأقدارُ تنتظرُ
فليس يبلغُ منه ما يؤمُّلهُ حتى يُؤامِرَ فيه رأيك القدرُ
أمضى من الموت ؛ يَفْقُوْهُ عند قدرته وليس للموت عفوٌ حين يقتدر
فأجلسه هارون وراء ظهره ، لئلا يرى مام به ، حتى إذا فرغ من قتل أنس
قال له : أنشدني أشعر شعرك ، فكلما فرغ من قصيدة قال : التي تقول فيها «الوحل»
فإنى رويتها وأنا صغير ، فأشده شعره الذي أوله :

أديراً على الرّاح لا تشرباً قبلي ولا تطلباً من عند قاتلتى ذحلي ^(٢)
حتى انتهى إلى قوله :

إذا ما علّت من ذؤابة شاربٍ تمشت بنا مشى المقيد في الوحل
فضحك هارون ، وقال : عليك ! أما رضيت أن قيدته حتى يمشى في الوحل !
ثم أمر له بمجازرة وخلي سبيله .

(١) أصل التلفظ تحريك اللسان في الفم بعد الأكل ، كأنه يتبع بقية الطعام بين أسنانه ، ويقال
تلفظت الحية : إذا أخرجت لسانها للتلفظ الأكل (٢) الوحل : التار .

١٧٩ - شاعر باهلي في حضرة الرشيد *

أوفد سعيد بن سالم على الرشيد شاعراً باهلياً ؛ فأنشده قصيدة حسنة ؛
فاستراب به^(١) الرشيد ؛ وقال : أستمعك مستحسناً ، وأكرمك مئماً ! فإن كنت
صاحب هذا الشعر ؛ فقل في هذين - وأشار إلى الأمين والمأمون ، وكانا جالسين .
فقال : يا أمير المؤمنين ؛ حملني على غير الجدد^(٢) هيبة الخلافة ، ووحشة
الغربة ، ورؤعة المفاجأة ، وجلالة المقام ، وصعوبة البديهة ، وشروء القوافي على
غير الروية ، فليهنني أمير المؤمنين حتى يتألف نافر القول !

فقال الرشيد : لا عليك ألا تقول ، قد جعلتُ اعتذارك عوض امتحانك !
فقال : يا أمير المؤمنين ، نفست^(٣) الخناق ، وسهلت مئدان السباق ، ثم قال :

بنيت لعبد الله بعد محمد ذراً قبة الإسلام فاخضر عودها
ها طنباها^(٤) بارك الله فيهما وأنت أمير المؤمنين عمودها

فقال الرشيد : بارك الله فيك - سل ، ولا تكن مسألتك دون إحسانك .

فقال : الهيدة^(٥) يا أمير المؤمنين ! فأمر له بها وبخلع نفيسة ، وصلة جزيلة !

* زهر الآداب : ٤ - ١٥٣ .

(١) استراب به : رأى منه ما يريبه (٢) الجدد : ما استوى من الأرض وأصغر ، والمراد هنا
الأمر السهل (٣) نفست : فرجت (٤) الطنب : جبل الحباء (٥) الهيدة : اسم اللثة
من الإبل .

١٨٠ — أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه *

قال العتّابي : كنا بباب الفضل بن يحيى البرمكي أربعة آلاف ؛ ما بين شاعر
وزائر ، وفينا فتى ^(١) يحدّثنا ونجتمع إليه ؛ فبينما هو ذات يوم قاعد إذ أقبل إليه
غلام له ! فقال له : يا مولاي ؛ أخرجتني من بين أبوي ، وزعمت أن لك صلة
بالمملك ؟ فقد صرنا إلى أسوأ ما يكون من الحال . فإن رأيت أن تأذن لي فأنصرف
إلى أبوي فعلت !

فاغرورقت عينا الفتى ، ثم قال : ائتني بدواة وقرطاس ، فأناه بهما فعمد ؛
فكتب رقعة ، ثم عاد إلى مجلسه ، ثم قال للغلام : انصرف إلى وقت رجوعي
إليك .

فبينما نحن كذلك إذ جاء رجل يستأذن على الفضل ، فقام إليه الفتى ، فقال :
توصّل رقتي هذه إلى الأمير ؟ قال : وما في رقعتك ؟ قال : أمدح نفسي ، وأحث
الأمير على قبولي ، قال : هذه حاجة لك دون الأمير ، فإن رأيت أن تعفيني فعلت !
قال : قد فعلت .

فعاد إلى مجلسه ، فخرج الحاجب فقام إليه ، فقال له مثل مقالته الأولى .

* الأوراق للصول : ٤

(١) هو أبان بن عبد الحميد اللاحق الذي نظم كلبيلة ودمنة شعراً . وقد أعطاه يحيى بن خالد
عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار .

فاستظرفه الحاجب وقال : إن رجلا يمدح نفسه ، ولا يمدح الفضل عجيب !

فأخذ منه الرقعة ، ثم دخل فلوحها للفضل ، فقرأ منها سطرين وهو مستلق على فراشه ، ثم استوى قاعدا ، وتناول الرقعة فقرأها ، فلما فرغ قال للحاجب : أين صاحبُ الرقعة ؟ قال : أعزُّ الله الأمير ؛ والله لا أعرفه لكثرة من بالباب ؛ فقال للفضل : أنا أعرفه لك الساعة ؛ يا غلام ! اصعد القصر فناد أين مداح نفسه ؟ فقام العلام فصاح ؛ فقام الفتى من بيننا بغير رداء ولا حذاء !

فلما مثل بين يدي الفضل ، قال له : أنت القائل ما فيها ؟ قال : نعم ! قال : أنشدني ، فأنشأ الفتى يقول :

أنا من بُغِيَّةٍ^(١) الأمير وكنزٍ من كنوزِ الأميرِ ذو أرباح
كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائدٌ على النصّاح
شاعرٌ مُفلقٌ أخفٌ من الريشة مما يكون تحت الجناح^(٢)
لى فى النحو فطنة وانقاد أنا فيه فلاةٌ بوشاح
ثم أروى من ابن سيرين للعالم بقولٍ منورٍ الإفتاح
ثم أروى من ابن سيرين للشعر وقول النسيب والأمداح
وطريفُ الحديث فى كل فن وبصيرٌ بترهاتِ الملاح
كم وكم قد خبأتُ عندي حديثنا هو عند الملوك كالفتحاح

(١) من بغية : من مطالبه ، يريد أن الأمير لو اصطغمه واصطفاه لرأى فيه خيراً كثيراً ، وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده (٢) الشاعر المفلق : البديع ، وأخف الريش وأدقه : ما يكون تحت الجناح ، وأراد بالخفة خفة الروح .

فِيمِثْلِي تَجْلُو الْمُلُوكُ وَتَلْهُو وَتَنَاجِي فِي الْمَشْكَلِ الْفَدَاحِ
أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ لَنَدُو دُعَيْتُ أَوْ لَرَوَاحِ
أَبْصَرَ النَّاسَ بِالْجَوَاهِرِ وَالْخَيْلِ وَبِالْخَرْدِ الْحَسَانَ الصُّبَّاحِ
كُلُّ ذَا قَدْ جَعْتُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى أَنْتِي ظَرِيفِ الْمَزَاحِ
لَسْتُ بِالنَّاسِكِ الْمَشْمُرِّ ثَوْبِيهِ وَلَا الْمَاجِنِ الْخَلِيعِ الْوَقَاحِ
إِنْ رَمَى بِي الْأَمِيرُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ رِمَاحًا ثَلْتُ حَدَّ الرِّمَاحِ
مَا أَنَا وَاهِنٌ وَلَا مُسْتَكِينٌ لِسُؤَى أَمْرِ سَيِّدِي ذِي السَّمَّاحِ
حَتَّى آتَى عَلَى آخِرِهَا .

فقال له الفضل :

كاتب، حاسب، خطيب، أديب، ناصح زائد على الناصح ؟ !

قال : نعم ! أصلح الله الأمير ؟ فقال الفضل : يا غلام ؛ الكتب التي وردت
من فارس ! فأنتي بها ، فقال الفتى : خذها فاقرأها وأجب عنها ، فجلس بين يدي
الفضل يكتب ، فقال له الحاجب : اعتزل يكن خيرا لك ؟ فقال : ههنا الرأي
أجمع ؛ بحيث الرغبة والرغبة .

فلما فرغ من الكتب عرضها على الفضل ، فكأ كما شقَّ عن قلبه ! فقال
الفضل : يا غلام : بدرة ، بدرة ، بدرة ^(١) . فقال الفتى للغلام : أعزَّ الله الأمير !
دنانير أو دراهم ؟ قال : دراهم . قال : دنانير يا غلام !

فلما وضعت البدرة بين يديه قال الفضل : احملها بارك الله لك فيها . قال
الفتى : والله - أيها الأمير : ما أنا بحمَّال ، وما للحمل خلقت . فإن رأى الأمير أن

(١) البدرة : كيس فيه عشرة آلاف .

يأمر بعضَ غلمانه بحملها على أن الغلام لى ! فأشار الفضل إلى بعض الغلمان ، فأشار
الفتى إليه : مكانك اثم قال : إن رأى الأمير - أيده الله أن يجعل الخيار إلى في
الغلمان كما فعل بين البدرتين فعل . فقال : اختر . فاختار من أحسنهم غلاما ، فقال :
احمل ، فلما صارت البدرّة على منكب الغلام بكى الفتى ؟ فاستنطق الفضل ذلك ،
وقال : ويملك . أستقللا ؟ قال : لا - والله - أيده الله ، ولقد أ كثر ،
ولكن أسفا أن الأرض تواري مثلك . قال الفضل : هذا أجود من الأول ،
يا غلام زده كسوة .

١٨١ — العتّابي عند المأمون *

كان كلثوم العتّابي^(١) واقفاً بيباب المأمون ، فجاءه يحيى بن أكثم ، فقال له العتّابي : إن رأيتَ أن تُعلِّمَ أميرَ المؤمنين بمكاني اقال : لستُ بحاجب اقال : قد علمتُ ولكنك ذو فضل ، وذو الفضل معوان ! قال : سلكتَ بي غيرَ طريقى اقال : إن الله قد ألحّك بجاهٍ ونعمة منه ، فهما مُقيان عليك بالزيادة إن شكرتَ ، وبالتقدير إن كفرتَ ! وأنا لك اليوم خيرٌ منك لنفسك ؛ أدعوك لما فيه زيادةُ نعمتك وأنتَ تأتي ذلك ، ولكلِّ شيءٍ زكاة ، وزكاة الجاه بذله للمستعين .

فدخل يحيى فأخبر المأمون بالخبر ؛ فأدخل عليه العتّابي ، وفي المجلس إسحاق ابن إبراهيم الموصلي ، فأمره بالجلوس ، وأقبلَ يسأله عن أحواله وشأنه ؛ فيجيبه بلسان ناطق ، فاستظرفه المأمون ، وأخذ في مداعبته .

فظن الشيخ أنه قد استخفَّ به ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ الإبناس^(٢) قبل الإبناس ، فاشتبه عليه قوله ، فنظر إلى إسحاق ، ثم قال : ألف دينار ، فأتى بها فوضعت بين يدي العتّابي .

* السمودي : ٢ - ٣٢٣ .

(١) كان العتّابي من أرض جند قنسرين ، وسكن الرقة ، وكان من العلم والقراءة والأدب والمعرفة والترسل ، وحسن النظم للكلام وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان ، وحلاوة المخاطبة وجودة الحفظ وصحة الفريجة على ما لم يكن لكثير من الناس في عصر مثله .
(٢) الإبناس : ضد الإبناس . والرفق بالناقة عند الحلب ، وهو أن يقال : بس بس ، وهو مثل يضرب في المداراة عند الطلب .

ثم دعا إلى المعارضة ، وأغرى المأمونُ إسحاقَ بالعبث به ، فأقبل إسحاق يعارضه في كل باب يذكره . ويزيد عليه ؛ فمجب منه ، وهو لا يعلم أنه إسحاق ، ثم قال العتابي : أياذنُ أميرُ المؤمنين في مسألة هذا الرجل عن اسمه ونسبه ؟ فأذن له . فقال العتابي : من أنتَ ؟ وما اسمك ! قال : أنا من الناس ، واسمى : « كل بصل » ! فقال له العتابي : أمّا النسبةُ فقد عُرِفَتْ ، وأما الاسمُ فننكر ! وما « كل بصل » من الأسماء ! فقال له إسحاق : ما أقلُّ إنصافك ! وما « كلثوم » ؟ والبصل أطيب من الثوم !

قال العتابي : قاتلكَ الله ! ما رأيتُ كالرجل حلاوةً ، أياذنُ أمير المؤمنين في صلته بما وصلني به . فقد - والله - غلبني !
فقال له المأمون : بل ذلك مُوفَّرٌ عليك ، ونأمرُ له بمثله ؛ فانصرف إسحاق إلى منزله ، ونادمه ببقية يومه .

١٨٢ — أبو تمام والأعرابي *

قال أبو تمام الطائي : خرجتُ يوماً إلى سُرّ من رأى ، حين ولي الواثقُ ،
فلقيني أعرابي وقد قربتُ منها ، فأردت أن أسأله عن شيء من أخبارِ الناس بها ،
فخاطبته ، فإذا أفصحُ الناسِ وأفطنهم .

قلتُ : بمن الرجلُ ؟ قال : من بني عامر ، قلت : كيف علمك بأمر المؤمنين ؟
قال : قتل^(١) أرضاً عالمها ؟ قلت : فما تقول فيه ؟ قال : وثق بالله فكفاه ،
أشجى^(٢) العاصية ، وقمع العادية ، وعدل في الرعية .

قلت : فما تقول في أحمد بن أبي دؤاد^(٣) ؟ قال : هضبةٌ لا تُرام ، وجندلة^(٤)
لا تُضام ، تُشخِّدُ له المدي ، وتُحبِّل^(٥) له الأشرار ، وتُبغِي له الفوائل ، حتى إذا
قيل : كأن قد ، وثب وثبة الذئب ، وختل^(٦) ختل الضب .

قلت : فما تقول في محمد بن عبد الملك ؟ قال : وسع الداني شره ، وقتل البعيد

* أخبار أبي تمام للصولي : ٨٩

- (١) أصل القتل التذليل ، وهذا مثل معناه ؛ أن الرجل العالم بالأرض عند سلوكها يذلها ويغلبها
بعلته ؛ يضرب في مدح العلم (٢) أشجيتته : أوقفته في حزن ، وقهرته (٣) أحمد بن
أبي دؤاد : كان فصيحاً مفوهماً ، شاعراً جنوذاً ممدحاً ، رأساً في التجهم ، وهو الذي شغب على
الإمام أحمد بن حنبل وأفتى بقتله ، وكان معتزلياً ، له القبول التام عند المأمون والمعتصم ، وهو أول
من بدأ الخلفاء بالكلام ، وكان بينه وبين ابن الزيات شحنة ومهاجاة . توفي بالبصرة سنة ٢٤٠ هـ
(٤) الجندل : ما يقل الرجل من الحجارة وقيل : الحجر كله ؛ الواحدة جندلة .
(٥) حبل الصيد حبلا : أخذه وصاده بالحبال أو نصبها له (٦) ختل : خدع .

خَرُّهُ ، له كلُّ يومٍ صرِيحٌ لا يَرى فيه أثرُ ناب ، ولا نَدْبٌ مَخْلَبٌ ^(١) .
قلت : فما تقول في عمرو ^(٢) بن فرج ؟ قال : ضَعْمٌ لَيْمٌ ^(٣) ،
مستعذبٌ للذَّم .

قلت : فما تقول في الفضل بن مروان - واستعذبتُ خطابه - قال : ذاك الرجلُ
نُشِرَ بعد ما قُبِرَ ، فعليه حياةُ الأحياءِ وخَفَّتْهُ الموتى .

قلتُ : فما تقول في أبي الوزير ؟ قال : كبشُ الزنادقةِ ؛ ألا ترى أن الخليفةَ
إذا أهمله سنح ورتع ، فإذا هزّه أمطر فأصرع .

قلت : فابنُ الخصيبِ ؟ قال : أكلُ أَكَلَةَ نَهْمٍ ، فَذَرَقَ ذَرَقَةَ بَشِمٍ ^(٤)
قلت : فما تقول في إبراهيم أخيه ؟ قال : أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وما يشعرون
أَيَّانَ يُبْعَثُونَ .

قلت : فما تقول في ابن إسرائيل ؟ قال : لله دره ! أى قلقل ^(٥) هو أغريس
في منابت الكرم ، حتى إذا اهتز لهم حصدوه .

قلت : فما تقول في إبراهيم بن رباح ؟ قال : أَوْبَقَهُ ^(٦) كرمه ، وأسلمه حسبه ،
وله معروفٌ لا يُسَلِّمه ، وربٌّ لا يَحْدُلُه ، وخليفةٌ لا يظلمه .

قلت : فما تقول في نباح بن سلمة ؟ قال : لله دره ! أى طالبٍ وتُرٍ ومُدْرِكٍ
نارٌ ! يتلَّهبُ كأنه شعلة نار ، له من الخليفةِ جلسةٌ تُزِيلُ نِعَمًا ، وتُحِلُّ نِقَمًا .

(١) الندب : جمع ندبة ، وهى أثر الجرح الباقى على الجلد (٢) عمرو بن فرج : كان من
علية الكتاب ، وسخط عليه التوكل سنة ٢٣٣ هـ (٣) اللهم : الرغيب الرأى ، الجواد ،
العظيم الكفاية (٤) البشم : التضمة (٥) القلقل : الموان السريع التقلقل وهو التحرك
(٦) أوبقه : ذلله وأهلكه .

قلت : يا أعرابي ؛ أين منزلك ؟ قال : اللهم غفراً ، إذا اشتمل الظلام فحينما
أدركني الرقادُ رقدتُ !

قلت : فكيف رضاك عن أهل العسكر ؟ قال : لا أُخْلِجُ وجهي بمسألتهم ،
أو ما سمعتَ قولَ هذا الفتي الطائي ، الذي قد ملأ الدنيا شعره :

وما أبالي - وخيرُ القولِ أصدقه - حفتَ لي ماء وجهي أو حفتَ دمي

قلت : فأنى الطائي قاتل هذا الشعر ! فدنا مبادراً فعانقني ، وقال : لله أبوك !
ألستَ الذي يقول :

ما جود كفك إن جادت وإن بخلتُ من ماء وجهي إذا أخلقتَه عِوضَ

قلت : نعم ، قال : أنت والله أشعر أهل الزمان .

فرجعتُ بالأعرابي معي إلى ابن أبي دؤاد ، وحدثتهُ بحديثه ، فأدخله إلى
الوائق ، فسأله عن خبره معي ، فأخبره به ؛ فأمر له بجمال ، وأحسن إليه ، ووهب له
أحمد بن أبي دؤاد ، فكان يقول : قد عظم الله بركتك علي !

١٨٣ — امتحان شاعر *

كان صاعد^(١) بين يدي المنصور بن أبي عامر ، فأحضرت إليه وردة في غير وقتها لم يستم فتح ورقها ، فقال صاعد مرتجلاً :

أتسك أبا عامر وردةً يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرةً فغطت بأكامها رأسها

فسر بذلك المنصور ، وكان ابن العريف حاضرًا فحسده ، وقال لابن أبي عامر : هذان البيتان لغيره ، وقد أشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر ، وهما عندي على ظهر كتاب بخطه !

قال له المنصور : أرنيه . فخرج ابن العريف ، وركب ، وحرك دابته ، حتى أتى مجلس ابن بدر وكان أحسن أهل زمانه بديهة ، فوصف له ماجرى ، فقال هذه الآليات ودس فيها بيتي صاعد :

غدوت إلى قصر عباسة وقد جدل^(٢) النوم حراسها
فألقيتها وهي في خدرها وقد صرع^(٣) السكر أناسها
قالت : أسار على هجعة^(٤) قلت : بلى فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردة يحاكي لك الطيب أنفاسها

* فتح الطيب : ٢ - ٨٩

(١) هو أبو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى البغدادى التوى ، وأصله من الموصل ، وهو من الموافدين إلى الأندلس ، وكان شديد البديهة في ادعاء الباطل ، وكان مع ذلك عالمًا . توفي سنة ١٧٤ هـ .
(٢) جدل : صرعه (٣) صرع فلاناً : ضربه شديداً (٤) الهجعة : طائفة من الليل .

كَمَدَّرَاهُ أَبْصَرَهَا مَبْصِرًا فَنَفَطَتْ بِأَكْلِمِهَا رَأْسَهَا

فسار ابنُ العريفِ بها ، وعلَّقها على ظهرِ كتابِ بخطِّ مصريَّةٍ ومِدَادِ أَشْقَرٍ ؛
ودخل بها على المنصور .

فلما رآها اشتدَّ غيظه على صاعد ، وقال للحاضرين : غداً أمتحنه ، فإن فضحه
الامتحانُ أخرجتهُ من البلاد ، ولم يبق في موضع لي عليه سلطان .

فلما أصبح وجهُ إليه ، فأحضر وأحضر جميع الندماء ، فدخل بهم إلى مجلس ،
قد أعدَّ فيه طبقاً عظيماً ، فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير . ووضِع على السقائف
لعب من ياسمين في شكل الجوارى ، وتحت السقائف بركة ماء ، قد ألقى فيها اللآلئُ
مثل الحصباء ، وفي البركة حية تسبح .

فلما دخل صاعد ورأى الطبق ، قال له المنصور : إن هذا يوم إنا أن تسعدَ فيه
معنا ، وإما أن تشقى به عندنا ، لأنه قد زعم أن كلَّ ما تأتي به دعوى ، وقد وقفتُ
من ذلك على حقيقة ؛ وهذا طبق ما توهمتُ أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله ؛
فصنِه بجميع ما فيه ، فقال صاعد بديهية :

أبا عامر هل غيرُ جدواك واكف^(١) وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهرُ كلَّ غريبةٍ وأعجبُ ما يلقاه عندك واصف
وشائع^(٢) نور صاغها هامرُ الحيا^(٣) على حافتيها عَجَبَر^(٤) ورفارف^(٥)
ولما تنهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملامى الوصائف

(١) وكف : قطر (٢) الوشيعة : كل لفيفة وجمها وشائع (٣) الحيا : للطر
(٤) المبر : الياسمين (٥) الرفرف : الرف يوضع عليه طرائف البيت وجمه ررفرف .

كَيْلُ الظباءِ المستكنةِ كُنْسا تَظَلُّهُمُا بِالْيَاسَمِينِ السَّقَائِفُ
وَأَعْجَبُ مِنْهَا أَنْهِنَّ نَوَاطِرُ إِلَى بَرَكَةٍ ضَمَّتْ إِلَيْهَا الطَّرَائِفُ
حِصَاها اللَّالِي ، سَابِحٌ فِي عُبَابِها مِنْ الرِّقَشِ مَسْمُومُ الثَّمائِينِ زاحِفُ
تَرى مائةَ أهْلِ العَيْنِ فِي جَنابِها مِنْ الوَحْشِ حَتَّى يَبِينَنَّ السَّلَاحِفُ

فاسْتَعْرَبْتُ لَهُ يَوْمَئِذٍ تِلْكَ البَدِيهِيَّةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ المَوْضِعِ ، وَكَتَبْتُها المَنْصُورَ
بِحِطَّةٍ . وَكانَ إِلى نَاحِيَةِ مِنْ تِلْكَ السَّقَائِفِ سَفينَةً ، فِيها جاريةٌ مِنَ النُّوارِ ، بِمِجَازِيفٍ
مِنْ ذَهَبٍ لَمْ يَرها صاعِدٌ ، فَقالَ لَهُ المَنْصُورُ : أَحسنتَ إِلا أَنَّكَ أَغفَلتَ ذِكرَ المَرْكَبِ
والجاريةِ ، فَقالَ لَوَقْتُ :

وَأَعْجَبُ مِنْهَا عَادَةً فِي سَفينَةٍ مَكَلَّةٌ تَصبُو إِليها المِهانِفُ (١)
إِذا راعِها مَوْجٌ مِنَ المِائِ تَتَّقِي بِسَكانِها ما أُنذِرتهِ العِواصِفُ
مَتى كانَتِ الحِسانِ رُبَّانَ مَرْكَبِ تُصَرِّفُ فِي يَمَنِ يَدِيهِ المِجَازِيفُ
وَلَمْ تَرَ عَينِي فِي البِلاَدِ حَدِيقَةً تَنْقُلُها فِي الرِاحَتِينِ الوِصائِفُ
وَلَا غُرُوانَ ساقَتِ مَعاليكِ رِوضَةً وَشَنتِها أَزاهيرُ الرِبا وَالزِخارِفُ
إِذا قَلتَ قَولاً أَوْ بَدَهِتَ بِدِهيَّةِ فَكَلِّفِي لَهُ ، إِني لِمِجَدِّكَ وِاصِفُ

فأَمَرَ لَهُ المَنْصُورُ بِأَلْفِ دِينارٍ ، وَمِائَةِ ثِوبٍ ، وَرَتَّبَ لَهُ فِي كُلِّ شَهرٍ ثَلاثينَ دِيناراً
وَأَلحَقَهُ بِالنِّدامِ .

.....

(١) فَلَانَ يَهِتِفُ بِها : يَذِكرُ جِمالَها .

فهرس القصص

الباب الأول

في القصص التي تشرح ما أثر عنهم من عادات وشمائل في الأسباب الدائرة
بينهم ، وتبين ما اتجهوه في مواسمهم وأعيادهم ، وأفراحهم وأعراسهم ؛ مما يمثل حياتهم
الاجتماعية أصدق تمثيل :

رقم القصة	رقم الصفحة	العنوان
١	٨	شب عمرو عن الطوق
٢	١٠	الحديث ذو شجون
٣	١١	جوع كلبك يتبعك
٤	١٢	عند جهينة الخبز اليقين
٥	١٤	يحمى الصحاب إذا تكون كريهة
٦	١٧	تأبط شراً وابن براق
٧	١٩	أنتك بمخائن رجلاه
٨	٢٢	السليك بن السلكة ورفيقاه
٩	٢٤	السليك يقتل وينهب
١٠	٢٥	السخي العداء
١١	٢٨	زيد الخليل
١٢	٣١	وأد البنات
١٣	٣٢	أعجب السرقات
١٤	٣٦	أعرابي في عرس
١٥	٤٠	أطيب الطعام
١٦	٤٣	جحدر

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
صديقا ابن سُريج على قبره	٤٥	١٧
قوة و بطش	٤٨	١٨
لا تعرضوا لهذا الشيطان	٥٠	١٩
هلال يُصارع عبداً جباراً	٥٢	٢٠
حديث عن الغريين	٥٤	٢١
العصا	٥٧	٢٢
ضرار بن القمقاع	٦٠	٢٣

الباب الثاني

القصص التي تصف أحوال المرأة العربية ، وما تجرى عليه في تربية أطفالها ، ومعاشرتها زوجها ، ومعاونتها له في الحياتين : الاجتماعية والمدنية ، بالسعى في سبيل الرزق ، والاشتراك في خوض معامع الحروب ، والأخذ بقسط من الثقافة الأدبية السائدة في ذلك العهد :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
مصرع الزبناء	٦٢	٢٤
قبح الله جمالا لا نفع فيه	٦٨	٢٥
أفضل النساء وأفضل الرجال	٧١	٢٦
نكبة جليلة	٧٣	٢٧
كأما تزوجت بنت قيس بن خالد	٧٥	٢٨
ماوراءك يا عصام ؟	٧٨	٢٩
لا أتزوج إلا من كريم	٨١	٣٠
سبية عروة بن الورد	٨٤	٣١
لو كان النساء كمثل هذى !	٨٦	٣٢
بنت حاتم الطائي	٨٩	٣٣

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
آيتهما أعظم العرب مصيبة ؟	٩٠	٣٤
شجاعة صفية بنت عبد المطلب	٩٢	٣٥
الخنساء عند عائشة	٩٣	٣٦
إله عمر يعلم !	٩٤	٣٧
كذلك لدهر !	٩٥	٣٨
لا تذهبي بنفسك عن الحق	٩٦	٣٩
المغيرة يخطف بنت النعمان	٩٨	٤٠
ولقد أيدت على الطوى	٩٩	٤١
أبو الأسود الدؤلى وزوج	١٠٤	٤٢
إن قریشاً تحدث أنك من أحلمها	١٠٦	٤٣
سودة بنت عمارة عند معاوية	١١١	٤٤
مثلك من قدر فقفا	١١٤	٤٥
نبهكم على !	١١٧	٤٦
وهل أحل عندك محل على ؟	١١٩	٤٧
نبحتنى كلابك !	١٢١	٤٨
أروى بنت الحارث	١٢٣	٤٩
أم سنان تشكو مروان	١٢٦	٥٠
ليلي الأخيلية عند مروان	١٢٩	٥١
أم	١٣٢	٥٢
التلطف في السؤال	١٣٤	٥٣
نساء بني تميم	١٣٥	٥٤
ليلي الأخيلية عند الحجاج	١٣٨	٥٥
الحجاج يخالف سبيلها	١٤٤	٥٦

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
أسد على وفي الحروب نامة	١٤٥	٥٧
الشعراء عند سكينه بنت الحسين	١٤٧	٥٨
الفرزدق وسكينه بنت الحسين	١٥٢	٥٩
يوم عند امرأة من بني أمية	١٥٤	٦٠
حديث عائشة بنت طلحة مع النخعي	١٥٨	٦١
أتريد أن تقتلني !	١٦١	٦٢
بعد أن ذهب الملك	١٦٥	٦٣
أم أمير المؤمنين بالباب	١٦٨	٦٤
كريم يجمع بين زوجين	١٧٢	٦٥
أعرابية على قبر زوجها	١٧٤	٦٦
على قبور الذاهبين	١٧٥	٦٧
الحق أنطقها وأخرسه	١٧٦	٦٨
أجارها ثم تزوجها	١٧٩	٦٩
كيف ربت ابنها	١٨٤	٧٠
خائف وجد مأمناً	١٨٥	٧١
تمحن إلى وطنها	١٨٧	٧٢
سئمت حياتي حين فارقت قبره	١٨٨	٧٣
المتكلمة بالقرآن	١٩٠	٧٤

الباب الثالث

القصص التي تمثل ذلاقة ألسنتهم ، وحكمة منطقتهم ، وما يضاف إلى ذلك من فصاحة اللفظ ، وبلاغة المعنى ، وجمال الأسلوب ، وحسن التصرف في الإبانة والتعبير :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
بنو أسد وامرؤ القيس	١٩٤	٧٥

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خاتمة الأعشى	١٩٧	٧٦
رثاء فوق قبر	١٩٩	٧٧
بمثل هذا فليئن على الملوك	٢٠٠	٧٨
عُتْبَةَ وأعرابي	٢٠٤	٧٩
إن من البيان لسحراً	٢٠٥	٨٠
عبد الله بن عباس والحطيئة	٢٠٦	٨١
طريد لسانه	٢٠٨	٨٢
عبد الله بن الزبير ومقتل أخيه مصعب	٢١٦	٨٣
عمر بن أبي ربيعة وجميل	٢١٨	٨٤
لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة بالقلب	٢٢٠	٨٥
ابن المسيَّب يفخر بصاحبه	٢٢٢	٨٦
أعشى همدان يهجو ويمدح	٢٢٣	٨٧
أشجع الناس شعراً	٢٢٥	٨٨
الحجاج على قبر ابنه	٢٢٧	٨٩
إن صدقناك أغضيناك	٢٢٨	٩٠
الحجاج يخطب	٢٢٩	٩١
جميل أشعر الناس	٢٣١	٩٢
من أشعر الناس	٢٣٢	٩٣
الشعبي عند عبد الملك بن مروان	٢٣٦	٩٤
تلطف عبد الله بن الحجاج	٢٣٨	٩٥
نُصَيْب عند عبد العزيز بن مروان	٢٤١	٩٦
سليمان بن عبد الملك وسميه	٢٤٥	٩٧
عقيد الندى	٢٤٦	٩٨

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
خليفة يعطى الفقراء ويمنع الشعراء	٢٤٨	٩٩
الشعراء عند عمر بن عبد العزيز	٢٥٢	١٠٠
إيجاز في المقال وبلاغة في البيان	٢٥٧	١٠١
سميت فأكدت ، ورجمت فرزقت	٢٥٩	١٠٢
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	٢٦٠	١٠٣
واعظ الملوك	٢٦٢	١٠٤
إن خالداً أدل فأمل	٢٦٦	١٠٥
أبو النجم عند هشام بن عبد الملك	٢٦٧	١٠٦
لا يُعرف الكلام إلا بنشره	٢٧١	١٠٧
أنجحت وفادتك ، ووجهت ضيافتك	٢٧٣	١٠٨
شاعر بني هاشم	٢٧٤	١٠٩
إن يُمنى يغلب شوئك	٢٧٨	١١٠
قتلهم الشعر	٢٨٠	١١١
المنصور أحق بشعر طريف	٢٨٢	١١٢
الحبة مفتاح كل خير	٢٨٤	١١٣
المنصور والشعراء	٢٩٥	١١٤
المؤمل يمدح المهدي	٢٩٧	١١٥
مدائح وعطايا	٢٩٠	١١٦
فصاحة نصيب العباسي	٢٩٦	١١٧
أنته الخلافة منقادة	٢٩٨	١١٨
صريع الفواني	٣٠٠	١١٩
الرشيد وابن مناذر	٣٠٣	١٢٠
ربيعة الرقي يمدح فلا يثاب	٣٠٥	١٢١

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
شاعران بين يدي الرشيد	٣٠٨	١٢٢
بيابك أزلت حاجتي	٣١٠	١٢٣
النكث في البيع خير من خيانة الشريك	٣١٢	١٢٤
باتت تعيرني الإفتار والعدما	٣١٣	١٢٥
سكنت عنى والله الحمى !	٣١٥	١٢٦
عجوز تنشد الأصمى	٣١٦	١٢٧
الأصمى و بعض الأعراب	٣١٨	١٢٨
شعر مرتجل	٣٢١	١٢٩
هوّنت على العزل	٣٢٣	١٣٠
أرى الأيام لا تُدنى الذى أرتجى	٣٢٥	١٣١
حديث عن دعبل	٣٢٧	١٣٢
دعبل عند والى مصر	٣٢٩	١٣٣
دعبل وعلى الرضا	٣٣٢	١٣٤
سجدوا لشعره	٣٣٤	١٣٥
إنما الدنيا أبو دلف	٣٣٦	١٣٦
مدحة شاعر وعطية أمير	٣٣٩	١٣٧
بين أنى تمام وعبد الله بن طاهر	٣٤١	١٣٨
لا يمجبنك من يصون ثيابه خوف الغبار وعرضه مبدول	٣٤٣	١٣٩
سماية	٣٤٧	١٤٠
أشعر من بالشام والعراق	٣٤٩	١٤١
ابن جاح ينشد المعتضد شعره	٣٥١	١٤٢

الباب الرابع

في القصص التي تسرد بارع ملحم ، ورائع طرفهم ، في جواباتهم المسكتة ،
وتصرفاتهم الحكيمة، وتخلصاتهم اللبقة ، مما يدل على حضور الذهن، وسرعة البديهة ،
وشدة المارضة :

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسان بن ثابت والناصفة	٣٥٤	١٤٣
آية أخلاق كانت للعرب في الجاهلية !	٣٥٦	١٤٤
مسلم يحتال على قريش	٣٦٠	١٤٥
إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه	٣٦٢	١٤٦
ما رأيته لاحي أحدا إلا غلبه	٣٦٣	١٤٧
المغيرة بن شعبة وأحد الأعراب	٣٦٦	١٤٨
دهاء عمرو بن العاص	٣٦٨	١٤٩
بين معاوية وهاني بن عروة	٣٧٢	١٥٠
إن هذا العبد غلبنى وغلبيك	٣٧٣	١٥١
ماعليه لو عرض	٣٧٤	١٥٢
لا يأتينا غير طالب فقه أو طالب فضل	٣٧٦	١٥٣
ابن أبي محجن عند معاوية	٣٧٨	١٥٤
ذكرتني يوم النفع في الصور	٣٨٩	١٥٥
أعرابي عند الحجاج	٣٨٢	١٥٦
دعاني من هو خير منك	٣٨٣	١٥٧
أنت إلى القبر أقرب منك إلى العفو	٣٨٤	١٥٨
ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأكاذيب	٣٨٥	١٥٩
الحجاج وأنس بن مالك	٣٨٦	١٦٠
الحجاج والفضبان بن القبيص	٣٨٧	١٦١

العنوان	رقم الصفحة	رقم القصة
حسن تخلص	٣٩٧	١٦٢
بثينة وعزة عند عبد الملك	٣٩٨	١٦٣
من أشعر الناس؟	٣٩٩	١٦٤
سليمان بن عبد الملك وأبو حازم	٤٠٠	١٦٥
ضعه من النار حيث شئت	٤٠٤	١٦٦
مناظرة مع الخوارج	٤٠٥	١٦٧
ليس الأمر بالسن	٤٠٦	١٦٨
بنو أمية وعمر بن عبد العزيز	٤٠٩	١٦٩
في وفاة عمر بن عبد العزيز	٤١٢	١٧٠
رأى خالد بن صفوان في الشعراء	٤١٣	١٧١
المنصور وابن طاوس	٤١٥	١٧٢
بديهة معن	٤١٦	١٧٣
رسول معن	٤١٧	١٧٤
كبير!	٤٢٠	١٧٥
قناعة	٤٢١	١٧٦
الرشيد وعبد الملك بن صالح	٤٢٢	١٧٧
هارون الرشيد ومسلم بن الوليد	٤٢٦	١٧٨
شاعر باهلي في حضرة الرشيد	٤٢٨	١٧٩
أبان بن عبد الحميد يمدح نفسه	٤٢٩	١٨٠
العتابي عند المأمون	٤٣٣	١٨١
أبو تمام يستمذّب خطاب أعرابي	٤٣٥	١٨٢
امتحان شاعر	٤٣٨	١٨٣

فهرس الأعلام

أبو بكر بن أبي قحافة (الصدیق) :

٣٥٦

أبو تمام : ٤٣٥ ، ٣٣١

أبو حازم : ٤٠٠

أبو حردبة : ٣٢

أبو دلف المجلی : ٣٣٦ ، ٣٢٧ ،

٤٢١ ، ٣٣٩

أبو دلامة : ٢٧٨

أبو سفیان بن حرب : ١٩٧

أبو الشیص : ٣٣٤

أبو العباس السفاح (الخليفة العباسی) :

٢٨٠ ، ١٦١

أبو العتاهية : ٣٢٣ ، ٣٢١ ، ٢٩٨

أبو العلاء المعری : ٣٤٩

أبو العمیثل : ٣٤١

أبو كبير الهذلی : ٤١

أبو النجم المجلی : ٢٦٧

أبو نصر المنذری : ٣٤٩

(١)

إبراهیم بن رباح : ٤٣٦

إبراهیم بن محمد الإمام : ١٦٦

إبراهیم بن المدبر : ١٧٨

إبراهیم بن المهدي : ٣٢٥

إبراهیم بن میمون : ١٧٢

إبراهیم بن هرمة : ٢٧٥

أبان بن الحجاج : ٢٢٧

ابن أبي دبا كل : ٤٥

ابن أبي محجن : ٣٧٦

ابن جاح : ٣٥١

ابن سريج المغنی : ٤٥

ابن طلوت : ٣٤٣

ابن طاوس : ٤١٥

ابن العریف : ٤٣٨

أبو الأسود الدؤلی : ١٠٣

أبو أيوب الخازن : ٢٧٨

أمامة بنت الحارث : ٧٩
أمامة بنت خزرج : ١٨٥
امرؤ القيس بن حجر : ١٩٤
أم البنين بنت عبد الملك بن
سروان : ١٤٥
أم الخير بنت الجريش : ١٠٦
أم سلمة بنت يعقوب : ١٦١
أم سنان بنت خيشمة المذحجية :
١٢٦
أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن
الخطاب : ٩٤
أنس بن أبي شيخ : ٤٢٦
أنس بن مالك : ٣٨٦
أثمار (قبيلة) : ١٣
أولس بن حارثة : ٨١ ، ٨٦
أيمن بن خزيم الأسدي : ٢٤٣
أيوب بن القرية : ٣٨٤
(ب)
بثينة (صاحبة جميل) : ٣٩٨
بجيلة (قبيلة) : ١٧
برد (غلام ابن مفرغ) : ٢٠٨
بسر بن أرطاه : ١١٣

أبو نواس : ٣٠٤ ، ٣٣٤
أحمد بن أبي خالد : ١٧٨
أحمد بن أبي داود : ٤٣٥
أحمد بن السراج : ٣٢٩
الأحنف بن قيس : ٢١٢
الأحوص : ١٥٤ ، ٢٤٩
الأخطل : ٢٣٢ ، ٢٥٠
الأخنس بن كعب : ١٢
الأراكة (قينة ابن مفرغ) : ٢١٠
أروى بنت الحارث : ١٢٣
إسحاق بن إبراهيم الموصلي : ٤٣٣
أسماء بنت أبي بكر : ١٣٢ ، ١٤٦
إسماعيل بن عبد الله : ٣٨٦
الأسود بن قنان : ١٨٥
أشجع السلمي : ٢٩٨ ، ٣٠٨ ،
٣٢٣ ، ٣٢١
الأصمعي : ٦٠ ، ١٧٥ ، ٣١٣ ،
٣١٥ ، ٣١٨
أعشى قيس : ١٩٧
أعشى همدان : ٢٢٣

(ث)

ثابت بن جابر = تأبط شرا

(ج)

جامع الحاربي : ٢٢٨

جحدر بن ربيعة : ٤٣ ، ٤٤

جديمة بن الأبرش : ٨ ، ٦٢

جرير بن عطية الخطمي : ٤١ ، ٤٢

١٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٩٩

جعفر بن يحيى البرمكي : ٣٠٠ ، ٣٢١

جليلة بنت صرة : ٧٣

جميل بن معمر : ١٤٧ ، ٢١٨ ،

٢٣١

(ح)

حاتم بن عبد الله : ٨١

الحارث بن خالد : ١٥٩ ، ٢٢٠

الحارث بن عمرو : ٨٨

الحارث بن عوف : ٨٦

الحارث بن كعب : ١٠

الحجاج بن علاط السلمي : ٣٦٠

الحجاج بن يوسف الثقفي : ٣٣ ، ٣٤

١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨

بشار بن برد : ٢٩٨

بشر بن المنذر : ٢٩٠

بكاره الهلالية : ١٢١

بكر بن وائل (قبيلة) : ٣٦٦

بنو أسد : ١٩٤

بنو أمية : ٢٨٠ ، ٤٠٩

بنو تميم الله : ٣٦٦

بنو ثعلبة : ١٧٩

بنو ذهل : ٣٦٦

بنو شيبان : ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٦٦

بنو مالك بن غفيلة : ٦٨

بنو النضير : ٨٤

بنو نمير : ٣٠

بنو هاشم : ٣٦٤ ، ٤٨٠

بنو يشسکر : ٣٦٦

بهيسة بنت أوس بن حارثة : ٨٧

(ت)

تأبط شراً : ١٤

تميم بن عدى اليربوعي : ٩٩

تميم (قبيلة) : ٩٩

توبة بن الحخير : ١٢٩

داود بن علي : ٢٨١

درواس بن حبيب : ٢٧١

دعبل الخزاعي : ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،

٣٣٤ ، ٣٣١

(ذ)

ذيان بن ذبيان : ٤١٠

الذلقاء بنت الأبيض : ١٧٨

(ر)

الريبع بن يونس : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ،

٢٩٠

ربيعة الرق : ٣٠٥

زرين الخزاعي : ٣٢٩

رقاش (أخت جذيمة بن الأبرش) : ٨

(ز)

الزباء : ٦٢

الزبرقان بن بدر : ١٠٥

الزبير بن العوام : ١٠٩

زرارة بن عدس : ٧٥

زيد الخليل : ٢٨ ، ٨١

زينب بنت حدير : ١٣٥

٢٩٢ ، ٣٤٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ،

٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٩٧

حرقة بنت النعمان : ٩٥

حسان بن ثابت : ٢٠٠ ، ٣٥٤

الحصيف بن عمرو الكلابي :

١٢ ، ١٣

الخطيئة : ٢٠٦

حدونة بنت عيسى : ١٧٩

حنيفة (قبيلة) : ٣٦٦

حيان بن سلمى : ١٩٩

(خ)

خارجة بن سنان : ٨٦

خالد بن صفوان : ١٦١ ، ٢٦٢ ،

٢٦٦ ، ٤١٣

خالد بن عبدالله القسري : ٢٦٦ ، ٣٩٧

خالد بن عتاب : ٣٢٢

خالد بن المضلل : ١٧

خالد بن يزيد : ٣٠٦ ، ٣٩٠

الخنساء : ٩٠ ، ٩٣

الخيزران (أم الهادي والرشد) : ١٦٥

(د)

دارمية الحجونية : ١١٩

سليمان بن مجالد : ٢٧٩
السليك بن السلكة : ٢٢
سودة بنت عمارة : ١١٢

(ش)

شبة بنت عقال : ٤١٣
شريح بن الحارث : ١٣٥
شرف بن القطامي : ٥٧، ٥٤
شظاظ (اللس) : ٣٣
الشعبي : ١٣٥ ، ٢٧٢
شوذب الحروري : ٣٤٥
شيبة بن ربيعة : ٩٠

(ص)

صاعد بن الحسن : ٤٣٨
صخر بن عمرو : ٣١
صخرة (أخت الحصين بن عمرو
الكلابي) : ١٢
صعصعة بن ناجية : ١٢
صفية بنت عبد الطلب : ٩٢

(ض)

ضبة بن أد : ١٠

زينب بنت سليمان : ١٦٦
زينب بنت يوسف (أخت الحجاج) :
١٥٨

(س)

سديف (مولى أبي العباس) : ٢٨٠
سعد بن أبي وقاص : ٩٥
سعد بن ضبة : ١٠
سعد بن مرة بن جبير : ٢٧٣
سعيد بن جبير : ٣٧٩
سعيد بن خالد : ٢٤٦
سعيد بن سالم : ٤٢٨
سعيد بن ضبة : ١٠
سعيد بن عثمان : ٢٠٨
سعيد بن المسيب : ٢٢٢
سكينة بنت الحسين : ١٥٢ ، ١٤٧
سليم بن كيسان الكلبي : ٢٦٧
سليمان بن عبد الملك (الخليفة) :
٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ ،
٤١٠ ، ٤٠٤
سليمان بن عبد الملك (فتى من بني
عبس) : ٢٤٥

عبد الله بن أبي بكر : ١٣٤

عبد الله بن الحجاج : ٢٧٨

عبد الله بن الحسن بن علي : ٢٧٦

عبد الله بن الزبير : ١٣٢ ، ١٤٥ ،

٢٧٦ ، ٢١٦

عبد الله بن زياد : ٢٠٨

عبد الله بن سعيد بن عبد الملك : ٤٥

عبد الله بن صفوان : ٣٧٠

عبد الله بن العباس : ٢٠٦ ، ٩٩ ،

٣٧٦ ، ٣٦٣

عبد الله بن عمرو بن العاص : ٣٦٨

عبد الله بن قيس الرقيات : ٢٢٢

عبد الله بن المنتشر : ٤٦

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن

جعفر : ٢٧٦

عبد الملك بن صالح : ٤٢٢

عبد الملك بن الفضل : ١٦٨

عبد الملك بن مروان : ٤٠ ، ٤١ ،

٤٢ ، ١٤٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦

٢٩٨

عبيد بن الأبرص : ١٩ ، ٢٠ ، ١٩٤

عبيد الله بن زياد : ٢٠٨

ضرار بن القعقاع : ٦٠

(ط)

طلحة بن عبيد الله : ١٠٩

(ع)

عائشة بنت أبي بكر : ٩٣

عائشة بنت طلحة : ١٥٨

عاصم بن عمر بن الخطاب : ٩٤

عاصم بن جذيمة : ١١

عامر بن الطفيل : ١٩٩

عامر بن وائلة : ٣٧٦

العباس بن عبد المطلب : ٣٦٠

العباس بن المأمون : ١٧٨

العباس بن محمد بن علي : ٣٠٥

عبد الرحمن بن الأشعث : ١٩٩ ، ٣٨٤

٣٨٥

عبد الرحمن بن سميحان الحاربي : ٢٠٦

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح :

٤٢٢

عبد الرحمن بن عتيق المزني : ٤١٦

عبد العزيز بن عمرو بن مروان : ٢٨١

عبد العزيز بن مروان : ٢٤٠

عمارة بن حمزة : ٤٢٠
عمر بن أبي ريعة : ٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٨
٤١٢ ، ٤٠٩ ، ٤٠٨ ، ٢٣٩
عمر بن الخطاب : ٣٩٣ ، ٩٤
عمر بن عبد العزيز : ٢٤٨ ، ٢٥٢ ،
٣٤٥
عمر بن الوليد بن عبد الملك : ٤٠٩
عمرو بن الأهم : ٢٠٥
عمرو بن براق : ١٧
عمرو بن بسطام : ٢٦٨
عمرو بن الحارث : ٢٠٠
عمرو بن الشريد : ٩٠
عمرو بن العاص : ١٢٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ،
٣٧٤
عمرو بن عبيد الله : ٣٢
عمرو بن عدى : ٦٣ ، ٨
عمرو بن فرج : ٤٣٦
عمرو بن مسعدة : ٣٢٧
عنبسة بن سميد : ١٣٨
(غ)
الغضبان بن القبعثري : ٣٦٤

عتيبة بن أبي سفيان : ٢٠٤ ، ٩٠
٣٦٨
عثمان بن عفان : ١١٩
عتمة بنت مطرود : ٦٨
المجنفاء بنت علقمة السعدي : ٧١
عدى بن أرطاة : ٢٤٨
عدى بن الزبير : ٩٥
عدى بن نصر : ٨
عروة بن أذينة : ٢٥٩
عروة بن الورد : ٨٤
عزة (صاحبة كثير) : ٣٩٨
عصام بن شهبر : ٣٥٤
علقمة بن عبدة : ٢٠٠
علي بن أبي طالب : ٣٥٦ ، ٩٦ ، ٨٩ ،
٣٦٨ ، ٣٦٢
علي بن جبلة : ٣٣٩ ، ٣٣٦
علي بن الحسين (زين العابدين) :
٢٦٠
علي بن رافع : ٩٦
علي بن محمد العلوي : ٣٤٧
علي بن موسى الرضا : ٣٣٢
عكرشة بنت الأطرش : ١١٧

كثوم العتابي : ٤٣٣

الكيت الأسدي : ٢٧٤

(ل)

لقيط بن زرارة : ٧٥

ليلي الأخييلية : ١٣٨ ، ١٢٩

(م)

المأمون (الخليفة) : ١٧٧ ، ٣٢٧ ،

٤٢٧ ، ٣٣٦

المؤمل بن أميل : ٢٨٧

مؤنسة (مغنية) : ٣٤٤

مالك بن أنس : ٤١٥

مالك بن الريب : ٣٢

مالك بن طوق : ٣١٠ ، ٣١٢

ماني الموسوس : ٣٤٣

المتوكل (الخليفة العباسي) : ١٤٧

المنثي بن حارثة : ٣٥٦

مجاعة بن الأزهر : ٤١٧

محسن القعسي : ١٤٢

محمد بن أبي الجهم : ٢٥٧

محمد بن أمية : ٣٢٥

محمد بن صالح : ١٧٩

(ف)

فاطمة بنت محمد بن الحسين : ١٦٨

الفرزدق : ١٤٧ ، ١٥٢ ، ٢٤١ ، ٢٦٠

٢٧٤

الفضل بن الربيع : ٢٦٣

الفضل بن يحيى : ٤٢٥ ، ٤٢٩

الفضل بن يزيد : ١٨٢

(ق)

القاسم بن عيسى : أبو دلف

قبيصة بن نعيم : ١٩٤

قراذ بن إهاب : ٧٥

قريش (قبيلة) : ١٩٧ ، ٣٦٠ ،

٣٦٤

قصر بن سعد : ٦٢

قمامة (خادم عبد الملك بن صالح) : ٥٢

قنبر (مولى علي بن أبي طالب) :

٣٦٢

قيس بن ثعلبة (قبيلة) : ٣٦٦

قيس بن خالد : ٧٦

(ك)

كثير بن عبد الرحمن : ١٤٧ ، ١٥٤ ،

٢٣١ ، ٣٤٩ ، ٣٥٢

المعتضد بن عباد : ٣٥١
معقل بن عيسى : ٣٣٩
معن بن زائدة : ٤١٧
المغيرة بن شعبة : ٣٦٦ ، ٩٨
مفروق بن عمرو : ٣٥٦
المنذر العبدي : ٢١٢
المنذر بن ماء السماء : ٢٠ ، ١٩ ،
٢١ ، ٢٦
المنصور بن أبي عامر : ٤٣٨
المنصور العباسي (الخليفة) : ٢٧٨ ،
٢٨٢ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ،
٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧
منصور النمرى : ٣٠٨
المهاجر بن خدش : ١٩٤
المهاجر بن عبد الله : ٢٥
المهدي العباسي (الخليفة) : ١٦٦ ، ٥٤
٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ ، ٤٢٠
موسى شهوات : ٢٤٦
(ن)
النافعة الجعدي : ١٤٣
النافعة الديلمي : ٢٠٠
ناهض بن ثومة : ٣٦

محمد بن عبد الله بن طاهر : ٣٤٣
محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
(الرسول ﷺ) : ٣١ ، ٨٩ ،
٢٠٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٠
محمد بن عبد الملك : ٤٣٥
محمد بن علي بن الحسين : ٢٧٥
محمد بن عمرو بن العاص : ٣٦٨
محمد بن كعب القرظي : ٤٠٩
محمد بن منذر : ٣٦٣
سروان بن أبي حفصة : ٤١٦ ، ٢٩٠
سروان بن الحكم : ١٢١ ، ١٢٦
مزاحم (مولى عمر بن عبد العزيز) :
٤١٦ ، ٤١٧
مزنة (زوج مروان بن محمد) : ١٦٥
مسلم بن الوليد : ٣٠٠ ، ٣٣٤ ، ٤٢٦
مسلمة بن عبد الملك : ٢٧٠ ، ٤١٢ ، ٤١٤
مصعب بن الزبير : ٢١٦
مطلب بن عبد الله : ٣٢٩
معاوية بن أبي سفيان : ١٠٣ ، ١٠٦ ،
١١١ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣
١٢٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢
٣٩٣ ، ٣٧٤

هند بنت النعمان : ٩٨

(و)

وردان (غلام عمرو بن العاص) :

٣٧٣ ، ٣٦٩

الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٤

الوليد بن عتبة ٦٠

الوليد بن يزيد ٢٧٢

وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥

(ي)

يحيى بن أكرم ٤٣٣

يحيى بن خالد ٤٢٤

يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤

يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤

يزيد بن مزيد ٢٩١

يزيد بن مفرغ ٢٠٨

يعقوب بن داود ٢٩٠

يوسف بن عمرو الثقفي ٢٦٢

نجاح بن سلمة ٤٣٦

نجدة بن الأسود ١٨٢

نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١

٢٥٢

نصيب (العباسي الشاعر) ٢٩٦

النعمان بن شريك ٣٥٦

النعمان بن المنذر ٣٥٤

النميري ١٥٨

(هـ)

هارون الرشيد (الخليفة) ١٦٨ ، ٢٠٠

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤

هاني بن عروة المرادي ٣٧٢

هاني بن مسعود ٣٥٠

هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠

٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣

٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

هلال بن الأسمر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

هند بنت عتبة ٩٠

فهرس الأماكن

(ق)	(ر)	(ا)
قوس : ١٤٣ ، ٣٣٢	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
(م)	(س)	(ب)
محلة بنى فزارة : ٤٥	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
المحصب : ١٥٨	سرّ من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المدينة المنورة : ٨٤	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المربد : ٤٩	السماوة : ٩	بطن نمان : ١٥٨
مصر : ٣٢٩	(ص)	بقّة : ٦٢
مكة : ٨٤	الصالحية : ٣٢١	(ج)
ملحوب : ٢٠	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٢٣
منى : ١٥٨	صفين : ١١٧	(ح)
منفوحة : ١٩٨	(ط)	الحجون : ١١٩ ، ٤٦
(هـ)	(ع)	الحصاب : ٤٦
هجر : ٤٠	العذيب : ١٨٧	حلب : ٣٦
(و)	العقيق : ١٥٤	الخيرة : ٥٤ ، ٣٠ ، ٢٨
الوهط : ١٧	عكاظ : ٩٠ ، ١٠	(خ)
(ى)	(ف)	خراسان : ٣٢٣
اليامة : ٢٥	فارغ : ٩٢	خيبر : ٣٦٠
	فخ : ١٥٨	(ذ)
		ذنوب : ٢٠

مراجع هذا الجزء

: للصولى	أخبار أبى تمام
: لأبى الفرج الأصفهاني	الأغاني
: لأبى على القالى	الأمالي
: للزجاجي	الأمالي
: للشريف المرتضى	الأمالي
: للصولى	الأوراق
: لابن كثير	البداية والنهاية
: لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر	بلاغات النساء
	بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: للأوسى
: للجاحظ	البيان والتبيين
: لابن جرير الطبرى	تاريخ الأمم والملوك
: للبكرى	التنبيهات
: للحموى	ثمرات الأوراق
: لأبى زيد الخطابى	جمهرة أشعار العرب
: لأبى هلال العسكري	جمهرة أمثال العرب
: للبندادى	خزانة الأدب
: لأبى على القالى	ذيل الأمالي والنوادر
: للحصرى	ذيل زهرة الآداب

: للحموى	ذيل ثمرات الأوراق
: للسهيلى	الروض الأنف
: للحصهرى	زهر الآداب
: لابن نيانة المصرى	سرح العيون
: لابن هشام	السيرة النبوية
: لابن عبد الحكم	سيرة عمر بن عبد العزيز
: للمرصنى	شرح ديوان الحماسة
: لابن أبى الحديد	شرح نهج البلاغة
: لابن قتيبة	الشعر والشعراء
: للقلقشندى	صبح الأعشى
: للدكتور فريد رفاعى	عصر المأمون
: لابن عبد ربه	العقد الفرید
: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة	العقد الفرید للملك السعيد
: لأبى حسن على بن هذيل	عين الأدب والسياسة
: لابن قتيبة	عيون الأخبار
: لأبى إسحاق الطواط	غرر الخصائص الواضحة
: للتنوخى	الفرج بعد الشدة
: لابن شاكر الكتبي	فوات الوافيات
: لابن الأثير	الكامل فى التاريخ
: للمبرد	الكامل فى الأدب
: للميدانى	مجمع الأمثال
: للجاحظ	الحاسن والأضداد

المحاسن والمساوى :	اللبهقي :
محاضرات الأبرار :	لابن عربي :
لباب الآداب :	لابن منقذ :
مروج الذهب :	للمسعودي :
المستطرف في كل فن مستظرف :	للأبشيبي :
مصارع العشاق :	لأبي جعفر بن أحمد السراج :
معجم الأدباء :	لياقوت الحموي :
معجم البلدان :	لياقوت الحموي :
معاهد التنقيص :	لبدر الدين العباسي :
مهذب الأغاني :	للشيخ الحضري :
الموشح :	للمرزباني :
نفتح الغيب :	للمقري :
نهاية الأرب :	للمنوي :
وفيات الأعيان :	لابن خلكان :

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

: للزعشمري	أساس البلاغة
: للمرزباني	أشعار النساء
: لخير الدين الزركلي	الأعلام
: للزبيدي	تاج العروس
: لجورجي زيدان	تاريخ آداب اللغة العربية
: للخضري	تاريخ الأمم الإسلامية
: لابن حبر	تبصير المنقبه
	دواوين الشعراء
: للمرصفي	رغبة الآمل من كتاب الكامل
: للمرصفي	شرح ديوان الحماسة
: للبكري	شرح الأمالي
: لابن سلام	طبقات الشعراء
: لابن قتيبة	طبقات الشعراء
: للضي	الفاخر في الأمثال
: لأمين واصف	فهرس خريطة الممالك الإسلامية
: للفيروز آبادي	القاموس المحيط
: لابن منظور	لسان العرب
: لابن عبد الحق البغدادي	مراصد الاطلاع
: الذهبي	المشبه
: لابن قتيبة	المعارف
: لياقوت	معجم البلدان
: لابن خلكان	وفيات الأعيان

هدان : ٤٤٣

هند بنت عتبة ٩٠

هند بنت النعمان : ٩٨

(و)

وردان (غلام عمرو بن العاص) :

٣٧٣ ، ٣٦٩

الوليد بن عبد الملك ٤٣ ، ١٤٥ ،

الوليد بن عتبة ٦٠

الوليد بن يزيد ٢٧٢

وهب بن ناجية الرصافي ١٨٥

(ي)

يحيى بن أكرم ٤٣٣

يحيى بن خالد ٤٢٤

يزيد بن أبي مسلم ٣٨٥ ، ٤٠٤

يزيد الشيباني ٢٤ ، ١٤٤

يزيد بن مزيد ٢٩١

يزيد بن مفرغ ٢٠٨

يعقوب بن داود ٢٩٠

يوسف بن عمرو القتفي ٢٦٢

نجاح بن سلمة ٤٣٦

نجدة بن الأسود ١٨٢

النخع : ٤٤٤

نصيب بن رباح ١٤٧ ، ١٥٤ ، ٢٤١ ،

٢٥٢

نصيب (العباسي الشاعر) ٢٩٦

النعمان بن شريك ٣٥٦

النعمان بن المنذر ٣٥٤

نمير ٤٤٢

النميري ١٥٨

نهد : ٤٤٣

(ه)

هارون الرشيد (الخليفة) ١٦٨ ، ٢٠٠ ،

٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٢٤

هاني بن عروة المرادي ٣٧٢

هاني بن مسعود ٣٥٠

هشام بن عبد الملك ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ،

٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧١ ، ٤١٣ ،

٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٨

هلال بن الأسعر ٤٨ ، ٥٠ ، ٥٢

فهرس الأماكن

فتح : ١٥٨	(ر)	(أ)
(ق)	الرصافة : ١٨٥	أسوان : ٣٢٠
قومس : ١٤٣ ، ٣٣٢	(س)	(ب)
(م)	السراة : ١٧	البحرين : ٤٨
محلة بنى فزارة : ٤٥	سرّ من رأى : ٤٣٥	بدر : ٩٠
المحصب : ١٥٨	السفد : ١٥٥	البصرة : ٤٩
المدينة المنورة : ٨٤	الساواة : ٩	بطن نعان : ١٥٨
المريد : ٤٩	(ص)	بقّة : ٦٢
مصر : ٣٢٩	الصالحية : ٣٢٢	(ج)
مكة : ٨٤	الصعاب : ٤٨	الجوف : ٣٣
ملحوب : ٢٠	صفين : ١١٧	(ح)
منى : ١٥٨	(ط)	الحجون : ٤٦ ، ١١٩
منفوحة : ١٩٨	الطائف : ١٥٨	الحصاب : ٤٦
(هـ)	(ع)	حلب : ٣٦
هجر : ٤٠	العذيب : ١٨٧	الحيرة : ٢٨ ، ٣٠ ، ٥٤
(و)	العقيق : ١٥٤	(خ)
الوهط : ١٧	عكاظ : ١٠ ، ٩٠	خراسان : ٣٢٣
(ى)	(ف)	خير : ٣٦٠
اليامة : ٣٥	فارع : ٩٢	(ذ)
		ذنوب : ٢٠

مراجع هذا الجزء

أخبار أبي تمام	: للصولى
الأغانى	: لأبى الفرج الأصفهاني
الأمالى	: لأبى على القالى
الأمالى	: للزجاجى
الأمالى	: للشريف المرتضى
الأوراق	: للصولى
البداية والنهاية	: لابن كثير
بلاغات النساء	: لأبى الفضل أحمد بن أبى طاهر
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب : للأوسى	
البيان والتبيين	: للجاحظ
تاريخ الأمم والملوك	: لابن جرير الطبرى
التنبيهات	: للبكرى
ثمرات الأوراق	: للحموى
جمهرة أشعار العرب	: لأبى زيد الخطائى
جمهرة أمثال العرب	: لأبى هلال المسكرى
خزانة الأدب	: للبغدادى
ذيل الأمالى والنوادر	: لأبى على القالى
ذيل زهرة الآداب	: للحصرى

ذيل ثمرات الأوراق	: للحموى
الروض الأنف	: للسبيلي
زهر الآداب	: للحصرى
سرح العيون	: لابن نبأة المصرى
السيرة النبوية	: لابن هشام
سيرة عمر بن عبد العزيز	: لابن عبد الحكم
شرح ديوان الحماسة	: للمرصفي
شرح بهج البلاغة	: لابن أبى الحديد
الشعر والشعراء	: لابن قتيبة
صبح الأعشى	: للقلقشندي
طبقات الشافعية	: للسبكي
عصر المأمون	: للدكتور فريد رفاعى
العقد الفريد	: لابن عبد ربه
العقد الفريد للملك السعيد	: لأبى سالم محمد بن أبى طلحة
عين الأدب والسياسة	: لأبى حسن على بن هذيل
عيون الأخبار	: لابن قتيبة
غرر الخصائص الواضحة	: لأبى إسحاق الوطواط
الفرج بعد الشدة	: للتنوخى
فوات الوفيات	: لابن شاكر الكتبي
الكامل فى التاريخ	: لابن الأثير
الكامل فى الأدب	: للمبرد
مجمع الأمثال	: للميدانى
الحماسن والأضداد	: للجاحظ

المحاسن والمساوى	: للبيهقي
محاضرات الأبرار	: لابن عربي
لباب الآداب	: لابن منقذ
مروج الذهب	: للسعودي
المستطرف في كل فن مستظرف	: للأشبهى
مصارع العشاق	: لأبي جعفر بن أحمد السراج
معجم الأدباء	: لياقوت الحموي
معجم البلدان	: لياقوت الحموي
معاهد التنصيص	: لبدر الدين العباسي
مهدب الأغاني	: للشيخ الحضري
للوشح	: للمرزباني
نفع الطيب	: للمقري
نهاية الأرب	: للنويري
وفيات الأعيان	: لابن خلكان

مراجع الضبط والشرح والتحقيق والتراجم

للزخشرى :	أساس البلاغة
للمرزبانى :	أشعار النساء
لخير الدين الزركلى :	الأعلام
للزبيدى :	تاج العروس
لجورجى زيدان :	تاريخ آداب اللغة العربية
للخضرى :	تاريخ الأمم الإسلامية
لابن حجر :	تبصير المنقبه
	دواوين الشعراء
للمرصفى :	رغبة الأمل من كتاب الكامل
للمرصفى :	شرح ديوان الحماسة
للبكرى :	شرح الأمالى
لابن سلام :	طبقات الشعراء
لابن قتيبة :	طبقات الشعراء
للضبى :	الفاخر فى الأمثال
لأمين واصف :	فهرس خريطة الممالك الإسلامية
للفيروز أبادى :	القاموس المحيط
لابن منظور :	لسان العرب
لابن عبد الحق البغدادى :	مراصد الاطلاع

المشقبه	: للذهبي
المعارف	: لابن قتيبة
معجم البلدان	: لياقوت
وفيات الأعيان	: لابن خلكان
